

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الطور

مقصودها تحقيق وقوع العذاب الذى هو مضمون الوعيد المقسم على وقوعه فى الذاريات الذى هو مضمون الإنذار المدلول على صدقه فى ق، فان وقوعه أثبت وأمكن من الجبال التى أخبر الصادق بسيرها، وجعل ذلك بعضها آية على ذلك، ومن الكتاب فى أثبت أوضاعه^٢ لإمكان غسله وحرقة، ومن البيت الذى يمكن عامره وغيره لإخراجه،^٥ والسقف الذى يمكن رافعه وضعه، والبحر الذى يمكن من سجره أن يرسله، وقد بان أن اسمها أدل ما يكون على ذلك بملاحظة القسم وجوابه حتى بمفردات الألفاظ فى خطابه (بسم الله) الملك الأعظم ذى الملك والملوك (الرحمن) الذى عم بالرحمات من حقيقه الثبوت (الرحيم) الذى خص برحمته وتوفيقه أهل القنوت .

١٠

لما ختمت الذاريات بتحقيق الوعيد، افتتحت هذه بآيات العذاب الذى هو روح الوعيد، فقال تعالى: (وَالطُّورِ) وذلك أنهم لما كانوا يقولون عما آتاهم به الرسول صلى الله عليه وسلم: إنه سحر خيال لاحقيقة

(١) النافية والخمسون من سور القرآن الكريم، مكية، وعدد آياتها ٤٩ عند الكوفيين والشامى و ٤٨ عند البصريين و ٤٧ عند المدنيين والمكي - راجع نثر المرجان ٧ / ٥٣ (٢) من مد، وفى الأصل: أوضاعها .

له . أقسم بالجلل - الذى هو عندهم وعند غيرهم من ذوى العقول - أثبت
الارض وأشدها وأصلها ، وعبر عنه بالطور الذى هو مشترك بين
مطلق الجبل وبين المضاف إلى سينا / الذى كان فيه نبوة موسى عليه
السلام وإنزال كثير من كتابه وغير ذلك - آيات تعلبها بنو إسرائيل
ه الذين يستنصحوهم ويسألونهم عن النبى صلى الله عليه وسلم ويرضون
بقولهم فيه . فن آياته أنه كانت فيه الرحمة بمناجاة موسى عليه السلام
وما كتب له فيه على الواح الجوهر وما أنزل عليه من التاموس
الذى جعله هدى ورحمة وموعظة وذكرى وتفصيلا لكل شئ . وكان
فيه مع الرحمة العذاب بما أتاهم من الصاعقة التى أماتهم ثم أحيام الله
١٠ وبما كانوا يشاهدون من السحاب الذى تحلله فيكون كقنطار الآتون ،
وفيه بروق كأعظم ما يشاهد من النار ، وأوراق تزعق بصوت هائل ،
ولما شوهده من اندكاك الجبل عند التجلى وصعق موسى عليه السلام
إلى غير ذلك من الآيات التى تكشف الظلمات ، وأيضا فالطور كل
جبل يفت ، وإنبات الجبل عجيب ، فإن نباته لا يكون إلا بسبب ، وسبب
١٥ النبات الماء ، والماء منبت فى الارض لتركبها عليه وهو مواز لما انكشف
منه من ماء البحار ، وكلما علت الارض بعدت عن الماء ، والجبال
أبعدها منه ، فسبب إنباته خفى جدا لا يعلمه إلا الله [ومن فهمه إياه - ٦] .

(١) من مد ، وفى الأصل : مضاف (٢) من مد ، وفى الأصل : الصنعة .

(٣) من مد ، وفى الأصل : كان عظم (٤) من مد ، وفى الأصل : البوارق .

(٥) فى مد : بعضها يكشف (٦) ريد من مد .

ولما كانت الأرض لوح السماء التي منها الوعيد، وكانت الجبال أشدها، فذكر أعظمها آية. وكان الكتاب لوح الكاتب، وكانت الكتب الإلهية أثبت الكتب، وكان طور سينا قد نزل فيه كتاب إلهي قال: ﴿ وكتب ﴾ وحق أمره بقوله: ﴿ مسطور لا ﴾ أي متفق الكتابة بسطور مصفوفة من^٢ حروف مرنة جامعة للكلمات متفقة ككتاب موسى عليه السلام الذي أنزل^٣ عليه وكلمه بكثير منه في الطور [و-^٤ تنكيره للتعظيم لأنه إن كان المراد به الكتب الإلهية فهو أثبت الأشياء، وإن كان المراد القرآن بخصوصه فهو أثبتا لا مبدل لكلماته، وإن كان المراد صحيفة قريش فقد [كانوا -^٥ ظنوها أثبت العهد، و ذكر آتين^٦ ما يكتب فيه وأشدّه وأثبته فقال: ﴿ في رق ﴾ أي في^٧ جلد مهيأ^٨ باقتصر للكتابة ﴿ منشور لا ﴾ أي مهيأ للقراءة والاعتاظ بما فيه، ويمكن أن يكون أراد به جميع الكتب المنزلة عاما بعد خاص، قال الرازي: قال الصادق: إن الله تجلى^٩ لعبده [بكتابه -^{١٠} كما تجلى^{١١} بالطور لما كان محلا للتجلي خلقا، والكتاب لما كان محلا للتجلي أمرا، أجزهما^{١٢} [في قرن -^{١٣} انتهى. ويجوز أن يكون أراد به سبحانه صحيفة^{١٤} الظلم التي كتبوها بما تعاقدوا عليه من أنهم لا يعاشرّون بني هاشم

(١) من مد، وفي الأصل: الكتاب (٢) في مد: في (٣) في الأصل: هو إزاله، وفي مد: أنزل (٤) زيد من مد (٥ - ٥) من مد، وفي الأصل: ذابين. (٦) سقط من مد (٧) من مد، وفي الأصل: يجتلي (٨) من مد، وفي الأصل: بما جراهما - كذا.

/ ٦٤

ولا يكلمونهم ولا يبايعونهم ولا يشاورونهم ولا يناكحونهم ولا
 يؤازرونهم ولا يعاملونهم حتى يسلموا إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وعلقوها في جوف الكعبة فانجاز بنو هاشم إلى شعب / أبي طالب خلف
 أبي قبيس و تبعهم بنو المطلب رهط إما منا الشافعي رضى الله عنه ، فتجزوا^١
 ه معهم من بين بنى عبد مناف ، فكان ذلك سبب شرفهم على مدى الدهر ،
 فأرسل الله على الصحيفة - بعد أن مضى على ذلك ستان حين جهدهم العيش
 ومضهم الزمان وزلزلتهم القوارع زلزالا شديدا وهم ثابتون ليظهر الله
 [بذلك - ^٢] شرف من شاء من عباده - الأرضة ، فأبقت^٣ ما فيها من
 أسماء الله تعالى ومحت^٤ ما كان من ظلمهم وقطيعتهم ، فكان ذلك سببا
 ١٠ لأن قام في نقضها معشر منهم ، فنقضها الله بهم ، وكانوا إذ ذاك كفرة
 كلهم ليظهر الله قدرته سبحانه على كل من النقص والإبرام بما شاء ومن
 شاء (والبيت المعمور لا) الذى هو قيام للناس كما كانت قبة الزمان
 قياما لبني إسرائيل ، هذا إن كان تعالى أراد به الكعبة التى علقوا فيها
 الصحيفة بعد أن كانوا لما عمروها اختلفوا فيمن يضع الحجر الأسود في
 ١٥ موضعه ، وزاد بهم الاختلاف حتى تهاؤوا للقتال وتحالفوا عليه ، فكان
 منهم لعقة الدم ، ومنهم المطييون كما هو مشهور في السير ، ثم وقفوا
 لأن رضوا أن يحكم بينهم أول داخل من باب عينوه ، فكان أول داخل
 منه النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا بأجمعهم^٥ : هذا محمد هذا الأمين ، رضينا

(١) في مد ، : لتجزوا (٢) زيد من مد (٣) من مد ، وفي الأصل : فالتق

(٤) من مد ، وفي الأصل : سميت (٥) ليس في مد .

بحكمه، فحكم صلى الله عليه وسلم بأن يوضع الحجر الشريف في ثوب
و يأخذ رئيس كل قبيلة بطرف من أطرافه ويرفعوه كلهم، فلما وازى
موضعه أخذه هو صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة فوضعه في موضعه،
فكان الفخر له مضاعفا بحكمه وإصلاحه بينهم، واختصاصه بموضعه
وهو معمر بالزوار والخدمة وكثرة الحاشية .

و لما كان البيت لا بد في مساه من السقف قال: (والسقف المرفوع لا)
يريد سقف الكعبة إشارة إلى أنه محكم البناء مغلق الباب متقن السقف
إتقاناً هو أعظم 'من إتقان' سقف قبة الزمان التي شاهد [فيها - ٣]
بنو إسرائيل من العظمة الإلهية والجلال ما إن سألتموه عنه أخبروكم به،
ومع ذلك ساطع على الصحيفة - التي في جوفه، ولعلها كانت في سقفه ١٠
بحيث لا يصل إليها أحد - ما أفسدها تحقيقاً لثبوت ما أراد من أمره
تحذيراً مما توعده به، ويمكن أن يراد به مع ذلك السماء التي فيها ما
توعدون، ومن المعلوم أن لكل ذي عقل أن أقل السقوف لا يرتفع
'بغير عمد' إلا بأسباب لا ترى، فكيف بالسماء التي لها من السعة والعظمة
والثخن وما فيها من الكواكب ما لها بما لا يسع العقول شرحه، وهم ١٥
لا ينظرون أسبابه كما قال تعالى "بغير عمد ترونها" ونقل عن ابن عباس
رضي الله عنهما أنه قال: إنه العرش وهو سقف الجنة .

و لما كان الماء أقوى من كل ما تقدم، ختم به فقال:

(١) في مد: يضع (٢-٢) من مد، وفي الأصل: إتقاناً من (٣) زيد من مد .

(٤-٤) من مد، وفي الأصل: عمد (٥) راجع البحر المحيط ١٤٦/٨ .

(و البحر المسجور لا) أى الذى فيه من الماء أكثر من ملكه و هو ساجره

- / أى مانعه - كما يمنع الكلب بساجوره عن الانسباح، ولو أراد خلاه

فاندق لجرى فأهلك ما مر عليه من جبل و كتاب و بيت كما شوهد لما

سجره سبحانه لبنى إسرائيل فانفلق، و نشفت أرضه ثم لما أراد سبيه على

٥ آل فرعون فعذبهم به فأهلكهم حتى لم يبق منهم أحد .

و لما أقسم بما يدل على نبوة موسى عليه السلام و ثلث بما أشار

إلى نبوة محمد صلى الله عليه و سلم، و ثنى بما هو مشترك بينهما، و كان

الاول مع ذلك دالا على استقرار الارض، و الثالث على صلاحيتها

للسكنى، و الثانى على الحافظ فى ذلك، و ربيع بما كل المنافع، و حذر

١٠ من السقوط كما خوف بالاول من الخسف، و خمس بما دل على ما

أريد بالاول من الاستقرار [لأنه - ٢] لو كان ميل لانطلق البحر إلى

جهته، أجاب القسم بقوله : (ان عذاب) و لما كان سبحانه [عظيم - ٣]

الإكرام له صلى الله عليه و سلم، أضاف العذاب إلى صفة الإحسان

و التربية الخاصة به، و أضاف الصفة إلى ضميره إيذانا بأنه يريه فى أمته

١٥ ما يسره. و أن بمائلة "ذنوبهم كذنوب اصحابهم" الماضين إنما هى

فى مجرد الإذلال، لا فى أنه يستأصلهم كما استأصل أولئك فقال: (ربك)

أى الذى تولى تربيتك أى عذاب أراد به بكل من أراد به لاسيما المعادى

لأوليائه سبحانه (لواقع لا) أى ثابت نازل بمن أراد نزول ما هو ثقیل

(١) من مد . وفى الأصل : مما (٢) من مد . وفى الأصل : كتابت (م) زيد

من مد .

من مكان عال كما أنه لو أراد لقلب الأرض التي ثبتها و' أرفع السقف
الذي رفع، وأطلق البحر الذي سجر، كما علم من إطلاقه البحر فإلقه
على آل فوعون حتى أغرقهم به (ماله من دافع^١) لأنه لا شريك
لموقعه لما دلت عليه هذه الأقسام من كمال قدرته وجلال حكمته وضبط
أعمال العباد للجأزة سواء قلنا: إن الكتاب هو الذي يكتبه الحفظة ه
[أو -^٢] الذي يضبط [الدين -^٢]، فلما أوقع الجزاء بهم في الصحيفة،
ونقض معاقبتهم، وفض جمهم، أخرج معاشرك^٢ من ذلك الضيق
فكذلك يؤيدك حتى توقع بهم و تنقض جمعهم و تكسر شوكتهم
[و نقل سرواتهم -^٢] و يظهر دينك على دينهم، و يصير من بق منهم
من حزبك و أنصار دينك، قال البغوي: [قال جبير بن مطعم رضي الله
عنه -^٣]: قدمت المدينة لأكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم
في أسارى بدر، فدفعت إليه و هو يصلي بأصحابه المغرب و صوته يخرج
من المسجد فسمعتة يقرأ "والطور - إلى قوله: إن عذاب ربك لواقع
ماله من دافع" فكانما صدع قلبي حين سمعته^٤، ولم أكن أسلمت^٥
يومئذ، فأسلمت خوفا من نزول [العذاب -^٥] ما كنت أظن [أن -^٥] ١٥
أقوم من مقامى حتى يقع بي العذاب .

- (١) من مد، و في الأصل: ما (٢) زيد من مد (٣) من مد، و في الأصل:
معاشره (٤) راجع العالم بهامش الباب ٣٠٧/٦ (٥) زيد من مد و العالم.
(٦) العالم و في الأصل و مد: سمعت (٧) زيد في مد: حينئذ .

وقال^١ الإمام [ابو - ٢] جعفر بن الزبير: لما توعد تعالى كفار قريش ومن كان على طريقتهم من سائر من كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم^٢ سيصيهم ما أصاب غيرهم من مكذبى الأمم، المنبه على ذكرهم في السورة قبل، ثم أشار سبحانه إلى عظيم ما ينالهم من الخزي / ٦٦

٥ وأليم العذاب بقوله "فويل للذين كفروا من يومهم الذى يوعدون" أقسم سبحانه على صحة ذلك ووقوعه - والىاذ به سبحانه من مخطئه وأليم عذابه - فقال تعالى "والطور - إلى قوله تعالى: ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع" ثم أوماً سبحانه إلى مستحقه ومستوجبه فقال "فويل للكاذبين" ثم ذكر [ما - ٢] يعنفون به ويوبخون على ما

١٠ سلف منهم من نسبته عليه الصلاة والسلام إلى السحر فقال تعالى "ذوقوا عذاب النار التى كنتم بها تكذبون" "افسح هذا ام اتم لاتصرون" ثم أعقب بذكر حال المؤمنين المستجيبين، ثم ذكر -

[إثر - ٢] لإعلامه بحال الفريقين - نعمته على نبيه عليه الصلاة والسلام وعصمته ووقايته مما يقول المفترون فقال تعالى "فذكر فما انت بنعمة

١٥ ربك بكاهن ولا مجنون" ثم جرت الآى على توبيخهم فى مقاتلتهم ووهن انتقالاتهم، فمرة يقولون: كاهن، ومرة يقولون: مجنون، ومرة يقولون: شاعر يترقب موته. فوبخهم على ذلك كله وبين كذبهم وأرغهم وأسقط ما بأيديهم [بقوله - ٢] "فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صدقين"

(١) من مد، وفى الأصل: اقام (٢) زيد من مد (٣) من مد، وفى الأصل: ان (٤) من مد، وفى الأصل: المستوحين.

وهذا هو المسقط لما تقولوه أولاً وآخراً ، وهذا الذى لم يجدوا عنه جواباً ، ورضوا بالسيف والجلال ، لم يتعرضوا 'للعاطى معارضته' ، وهذا هو الوارد^٢ فى قوله تعالى فى صدر سورة البقرة "وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا^٣ فاتوا بسورة من مثله^٤" - الآيات ، فإنا نطقوا فى جوابه بينت شقة "قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هـ هذا القرآن لا يأتون بمثله" فبارك من جملة آية باهرة و حجة قاهرة - انتهى .

ولما أثبت وقوع العذاب ، تشوفت^١ نفس الموقن إلى وقته ، قال مستأنفا لبيان^٢ أنه واقع على تلك الصفة : (يوم تمور) أى تتحرك وتضطرب وتجيء . وتذهب وتكفأ تكفأ السفينة وتدور دوران^{١٠} الرمح ، ويموج بعضها فى بعض ، وتختلف أجزاءها بعضها فى بعض ، ولا تزول عن مكان ؛ قال البغوى^٣ : والمور يجمع هذه المعانى فهو فى اللغة الذهاب والمجيء^٤ والتردد والدوران والاضطراب ، قال الرازى : وقيل : تجيء^٥ وتذهب كالمدخان ثم تضمحل . (السماء) التى هى سقف بينكم الأرض (مورا لا) أى اضطراباً شديداً (وتسير الجبال) أى تنتقل^{١٥} من أمكنتها انتقال السحاب ، وحقق معناه بقوله : (سيرا^٦) فقصر بها ،

(١ - ١) من مد ، وفى الأصل : المعارضة (٢) من مد ، وفى الأصل : العار .
(٣ - ٣) سقط ما بين الرقين من مد (٤) زيد فى الأصل : النفس أى ، ولم تكن الزيادة فى مد لحذفها (٥) فى مد : بيان (٦) راجع معالم التنزيل بهامش الباب ٦ / ٢٠٧ .

منثورا وتكون الأرض قاعا صفتفا .

ولما حقق العذاب و بين يومه ، بين أهله بقوله مسيا عن ذلك :

(فويل) هي كلمة يقولونها لمن وقع في الهلاك . ومعناه حلول شر فاضح يكون فيه ندبة^١ و تفجع (يومئذ) أى يوم إذ يكون ما^٢

٦٧ / ٥ تقدم ذكره (للكاذبين لا) / أى العريقين في التكذيب وهم^٣ من مات على نسبة الصادقين إلى الكذب .

ولما كان التكذيب قد يكون في محله ، بين أن المراد تكذيب

ما محله الصدق فقال : (الذين هم) أى من بين الناس بظواهرهم وبواطنهم (في خوض) أى أعمالهم وأقوالهم أعمال الخائض في

١٠ ماء ، فهو لا يدري أين يضع رجله . ولما كان ذلك قد يكون من دهمته

بهم أو غم ، نفي ذلك بقوله : (يلعبون؟) فاجتمع عليهم أمران موجبان

للباطل : الخوض و اللعب ، فهم بحيث لا يكاد يقع لهم قول ولا فعل في موضعه ، فلا يؤسس على بيان أو حجة . ولما^٤ صور تكذيبهم بأشنع^٥

صورة ، بين ويلهم ببيان ظرفه و ما يفعل فيه فقال^٦ : (يوم يدعون)

١٥ أى يدفعون دفعا عنيفا بجفوة و غلظة^٧ من كل^٨ من يقيمه الله لذلك ،

ذاهبين ومنتھين (إلى نار جهنم) وهي الطبقة التي تلقاهم بالعبوسة

والكراهة والتغيظ^٩ والزفير ، وأكد المعنى وحققه بقوله : (دعاه^{١٠})

(١-١) من مد ، وفي الأصل : بدمه (٢) من مد ، وفي الأصل : بما (٣) من

مد ، وفي الأصل : هو (٤) من مد ، وفي الأصل : لو (٥) من مد ، وفي

الأصل : باصنع (٦) من مد ، وفي الأصل : قال (٧-٧) من مد ، وفي الأصل :

بكل (٨) من مد ، وفي الأصل : التغليظ .

- قال البغوى^١: وذلك أن خزنة جهنم يغلون أيديهم إلى أعناقهم ويجمعون نواصيهم إلى أقدامهم ثم يدفعونهم دفعا على وجوههم وزجا في أقيمتهم، مقولا لهم تبكيئا وتوينخا: (هذه النار) أى الجسم المحرق المفسد لما [آق - ٢] عليه، الشاغل عن اللعب (التى كنتم) بجبلاتكم الفاسدة .
- ولما كان تكذيبهم [بها - ٢] فى أقصى درجات التكذيب، وكان هـ [سيا - ٢] لكل تكذيب، كان كأنه مقصور عليه فقال مقدما للظرف إشارة إلى ذلك: (بها تكذبون) أى فى الدنيا على التجديد والاستمرار .
- ولما كانوا يقولون عنادا: إن القرآن بما فيه [من الوعيد - ٢] سحر، سبب عن ذلك الوعيد [قوله - ٢] مبكئا موبخا متهمكا:
- (افسح هذا) أى الذى أتم فيه من العذاب مع هذا الإحراق الذى ١٠ تصلون منه (ام اتم) فى منام ونحوه (لاتبصرون) بالقلوب كما كنتم تقولون فى الدنيا " قلوبنا فى اكته " ولا بالاعين كما كنتم تقولون للنفوس " من بيننا وبينك حجاب فاعمل انا عاملون "، أى أتم عمى عن المخبر عنه مع إحراقه لهم كما كنتم عميا عن الخبر أى هل تستطيعون أن تقولوا أنكم لاتبصرون المخبر عنه كما كنتم تقولون فى الخبر كذبا ١٥ [و - ٢] فجورا، ثم يقال لهم بعد هذا التبكيت الذى يقطع بأن جوابهم يكون بأن يقولوا: لا وعزة ربنا ما هو بسحر ولا خيال، بل هو حقيقة،
-
- (١) راجع العالم بهامش الباب ٦ / ٢٠٧ (٢) زيد من مد (٣) زيد فى الأصل: بقوله، ولم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٤) وقع فى الأصل قبل « بجبلاتكم الفاسدة » والترتيب من مد (هـ) من مد، وفى الأصل: اتم .

ونحن في غاية الإبطار [على سبيل -^١] الإخزاء، و الامتهان والإذلال:
 ﴿اصلوها﴾ أى باثروا حرها وقاسوه وواصلوه كما كنتم تواصلون
 أذى عبادى^٢ بما يحرق قلوبهم ﴿فاصبروا﴾ أى فیتسبب عن تكذيبكم^٣
 فى الدنيا ومباشرتكم لها الآن أن يقال لكم: اصبروا على هذا الذى
 لاطافه لكم به ﴿اولا تصبروا﴾ فانه لا محيص لكم عنها ﴿سواء عليكم﴾
 أى الصبر والجزع .

ولما كان المعهود أن الصبر له منزلة على الجزع، بين أن ذلك
 حيث لا تكون المصيبة إلا على وجه الجزاء / الواجب وقوعه فقال
 معللا: ﴿انما تجزون﴾ أى يقع جزاؤكم الآن وفيما يأتى على الدوام
 ١٠ ﴿ما كنتم﴾ أى دائما بما هو لكم كالجبله ﴿تعملون﴾ [مع -^٤]
 الأولياء غير مباين بهم، فكان هذا ثمرة فعلكم بهم .

ولما ذكر ما للكاذبين من العذاب المشار إليه بكلمات القسم،
 أتبعه ما لاضدادهم من الثواب المنبه عليه أيضا بتلك الكلمات لئتم الخبر ترغيبا
 وترهيبا، فقال جوابا لمن كأنه قال: فما لمن عاداهم فيك؟ مؤكدا لما
 ١٥ للكفار من التكذيب: ﴿ان المتقين﴾ أى الذين صارت التقوى لهم
 صفة راسخة ﴿فى جنت﴾ أى بساتين دائما فى الدنيا حكما وفى الآخرة .
 ولما كانت البساتين ربما يشق داخلها أو صاحبها، [نفى هذا بقوله -^٥]:

(١) زيد من مد (٢) فى مد: عباد الله (٣) من مد، وفى الأصل: تكذيبهم .
 (٤) ومن هنا انقطعت نسخة مد إلى ما سننبه عليه (٥) زيد نظرا للسباق .

﴿ ونعيم لا ﴾ أى نعيم فى العاجل ، يعنى بما هم فيه من الانس ، والآجل بالفعل ، وزاد فى تحقيق التمتع بقوله : ﴿ فاكهين ﴾ أى معجبين متلذذين ﴿ بما آتاهم ربهم ﴾ الذى تولى تربيتهم بعملهم بالطاعات إلى أن أوصلهم إلى هذا النعيم ، فهو لأن عظمته من عظمته لا يبلغ كنه وصفه . ولما كان المتمتع قد تكون نعمته بعد عذاب ، فبين أنهم ليسوا كذلك فقال : هـ ﴿ ووقئهم ﴾ أى قبل ذلك ﴿ ربهم ﴾ أى المتفضل بتربيتهم بكفهم عن المعاصى والقاذورات ﴿ عذاب الجحيم هـ ﴾ أى النار الشديدة التوقد .
ولما كان من باشر النعمة وجانب النعمة فى هناء عظيم ، قال مترجماً لذلك على تقدير القول : ﴿ كلوا ﴾ أى أكلا هنيئاً ﴿ واشربوا ﴾ شرباً ﴿ هنيئاً ﴾ أى لانقص فيه ، وهو صفة فى موضع المصدر أى هتأتم ١٠ بمعنى أن كل ما تناولونه مأمون العاقبة من التخمة والسقم ونحوهما ﴿ بما كنتم ﴾ أى كونا راسخاً ﴿ تعملون لا ﴾ أى مجددين له على سبيل الاستمرار حتى كأنه طبع لكم .

ولما كان النعيم لا يتم إلا بأن يكون الإنسان مخدوماً ، نبه عليه بقوله : ﴿ متكئين ﴾ أى مستندين استناد راحة ، لأنهم يخدمون فلا ١٥ حاجة لهم إلى الحركة ﴿ على سرر مصفوفة ﴾ أى منصوبة واحداً إلى جنب واحد ، مستوية كأنها السطور على أحسن نظام وأبدعه ، قال الأصهباني : والصفة : مد الشيء على الولاء . ولما كان السرور لا يتم إلا بالتمتع بالنساء قال : ﴿ وزوجنهم ﴾ أى تزويجاً يليق بما لنا من العظمة .

(١) و قراءة عاصم « فكهين » راجع ثر المرجان ٧ / ٥٧ .

و لما كانت تلك الدار غنية عن الاسباب ، فكانوا غنيين عن العقد ، قال مشيرا بالباء إلى صرف الفعل عن ظاهره فانه إذا كان بمعنى النكاح تعدى بنفسه ، و تضمن الفعل ” قرنام “ أى جعلناهم أزواجا مقرونين (بحور) أى نساء هن فى شدة بياض العين و شدة سوادها و استدارة حدقتها ٥ ورقة جفونها فى غاية لا توصف (عين ٥) أى واسعات الاعين فى رونق و حسن .

و لما وصف حال المتقين من أعداء المكذبين و بدأ بهم لشرفهم ، أتبعهم من هو أدنى منهم حالا لتكون النعمة تامة فقال : (والذين آمنوا) يعنى أقروا بالإيمان و لم يدلوا و لا بالغوا فى الأعمال الصالحة . و لما كان من هؤلاء من لا يتبعه ذريته بسبب إيمانه لأنه يرتد عنه ، عطف على فعلهم تمييزا لهم و احترازا عن من لم يثبت / قوله : (و اتبعنهم) أى بما لنا من الفضل الناشئ عما لنا من العظمة (ذريتهم) الصغار و الكبار و إن كثروا ، و القرار لأعينهم بالكبار بإيمانهم و الصغار بإيمان آبائهم (بايمان) أى بسبب إيمان حاصل منهم ، و لو كان فى أدنى درجات الإيمان ، و لكنهم ثبتوا عليه إلى أن ماتوا ، و ذلك هو شرط إتباعهم الذريات ، و يجوز أن يراد و هو أقرب : بسبب إيمان الذرية حقيقة إن كانوا كبارا ، و حكما إن كانوا صغارا ، ثم أخبر عن الموصول بقوله : (الحقنا بهم) أى بفضلنا لأجل عمل آبائهم (ذريتهم) و إن لم يكن للذرية أعمال ، لأنه قيل فى المعنى : ” و لأجل عين ألف عين تكرم “

(١) و قراءة عاصم « اتبعنهم » راجع نثر المرجان ٦٠ / ٧ (٢) و قراءة عاصم : « ذريتهم » راجع نثر المرجان ٦١ / ٧ .

و يلحق بالذرية من النسب الذرية بالسبب وهو المحبة ، فان كان معها
أخذ لعلم أو عمل كانت أجدر ، فتكون ذرية الإفادة كذرية الولادة ،
و ذلك لقول النبي صلى الله عليه وسلم : المرء مع من أحب ، في جواب
من سأل عن يجب القوم ولم يلحق بهم .

و لما كان ربما خيف أن ينقص الآباء بسبب إلحاق ذرياتهم بهم هـ
شيئا من درجاتهم ، قال : ﴿ وما التئهم ﴾ أى نقصنا الآباء وحبسنا عنهم
﴿ من عملهم ﴾ وأكد النفي بقوله : ﴿ من شيء ﴾ بسبب هذا الإلحاق
و كان من فوق رتبهم من الذين يؤمنون و المؤمنين و المتقين و غيرهم
أولى منهم ، و إنما فصلهم منهم لأن هؤلاء قد لا يوقنون قبل دخول الجنة
العذاب ، قال جامعا للفريقين ، أو يقال - [و - ٢] لعله أقرب - أنه ١٠
لما ذكر إلتباع الأدنى للأعلى فى الخير فضلا ، أشفقت النفس من أن
يكون إلتباع فى الشر فأجاب تعالى بأنه لا يفعل بقوله : ﴿ كل امرئ ﴾
أى من الذين آمنوا و المتقين و غيرهم ﴿ بما كسب ﴾ أى من ولد
و غيره ﴿ رهين ﴾ أى مسابق و مخاطر و مطلوب و أخذ شيئا بدل كسبه
و موفى على قدر ما يستحقه و محتبس به إن كان عاصيا ، فن كان صالحا ١٥
كان آخذا بسبب صلاح ٢ ولده لأنه كسبه ، و لا يؤخذ به ذلا و هو
حسن فى نفسه لأجل الحكم بإيمانه سواء كان حقيقة أو حكما و كل حسن
مرتفع ، فلذلك يلتحق بأبيه ، و أما الإساءة قاصرة على صاحبها يؤخذ
بها و يرهن بذنبه و لا يؤخذ بذنب غيره ، و الحاصل أن المعالى التى هى

(١) فى الأصل : فيكون (٢) زيد نظرا للسياق (٣) فى الأصل : صلاحه .

كالحياء تفيض من صاحبها على غيره فتحيه ، و المساوئ التي هي كالموت
لا يتعدى صاحبها ، قال الرازي في اللوامع . أعلم أن الذوات بقاؤها ودوامها
يبقاء صورها ، فحيث ما كانت الصورة المقومة لها أدوم كانت الذوات
بها أقوم ، و أن النفوس الإنسانية ذوات و صورها علومها و أخلاقها ،
هـ فحيث ما كانت العلوم حق اليقين ثم عين اليقين ، و الأخلاق مقومة
على نهج الشرع المبين ، كانت النفوس دائمة بدوامها غير مستحيلة ، إذ
لا تتطرق الاستحالة إلى اليقين و العلم الحق ، و غير كائنة و لا فاسدة
/ إذ ليس عين اليقين و لا العلوم الحقيقية من عالم الكون و الفساد ، و إن
لم تبلغ النفس إلى كمال اليقين فتعلقت بدليل صاحبها كما انخرطت في
١٠ سلكها حتى يخرط الإنسان في سلك محبته ، و لواحب أحدكم حجرا لحشر
معه ، فإن الدين هو الحب في الله و البغض في الله ، و لهذا اكتفى الشرع
من المكلفين بإسلام و تسليم و تفويض و تحكيم دون الوقوف على المسائل
العويصة بالبراهين الواضحة الصحيحة ، و ما لم يبلغ الولد حد التكليف
و اختتم ألحقوا بآبائهم و حكم عليهم بحكم عقائدهم و آرائهم حتى يكون
١٥ [حكم - ١] آباءهم جاريا عليهم و حكم القيامة نافذا فيهم ، و أما إذا
كانت الصورة القائمة بالذوات مستحيلة بأن كانت جهلا و باطلا ينقص
أوله آخره و آخره أوله ، كانت ذات النفس لا تنعدم و لا تنقضي بل تبقى
على حال لا يموت فيها و لا يحيى ، فانها لو فئت لاستراحت و لو بقيت
لاستطابت ، فهي على استحالة بين الموت و الحياة ، و هذه الاستحالة

(١) زيد نظرا للسياق .

لا تكون إلا في أجساد و أبدان ” كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا
غيرها “ انتهى . و هو كما ترى في غاية النفاسة ، و يؤيده ” يحشر المرء
على دين خليله فلينظر أحكم من يخال ، و يجوز أن تكون الجملة تعليلا
لما قبلها من النفي ، أى ما نقصناهم لأنه قد سبق في حكمنا بأن يكون
” كل امرئ ، قدرنا أن يرتهن بما قد ينقصه “ بما كسب “ أى لا يضر ما ه
كسب ما كسبه غيره ” رهين “ أى معوق عن النعيم حتى يأتيه بما يطلق
من العمل الصالح .

و لما جمعهم في إلحاق الذرية بهم لأنه من أعظم النعيم ، و أنهم
ما قد يخشى من نقصهم بنقصه غيرهم ، و علل ذلك ليكون أرسخ في النفس ،
أتبعه بما يشاكلة فقال : (و امددتهم) أى الذين آمنوا و المتقين و من ١٠
الحق بهم من ذرياتهم بما لنا من العظمة زيادة على ما تقدم (بفأكهة) .
و لما كانت الفأكهة ظاهرة فيما يعرفونه في الدنيا و إن كان عيش الجنة
بجميع الاشياء تفكها ليس فيه شيء يقصد به حفظ البدن قال :
(و لحم مما يشتهون) ليس فيه شيء منه مما لا يعجبهم غاية الإعجاب .

و لما كان هذا النعيم العظيم المقيم يدعو إلى المعاشرة ، بالقرينة ١٥
الطاهرة ، بين أن ذلك حالهم اللازمة الظاهرة ، من الحصول للاتقة
الطاهرة ، فقال : (يتنازعون) أى يشربون متجاذبين مجاذبة الملاعبة
لفرط المحبة و السرور و تحلية المصاحبة (فيها كأسا) أى خمر من
رقة حاشيتها تكاد ان لا ترى في كأسها . و لما كان في خمر الدنيا غوائل
نقاها عنها فقال : (لا لغو) أى سقط مما يضر و لا ينفع (فيها) ٢٠

أى فى تنازعها ولا بسبها لأنها لا تذهب بعقولهم ولا يتكلمون إلا بالحسن
الجميل ﴿ ولا تائسهم ﴾ أى ولا شئ فيها مما يلحق شئ ابها إنما
ولا يسوغ نسيه .

ولما كانت المعاطاة لا يكمل بسطها ولا يعظم إلا بخدم وسقاة قال :

٧١ / ٥ ﴿ ويطوف / عليهم ﴾ أى بالكؤوس وغيرها من أنواع التحف

﴿ غلمان ﴾ ولما كان أحب ما إلى الإنسان ما يختص به قال : ﴿ لهم ﴾

ولم يصفهم لئلا يظن أنهم الذين كانوا يخدمونهم فى الدنيا فيشفق كل

من خدم أحدا فى الدنيا بقول أو فعل أن يكون خادما له فى الجنة

فيحزن بكونه لا يزال تابعا ، وأفاد التشكير أن كل من دخل الجنة

١٠ وجد له خدما لم يعرفهم قبل ذلك ﴿ كأنهم ﴾ فى بياضهم وشدة صفائهم

﴿ لؤلؤ مكنون ﴾ أى مصون فى الصدف لم تغيره العوارض ، هذا حال

الخادم فما ظنك بالمخدوم .

ولما كان ألذ ما إلى الحبيب وأعظم ما يكون من أربه ذكر محبوه

والثناء عليه بما من به ، قال تعالى شارحا لذلك عاطفا على ما تقديره :

١٥ فأقبلوا على تعاطى ما ذكر من النعم : ﴿ وأقبل بعضهم ﴾ لما ازدهام من

السرور ، وراقهم^٢ من اللذة والحبور ﴿ على بعض يتسألون ﴾ أى يسأل

بعضهم بعضا عن السبب الموصل له إلى هذا النعيم الذى لا يقدر مخلوق

على وصفه حق وصفه ، ثم استأنف شرح ذلك بقوله : ﴿ قالوا ﴾ أى

(١) ومن هنا تستأنف نسخة مد (٢) زيد فى الأصل : وراقهم ، ولم تكن

الزيادة فى مد لخذفناها .

قال كل منهم مؤكدا استلذاذا بما أدام إلى ما هم فيه لانه [لا - ١]
يكاد يصدق ، مسدين النعمة بفعل الكون إلى الله الذى جبلهم جلة خير ،
مسططين الجار إشارة إلى دوام خوفهم ، تنبيها على أن الخوف الحامل على
الكف عن المعاصى يشترط فيه الدوام ، بخلاف الرجاء الحامل على
الطاعات ، فانه يكفى فيه ما تيسر كما تأتى الإشارة إليه باثبات الجار : ه
﴿ انا كنا قبل ﴾ أى فى دار العمل ﴿ فى اهلنا ﴾ على ما لهم من العدد
والعدد والنعمة والسعة ، ولنا بهم من جوالب اللذة والدواعى إلى اللعب
﴿ مشفقين ه ﴾ أى عريقين فى الخوف من الله لا يلهينا عنه شئ مع لزومنا
لما نقدر عليه من طاعته لاهلنا بأنا^٢ لا نقدره لما له من العظمة والجلال
والكبرياء والكمال حق قدره ، وأنه لو واخذنا بأصغر ذنوبنا أهلكنا ؛ ١٠
قال الرازى : والإشفاق : دوام الحذر مقرونا بالترحم ، وهو أن يشفق
على النفس قبل أن تجمح إلى العناد ، وله أقسام : إشفاق على العمل أن
يصير إلى الضياع ، وإشفاق على الخليفة لمعرفة مقاديرها ، وإشفاق على
الوقت أن يشوبه تفرق وعلى القلب أن يمازجه عارض [و - ١] على
النفس أن يداخلها سبب - انتهى .

١٥

و لما حكى عنهم سبحانه أنهم أنبتوا لأنفسهم عملا تدرييا لمن أريدت
سعادته ، فكان بحيث يظن أنهم رأوه هو السبب لما وصلوا إليه ، قالوا
نافين لهذا الظن ، مبينين أن ما هم فيه [إنما هو - ١] ابتداء تفضل من الله
تعالى لأن إشفاقهم^٢ منه سبحانه لكىلا يعتمد الإنسان على شئ من عمله
(١) زيد من مد (٢) من مد ، وفى الأصل : بان (٣) من مد ، وفى
الأصل : واشفاقه .

فلا يزال معظما لربه خائفا منه : ﴿ فَنُنَازِلُ ﴾ الذى له جميع الكمال بسبب
إشفاقنا منه ﴿ علينا ﴾ بما يناسب كماله فَأَمَّا ﴿ وَوَقْنَا ﴾ أى وجبنا
بما سترنا / به ^١ ﴿ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴾ أى الحر النافذ فى المسام نقوذ السم . / ٧٢

ولما ذكروا لإشفاقهم ، بينوه مؤكدين أيضا لمثل ذلك بقولهم :
﴿ انا كنا ﴾ أى بما طبعنا عليه وهيتنا له . ولما كان الدعاء بمعنى فعل
العبادة ، وكانت تقع فى بعض الزمان ، أثبت الجار إشارة إلى ذلك
مع إسقاطه قبل هذا ^٢ فى الدعاء ^٣ بالقوة إشارة إلى أن التحلى بالفضائل
يرضى منه باليسر ، والتخلى عن الرذائل لا بد فيه من البراءة عن كل قليل
وكثير قليل : ﴿ من قبل ﴾ أى فى الدنيا ﴿ ندعوه ^٤ ﴾ أى نسأله ونعبده
١٠ بالفعل ، وأما خوفا بالقوة فقد كان فى كل حركة وسكنة ، ثم عللوا
دعاهم إياه مؤكدين لأن إنعامه عليهم مع تقصيرهم بما لا يكاد يفعله غيره ،
[فهو - ^٥] مما يعجب منه غاية العجب فقالوا : ﴿ انه هو ﴾ أى وحده
﴿ البر ﴾ الواسع الجود الذى عطاؤه حكمة ومنعه رحمة ، لأنه لا يتقصه
إعطاء ، ولا يزيد منعه ، فهو يبر عبده المؤمن بما يوافق نفسه فر بما بره
١٥ بالنعمة وربما بره بالبؤس ، فهو يختار له من الأحوال ما هو خير له
ليوسع له فى العقبى ، فعلى المؤمن أن لا يتهم ربه فى شيء من قضائه
﴿ الرحيم ﴾ المكرم لمن أراد من عباده بأقامته فيما يرضاه من طاعته ،

(١) زيد فى الأصل من ، ولم تكن الزيادة فى مد لحذفناها (٢-٣) من مد ، وفى

الأصل : بالدعاء (٣) زيد من مد (٤) من مد ، وفى الأصل : عطاء .

ثم بافضاله عليه وإن قصر في خدمته .

ولما كان هذا مع تشويقه^١ إلى الجنة والأعمال الموصلة إليها وعظا يرقق القلوب ويحلى الكروب ، سبب عنه قوله : ﴿ فذكر ﴾ أى جدد التذكير بمثل هذا اكل من يرجو خيره ودم على ذلك ، وسماء تذكيرا لأنه مما يعلمه الإنسان إذا أمعن النظر من نفسه أرمن الآفاق ، وعلل^٥ التذكير بقوله : ﴿ فأنت ﴾ أى و أنت اشرف الناس عنصرا وأكملهم [نفسا -^٢] وأزكاهم خلأق هم بها معترفون لك قبل النبوة ﴿ بنعمت ربك ﴾ أى بسبب ما أنعم به^٣ عليك المحسن إليك من هذا الناموس الاعظم بعد تأهيلك له بما هيأك به من رجاحة العقل وعلو الهمة وكرم الفعال وجود الكف وطهارة الاخلاق وشرف النسب ، وأكد النبي بقوله : ١٠ ﴿ بكاهن ﴾ أى تقول كلاما - مع كونه سجعاً متكلفاً - أكثره فارغاً ونحكم على المغييات بما يقع خلاف بعضه . ولما كان للكاهن^٤ والمجنون اتصال بالجن ، أتبع ذلك قوله : ﴿ ولا مجنون ﴾^٥ أى تقول كلاما لانتظام له مع الإخبار ببعض المغييات ، فلا يفترك قولهم^٦ هذا عن^٧ التذكير فانه قول باطل لا تلحقك به معرفة أصلا ، وعمما قليل يكون عيبا لهم لا يغسله ١٥ عنهم إلا اتباعهم لك ، فمن اتبعك منهم غسل عاره ، ومن استمر على عناده استمر تبابه وخساره .

(١) من مد ، وفى الأصل : تشويقه (٢) زيد من مد (٣) من مد ، وفى الأصل : الله (٤) من مد ، وفى الأصل : بالكاهن (٥ - ٥) من مد ، وفى الأصل : عن هذا .

و لما كانت نسبته صلى الله عليه وسلم فيما أنام به من هذا القرآن
الآمر بالحكمة إلى أنه أتى به عن الجن الذين طبعهم الفساد بما لا ينبغي
أن يتخيله^١ أحد فضلا أن يقوله له صلى الله عليه وسلم ، ولا يكاد / يصدق
أن أحدا يرميه به ، فكان في طيه سؤال^٢ تقريع و توبيخ ، نه على ذلك
بالعطف على ما تقديره : أيقولون هذا القول البعيد من اقوال أهل
العقول : ((ام يقولون)) ما هو أعجب في مجرد قوله فضلا عن تكريره .
فأم معادلة الاستفهام قبلها لامقطوعة ، وكذا جميع ما بعدها وهو معنى
ما نقله البغوي^٣ عن الخليل أنه قال : ما في سورة الطور من ذكر "أم"
كله استفهام و ليس بعطف . ((شاعر)) يقول "كلما موزونا بالقصد ،
١٠ يلزمه التكلف لذلك فيغاب إلزام الوزن قائله حتى يجعل اللفظ هو الأصل
ويجعل المعنى تابعا له ، فيأتى كثير من كلامه ناقص المعانى هلهل النسيج
مغلوبا فيه على أمره معترفا [إذا وقف عليه بتقصيره متعذرا - ٧] بما
زانه به زعم من أوزانه ، وساق سبحانه هذا وكذا ما بعده من
الاقسام على طريق الاستفهام مع أن نسبتها إليهم محققة ، تنبيهها على أن
١٥ مثل هذا لا يقوله عاقل ، وإن قاله أحد لم يكذب الناقل عنه يصدق :

(١) من مد ، وفي الأصل : بما (٢) من مد ، وفي الأصل : محله (٣-٢) من
مد ، وفي الأصل : سواه طئي (٤) لم نعثر عليه في معالم التنزيل بهامش لباب
التأويل في مظهره ، و القول أورده أبو حيان في البحر ١٥١ / ٨ فقال : وحكى
الثعلبي عن الخليل - فتأمل (٥) من مد ، وفي الأصل : يقولون (٦) من مد ،
وفي الأصل : الوزن (٧) زيد من مد .

(نتربص) أى ننتظر (به ريب المنون) أى حوادث الدهر من الموت وغيره القاطعة ، من المن وهو القطع .

ولما كان كأنه قيل لهم : إنهم ليقولون ذلك ، قال معلما جوابهم : (قل تربصوا) و لم يعرج على حاججتهم فى قولهم هذا تنبيها على أنه من السقوط بمنزلة لا يحتاج معها إلى رد بمجادلة ، ثم سبب عن أمره لهم ٥ بالربص قوله : (فاقى معكم) وأكده تنبيها على أنه يرجو الفرح بمصيبتهم [كما يرجون الفرح بنصيبه - ١] وإن كانت كثرتهم وقوتهم عدهم مانعة من مثل هذا التربص (من المتربصين ٢) أى العريقين فى التربص وإن ظننتم خلاف ذلك ، وأشار بالمعية إلى أنه مساو لهم [فى ذلك وإن ظنوا لكثرتهم وقوتهم و وحدته و ضعفه أن الأمر خلاف ١٠ ذلك ، قال القشبرى - ١] : جاء فى التفسير أن جميعهم - أى الذين تربصوا به - ماتوا ، قال : ولا ينبغى لأحد أن يؤمل اتفاق سوقه بموت أحد لنتهى النوبة إليه فقل من تكون هذه صفته إلا سبقتة المنية ، ولا يدرك ما تمناه من الأمنية .

ولما كان قولهم هذا بما لا يقال أصلا وإن قيل على بعده كان ١٥ قوله كأنه على جهة سبق اللسان أو^٢ نحو ذلك ، نبه عليه بمعادلة ما تقديره : أقالوا ذلك ذهولا : (أم نامرم) أى تزين لهم تزيينا يصير مآلهم إليه من الانبعاث كالآمر (أحلامهم) أى عقولهم التى يزعمون أنهم اختصوا بمجودتها دون الناس بحيث أنه كان يقال فيهم : أولوا الأحلام والنهى

(١) زيد من مد (٢) من مد ، وفى الأصل « و » .

(بهذا) أى وهم يعتقدون صحته وأنه العدل السواء لأنهم متقيدون بالاحلام والنهى على ما فيه من الفساد بالتناقض بعد اختلال كل قول منه على حدته كما تقدم بيانه، وهو توبيخ عظيم بالإشارة إلى أنه ليست لهم عقول أصلا لقولهم هذا، فإن الكاهن شرطه أن يكون فى غاية المعرفة عندهم حتى أنهم يجعلونه حكما [و - ٢] ربما عبده، والمجنون لا يصلح لصالحه لأنه لا يعقل، والشاعر بعيد الأمر بوزن الكلام وكثرته من سجع / الكاهن ٢ وغيره ٢ وكلام المجنون : (ام هم) بظواهرهم وبواطنهم (قوم) أى ذوو قوة على ما يحاولونه فهم لذلك (طاغون ج) أى مجاوزون للحدود، وذلك عادة لهم بما أفهمه الوصف، فهم لذلك لا يبالون بالعناد الظاهر فى مخالفته لما تأمر به الاحلام والنهى، ولا يقوله إلا الطغاة السفهاء مع ظهور الحق لهم، فهم يقولون الكلام المتناقض غير مباين بأحد ولا مستحيين من أن ينسبوا إلى العدوان والمبالغة فى العصيان، والآية من الاحتباك : ذكر الاحلام أولا دليلا على ضدها ثانيا، والطفيان ثانيا على ضده "العدل السواء" أولا، وسره أن ما ذكر أشد تنفيرا من السوء وأعظم تقييحه وتحياله وتحذيرا منه (ام يقولون ١) ما هو أخش عارا من التناقض : (تقوله ج) أى تكلف قوله من عند نفسه

(١) من مد، وفى الأصل : بما (٢) زيد من مد (٣ - ٣) سقط ما بين الرقين من مد (٤) زيد فى الأصل : امر يقولون، ولم تكن الزيادة فى مد فحذناها. (٥) من مد، وفى الأصل : أولا (٦ - ٦) ونعم فى الأصل قبل « والآية من الاحتباك » والترتيب من مد.

كذبا و ليس بشعر ولا كهانة ولا جنون، وهم على كثرتهم وإلمام بعضهم بالعلم وعراقة آخرين في الشعر والخطيب والرسل والسجع يعجزون عن مثله بل عن مثل شيء منه . ولما كان الكلام حقيقة في النفس، وكانوا يعلمون بطلان جميع ما يقولونه من ذلك، كان التقدير: لم يقولوا شيئا من ذلك حقيقة واعتقادا (بل لا يؤمنون به) أى لا يقرون بالحق . مع علمهم ببطلان قولهم وتناقضه عنادا منهم لا تكذيبا في الباطن . ولما كان هذا القول أظهر بطلانا من كل ما قالوه لأن تكذيبهم لهم على تقدير كذبه - على زعمهم - غير موقوف على شيء خارج عن القوة، طالبهم بالمعارضة لأنهم إذا عارضوه بمثله انفصل النزاع، ولذلك سبب عما مضى قوله تكذيبا لهم في قولهم هذا الذى أظهروه بأستهم ١٠ يوقفون به غيرهم عن الخير: (فليأتوا) أى على أى تقدير أرادوه (بحديث) أى كلام مفرق مجدد لإتيانه مع الإرفاق لا تكلفهم أن يأتوا به جملة (مثله) أى القرآن في البلاغة وصحة المعاني والإخبار بالمغيبات مما كان أو يكون على ما هي عليه والحكم .

ولما كان المقصود هنا مطلق التعجيز للكاذبين لا بقيد الاجتماع كما ١٥ في سبحانه لأن نزول هذه أوائل ما نزل، تدهام بالإتيان بالمثل في التنجيم والتطبيق على الوقائع سورا أو آيات أو دون ذلك، تحدث وتجدد شيئا في أثر شيء - بما أشار إليه التعبير بالحدوث، ولذلك أعراه عن تظاهرهم بالاجتماع ودعاء المستطاع، و لكونهم ' كاذبين في جزمهم ' بنفسه إلى

(١) من مد، وفي الأصل: لكونكم (٢) من مد، وفي الأصل: جزمكم .

التقول وغيره، أشار إلى ذلك بقوله مقرعا لهم إلهابا إلى الخوض في المعارضة: ﴿ان كانوا﴾ أى كوناهم راسخون فيه ﴿صدقين﴾ أى فى أنه تقوله من عند نفسه شيئا فشيئا، [كونا - ١] هم عريقون فيه كما يزعمون سواء ادعوا أنه شاعر أو كاهن أو مجنون أو غير ذلك، لأن العادة تحيل
 ٥ أن يأتى واحد من قوم وهو مساو لهم بما لا يقدرُونَ [كلهم - ١] على مثله، / والعاقِل لا يحزم بشيء إلا وهو عالم به، ويلزم^٢ من عليهم بذلك قدرتهم على مثل ما يأتى به، فانه صلى الله عليه وسلم مثلهم فى الفصاحة والبلد والنسب، وبعضهم يزيد عليه بالكتابة وقول الشعر ومخالطة العلماء، ومزاولة الخطب والرسائل وغير ذلك، فلا يقدر على ما
 ١٠ يعجزون عنه إلا بتأييد إلهى، وهو المراد من تكذيبهم، وقد علم من هذا ومما تقدم من نحوه مفرقا فى السور التى فيها مثله أن المتحدى به فى كل سورة غير المتحدى به فى الأخرى - والله الهادى، وهذه الأقسام الماضية من تكذيبهم تنأتى أن تكون على تقدير الاعتقاد للإله على ما هو عليه من صفات الكمال فأتبعها قسما على تقدير التعطيل، وإذا
 ١٥ لم يكن إله لم يكن رسول فيأتى التكذيب، ثم أتبع ذلك قسما آخر هو على تقدير إثبات الإله لكن مع الضعف بالشركة، ولكون الشركة تارة تكون من المتكلم وتارة من غيره، قدم منها ما للتكلم على زعمه، و قدم^٣ تقدير شركته بالخلق ثم بضبط الخزان ثم بالكتابة ثم بسماع
 (١) زيد من مد (٢) من مد، وفى الأصل: يلزمهم (٣) من مد، وفى الأصل: لكن (٤) من مد، وفى الأصل: قد تقدم.

الأسرار ثم بضعف السعة بالرضا بالصنف الآرداً .

ولما مضت فضيحتهم بالتحدى ، وكانت عندهم فضيحة التناقض دون
فضيحة المعارضة ، فكانوا يقدمونها عليها ، فلم يحدث أحد منهم يوماً من
الأيام بشيء مما يعارضه به علماً منهم بأنهم يصيرون بذلك إلى خزي
لا يمكن أن يغسل عاره كما صار مسيلة ، لأنهم [كانوا -^١] أعقل العرب ٥
وكان التقدير كما هدى إليه السياق : فانك مستو معهم بالنسبة إلى إيجاد الله
لكم ، هو سبحانه خالقهم كما أنه خالقك ، ولا خصوصية لك منه على
زعمهم : أهو خالقهم كما هو خالقك فيلزمهم أن يأتوا بمثل ما تأتي به ،
وكان ذلك على تقدير إقرارهم بالله وادعائهم لكذبه صلى الله عليه
وسلم ، عادله سبحانه تبكيته لهم وإظهاراً لفضائحهم أشنع مما فروا^٢ ١٠
منه من المعارضة بقوله على تقدير أن يكونوا منكبين للاله أو مدعين
لأن يكونوا آلهة^٣ : ﴿ ام خلقوا ﴾ أى وقع خلقهم على هذه الكيفية
المتقنة ﴿ من غير شيء ﴾ فيكونوا مخالفين لصريح العقل إذ تعلق الخلق
بالمخلق من ضرورة الاسم كتعلقه بالمخلوق ليسلم لهم أنك تأتي بما لا يقدر
على معارضته لأنك أقوى منهم بكونك مستنداً إلى خالق وهم ليسوا مستندين ١٥
إلى شيء أو ليكونوا لذلك أقوى منك وأعلى ، فيكون لهم التكبر
عليك ﴿ ام هم المخلقون^٤ ﴾ أى الذين لهم هذا الوصف فيكونون قد
خلقوا أنفسهم ليكونوا بذلك شركاء فيكون^٥ الخالق والمخلوق واحداً ،

(١) زيد من مد (٢) من مد ، وفى الأصل : قرارا (٣) زيد فى الأصل ؛
فقالوا ، ولم تكن الزيادة فى مد لحذفناها (٤) من مد ، وفى الأصل : فيكونوا .

وهو مثل القسم الذى قبله فى عدم الاستناد إلى شىء أو يكون ثبوت هذا الوصف لهم موجبا لأن يكونوا على ثقة مما يقولون وللتكبر عليك، فإن ادعوا ذلك حكم أدنى الخلق بمنزلة : (أم خلقوا) أى [على - ٢] وجه الشرك (السموات و الارض ٤) فهم / لذلك عالمون ٥ بما فيها على وجه الإحاطة واليقين حتى علموا أنك تقولته ليصير لهم رده و التهمك عليه .

ولما كان التقدير : لم يكن شىء من ذلك ليكون لهم شبهة فى الكلام فيك ، عطف عليه قوله : (بل لا يوقنون ٦) أى ليس لهم نوع يقين ليسكنوا إلى شىء ٢ واحد لكونه الحق أو لعلوا أن هذه الملازم ١٠ الفاضحة تلزمهم فيكفوا عن أمثالها (أم عندهم) أى خاصة دون غيرهم (خزائن) ولما كان ذكر الرحمة لا يقتضيه مقصود السورة الذى هو العذاب ، لم تذكر كما فى ص و سبحان قليل ٤ : (ربك) المحسن إليك بارسالك بهذا الحديث فعملوا أن هذا الذى أثبت به ليس من قوله لأنه لا تصرف له فى الخزائن إلا بهم ، فيصح قولهم : إنك تقولته وحيث ١٥ يلزمهم فضايح لا آخرها ، منها أن يأتوا بحديث مثله بل أحسن منه من تلك الخزائن (أم هم) لا غيرهم (المسيطرون ٧) أى الرقباء الحافظون و الجبارون و المسلطون الرؤساء الحكماء الكتبة ، ليكونوا ضابطين للأشياء كلها كما هو شأن كتاب السر عند الملوك فعملوا أنك تقولت هذا

(١) من مد ، وفي الأصل : لتنكر (٢) زيد من مد (٣) من مد ، وفي الأصل : قول (٤) زيد فى الأصل : رحمة ، ولم تكن الزيادة فى مد لحذفها .

الذكر لأنهم لم يكتبوا به إليك (ام لهم سلم) يصعدون به [إلى - ١]
 السماء (يستمعون) أى يتعمدون السمع لكل ما يكون فيها ومنها
 (فيه ج) أى فى ذلك السلم وبسببه كما يكون بعض من يحضر مجالس
 الملوك فى الدنيا [ويعلم ما - ١] يقع فيها ليكونوا ضابطين^٢ لما يأتى من
 الملك فيعلوا أن ما قالوه فيك حق . ولما كان من يكون هكذا متمكنا
 من الإتيان منها بالمعائب، سبب عنه قوله: (فليات مستمعهم) إن
 ادعوا ذلك (بسلطن ميين^٣) أى حجة قاهرة بينة فى نفسها، موضحة
 لأنها من السماء على صحة ما يرمونك به .

- ولما كان ما مضى على تقدير وجود الإله مع الشركة، وكان
 ادعاؤهم الولد^٤ عظيما جدا لدلالته على حاجته وضعفه، وكان جملة بنات ١٠
 أعظم لأنه دال مع ضعفه على سفهه، دل على استعظامه بالالتفات إلى
 خطابهم بعدابهم فقال: (ام له البنت) [أى - ١] كما ادعيتهم
 (ولكم) أى خاصة (البنون^٥) لتكونوا أقوى منه فتكذبوا رسوله
 محمدا صلى الله عليه وسلم وتردوا قوله من غير حجة فتكونوا آمنين من
 عذاب يأتيكم منه اضعفه وقوتكم . وهذه^٦ الأقسام كلها على تقدير ١٥
 التكذيب، وهى هنا بذكر ما على تقدير التصديق، وإنما وقع الرد
 فيها لعارض عرض .

ولما كان المكذب بشيء قد يكون معترفا بأنه من عند إلهه، وأن

(١) زيد من مد (٢) زيد فى الأصل: للأشياء كلها، ولم تكن الزيادة فى مد
 لحذفها (٣) فى الأصل بياض ملأناه من مد (٤) من مد، وفى الأصل: هذا .

إلهه متصف بجميع 'صفات الكمال' فلا شريك له، وإنما تكذبيه لقادح لا يقدر عليه، وكرب رمى بجميع أنكاده إليه، أعرض عنهم التفاتا إلى الأسلوب الاول فقال مخاطبا له صلى الله عليه وسلم تنويعا بذكره ورفعا لعظيم قدره وتسلية لما يعلم من نفسه الشريفة البراءة منه : / (أم تستلهم) أى ٧٧ /
 ٥ أيها الطاهر الشيم البعيد عن مواضع التهم (اجرا) على إبلاغ ما أتيتهم به (فهم من مغرم) ولوقل، والمغرم : التزام، ما لا يجب (مقولون) أى حمل عليهم حامل بذلك ثقلا فهم لذلك يكذبون من كان سببا في هذا الثقل بغير مستند ليستر يحوا بما جره لهم من الثقل .

و لما كان من يدعى الانفراد بشئ يحسد من يدعى مشاركته فيه
 ١٠ قال : (أم عندهم) أى خاصة بهم (الغيب) أى علمه (فهم يكتبون) أى يحددون للناس [كتابة - °] جميع ما غاب عنهم مما يتفهمه ويضرم حتى يحسدونك فيما شاركهم به منه، فيردوه لذلك، وينسبوك إلى ما نسبوك إليه مما يعلم كل أحد ترافعك عنه وبعذك منه (أم يريدون) بهذا القول الذى يرمونك به (كيدا) أى مكرا^٧ أو ضرا عظيميا
 ١٥ يطفئون به نور الله بزعمهم مع علمهم بأنك صادق فيه، [فهم - °] بسبب إرادتهم ذلك - هكذا كان الأصل، ولكنه قال تعميما وتعليقا للحكم بالوصف : (فالذين كفروا) أى ستروا الأدلة تارة عنادا وتارة

(١ - ١) من مد، وفى الأصل : انواع الكلام (٢) من مد، وفى الأصل : بعظيم (٣) فى مد : مواقع (٤) من مد، وفى الأصل : الزام (٥) زيد من مد . (٦) من مد، وفى الأصل : يحسدون (٧-٧) سقط ما بين الرقنين من مد .

بالإعراض عن تأملها ﴿م﴾ أى خاصة ﴿المكيدون ه﴾ أى يختص
وبالالكيد بلزومه لهم وقطعه لدابرهم لأن من كان الإله عليه كان
خامرا، وأقرب ما لهم من الكيد الظاهر فى بدر عن انتهاء سنين عدتها
عدة ما هنا من "أم" وهى خمسة عشر مرة لأن بدرا كانت فى الثانية من
الهجرة، وهى الخامسة عشرة من النبوة، فقد سبب الله فيها من الأسباب ه
ما أوجب سعيهم^١ إلى هلاكهم بأمور خارقة للعادة، فلو كانت لهم
بصار لكفتهم فى الهداية، والرد عن الضلالة والغواية .

ولما كان التقدير: أ كذلك الأمر عادله بقوله: ﴿أم لهم الله﴾
يمنعهم من التصديق بكتابتنا، أو يستندون إليه للامان من عذابنا ﴿غير الله^٢﴾
الذى أحاط بجميع صفات الكمال، فلا يمكن بوجه من الوجوه ولا على ١٠
تقدير من التقادير أن يكون معه إله، ولذلك وصل به قوله:
﴿سبحن الله﴾ أى الملك الأعظم الذى تعالى أن يدانى جنبه شائبة
نقص ﴿عما يشركونه﴾ من الأصنام وغيرها، وأخر سبحانه هذا القسم
وهو من الشركة لكن بالغير لأنه آت على تقدير التصديق للرسول
صلى الله عليه وسلم ولأنه دينهم الذى أوقفهم عن الهدى، فأوقفهم فى ١٥
الردى، ليحتم بنفسه والتزيه عن الأقسام فيحصل به غاية القصد والمرام،
والحاصل أنه قسم به سبحانه حالهم فى ردهم القرآن إلى التكذيب وغيره،
ولما كان التكذيب - وهو النسبة إلى الكذب وهو عدم المطابقة
للواقع - إما فى الإرسال، وإما فى المعانى، [و-^٣] ما وقع به الإرسال

(١) من مد، وفى الأصل: سعيهم (٢) زيد من مد .

إما لنقص في الرسول 'أو إما' النقص في المرسل ، و الذي في الرسول
 إما أن يكون لأمر خارج عنه أو لأمر داخل فيه . و لما كان الخارج
 قد يكون معه نقص / دخل بذاته ، و لما كان ذلك قد يكون فيه ما يمدح
 به و لو من وجه ، و هو الكهانة بدأ بها ، و اتبعه الداخل لذلك بأدنا
 بما قد يمدح به و هو الشعر . و لما كان القول بجمع الكهانة و 'الشعر
 و الجنون' في شخص واحد على غاية من ظهور التناقض لا يخفى ، اتبعها
 الرمي بالتهكم على عقولهم . و لما كان الكذب في الرمي بالتقول قد يخفى ،
 أتبعه دليله بالعجز عن المعارضة . و لما قسم ما رواه الرسول ، أتبعهم
 ما ألزمهم به في المرسل ، و لما كان ذلك إما أن يكون بالتعطيل أولا ،
 ١٠ و كان التعطيل أشد ، بدأ به و هو الخلق من غير شيء ، و لما كان النقص
 مع الإقرار بالوجود إما أن يكون بالشركة أولا ، و كان ما بالشركة إما
 أن يكون المكذب هو المشارك أولا ، و كانت شركة المكذب [أقدم
 في التكذيب بدأ بها ، و لما كانت شركة المكذب - '] إما أن تكون
 في الخلق أولا ، و كان الأول إما أن يكون بخلق النفس أو الغير ،
 ١٥ و كانت الشركة بخلق النفس ألصق ، بدأ بها في قوله : " أم هم الخالقون "
 و لما كانت الشركة بغير الخلق إما أن يكون بضبط الحواس أولا ،
 و كان الثاني إما أن يكون بضبط الكتابة فيها و إليه الإشارة بالمسيطر ،
 أو بضبط ما يؤمر به فيها و إليه الإشارة بالسلم أو بسفه صاحب الخزان
 لرضاء بالبنات ، و كان كل قسم أشد مما بعده رتبة هكذا . و لما انتهى ما يرجع
 (١ - ١) في مد : او (٢ - ٢) في مد : الجنون و الشعر (٣) زيد من مد .
 (٤) من مد ، و في الأصل « و » (٥) في مد : رتبها .

إلى التكذيب، اتبعه الرد لا للتكذيب بل لأمر آخر. ولما كان ذلك الأمر إما من الآتى أو من المأتى إليه [أو من غيرهما، و كان ما من الآتى ألصق بدأ به وهو المعرم، ولما كان ما من المأتى إليه - '] إما لحسد أو غيره، و كان أمر الحسد أشد، بدأ به وهو المشاركة فى الإبناء بما يكون به الفخر والرئاسة وهو علم الغيب - '] الناظر بوجه للكهانة ه المبدوء بها فى قسم التكذيب، وآخر ما من الغير^٢ وهو الشريك المانع لهم من القبول، و خلطه بهذا القسم مع كونه قسيما لما فرض فيه المكذب مشاركا لخلوه عما قارن تلك الأقسام من التكذيب، هذا تمام القول فى إبطال ما لزمهم فيما تقولوه فى أمر القرآن، و قد تضمن ما ترى من تأصيله و تقسيمه و تفصيله من بيان مقدورات الله و عجائب ١٠ مصنوعاته ما ألزمهم حتما التوحيد الملزم بتصديق الرسالة و الإذعان للحق مع ما له من الإعجاز فى ترتيبه و نظمه و تهذيبه و تسهيله و تقريبه مجلوا أسلوبه العظيم بألفاظ هى الدر النظيم، و معان علت عن لاحق بغريزة أو تعليم، يكاد لها أثبت القلوب بهيم فيطير، و أبلغ البلغاء فى أفان روحها يتدله و يحير، فكان ذلك كما قال جبير بن مطعم رضى الله عنه ١٥ كما روى البخارى و مسلم و أبو داود و النسائى و ابن ماجه رضى الله عنهم أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قرأ فى المغرب بالطور، و قال البخارى فى التفسير: فلما بلغ هذه الآية "أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون" [أم خلقوا السموات و الارض بل لا يوقنون أم عندهم خزائن ربك

(١) زيد من مد (٢) من مد، و فى الأصل: الغيب .

أم هم المسيطرون“ كاد قلبي يطير، وقال ابن ماجه: فلما سمعته يقرأ ”أم من غير شيء أم هم الخالقون“ - [١] إلى قوله: ”فليات مستمعهم بسلطن مبين“ كاد قلبي يطير . وسبق في أول السورة ما ذكره البغوي من هذا الحديث .

٥ / ٧٩ ولما كان التقدير تسكيننا / لقلب من يريد إجابتهم إلى الآيات المقترحات طمعا في إيمانهم: فلقد تلونا عليهم في هذه السورة وغيرها من الآيات، وخلقنا من المعجزات البينات، وأتينا من تناقضهم في هذه التقسيمات، بما يهد الجبال الشامخات، وينا من فضائهم^١ بحسن سوقها وحلاوة ذوقها، وصحة معانيها وإحكام مبانيها، ما يزلزل الراسيات، ويحل العزمات، ويفرج الأزمات، ويصد ذوى المروات عن أمثال هذه النقائص الفاضحات، بما لها من الأدلة الواضحات، ولكنهم لما ألزماهم به من العكس لا يؤمنون، وكذبناهم بما^٢ أعبنا من بصائرهم فهم لا يعلمون أنهم المكيدون، عطف عليه قوله: ﴿وان يروا﴾ أى معانية ﴿كسفا﴾ قطعة، وقيل: قطعا واحداً كسفة مثل سدره وسدر ﴿من السماء﴾ نهارا ١٥ جهارا ﴿ساقطا يقولوا﴾ لدا وتخلدا في البغي إضرارا، وتعلقهم بما أمكنهم من الشبه تخيلا على العقول وإيقافا لذوى الآراء والفهوم دأب الاصيل في نصر الباطل ومكارة الحق لما لهم من العراقة في عمى القلوب بما لنا من القدرة على صرفهم عن وجوه الأمر: هذا ﴿سحاب﴾ فان قيل

(١) زيد من مد (٢) من مد، وفي الأصل: قضائهم (٣) زيد في الأصل: اعيناهم و، ولم تكن الزيادة في مد فحذفناها .

لهم: هو مخالف للسحاب بصلابته، قالوا: ﴿مركوم^ه﴾ أى تراكم بعضه على بعض فصلب، ولذلك سبب عن هذا الحال الدال على أنهم وصلوا فى عمى البصائر إلى أنه لو جاءتهم كل آية لا يؤمنون، قوله لنبى صلى الله عليه وسلم ومن تبعه: ﴿فذرهم﴾ أى اتركهم على شر أحرارهم ﴿حتى يلقوا﴾^١ سعيًا [بسوء أعمالهم -^٢] ﴿يومهم﴾ كما أنه هو^٣ يسعى^ه إليهم لاستحقاقهم لما فيه ﴿الذى فيه﴾ لا [فى -^٤] غيره لأن ما حكنا [به -^٥] لا يتقدم ولا يتأخر ﴿يصعقون لا﴾ بالموت من شدة الأهوال وعظيم الزلزال كما صعق بنو إسرائيل فى الطور، ولكننا لا نقيمهم كما أقنا أولئك إلا عند النفخ فى الصور لنحشرهم إلى الحساب الذى يكذبون به، والظاهر أن هذا اليوم يوم بدر فانهم كانوا قاطعين بالنصرة فيه فإغنى أحد^{١٠} منهم عن أحد شيئًا كما قال أبو سفيان بن الحارث: ما هو إلا أن لقيناهم فنحنهم أكثافنا يقتلوننا^١ كيف شاؤا وبأسرونا كيف شاؤا. ﴿يوم لا يغنى﴾ أى بوجه من الوجوه ﴿عنهم كيدهم﴾ الذى يريونه بهذه الأقوال المتناقضة ﴿شيئًا﴾ أى من الإغناء فى دفع شيء يكرهونه من الموت ولا غيره كما يظنون أنه يغنى عنهم فى غير ذلك من أحوال^{١٥} هذه الدار بتثييط الناس عن اتباع القرآن بما يصفونه به من البهتان ﴿ولا هم ينصرون لا﴾ أى لا يتجدد لهم نصر من أحد ما فى ساعة ما . ولما أفهم هذا الكلام السابق أن التقدير: فإن لكل ظالم فى ذلك

(١) من مد، وفى الأصل: لا قوا (٢) زيد من مد (٣-٢) من مد، وفى الأصل: انهم (٤) من مد، وفى الأصل: فيقتلوننا .

/ ٨٠

اليوم عذابا لا يحيط به الوصف ، فان الإصعاق من أشد ما يكون من العذاب ، عطف عليه قوله مؤكدا لما لهم من الإنكار أن ينصر عليهم المؤمنون وهم من الكثرة والقوة / بحيث لامطمع فيهم لأحد لاسيما لمن هم مثل في الضعف والقلّة (وان) وكان الأصل : لهم ، ولكنه أظهر تعميما وتعليقا للحكم بالوصف فقال : (للذين ظلموا) أى أوقعوا الأشياء في غير مواقعها كما يقولونه في القرآن و يفعلونه من العصيان ويعتقدون من الشرك والبهتان (عذابا دون ذلك) أى غير عذاب ذلك اليوم الصعب المريع ، أو أدنى رتبة منه ، إن كان المراد بالصعق ما يكون بعد البعث فبعذاب البرزخ في القبور ، وإن كان المراد به الموت ١٠ فبما يلقونه في الدنيا من عذابى بواسطتكم مثل تحيزكم إلى الانصار في دار الهجرة ومعدن النصرة و صيرورتكم في القوة بحيث تناصبوهم^١ الحرب ، وتعاطونهم الطعن و الضرب ، فتكونوا بعد أن كنتم [طوع -]^٢ أيديهم قذى في أعينهم وشجا في حلوقهم ودحضا لأقدامهم ونقضا لإرامهم ، ومثل القحط الذى حصل لهم و السرايا التى لقيتموها^٣ فيها ١٥ مثل سرية حمزه أسد الله و أسد رسوله ، و عبدة بن الحارث و عبدة الله ابن جحش التى كانت مقدمة لغزوة بدر .

و لما كان بعضهم يبصر هذا مثل عتبة بن ربيعة و الوليد بن مغيرة و النضر بن الحارث و يقولون : و الله ما هم شاعر و لا كاهن و لا ساحر و لا مجنون ، و ليكون لقوله الذى يقول نبا ، قال : (ولكن أكثرهم) (١) من مد ، و فى الأصل : تناصبوا منهم (٢) زيد من مد (٣) من مد ، و فى الأصل : اقيتموه .

بسبب ما يرون من كثرتهم و حسن حالهم في الدنيا وقوتهم ﴿ لا يعلمون ٥ ﴾
 أى يتجدد لهم علم بتقويتكم عليهم لأنهم ' لا علم لهم أصلا حتى يروا
 ذلك معاينة .

ولما كان العلم المحيط من الملك القاهر أعظم مسل للولى و أكبر
 خيف للعدو ، قال عاطفا على " قدرهم " أر على ما تقديره : فكن أنت ٥
 من العلماء بذلك ليكون فيه لك أعظم تسلية : ﴿ واصبر ﴾ أى أوجد
 هذه الحقيقة لتصبر على ما أنت فيه من أداء الرسالة و ما لها من الكلف
 من أذى الناس و غيره و لكونه في مقام الإعراض^٢ عن الكفار و كون
 إعراضه عنهم أصعب عليه من مقاساة إنذاره و إن نشأ عنها تكذيبهم
 و استهزاؤهم ، اشتدت العناية هنا بالصبر فقدم ، و أيضا فان الإعراض ١٠
 عنهم مقتضى لعدم فائين ، و ذلك هو مقام الجمع ، و الجمع لا يصلح
 إلا بالفرق ، فلذلك قدم الأمر بالصبر ، و ذكر الحكم إشارة إلى أنه يتمكن
 في مقام الفرق كما أنه عريق في مقام الجمع بخلاف المدثر ، فان سياقها
 للانذار الناشئ عنه غاية الأذى فاشتدت العناية هناك^٣ بتقديم ذكر الإله
 نظرا إلى الفناء عن الفائين و إن كان مباشرا لدعائهم ، و عبر بما يذكر ١٥
 بحسن الترية زيادة في التعزية فاقضى هذا السياق أن رغبه سبحانه بقوله :
 ﴿ لحكم ربك ﴾ أى المحسن إليك فانه هو المرید لذلك و لو لم يرده لم يكن
 شئ منه ، فهو إحسان [منه -]^٤ إليك و تدريب لك و ترقية في معارج

(١) في مد : لأنه (٢) زيد في الاصل : عن الناس ، و لم تكن الزيادة في مد
 فحذفناها (٣) من مد ، و في الأصل : هنا (٤) زيد من مد .

/ ٨١

الحكم، وسبب عن ذلك قوله لما يغلب على الطبع البشرى / في بعض أوقات
الامتحان من نوع نسيان: ﴿فانك باعيننا﴾ جمع لما اقتضته نون العظمة
التي هذا سياقها، وهي ظاهرة في الجمع وإشارة إلى أنه محفوظ بالجنود
الذين رؤيتهم من رؤيته سبحانه فهو مكمل مرعى به، ويجنوده وفاعل في
حفظه فعل من له أعين محيطه بمحفوظه من كل جهة من جهاته .

و لما كانت الطاعة أعظم ناصر و أكبر معز، وكانت الصلاة أعظمها
قال: ﴿وسبح﴾ أى أوقع التنزيه عن شائبة كل نقص بالقلب واللسان
والأركان، متلبسا ﴿بحمد ربك﴾ أى المحسن إليك، فأثبت له كل كمال
مع تنزيهه له عن كل نقص، فلا يكون في ملكه ما لا يريد ولا يريد
١٠ إلا [ما - ٢] هو حكمة بالغة ﴿حين تقوم﴾ أى من الليل في جميع
الأوقات التي هي مظنة القيام على الأمور الدنيوية والأشغال النفسانية،
وهي أوقات النهار الذي [هو - ٢] الانتشار بصلاة الصبح والظهر
والعصر، وتحتمل العبارة التسييح عند كل قيام بكفارة المجلس وهو
«سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك»
١٥ فانها تكفر ما كان في المجلس - كما رواه أبو داود والترمذي وقال:

حسن صحيح غريب والنسائي وابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة رضى الله
عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ومن الليل﴾ الذى هو محل السكون
والراحة ﴿فيسبحه﴾ كذلك بالنية والقول كلما انتهت وبالفعل بصلاة

(١) من مد، وقف، الأصل: عظمتنا (٢) من مد، وفى الأصل: لك (٣) زيد
من مد (٤) فى مد: هى .

المغرب والعشاء وصلاة الليل ، وتعظيمه صرح بذلك وقدمه على الفعل ،
والضمير يعود على المضاف إليه ، وأشار إلى التهجّد بعد دخوله فيما قبله
بقوله : ﴿ وادبار النجوم ﴾ أى رسيحه فى وقت إدبارها أى إذا أدبرت ،
وذلك من آخر الليل فى نصفه الثانى ، وكلما قارب الفجر كان أعلى
وبالإجابة ' أولى ، وإلى قرب انفجر تشير قراءة الفتح ' جمع دابر أى فى ه
أعقابها عند خفاتها أو افولها ، وذلك بصلاة المجرّسة وفرضا أحق وأولى
لأنه وقت إدبارها حقيقة ، فصارت [عبادة] الصبح محثوثاً عليها مرتين
تسريفاً لها وتعظيماً لتدبرها ' فان ذلك ينبجى من العذاب الواقع ، وينصر
على ' العدو الدارع ، من المجاهر المدافع ، والمنافق المخادع ، وقد رجع آخرها
على أولها ، ومقطعها على موصلها ، بحلول العذاب على الظالم ، وبعده عن ' ١٠
الطائع السالم - [والله الموفق - ']

(١) من مد ، وفى الأصل : بالاحاطة (٢) راجع ثر المرجان ٧٩/٧ (٣) من مد ،
وفى الأصل : محبوباً (٤) من مد ، وفى الأصل : بقدرتها (٥) من مد ، وفى
الأصل : من (٦) من مد ، وفى الأصل : على (٧) زيد من مد ، وزيد بعده
فيه ' تم الجزء المبارك على يد أقل عبّيده وأحوجهم إليه الفقير سالم السنهورى
المايكى بعيد الثمين من يوم الأربعاء سابع عشرى محرم سنة ١٩٧١ . وأدناه بيتان :

تم الكتاب تكاملت نعم السرور لصاحبه

وعفا الإله بفضله عن قارئيه وكاتبه

ومن هنا اقل نجم نسخة مد لالشروق مرة أخرى .

سورة النجم

مقصودها دم الهوى لإنتاجه الضلال والعمى بالإخلاق إلى الدنيا التي
 هي دار الكدور والبلاء، والتصرم والفناء، ومدح العلم لإيماره الهدى
 في الإقبال على الأخرى لأنها دار البقاء في السعادة أو الشقاء، والحث
 ٥ على اتباع النبي صلى الله عليه وسلم في نذارته التي بينتها سورة ق وصدقها
 / الذاريات و أوقعتها : عينها الطور كما تتبع في بشارته لأن علمه هو العلم / ٨٢
 لأنه لا ينطق عن الهوى لا في صريح الكناية ولا في بيانه له لأن الكل
 عن الله الذي له صفات الكمال فلا [بد] من بعث الخلق إليه وحشرهم
 لديه لتظهر حكمته غاية الظهور فيرفع أهل التزكى والظهور، ويضع أهل
 ١٠ الميجور، ويفضح كل متحل بالزور، متجل للشور، وعلى ذلك دل
 اسمها النجم عن تأمل القسم والجواب وما نظم به من نجوم الكتاب
 ﴿ بسم الله ﴾ الذي أحاط بصفات الكمال فلا يكون رسوله إلا من ذى
 الكمال ﴿ الرحمن ﴾ الذى عم الموجودات بصفة الجمال ﴿ الرحيم ﴾ الذى
 خص أهل وده بالإقناذ من الضلال والهداية إلى ما يرضى من الخلال
 ١٥ و صالح الأعمال .

ولما ختمت الطور بأمره صلى الله عليه وسلم بالتسبيح والتحميد،
 و كان أمره تكويناً لا تكليفاً، فكان فاعلاً لا محالة، وذاك بعد تقسيمهم
 القول في النى صلى الله عليه وسلم بأنه كاهن وساحر ومجنون، و كان

(١) الثالثة والחסون من سور القرآن الكريم، مكية، و عدد آياتها ٦٢ عند
 الكوفيين و ٦١ عند غيرهم - كما في نثر المرجان ٧ / ٧٩ (٢) في الأصل : صدقها .

لذلك تعلق بالشياطين، وكانت الشياطين مباينة للقرآن بختلها وبمنعها بالرجوم من النجوم كما بين آخر الشعراء، افتتحت هذه بالحث على الاهتداء بهديه والاستدلال بدله واتباع أثره، ولما كان من ذلك تسييحه بالحد في إدبار النجوم أقسم أول هذه بالنجم على وجه أعم مما في آخر تلك فعبّر بعبارة تفهم عروجه وصعوده لأنه لا يغيب في الأفق الغربي واحد من ٥ السيارة إلا واطلع من الأفق الشرق في نظير له منها لما يكون عند ذلك من تلك العبارة العالية، والأذكار الزاكية، مع ما فيه من عجيب الصنع الدال على وحدانية مبدعه من زينة السماء التي فيها ما توعدون والحراسة من المردة حفظاً لنجوم الكتاب والاهتداء به في الدين والدنيا، وغير ذلك من الحكم التي يعرفها الحكماء، فقال تعالى: ﴿ والنجم ﴾ أى هذا ١٠ الجنس من نجوم السماء أو القرآن لنزوله منجماً مفرقاً وهم يسمون^١ التفريق تنجيماً - أو النبات، قال البغوي^٢: سمي النجم^٣ نجماً لطلوعه وكل طالع نجم. (إذا هوى لا) أى نزل للأفول أو لرجم الشياطين عند الاستراق كما رواه عكرمة عن ابن عباس^٤ رضى الله عنهما إن كان المراد السائى، فكانت عنده العبادة والاستغفار والدعاء للملك الجبار بالأسحار، أو صعد ١٥ فكان به اهتداء المصلى والقارئ والسارى، فإنه يقال: هوى هوى - بالفتح إذا سقط، وبالضم - إذا علا وصعد، أو نزل به الملك للأصعاد وللإبعاد إن كان المراد القرآنى لما يحصل من البركات في الدين والدنيا والشرح

(١) في الأصل: يسمعون (٢) في معالم التنزيل بهامش الباب ٦ / ٢١٢ .

(٣) في المعالم: الكوكب (٤) راجع المعالم .

للصدور، والاطلاع على عجائب المقدور، أو إذا سقط منبسطة على الأرض
أو ارتفع عنها إن كان المراد النبات، لما فيه من غريب الصنعة و جليل
التقدير الدال على عام القدرة و كمال العلم و التوحد بالملك و الغنى المطلق .
ولما أقسم / بهذا القسم الجليل، أجابه بقوله معبرا بالماضى نفيا / ٨٣
هـ لما كانوا رموه به و ليسهل ما قبل النبوة فيكون ما بعدها بطريق الأولى:
(ما ضل) أى عدل عن سواء المحجة الموصلة إلى غاية المقصود أى
لأنه ما عمل عمل الضالين يوما من الأيام ففى تقول القرآن عنده ولا علم
فيه عمل المجانين ولا غيرهم ما رموه به و أما « وجدك ضالا » فالمراد غير
عالم، و عبر بالصحة مع كونها أدل على القصد مرغبة لهم فيها و مقبلة بهم
١٠ إليه و مقبحة عليهم اتهامه فى إنذاره و هم يعرفون طيب أعرافه و طهارة
شماله و أخلاقه فقال: (صاحبكم) أى فى إنذاره لكم فى القيامة فلا
وجه لكم فى اتهامه .

ولما كان الهدى قد يصحبه ميل لا يقرب الموصول إلى القصد
وإن حصل به نوع خلل فى القرب أو نحوه فقد يكون القصد مع غير
١٥ صالح قال: (و ما غوى) و ما مال أدنى ميل و لا كان مقصوده مما
يسوء فانه محروس من أسبابه التى هى غواية الشياطين و غيرها، و قد
دفع سبحانه عن نبينا صلى الله عليه و سلم، و أما بقية الانبياء فدفعوا عن
أنفسهم « ليس بى ضلالة » « ليس بى سفاهة »، و نحو ذلك - قاله القشيري .
و لما كان قد يكون مع الهوى مصادقة [قال - ١]: (و ما ينطق)

(١) زيد ولا بد منه .

أى يجاوز نطقه فه فى وقت من الأوقات لافى الحال ولا فى الاستقبال ،
نطقا ناشئا ﴿عن الهوى﴾ أى من أمره كالكهان الذين يغلب كذبهم صدقهم
والشعراء وغيرهم ، وما تقول هذا القرآن من عند نفسه . ولما أكد
سبحانه فى نفسه ذلك عند التأكيد تنزيها له عما نسب إليه ، فكان ذلك
مظنة السؤال عن أصل ما تقوله ، أجاب بالحصر والآية أصرح وأدفع
لإنكارهم البالغ فقال : ﴿ان﴾ أى ما ﴿هو﴾ أى الذى يتكلم به من
القرآن وبيانه ، وكل أقواله وأفعاله وأحواله بيانه ﴿الواحى﴾ أى
من الله تعالى ، وأكد بقوله : ﴿يوحى﴾ أى يحدد إليه لإحاطة منا وقتا
بعد وقت ، ويجوز أن يجتهد صلى الله عليه وسلم ، فاذا استقر اجتهاده على
شئ أوحى إليه أنك قد أصبت الحق ، مع أنه سبحانه قد أذن له فى
الاجتهاد بالوحى مع أن من يرد ما يجتهد فيه إلى ما أوحى إليه برئ
من الهوى .

و قال أبو جعفر ابن الزبير فى برهانه : لما قطع سبحانه تعليقهم بقولهم :
ساحر و شاعر و مجنون - إلى ما هو به مما علموا أنه لا يقوم على ساق ،
و لكن شأن المنقطع المبهوت أن يستريح إلى ما أمكنه وإن لم يغن
عنه ، أعقب الله سبحانه بقسمه على تنزيه نبيه و صفيه من خلقه عما تقوله
و توهمه الضعفاء فقال تعالى : ” والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم و ما غوى “
ثم أتبع سبحانه هذا القسم ببسط الحال فى تقريره عليه السلام وإدناؤه
و تلقيه لما يتلقاه من ربه و عظيم منزلته لديه ، و فى إبداء ذلك يحركهم
عز وجل و يذكركم و يوبخهم على سوء نكاياتهم بلطف و استدعاء كريم

منعم فقال تعالى " افرأيتم اللات و العزى " و التحمت الآى على هذه
 الأغراض إلى الإعلام بانفراده سبحانه بالإيجاد و القهر و الإعزاز
 و الانتقام ، لا يشاركه فى شىء من ذلك غيره فقال " و ان الى ربك
 المنتهى و انه هو اضحك و ابكى " . و لما بين ذلك فقال " فباى الاء
 ربك تمارى " اى فى أى نعمة تشكون أم باى آية تكذبون ؟ ثم قال
 " هذا نذير من النذر الاولى " و إذا كان عليه الصلاة و السلام
 فشان مكذبيه شأن مكذبى غيره - انتهى .

و لما كان الوحى ظاهرا فيها بواسطة الملك ، تشوف السامع إلى
 بيان ذلك فقال مينا له بأوصافه لأن ذلك أضخم فى حقه و أعلى لمقداره :
 (علمه) أى صاحبكم الوحى الذى أتاكم به (شديد القوى) أفلا
 تعجبون من هذه البحار الزاخرة التى فأفكم بها و هو أمى فان معلبه بهذه
 الصفة التى هو بها بحيث ينفذ كل ما أمره الله به (ذو مرة) أى جزم
 فى قوة و قدرة عظيمة على الذهاب فيما أمر به و الطاقة للحمله فى غير
 آية النشاط و الحدة كأنه ذو مزاج غلبت عليه الحدة فهو صعب المراس
 ماض فى مراوته على طريقة واحدة عل غاية من الشدة لا توصف
 لا التفات له بوجه إلى غير ما أمر به ، فهو على غاية الخلوص فهو
 مجتمع القوى مستحكم الشأن شديد الشكيمة ، لا يبان فى شىء بزواله و من
 جملة ما أعطى من القوه و القدرة على التشكل ، و إلى ذلك كله أشار
 بما سبب عن هذا من قوله : (فاستوى) فاستقام و اعتدل بغاية ما يكون

(١) فى الأصل : تشوق .

من قوته على أكل حالاته في الصورة التي فطر عليها (وهو) أى
والحال أن جبرئيل عليه السلام ، وجوزوا أن يكون الضمير المنفصل
للنبي صلى الله عليه وسلم أى استوى جبرئيل عليهما السلام معه
(بالافق الأعلى) أى الناحية التي هي النهاية في العلو والفضل من
السموات مناسبة لحالة هذا الاستواء ، وذلك حين رآه النبي صلى الله عليه
وسلم جالسا على كرسي بين السماء والأرض قد سد الأفق .

و لما كان الدنو من الحضرة الإلهية - التي هي مهية لتلقى الوحي -
من العلو والعظمة بحيث لا يوصف ، أشار إلى ذلك بأداة التراخي فقال :
(ثم) أى بعد ذلك الاستواء العظيم (دنا) أى جبرئيل عليه السلام
من الجنب الأقدس دنو زيادة في كرامة لادنو مسافة ، وكل قرب يكون ١٠
منه سبحانه فهو مع أنه منزّه عن المسافة يكون على وجهين : قرب إلى
كل موجود من نفسه ، وقرب ولاية حتى يكون سمع الموجود وبصره
بمعنى أنه لا يسمع ولا يبصر إلا ما يرضاه - أشار إليه ابن برجان ، فأخذ
الوحي الذي أذن له في أخذه / في ذلك الوقت (فتدلى) عقب ٨٥ /
ذلك من الله رسولا إلى صاحبكم أى أزل إليه نزولا هو فيه كالتدلى ١٥
إليه بجبل فوصل إليه ولم يفصل عن محله من الأفق الأعلى لما له من
القوة والاستحكام ، قال البيضاوي : فان التدلى هو استرسال مع تعلق
كتدلى الثمرة (فكان) في القرب من صاحبكم في رأى من
يراه منكم (قاب) أى على مسافة قدر (قوسين) من قسيكم ، قال
الرازي في اللوامع : أى بحيث الوتر في القوس مرتين ، وعن ابن عباس ٢٠

رضى الله عنهما : القوس الذراع بلغة أزدشنوة ، و قال ابن برجان : قاب
القوسين : ما بين السنين ، و قيل : ما بين القبضة و الوتر ﴿ او ادنيج ﴾ بمعنى
أن الناظر منكم لو رآه لتردد و قال ذلك لشدة ما يرى له من القرب منه
صلى الله عليه و سلم ، روى مسلم في الإيمان من صحيحه^١ عن الشيباني قال :
٥ سالت زر بن حبیش عن قوله تعالى ” فكان قاب قوسين “ فقال : أخبرني
ابن مسعود رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه و سلم رأى جبرئيل عليه
السلام له ستمائة جناح . ﴿ فإوحى^٢ ﴾ أى ألقى سرا من كلام الله بسبب
هذا القرب ، و عقبه بقوله : ﴿ الى عبده ﴾ أى عبد الله ، و إضماره من
غير تقدم ذكره صريحا لما هو معلوم مما تقدم فى آخر الشورى أن
١٠ كلام الله يكون وحيا بواسطة رسول يوحى بأذنه سبحانه ، و المقام يناسب
الإضمار لأن الكلام هو الوحي الخفى ، و عبر بالبعد إشارة إلى أنه لم يكن
أحد يستحق هذا الأمر العظيم غيره لأنه لم يتعبد قط لاحد غير الله ،
و كل من عاداه حصل منهم تعبد لغيره فى الجملة ، فكان أحق الخلق
بهذا الوصف مع [انه] كان يتعبد لله فى غار حراء و غيره ، و هذه النزلة
١٥ - و الله أعلم - كانت على هذا التقدير فى أول الوحي لما كان بحراء و فرق
منه صلى الله عليه و سلم فرجع ترجف بوادره ، و قال : زملونى زملونى .
و أشار إلى عظمة ما أزل بقوله : ﴿ ما أوحى^٣ ﴾ أى إنه يحل عن
الوصف فأجمل له ما فصل له بعد ذلك ، هذا الذى ذكر من تفسير لضمائر
مظاهر العبارة و إن كان الإضمار فى جميع الأفعال لا يخلو عن التباس

وإشكال، ويمكن لأجل احتمال الضمائر لما يناسبها من الظواهر أن يكون ضمير "دنا" وما بعده لله تعالى، وحيث يَصير في "عبده" واضحاً كما تقدم في هذا الوجه جملة له سبحانه لأنه لا يجوز لغيره، روى البخاري في التوحيد في باب "وكلم الله موسى تكليماً" عن أنس رضي الله عنه في قصة الإسراء رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسجد الكعبة أنه جاءه ثلاثه نفر قبل أن يوحى إليه وهو قائم في المسجد الحرام فقال أولهم: أيهم هو؟ فقال أوسطهم: هو خيرهم، فقال آخرهم: خذوا خيرهم، وكانت تلك الليلة، فلم يرم حتى أتوه ليلة أخرى فيما يرى قلبه وتنام / عينه ولا ينام قلبه، وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم، فلم يكلموه حتى احتملوه فوضعه عند بئر زمزم، فتولاه منهم جبرئيل عليه السلام فشق جبرئيل ما بين نحره إلى بطنه حتى فرغ من صدره وجوفه فغسله من ماء زمزم بيده حتى أتقى جوفه ثم أتى بطست من ذهب فيه تور من ذهب محشوا إيماناً وحكمة فخشا [به - °] صدره ولغاديدته - يعني عروق حلقه، ثم أطبقه ثم عرج به إلى السماء الدنيا، فضرب باباً من أبوابها فناداه أهل السماء: من هذا؟ فقال: جبرئيل، قالوا: ومن ١٥ معك، قال: معي محمد، قالوا: وبعث إليه، قال: نعم، قالوا: فرجبا به

(١) راجع ٢ / ١١٢٠ - كتاب التوحيد (٢) من الصحيح، وفي الأصل: ثلاث (٣) من الصحيح، وفي الأصل: قبله (٤) من الصحيح، وفي الأصل: فلم يكلموه (٥) زيد من الصحيح (٦) من الصحيح، وفي الأصل: تغاديه - كذا.

وأهلاً - ثم ذكر عروجه إلى السماوات السبع ، وأنه لما وصل إلى السماء السابعة^٢ علا به^٢ فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله [حتى -^٢] جاء سدرة المنتهى ، ودنا الجبار رب العزة فتدلى منه فكان قاب قوسين أو أدنى ، فأوحى إليه فيما يوحى الله إليه خمسين صلاة - فذكر مشورة موسى عليهما السلام في سؤال التخفيف حتى صارت خمسا كل واحدة بعشرة ، ودنا الجبار رب العزة في هذا الوجه وهو رب العزة ، وهو في غاية الحسن إذا جمعته مع ما يأتي في هذا الوجه المنقول عن جعفر الصادق رضي الله عنه فيكون المعنى أنه صلى الله عليه وسلم لما استوى بالافق الأعلى فوصل إلى حد لا يمكن المخلوق الصعود عنه تنزل له الخالق سبحانه ، ولذلك عبر ١٠ عنه بـ "ثم" ، يعنى أنه سبحانه تنزل له تنزلاً لا يمكن الاطلاع على كنه رتبته في العلو والعظمة ، ثم نزل ثم تنزل .

ولما كانت العبارة ربما أوهمت شيئاً لا يليق [به -^٥] نفاه صلى الله عليه وسلم بما في الرواية من تخصيص التعبير باسم الجبار فعلم أنه قربه تقريباً يليق به ، وسمى ذلك دنوا فكان الدنو والتدلى تمثيلاً لما وصل ١٥ منه سبحانه إلى عبده محمد صلى الله عليه وسلم بغاية السهولة واليسر واللطافة مع اتصاله بالحضرات القدسية ، والتعبير بالتدلى لإفهام العلو مثل ما كنى بالنزول كل ليلة إلى سماء الدنيا عن إجابة الدعاء بفتح أبواب (١) من الصحيح ، وفي الأصل : الملاذا - كذا (٢-٢) من الصحيح ، وفي الأصل : علاه (٣) زيد من الصحيح (٤) في الأصل : تنزيلاً (٥) زيد نظراً للسياق .

السماه كما رويناها في جزء العيشي من حديث عثمان بن أبي العاص رضى الله عنه تمثيلا بما نعرفه من^١ حال الملوك في أن أحدهم يكون زوله عن سريره أدنى في إتيان خواصه إليه ، وفتح بابه أدنى لمن يليهم ، وكلما نزل درجه كان الإذن أعم إلى أن يصل إلى الإذن العام لجميع الناس ، هذا علم المخاطبين بأن ذلك على سبيل التمثيل بمن يحتاج إلى هذه الدرجات ، وأما هـ من هو غنى عن كل شيء فله سبحانه المثل الأعلى ولا يشبهه شيئا ، ولا يشبهه شيء ، وفي "قرآن الفجر" من سورة سبحان لهذا مزبد بيان ، وقال القاضى عياض في الشفاء^٢ ما حاصله أن تلك الضمائر للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : قال جعفر بن محمد - يعنى الصادق بن الباقر / : أدناه ربه حتى كان

٨٧ /

منه كقاب قوسين ، وقال أيضا^٣ : انقطعت الكيفية عن الدنو ، ألا ترى كيف حجب جبريل عليه السلام عن دنوه ودنا محمد صلى الله عليه وسلم إلى ما أردع قلبه من المعرفة والإيمان فتدلى بـسكون قلبه إلى ما أدناه وزال عن قلبه الشك والارتباب ، وقال جعفر أيضا^٤ : والدنو من الله تعالى لا حد له ، ومن العباد بالحدود - انتهى . وحينئذ يكون ضمير « استوى » له صلى الله عليه وسلم ، ويكون المعنى : فتسبب عن تعليم جبريل ١٥ له استواؤه - أى اعتدال عليه - إلى غاية لم يصلها غيره من الخلق علما وكسبا بالملك والملوكوت والحال أنه بالآفاق الأعلى ليلة الإسراء ، وتدليه كناية عن وصوله بسبب عظيم حامل حمل السبب للتدلى ، وعبر به وهو ظاهر في النزول من علو مع عدم الانفصال منه لثلا يوم اختصاص

(١) في الأصل : ما (٢) راجع ص ٩٥ .

جهة العلوه سبحانه دون بقية الجهات، ومنه «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد» وكذا قيل في الإشارة بـ «لا تفضلوني على يونس بن متى»، ومن المحاسن جدا أن تكون ألف «تدلى» المنقلبة عن ياء في هذا الوجه بدلا من لام فيكون من التدلل وهو الانبساط وثوقا بالمحبة، يقال: تدلل عليه، أى انبسط ووثق بمحبته فأفرط عليه، وانبساطه صلى الله عليه وسلم في تلك الحالة إفراط كثرة سؤاله، وشفاعته في أمته، وبذلك ظهر إلى عالم الشهادة أنه أرحم الخلق كما كان معلوما إلى عالم الغيب، فتسبب عنه زيادة تقريبه حتى كان قاب قوسين أو أدنى، وإراز هذا الكلام في هذه الضمائر المحتملة لهذه الوجوه من غير ظاهر يعين المراد يناسب لتلك الحالة، فانها كانت حالة غيب وخفاء وستر، وكان العلم فيها واسعا، وسوق الضمائر هكذا يكثر احتمال الكلام للوجود، فيتسع العلم مع أنه ليس فيها وجه يؤدي إلى لبس في الدين ولا ركاكة في معنى ولا نظم ولا مجال للعلم - والله أعلم.

ولما أثبت هذا الكلام ما أثبت من القرب من النبي صلى الله عليه وسلم بمن أوحى إليه على كلا التقديرين، قرره على وجه أفاد الرؤية فقال: «(ما كذب الفؤاد) أى القلب الذى هو فى غاية الذكاء والاتقاد (ما رأى)» البصر أى حين رؤية البصر كان القلب، لا أنها رؤية بصرفقط تمكن فيها - للخلو' عن حضور القلب - النسبة إلى الغلط، وقال القشيري ما معناه: ما كذب فؤاد محمد صلى الله عليه وسلم ما رآه بصره، بل

(١) فى الأصل: الحلو - كذا.

رآه على الوصف الذى عليه قبل أن رآه فكان عليه حق اليقين، وفي صحيح مسلم عن أبي ذر رضى الله عنه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل رأيت ربك؟ قال: نور إلى أراه، وفي صحيح مسلم أيضاً عن مسروق أنه قال لعائشة رضى الله عنها لما أنكرت الرؤية: ألم يقل الله تعالى "ولقد رآه بالأفق المبين" و"لقد رآه نزلة أخرى" فقالت: هـ

أنا أول / هذه الأئمة سأل عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ٨٨ / إنما هو جبرئيل عليه السلام، لم أره على صورته التى خلق عليها غير هاتين المرتين، رأيته منهبطاً من السماء ساداً عظم خلقه ما بين السماء والأرض. قال البغوى^٢: وذهب جماعة إلى أنه رآه فقال بعضهم: جعل بصره فى قواده، ثم روى من صحيح مسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما ١٠ أنه قال: رآه بفؤاده مرتين، وذهب جماعة إلى أنه رآه بعينه وهو قول أنس رضى الله عنه^٣، وقال ابن برجان ما معناه: إن النوم والصعق من آيات الله على لقاء الله وهى مقدمات لذلك، ولكل حقيقة حق يتقدمها كإشراط الساعة، والإسراء وإن لم يكن موتاً ولا صعقاً ولا نوماً على أظهر الوجوه فقد خرج عن مشاهدات الدنيا إلى مشاهدات ١٥ الأفق الأعلى فلا تنكر الرؤية هنالك، فالإسراء حالة غير حالة الدنيا، بل هى من أحوال الآخرة وعالم الغيب - والله الهادى.

و لما تقرر ذلك غاية التقرر، وكان موضع الإنكار عليهم، قال

(١) راجع ١ / ٩٩ (كتاب الإيمان) (٢) راجع ١ / ٩٨ (كتاب الإيمان).

(٣) فى العالم بهامش الباب ٦ / ٢١٤ (٤) زيد فى العالم: والحسن وعكرمة.

مسيا عن ذلك : ﴿ اقمرونه ﴾ أى تستخرجون منه بجدالكُم له فيما أخبركم به شكافيه ولاشك فيه ، و عبر بالمفاعلة فى قراءة الجماعة عن حمزة و الكسائى و يعقوب إشارة إلى اجتهدهم فى تشكيكه ، من مرى الشئ : استخرجه ، و مرى الناقة : مسح ضرعها ، فأمرى : در لبنها ، والمرية هـ - بالكسر و الضم : الشك و الجدل ﴿ على ما يرى هـ ﴾ على صفة مطابقة القلب و البصر ، و ذلك مما لم تجر العادة بدخول الشك فيه و لا قبوله للجدال ، و زاد الامر وضوحا بتصوير الحال الماضية بالتعبير بالمضارع إشارة إلى أنه كما أنه لم يهم لم يلبس الامر عليه ، بل كأنه الآن ينظر .

ولما كان الشئ أقوى ما يكون إذا حسر البصر ، فاذا واقفه كون ١٠ القلب فى غاية الحضور كان أمكن ، فاذا تكرر انقطعت الاطماع عن التعلق بالمجادلة منه . قال مؤكدا لاجل إنكارهم : ﴿ ولقد راه ﴾ أى الله تعالى أو جبرئيل عليه السلام على صورته الحقيقية ، روى مسلم فى الإيمان عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال ” ما كذب الفؤاد ما رأى “ ” [ولقد راه - ٢] نزلة اخرى “ ، قال : رآه بفؤاده مرتين ، وجعل ١٥ ابن برجان الإسراء مرتين : الأولى بالفؤاد مقدمة و هذه بالعين .

و لما كان ذلك لايتأتى إلا بنزل يقطع مسافات البعد التى هى الحجب ليصير به بحيث يراه البشر ، عبر بقوله : ﴿ نزلة ﴾ و انتصب على الظرفية لأن الفعل بمعنى المرة ﴿ اخرى لا ﴾ أى ليكمل له الامر مرة فى عالم الكون و ففساد و أخرى فى المحل الأزه الأعلى ، و عين الوقت بتعين

(١) فى الأصل : لم تجرى (٢) راجع ١ / ٩٨ (٣) زيد من صحيح مسلم .

المكان فقال: ﴿ عند سدرة المنتهى ﴾ أى الشجرة التى هى كالسدر
و ينتهى إليها علم الخلائق و ينتهى إليها ما يرجع من تحت و ما ينزل
من فوق، فيتلقى هنالك، و ذلك - و الله أعلم - ليلة الإسراء فى السنة
الثالثة عشرة من النبوة / قبل الهجرة بقليل بعد الترقى فى معراج الكمالات
٨٩ / من السنين على عدد السماوات و ما بينهما من المسافات، فاتمته إلى هـ
منتهى يسمع فيه صريف الأقلام؛ و عظمها بقوله: ﴿ عندها ﴾ أى
السدرة ﴿ جنة المأوى ﴾ الذى لا مأوى فى الحقيقة غيره لأنه لا يوازي فى
عظمه، و زاد فى تعظيمها بقوله: ﴿ اذ يغشى السدرة ما يغشى ﴾ أى يغطيها
و يركبها و سمره (٩) من فراش الذهب و الرفرف الأخضر و الملائكة و النبق
و غير ذلك فان الغشو النبق ﴿ ما يغشى ﴾ لا تحملون وصفه و هو بحيث
يكاد أن لا يحصى، وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه و سلم فى الحديث:
و غشيتها، ألا وإنى لا أدرى ما هى فليس أحد من خلق الله يستطيع أن
ينعتها أو كما قال صلى الله عليه و سلم، و أكد الرؤية و قررهما مستأنفا بقوله:
﴿ ما زاغ ﴾ أى ما مال أدنى ميل ﴿ البصر ﴾ أى الذى لا يبصر لمخلوق
أكمل منه، فاقصر عن النظر فيما أذن له فيه و لا زاد ﴿ و ما طغى ﴾ ١٥
أى تجاوز الحد إلى ما لم يؤذن له فيه مع أن ذلك العالم غريب عن
بنى آدم، و فيه من العجائب ما يحير الناظر، بل كانت له العفة الصادقة
المتوسطة بين الشره و الزهادة على أنم قوانين العدل، فأثبت ما رآه على
حقيقته، و كما قال السهروردي فى أول الباب الثانى و الثلاثين من عوارفه:
و أخبر تعالى بحسن أدبه فى الحضرة بهذه الآية، و هذه غامضة من ٢٠

غوامض الأدب ، اختص بها رسول الله صلى الله عليه وسلم .
ولما كانوا قد أنكروا الإسراء إنكاراً لم يقع لهم في غيره مثله ،
زاد في تأكيد على وجه يعم غيره فقال : ﴿ لقد رأى ﴾ أى أبصر
بسبب ما أهلكناه له من الرسالة إبصاراً سارياً إلى البواطن غير مقتصر
ه على الظواهر ﴿ من أينت ربه ﴾ أى المحسن إليه بما لم يصل إليه أحد
قبله ولا يصل إليه أحد بعده ، ومن ادعى ذلك فهو كافر ﴿ الكبرى ه ﴾
من ذلك ما رآه في السماوات من الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام
إشارة بكل شيء إلى أمر دقيق جليل وحالة شريفة ، وقال الإمام
أبو القاسم السهيلي في الروض الأنف^١ : والذي أقول في هذا أن مأخذ
١٠ فهمه من علم التعبير ، فانه من علم النبوة ، وأهل التعبير يقولون : من
رأى نبياً بعينه في المنام فإن رؤياه تؤذن بما يشبه من حال ذلك النبي
في^٢ شدة أورخاء أو غير ذلك من الأمور التي أخبر بها عن الأنبياء في
القرآن والحديث ، وحديث الإسراء كان بمكة ، ومكة حرم الله وأمنه ،
وقطانها جيران الله لأن فيها بيته ، فأول ما رأى صلى الله عليه وسلم من
١٥ / ٩٠ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام آدم عليه الصلاة والسلام / الذي كان
في أمن الله وجواره ، فأخرجه إبليس عدوه منها ، وهذه القصة تشبهها^٣
الحالة الأولى من أحوال النبي صلى الله عليه وسلم حين أخرجه أعداؤه
من حرم الله وجوار بيته ، فكربه^٤ ذلك وغمه فأشبهت قصته في هذا
(١) راجع ٢٥٠ / ١ (٢) من الروض الأنف ، وفي الأصل : نبينا (٣) في
الروض : من (٤) من الروض ، وفي الأصل : تشبها (هـ) من الروض ، وفي
الأصل : كربه .

قصة آدم عليه الصلاة والسلام مع أن آدم تعرض عليه أرواح ذريته
البر والفاجر منهم، فكان في السماء الدنيا بحيث يرى الفريقين لأن
أرواح أهل الشقاء لا تلج في السماء ولا تفتح لهم أبوابها، كما قال الله
تعالى، ثم رأى في الثانية عيسى [ويحيى] عليهما الصلاة والسلام وهما
المتحان باليهود، أما عيسى عليه السلام فكذبته اليهود وآذته وهما بقتله ٥
فرفعه الله إليه^١، وأما يحيى عليه السلام فقتلوه، ورسول الله صلى الله عليه
وسلم بعد انتقاله إلى المدينة صار إلى حالة ثانية من الامتحان، وكانت
محتته فيها باليهود^٢ آذوه وظاهروا عليه وهما بالقاء الصخرة عليه ليقطوه
فنجاه الله كما نجي عيسى عليه السلام منهم، ثم سموه في الشاة ولم تزل
تلك الأكلة تعاوده^٣ حتى قطعت أبهره كما قال عند الموت ١٠ وهكذا
[فعلا -^٤] بابني الحالة يحيى وعيسى، لأن أم يحيى أشياع بنت عمران
أخت مريم بنت عمران أمهما^٥ جنة، وأما لقائوه ليوسف عليه السلام
في السماء الثالثة فانه يؤذن بحالة ثالثة تشبه حالة يوسف عليه السلام، وذلك
أن يوسف ظفر باخوته من بعد ما أخرجوه من بين ظهرانهم، فصطح
عنهم وقال: لا تريب عليكم اليوم يغفر الله لكم، الآية، وكذلك نينا ١٥
صلى الله عليه وسلم أسر يوم بدر جملة من أقاربه الذين أخرجوهم [فيهم -^٦]
عمه العباس وابن عمه عقيل فمنهم من أطلق، ومنهم من [قبل -^٧] أفديته،

(١) سقط من الروض (٢) زيدت الواو في الأصل ولم تكن في الروض
لحذفها (٣) من الروض، وفي الأصل: معاه (٤) زيد من الروض (هـ) من
الروض، وفي الأصل: اختها .

ثم ظهر [عليهم - ^١] بعد ذلك عام الفتح فجمعهم فقال لهم : أقول ما قال أخى يوسف : لا تثريب عليكم اليوم ، ثم لقاءه لإدريس عليه السلام فى السماء الرابعة وهو المكان الذى سماه [الله - ^١] مكانا عليا [وإدريس - ^١] أول من آتاه الله الخط بالقلم ، فكان ذلك مؤذنا ٥ بالحالة الرابعة وهو علو شأنه عليه السلام حتى أخاف الملوك وكتب إليهم يدعومهم إلى طاعته حتى قال أبو سفيان وهو عند ملك الروم حين جاء كتاب النبي صلى الله عليه وسلم ورأى ما رأى من خوف هرقل : لقد أمر أمر ابن أبى كبشة حتى أصبح يخافه ملك بنى الأصفر ، وكتب عنه بالقلم إلى ^٢ جميع ملوك ^٢ الأرض فمنهم من اتبعه على دية ١٠ كالتجاشى وملك بنى عمان ومنهم من هادى وأهدى إليه وأنحفه كههرقل والمقوقس ، و [منهم - ^١] من تعصى عليه فأظهره الله عليه ^٢ ، فهذا مقام على ، وخط بالقلم كنحو ما أوتى إدريس عليه السلام ، ولقاءه فى السماء الخامسة لهارون عليه السلام المحبب فى قومه يؤذن بحب قرش وجميع العرب له بعد بعضهم فيه ، ولقاءه فى السماء السادسة لموسى عليه السلام يؤذن بحالة تشبه حالة موسى عليه السلام حين أمر / بغزو الشام ، فظهر على الجبابرة الذين كانوا فيها ، وأدخل بنى إسرائيل [البلد - ^١] الذى خرجوا منه بعد هلاك عدوهم ، ولذلك غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تبوك من أرض الشام وظهر على صاحب دومة

(١) زيد من الروض (٢ - ٢) من الروض ، وفى الأصل : الملوك جميع .

(٣) من الروض ، وفى الأصل : به (٤) من الروض ، وفى الأصل : الجبارة .

حتى صالحه على الجزية بعد أن أتى به أسيرا ، و افتتح مكة و دخل أصحابه
 البلد الذى خرجوا منه ، ثم لقاءه فى السماء السابعة إبراهيم عليه السلام
 لحكمتين : إحداهما ' أنه رآه عند البيت المعمور مسندا ظهره إليه ، و البيت
 المعمور جبال مكة ، و إليه تهج الملائكة كما أن إبراهيم عليه السلام هو
 الذى بنى الكعبة و أذن فى الناس بالحج إليها ، و الحكمة الثانية^٥ أن آخر
 أحوال النبى صلى الله عليه وسلم [حجه - ٢] إلى البيت الحرام ، و حج
 معه^٤ فى ذلك العام نحو من سبعين ألفا من المسلمين ، و رؤية إبراهيم عليه
 السلام عند أهل التأويل تؤذن بالحج لأنه الداعى إليه و الرافع لقواعد
 الكعبة المحجوجة - انتهى . و هذا المقام هو الإسماء و ما تفرع منه الموصل
 إلى أعلى ما يكون من تجريد التوحيد ، فجعل سبحانه عنوانه المفروض ١٠
 فيه الجاهزين للإسلام و الشرك و هو الصلاة الجامعة لمعانى الدين الشاملة
 لجميع البركات بأن جعلت خمسين مستغفرة لجميع الفراغ ثم ردت إلى خمس
 دون القوى بكثير ثم رتب عليها جزاء الخمسين و رفع كل واحدة من صلاة
 الجماعة إلى سبع وعشرين صلاة و فضل صلاتى الطرفين : الصبح الثانية
 والعصر الرابعة بشهادة فريق الملائكة و كتابتهما فى صحيفتى كل من ١٥
 الجمعين ، فقال حمزة السكرماني فى جوامع التفسير : فأسرى به فى شهر
 ربيع الأول قبل الهجرة من بيت أم هانئ رضى الله عنها ، ثم ساق حديث
 الإسراء مساقا عجيبا جدا طويلا .

(١) من الروض ، و فى الأصل : أحدهما (٢) من الروض ، و فى الأصل :

الثالثة (٣) زيد من الروض (٤ - ٤) سقط ما بين الرقين من الروض .

و لما أخبر سبحانه من استقامة طريق نبيه عليه الصلاة و السلام بما
ثبتت رسالته بما اوحى إليه و ما أراه من آياته التي ظهر بها استحقاقه
سبحانه الإلهية متفردا بها ، سبب عنه الإنكار عليهم في عبادة معبوداتهم
على وجه دال على أنها لا تصلح لصالحه فقال : ﴿ افروا ﴾ أى أخبروني
ه سبب ما تلوت عليكم من هذه الآيات الباهرات . هل رأيتم رؤية خبرة
بالباطن و الظاهر ﴿ الت ﴾ و هو صنم ثقيف ﴿ والعزى ﴾ و هى شجرة
لعطفان و هما أعظم أصنامهم فانهم كانوا يحلفون بهما ﴿ و موة ﴾ و هى صخرة
لهذيل و خزاعة ، و دل على أنها عندهم بعدهما في الربوبية بقوله مشيرا
بالتعدد بالتعبير عنه بما عبر به إلى أن شيئا منها لا يصلح لصالحه حتى و لا أن
١٠ يذكر : ﴿ الثالثة الاخرى ه ﴾ أى أنه ما كفاهم في خرق سياج منها العقل
في مجرد تعديد الإله بعمله الاثنى حتى أضافوا ثالثا أقروا بأنه متأخر
الرتبة فكان الإله عندهم قد يكون سافلا و يكون ملازما للانزال
و للسفول بكونه / أنشئ ، قال الرازى فى اللوامع : و أنشأ أسماءها تشبيها
/ ٩٢ لها بالملائكة على زعمهم بأنها بنات الله - انتهى ، و لا شك عند من له
١٥ أدنى معرفة بالفصاحة أن هذا الاستفهام الإنكارى و التعبير بما شأنهم
بالولادة التي هى أحب الأشياء إلى الإنسان بل الحيوان لا يوافق أنه يقال
بعده ما يقتضى مدحا بوجه من الوجوه ، فبين بطلان ما نقل نقلنا واهيا
من أنه قيل حين قرئت هذه السورة فى هذا المحل : تلك الغرائق العلا -
إلى آخره لعلم كل عربى أن ذلك غاية فى الهذيان فى هذا السياق ، فلا
٢٠ وصلة بهذا السياق المعجز بوجه .

ولما كان التقدير بما أفهمه السياق: كيف ادعيتم أنها آلهة أهي كذلك مع أن عادتكم احتقار الإناث من أن تكون لكم أولادا، فكيف رضيتم أن تكون لكم آلهة و تكونوا لها عبادا مع أنها لم تنزل لكم وحيا ولا أرسلت لكم رسولا ولا فعلت مع أحد منكم شيئا مما كرمنا به عبدنا محمدا صلى الله عليه وسلم ولا أرتكم قط آية ولا هي متأهلة لشيء من هـ ذلك، بل لا تملك ضرا ولا نفعا و ادعيتم أنها بناته واستوطنها جنيات هي بناته و ادعيتم مع ادعاء مطلق الولدية لمن لا يلم به حاجة ولا شبه له أن له أردأ الصنفين، فكان ذلك نقصا مضموما إلى نقص - وعلا سبجانه تعالى عن صاحبة أو ولد، فاستحققتم بذلك الإنكار الشديد، وعلم بهذا التقدير الذي هدى إليه السياق بطلان حديث الغرائق ولا سيما مع تعقيبه ١٠ بقوله: ﴿الكم﴾ أى خاصة ﴿الذكر﴾ أى النوع الأعلى ﴿وله﴾ أى وحده ﴿الاثني﴾ أى النوع الأسفل.

ولما كان الاستفهام إنكاريا رد الإنكار بقوله فذلكم لفعلمهم: ﴿تلك﴾ أى هذه القسمة البعيدة عن الصواب ﴿إذا﴾ أى إذ جعلتم البنات له والبنين لكم ﴿قسمة ضيزى﴾ أى حائرة ناقصة ظالمة فيما يحسن للحق ١٥ للغاية عرجاء غير معتدلة حيث خصصتم به ما أوصلتكم الكراهة له إلى دفنه حيا، وقد علم أن الآية من الاحتباك: دل ذكر اسمها في أسلوب الإنكار على حذف إنكار كونها آلهة وإنكار تخصيصه بالإناث على حذف ما يدل على أنهم جعلوها بناته.

ولما أفهم هذا الإنكار بطلان قولهم هذا، حصر القول الحق فيها ٢٠

فقال مستأنفا: ﴿ان﴾ أى ما ﴿هى﴾ أى هذه الأصنام ﴿الآ اسماء﴾
 أى لاحتقاق لها، فما ادعيت لها من الإلهية ليس لها من ذلك إلا الاسماء،
 و أكد ذلك بقوله مينا: ﴿سميتموها﴾ أى ابتدعتم تسميتها أتم، واجتث'
 قولهم من أصله فقال: ﴿وإاتم و أبؤكم﴾ أى لاغير بمجرد الهوى لم روا
 ٥ منها آية ولا كلمتكم قط كلمة تعتدونها، وعلى تقدير أن تتكلم الشياطين
 على ألسنتها فأى طريقه قوية شرعت لكم و أى كلام ملبح أو بليغ وصل
 إليكم و أى آية كبرى أرتكبوها - انتهى .

٩٢ / و لما علم بهذا أن الله تعالى لم يأمرهم بشيء من ذلك، صرح به
 نافيا أن يدل على ما سموه به دليل فقال: ﴿ما﴾ و لما قدم فى
 ١٠ الأعراف ترك النافى للتصريح لما تقدم بما اقتضاه، نفى هنا الإفعال النافى
 لأصل الفعل سواء كان بالتدرج أو غيره لأن المفصل لباب القرآن فهو
 للمقاصد، و ذلك كاف فى ذم الهوى الذى هو مقصود السورة فقال:
 ﴿انزل الله﴾ الذى له جميع صفات الكمال ﴿بها﴾ أى بالاستحقاق
 للأسماء و لا لما وسمتموها به من الإلهية، و أعرق فى النفى بقوله:
 ١٥ ﴿من سلطان﴾ أى حجة تصلح مساطلا على ما يدعى فيها .

و لما كان هذا النفى المستغرق موجبا للخصم إيساع الحيلة فى ذكر
 دليل على أى وجه كان، و كان هؤلاء قد ألبسوا عند سماع هذا الكلام
 و لم يحدوا ما يقولون و لا يحدوا، فكان من حقهم أن يرجعوا فلم يرجعوا،
 أعرض عنهم إيدانا بشديد الغبن قائلا: ﴿ان﴾ أى ما ﴿يتبعون﴾

(١) فى الأصل : اخبث .

أى فى وقت من الأوقات فى أمر هذه الأوثان بغاية جهدهم من أنها آلهة ،
و أنها تشفع لهم أو تقربهم من الله ﴿ الا الظن ﴾ أى غاية أمرهم لمن
يحسن الظن بهم ، فالظن ترجيح أحد الجائزين على رغم الظان .

ولما كان الظن قد يكون موافقا للحق مخالفا للهوى قال :

﴿ وما تهوى الانفس ﴾ أى تشتهى ، وهى - لما لها من النقص - لا تشتهى هـ
أبدا إلا بما يهوى بها عن غاية أوجها إلى أسفل حضيضها ، وأما
المعالى و حسن العواقب فانما تشوق إليها العقل ، قال القشيري : فالظن
الجميل بالله فليس من هذا الباب ، و التباس عواقب الشخص عليه ليس
من هذه الجملة بسبيل ، إنما الظن المعلول فى الله وصفاته وأحكامه . ﴿ ولقد ﴾

أى العجب أنهم يفعلون ذلك و الحال أنه قد ﴿ جاءهم من ربهم ﴾ أى ١٠
المحسن إليهم ﴿ الهدى هـ ﴾ أى الكامل فى بابه إلى الدين الحق الناطق
بالكتاب الناطق بالصواب على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم ، والرأى
يقتضى أن من رأى الهدى تبعه ولو أتاه به عدوه ، فكيف إذا أتاه به
من هو أفضل منه من عند من إحسانه لم ينقطع عنه قط . ولما كان

التقدير : أعليهم أن يتركوا أهويتهم و يهتدوا بهدى ربهم الذى لا ملك ١٥
لهم معه ﴿ ام ﴾ لهم ما تمنوا - هكذا كان الأصل ، و لكنه ذكر
الأصل الموجب لإتباع الهوى فقال : ﴿ للانسان ﴾ أى الانس بنفسه
المحسن لكل ما يأتى و ما يندر ﴿ ما تمنى ن م ﴾ أى من اتباع ما يشتهى
من جاه و مال و طول عمرو و رفاة عيش و من كفره و عناده ، وقوله

” لن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى “ .

و لما كان الاستفهام إنكاريا . كان المعنى : ليس له ما تمنى ، وكان ذلك دليلا قطعيا على أنه مربوب مقهور بمن له الأمر كله ، فسبب عنه قوله : ﴿ فله ﴾ أى الملك الأعظم وحده . و لما كانت الأخرى / ٩٤
دار اللذات و بلوغ جميع الأمانى و حرمانها ، و كانوا يدعون فيها / على
٥ تقدير كونها جميع ما يتمنون من شفاعة آلهتهم و إجابتها إلى إسعادهم و نحو ذلك ، قدم قوله : ﴿ الآخرة ﴾ فهو لا يعطى الأمانى فيها إلا لمن تبع هداة و خالف هواه ﴿ و الأولى ٤ ﴾ فهو لا يعطى جميع الأمانى فيها لأحد أصلا كما هو مشاهد ، فمن ترك هواه فيها نال أمانيه فى الآخرة ، و من تبع هواه لم يصل إلى مراده فى الدنيا و حرم أمانيه فى الآخرة .
١٠ فلهذا قدمها لا للفاصلة فانه لو قيل « الأخرى » ، اصلحت للفاصلة .

و لما كان التقدير : فكم من شخص ترويه فى الأرض مع أنه فى غاية المسكنة فيما يظهر لكم لا يصل إلى ربح ما يتمناه ، عطف عليه قوله ، مظهرًا لضخامة ملكه . و أنه لا يبالى بأحد ، دالا على الكثرة : ﴿ و كم من ملك ﴾ أى مقرب ، و دل على زيادة قرب به بشرف مسكنه فقال : ﴿ فى السموات ﴾
١٥ أى و هم فى الكرامة و الزلفى ﴿ لا تغنى ﴾ أى لا تجزى و تسد و تكفى ، و لما كان رد الجمع لحال اجتماعهم أدل على العظمة ، عبر بما يحتمل ذلك فقال : ﴿ شفاعتهم ﴾ أى عن أحد من الناس ﴿ شيئا ﴾ فقصر الأمر عليه و رده بحذافيره إليه بقوله : ﴿ إلا ﴾ و دل بآثبات الجار على أنه مع ما يحده سبحانه لا مطلقا فقال : ﴿ من بعد ان ياذن ﴾ أى يمكن و يريد ﴿ الله ﴾

(١) فى الأصل : قطعا (٢) فى الأصل : باسباب .

أى الذى لا أمر لأحد أصلا معه، وعبر بأن والفعل دلالة على أنه
لا عموم بعد الإذن بجميع الأوقات، وإنما ذلك يحدد بعد تجدد الإذن
على حينه وقبل الأمر الباب؟ لعموم العظمة بقوله: ﴿ لمن يشاء ﴾
أى بتجدد تعلق مشيئته به لأن يكون مشفوعا أو شافعا.

ولما كان الملك قد يأذن فى الشفاعة وهو كاره، قال معلما أنه ليس ه
كأولئك: ﴿ ويرضى ه ﴾ فحينئذ تغنى شفاعتهم إذا كانوا من المأذون لهم -
كل هذا قطعا لأطاعهم وعن قولهم بمجرد الهوى أى آلتهم تشفع لهم .
ولما أخبر باتباعهم للهوى ونفى أن يكون لهم من ذلك ما يتمنونه . دل
على اتباعهم للهوى بقوله موضع " انهم " : ﴿ ان الذين ﴾ وأكد تنبيها
على أنه قول بالغ فى الحب الغاية فلا يكاد يصدق أن عاقلا بالآخرة ١٠
يقوله بما جرى لهم على قولهم ذلك وأمثاله بقوله: ﴿ لا يؤمنون ﴾
[أى - ١] لا يصدقون ولا هم يقرن بالآخرة، ولذلك أكد قوله:
﴿ ليسمون المشككة ﴾ أى كل واحد وم رسل الله ﴿ تسمية الآثى ﴾ بأن
قالوا: هى بنات الله، كما يقال فى جنس الآثى: بنات ﴿ وما ﴾ أى
والحال أنهم ما ﴿ لهم به ﴾ أى بما سموهم به، وأغرق فى النفي بقوله: ١٥
﴿ من علم ه ﴾ ولما نفى عنهم تشوف السامع إلى الحامل لهم على ذلك
فقال: ﴿ ان ﴾ أى ما ﴿ يتبعون ﴾ أى بغاية ما يكون فى ذلك وغيره
﴿ الا الظن ج ﴾ .

ولما كانوا كالقاطعين بأن ذلك ينفعهم، أكد قوله: ﴿ وان الظن ﴾

(١) زيد من السياق .

أى مطلقا فى هذا وغيره، و لذلك اظهر فى موضع الإضمار (لا يبنى)
 إغناء مبتدئا (من الحق) أى الأمر الثابت فى نفس الأمر الذى هو حقيقة
 الشئ و ذاته بحيث يكون الظن بدله، و الظن إنما يعبر [به] فى العمليات
 لا العمليات و لاسيما الأصولية / (شيئا) من الإغناء^٢ عن أحد من الخلق
 ه فانه لا يودى أبدا إلى الجزم بالعلم بالشئ على ما هو عليه فى نفس الأمر
 فهو ممنوع فى أصول الدين، فان المقصود بتحقيق الأمر على ما هو عليه
 فى الواقع، و أما الفروع فان المكلف به فيها هو الظن لكن بشرطه
 المأذون فيه، و هو رده إلى الأصول المستنبط منها لعجز الإنسان على
 القطع فى جميع الفروع، تنبيهها على عجزه و افتقاره إلى الله ليقبل عليه
 ١٠ و يتبرأ من حوله و قوته ليكشف له من الأحقاف .

ولما كانوا بعد مجيء الهدى قد أصبروا على الهوى، وكانت هذه
 السورة فى أوائل ما نزل، و المؤمنون قليل، سبب عن ذلك :
 (فأعرض عن من تولى لا) أى كلف نفسه خلاف ما يدعو إليه
 العقل و الفطرة من (عن ذكرنا) أى ذكره إيانا، فأعرض
 ١٥ عن الذكر الذى أنزلناه فلم ينله و لم يتدبر معانيه فلا يلتفت إلى شئ
 علمه فانه مطموس^٣ على قلبه و لو كان ذهنه أرق من الشعر فانه لا يؤل^٤
 إلا إلى شئ " و لا تذهب نفسك عليهم حسرات " فانه ما
 عليك إلا البلاغ .

(١) فى الأصل : الاغنياء^(٢) فى الأصل : ملبوس (٣) فى الأصل : لا يقول .

ولما كان المعرض في وقت قد يقبل في آخر ، دل على درامه
على وجه بليغ بقوله : (ولم يرد) أى في وقت من الأوقات
(إلا الحياة الدنيا) أى الحاضرة ليقصده بالمحسوسات كالبهايم في المعى
عن دناءتها وحقارتها ، ثم ترجم جملتى الإعراض والإرادة بقوله : (ذلك)
أى الأمر المتناهى في الجهل والقباحة (مبلفهم) أى نهايه بلوغهم ه
و موضع بلوغهم والحاصل لهم ، وتهكم بهم بقوله : (من العلم) أنه
لا علم لهم لأن عيون بصائرهم عمى ، ومرائيها كثيفة مظلة لا تكشف
عن نظر الآخرة التى هى أصل العلوم كلها ، ثم علل هذه الجملة بقوله
مؤكدًا قطعًا لطمع من يظن أن وعظه و كلامه يرد أحدا من غيه
وإن أبلغ في أمره ودعائه في سره وجهره ، وإعلامًا بأن ذلك إنما ١٠
هو من الله ، فمن وعظ له سبحانه راجيا منه في إيمانه أو شك أن
يثفع به كما فعل في وعظ مصعب بن عمير رضى الله عنه فضغى له أسيد
ابن حضير وسعد بن معاذ رضى الله عنهما في ساعة واحدة كما هو مشهور
(إن ربك) أى المحسن إليك بالإرسال وغيره (هو) أى وحده
(اعلم بمن ضل عن سبيله) ضلالا مستمرا ، فلا تعلق أملك بأن يصل ١٥
عليه إلى ما وراء الدنيا ، وعبر بالرب إشارة إلى أن ضلال هذا من
الإحسان إليه صلى الله عليه وسلم لأنه لو دخل في دينه لافسد أكثر مما
يصلح كما قال تعالى " لا وضعوا خلافكم ييغونكم الفتنة " وفيكم سماعون
لهم " وذلك لأنه جبل جبلة غير قابلة للتغير (وهو) أى وحده

(اعلم بمن امتدّى) أى ظاهرا و باطنا .

ولما كان هذا ربما أوهم أن من ضل على هذه الحالة ليس في قبضه ، قال نافعا لهذا الإبهام مبينا أن له الأسماء الحسنى ومقتضياتها في العالم موضع "و الحال أنه له" أو عطفًا على ما تقديره : فته من في السماوات ومن في الأرض : (والله) أى الملك الأعظم وحده (ما فى السموات)
 ٩٦ / من / الذوات والمعادى فيشمل ذلك السماوات والأراضى ، فان كل سماء فى التى تليها ، والأرض فى السماء (وما فى الأرض لا) وكذلك الأراضى والكل فى العرش و هو ذو العرش العظيم .

ولما أمره صلى الله عليه وسلم بالإعراض عنهم وسلاه وأعلمه أن
 ١٠ الكل فى ملكه ، فلو شاء لهداهم ورفع النزاع ، ولكنه له فى ذلك حكم تحار فيها الأفكار ، علل الإعراض كما تقدم فى الجائية فى قوله " قل للذين آمنوا يغفروا " بقوله : (ليجزى) أى يعاقب هو سبحانه كافيا لك ما أهمك من ذلك ، ويجوز أن يكون التقدير : وكما أنه سبحانه مالك ذلك فهو ملكه ليحكم بجزاء كل على حسب ما يستحق ، فان الحكم نتيجة الملك
 ١٥ (الذين أسأوا) بالضلال (بما عملوا) أى بسية وبحسبه إما بواسطة وبسيوئك وسيوف أتباعك إذا أذنت لكم فى القتال ، وإما بغير ذلك بالموت حتف الأنف بضرب الملائكة وجوهم وأدبارهم ، ثم بعذاب الآخرة على جميع ذنوبهم من غير أن يكون عجل لهم فى الدنيا شيء ينقص بسية عذاب الآخرة (ويجزى) أى يثبت ويكرم (الذين أحسنوا)
 ٢٠ أى على ثباتهم على الدين وصبرهم عليه وعلى أذى أعدائهم (بالحسنى) أى

أى الثبوت الذى هو فى غاية الحسن ما بعدها غاية، فان الحسنى تأنيث
الاحسن .

ولما وعد الذين وقع منهم الإحسان ، وصفهم فقال :
{ الذين يجتنبون } أى يكلفون أنفسهم ويجهدون على أن يتركوا
{ كسائر الاثم } أى ما عظم الشارع إثمهم بعد تحريره بالوعيد والحد ، ه
وعطف على " كسائر الاثم " قوله : { والفواحش } و الفاحشة من
الكبائر ما يكرهه الطبع وينكره العقل ويستخسه .

ولما أفهم هذا التقييد [أن] من خالط ما دون فما دون كان مغفورا
له، صرح به فقال : { الا } أى لكن { اللهم } مغفوء، فن خالطه
لا يخرج عن عداد من أحسن ، فهو استثناء منقطع ، و لعله وضع فيه ١٠
"الا" موضع "لكن" إشارة إلى ' أن الصغير يمكن أن يكون
كبيرا باستهاتته مثلا كما قال تعالى "وتحسبونه هينا و هو عند الله عظيم"
واللم هو صغار الذنوب ، و المراد هنا ما يحصل منها فى الأحيان كانه
وقع فى صاحبه فلتة بغير اختيار منه ، لاما يتخذ عادة أو يكثر حتى
يصير كالعادة ، قال الرازى فى اللوامع : وأصله مقارنة الذنب ثم الامتناع ١٥
منه قبل الفعل ، قال ذو النون : ذكر الفاحشة من العارف كفعلها من
غيره - انتهى . يقال : و ألم بالمكان - إذا قل لبث فيه ، و قال البغوى :
قال السدى : قال أبو صالح أنه سئل عن اللم فقال : هو الرجل يلم بالذنب
(١) فى الأصل : الا (٢) آية ٢٤ / ١٠ (٣) فى العالم بهامش الباب ٦ / ٢٢٠ .

ثم لا يعاوده ، قال : فذكرت [ذلك - ١] لابن عباس رضى الله عنهما
فقال : لقد أعانك عليها ملك كريم ، ثم قال البغوى : فأصل اللهم
والإمام [ما - ١] يعمل الإنسان الحين بعد الحين ، ولا يكون له إعادة
ولا إقامة [عليه - ١] - انتهى - وعلى هذا يصح أن يكون الاستثناء
متصلا . ٥ / ٩٧

ولما كان الملوك لا يغفرون لمن تكررت ذنوبه إليهم وإن صغرت ،
فكان السامع يستعظم أن يغفر ملك الملوك سبحانه مثل هذا ، علل ذلك
بقوله : ﴿ ان ربك ﴾ أى المحسن إليك بارسالك رحمة للعالمين والتخفيف
عن أمتك ﴿ واسبح المفعرة ١ ﴾ فهو يغفر الصغار حقا وأوجه على نفسه
١٠. ويغفر الكبار إن شاء بخلاف غيره من الملوك فإنه لو أراد ذلك ما أمكنه
أتباعه ، ولو جاهد حتى تمكن من ذلك فى وقت فسدت مملكته فأدى
ذلك إلى زوال الملك من يده أو اختلاله .

ولما وصف الذين أحسنوا فكان ربما وقع فى وهم أنه لا يعلمهم
سبحانه إلا بأفعالهم ، وربما قطع من عمل بمضمون الآية أنه بمن أحسن ،
١٥ قال نافيا لذلك : ﴿ هو اعلم بكم ﴾ أى بذواتكم وأحوالكم منكم بأنفسكم
﴿ اذ ﴾ أى حين ﴿ انشأكم ﴾ ابتداء ﴿ من الارض ﴾ التى طبعها طبع الموت :
البرد واليبس بانشاء أيكم آدم عليه السلام منها ونهيئكم للتكوين بعد
أن لم يكن فيكم تقوية قريية ولا بعيدة أصلا يميز الثواب الذى يصلح
لتكوينكم منه والذى لا يصلح ﴿ واذ ﴾ أى حين ﴿ انتم اجنة ﴾ أى مستورون .

(١) زيد من العالم (٢) من العالم ، وفى الأصل : عادة .

ولما كان البشر قد يكون في بطن الأرض وإن كان الجنين معروفاً للطفل في البطن، حقق معناه بقوله: ﴿ في بطون امهتكم ﴾ بعد أن مزج بذلك التراب البارد اليابس الماء والهواء، فنشأت الحرارة والرطوبة، فكانت هذه الأربعة الاخلاط الزكية والدينة، ولكن لا علم لكم أصلاً، فهو يعلم إذ ذاك ما أنتم صائرون إليه من خير وشر وإن عملتم مدة من العمر بخلاف ذلك فانه يعلم ما جبلكم عليه من ذلك وأنتم لاتعلمون إلا ما يكون في أنفسكم حال كونه أنكم لاتحيطون به إذ ذاك علماً.

ولما كان من عادة من أسلم من الذنوب أن يفنخر على من قارفها لما بنى الإنسان عليه من محبة الفخر لما جبل عليه من التقصان، وكان حاله قد يتبدل فيسبق عليه الكتاب فيشتق، سبب عن ذلك قوله: ﴿ فلا تزكوا ﴾ ١٠ أى تمدحوا بالزكاة وهو البركة والطهارة عن الدناءة ﴿ انفسكم ﴾ أى حقيقة بأن يثنى على نفسه فإن تزكيتة لنفسه من علامات كونه محجوباً عن الله - قاله القشيري - أو مجازاً بأن يثنى على غيره من إخوانه فانه كثيراً ما يثنى بشيء فيظهر خلافه، وربما حصل له الأذى بسببه "إو إن العبد ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا باع أو ذراع" ١٥ الحديث، ولذلك علل بقوله: ﴿ هو اعلم ﴾ أى منكم ومن جميع الخلق ﴿ بمن اتقى ﴾ أى جاهد نفسه حتى حصل فيه تقوى، فهو يوصله فوق ما يؤمل من الثواب في الدارين، فكيف بمن صارت له التقوى وصفاً ثابتاً.

ولما أمره سبحانه بالإعراض / عن تولى عن التشرف بذكر الملك ٢٠ / ٩٨

الاعظم و اللجوء إليه ، و نهى عن التزكية للجهل بالعواقب ، و كان قد ارتد
 ناسن عن الإسلام ، كان سبب ارتدادهم إخباره صلى الله عليه و سلم عن
 بعض ما رأى من الآيات الكبرى ليلة الإسراء ، و كان لما نزلت عليه
 صلى الله عليه و سلم سجدة النجم و سجد فيها صلى الله عليه و سلم بسجدة معه
 ٥ - كما فى البخارى - المسلمون و المشركون و الجن و الإنس ، و لم يكن
 فى ظن أحد من الخلق انقلابهم على أديبارهم بعد حتى و لا فى ظن المرتدین ،
 سبب عن ذلك قوله : ﴿ افرءیت ﴾ أى أخبرونى ﴿ الذى تولى ﴾ أى
 [عن] ذكرنا بعد أن كان حريصا عليه ، يظن هو و أهله أنه عريق فى
 أهله بأيمانه و أعماله فى أيام إيمانه ﴿ و اعطى قليلا و اكدى ﴾ أى قطع
 ١٠ ذلك العطاء على مكده و قلته و أبطله و أفسده فصار كالحافر الذى وصل
 فى حفرة إلى كدية ، يقال لحافر البئر : أجبل - إذا وصل إلى جبل ،
 و أكدى - إذا وصل إلى كدية أى صفاة عظيمة شديدة لاتعمل فيها
 المعاول ، فصار لايقدر معها على شيء من عمله ، و لا يستطيع النفوذ فيها
 بشيء من حيله ، و قد كان قبل ذلك لما صادف التراب اللين يظن أنه
 ١٥ لا يمنعه مانع مما يريد ، فهذا دليل خبرى شهودى على أنه لا علم لاحد
 من الخلق بما جباه الله فى نفسه فضلا عن غيره ، فلا ينبغي لاحد أن
 يزكى نفسه و لا غيره ، قيل : نزلت فى الوليد بن المغيرة أسلم ثم ارتد
 لتعبير بعض المشركين له ، و قوله له " ارجع و أنا أتحمل عنك العذاب " و
 هى تصلح لكل من ارتد ظاهرا أو نافق أو انهمك فى المعاصى بعد

إيمانه معرضا عن الأعمال الصالحة .

ولما كان هذا - وقد وقع في خطر عظيم من إفساد العمل في الماضي وتركه في المستقبل فصار على خطأ عظيم في أحدهما - يتعلق بأصل الدين: الكفر والإيمان، وكان مثل هذا لا يفعله عاقل بنفسه إلا عن بصيرة، قال تعالى موجبا له مقرا: ﴿ اعننه ﴾ أى خاصة ﴿ علم الغيب ﴾ أى ه كله بحيث لا يشاركه فيه مشارك يمكن أن يخفى عليه شيء منه ﴿ فهو ﴾ أى فيسبب عن ذلك أنه ﴿ يرى ه ﴾ أى الرؤية الكاملة فيعلم جميع ما ينفعه في تركه وجميع ما يضره فيجتنبه و يعلم أن هذا القليل الذي أعطاه قد قبل وأمن به من العطب فاكثف به .

ولما كان النبي قد يظن أن عمل غيره ينفعه، عبر عنه جامعا للوعظ ١٠ والتهويل بقوله: ﴿ ام لم ينبا ﴾ أى يخبر إخبارا عظيما متابعا ﴿ بما في صحف موسى ﴾ أى التوراة المنسوبة إليه بانزالها عليه وكذا ما يتبعها من أسفار الأنبياء الذين جاؤا بعده بتقريرها .

ولما قدم كتاب موسى عليه السلام لكونه أعظم كتاب بعد القرآن مع أنه موجود بين الناس يمكن مراجعته، قال: ﴿ و ابراهيم ﴾ ١٥ ومدحه بقوله دالا بتشديد الفعل على غاية الوفاء: ﴿ الذى وفى ﴾ أى أتم ما أمر به وما امتحن به وما قلق شيئا من قلق، وكان أول من هاجر قومه وصبر على حر ذبح الولد وكذا على حر النار ولم يستعن بمخلوق، وخص هذين النبيين لأن المدعين / من بنى إسرائيل اليهود

٩٩ /

(١) زيدت الواو في الأصل .

و النصارى يدعون متابعة عيسى عليه السلام ، ومن العرب يدعون متابعة
إبراهيم عليه السلام ، ومن عداهم لامتسك لهم ولا سلف في نبوة محققة
ولا شريعة محفوظة ، ثم فسر الذى فى الصحف أو استأنف بقوله :
(الأتزر) أى تأثم وتحمل (وازره) أى نفس بلغت مبلغا
تكون فيه حاملة (وزر اخرى) أى حملها الثقيل من الإثم ، يعنى فمن
يحمل عنه أثم أحد الشقين الذى لزمه فلا بد أن يكون آثما وهما
قبل التولى وما بعده .

و لما نفي أن يضره إثم غيره ، نفي أن ينفعه سعى غيره فقال :
(وان ليس للانسان) كائنا من ' كان (الاما سعى لا) فلا بد ان
١٠ يعلم الحق فى أى جهة فيسعى ، ودعاء المؤمنين للؤمن سعيه بموادته لهم
ولو بموافقتهم فى الدين وكذا الحج عنه والصدقة ونحوهما ، وأما
الولد فواضح فى ذلك ، وأما ما كان لسبب العلم ونحوهما (؟) فكذلك ،
و تضحية للنبي صلى الله عليه وسلم فى عزامته أصل كبير فى ذلك ، فان
من تبعه فقد وادده ، وهذا أصل فى التصديق عن الغير وإهداء ما له
١٥ من الثواب فى القراءة ونحوها .

ولما ثبت أنه ليس له ولا عليه إلا ما عمل ، وكان فى الدنيا قد
يفعل الشيء من الخير والشر ولا يراه من فعله لأجله ولا غيره ، نفي
أن يكون الآخرة كذلك بقوله : (وان سعيه) أى من خير وشر
(سوف) أى من غير شك بوعده لا خلف فيه وإن طال المدى .

(١) فى الأصل : ما .

و لما كان الاطلاع نفسه مرضيا أو مخويا لا بالنسبة لاحد بعينه، بناء
للجهول بقوله : ﴿ يرى ﴾ و لما كان المخوف منه المجازاة مطلقا لا من
بجاز معين قال : ﴿ ثم يحزنه ﴾ و لما كان في هذه الدار ربما وقعت المساحة
بعض الاشياء والغفلة عن بعضها، قال : ﴿ الجزء الاوفى ﴾ أى الإثم
الاكمل، إن كان خيرا فمع المضاعفة، وإن كان غيره فعلى السواء لمن
أراد الله ذلك له ويعفو عن كثير، لكنه تذكرة له .

و لما كانت رؤية الأعمال لا تقطع رؤية المتوكلين بها من الملائكة
أو غيرها من أقامه الله لذلك، وكان الرائي كلما كان أكثر كان الأمر
أهول، وكان رؤية الملك الأعظم أخوف، قال عاطفا على "لا تز" مبينا
بحرف الغاية أن الرائي للأعمال كثير لكثرة جنوده سبحانه : ١٠
﴿ وان الى ربك ﴾ أى المحسن اليك لاغيره ﴿ المنتهى ﴾ أى الانتهاء
برجوع الخلاق حسا بالبعث ومعنى بالعمل والعلم، وإسناد الأمور
وإرسال الآمال، ومكان رجوعهم وزمانه كما كان منه المبتدأ، أكد
ذلك خلقا لذلك كله وحسابا عليه . روى البغوى من طريق أبى جعفر
الرازى عن أبى بن كعب رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في ١٥
هذه الآية قال : لا فكرة فى الرب، قال : ومثل هذا ما روى عن أبى
هريرة رضى الله عنه مرفوعا : تفكروا فى الخلق ولا تفكروا فى الخالق
فانه لا يحيط به الفكرة . ورواه أبو نعيم فى الحلية عن ابن عباس
رضى الله عنهما : ولا تفكروا فى الله فانكم لن تقدروا قدره، هذا [هو]

(١) راجع معالم التنزيل بهامش الباب ٦ / ٢٢٣ .

المراد وهو واضح، فن أول الآية باتحاد أو غير ذلك من الإلحاد فعليه لعنة الله وعلى الذاب عنه والساكت عنه .

/ ١٠٠

ولما ذكر تعالى الأمور الاختيارية / وقدمها لأنها عبط للبلاء
وسلب عليها عن أصحابها، وحذر من عاقبتها باحاطته بكل شيء، وكان
هـ معنى ذلك انه القادر لا غيره والعالم لا غيره، عطف عليه قوله ذاكر
للأمور الاضطرارية التي هي في غاية التنافي إكالا للدليل على أنه يعلم
ما في النفوس دون أصحابها وغيرهم وأنه إليه المنتهى إعادة وإبداء، يوقف
ما يشاء على ما يريد من الأسباب التي تفعل بأذنه من الضحك أو البكاء
وغيرهما من الأمور المنافية التي لولا الالف لها لقضى الإنسان
١٠ أن المتلبس بأحدهما لا يتلبس بغيره أصلا ومن غيرها (وأنه)
ولما كانت التأثيرات الإدراكية تحال على أسبابها، أكد الكلام فيها فقال:
(هو) أي لا غيره (اضحك وابكي) أي ولا [يعلم] أحد قبل وقت
الضحك أو البكاء انه يضحك أو يبكي ولا أنه يأتيه ما يعجبه أو يحزنه،
ولو قيل له حالة الضحك أنه بعد ساعة [يبكي] لأنكر ذلك، وربما أدركه
١٥ ما أبكاه وهو في الضحك وبالعكس .

ولما كانت الإمامة والإحياء أعظم تنافيا بما مضى، فكانت القدرة على
إيجادهما في الشخص الواحد أعظم ما يكون، وكان ربما نسب إلى من
قتل أو داوى من مرض أو أطلق من وجب قتله، أكد فقال:
(. انه هو) أي لا غيره . ولما كان الإلباس في الموت أكبر، وكان
٢٠ الموت أنسب للبكاء، والإحياء أنسب للضحك، وكان طريق النشر المشوش

أفصح، قدمه فقال: ﴿ امات واحيا لا ﴾ وان رأيتم اسبابا ظاهرية فانه لا عبرة بها اصلا في نفس الامر بل هو الذى خلقها .

ولما كان ذكر الإحياء، وكان تصنيف الولد إلى نوعيه ظاهرا في اختصاصه، بل وهو في غاية التعذر على [من] سواء، أعراه عن مثل التأكيد في الذى قبله فقال: ﴿ وانه خلق الزوجين ﴾ ثم فسرهما بقوله: هـ ﴿ الذكر والاثني لا ﴾ فانه لو كان ذلك في غيره لمنع البنات لانها مكروهة لكل أحد، ثم ذكر ما يظهر ولا بد أنه من صنعه فتسبب أن مادة الاثني واحدة وهو الماء الذى هو أشد الأشياء امتزاجا فقال: ﴿ من نطفة ﴾ وصور كونها منها بقوله: ﴿ اذا تمى ﴾ أى تراق وتدق بالفعل لا قبل ذلك ليتمكن فيه طعن بأنه كان بدوا أو غيره بل أتم تملبون أنه لا يخلق الولد إلا بعد الإتمام بالفعل، وخرج أصله ما يمكن خلقا من خلق الله ان يعرف بمجرد رؤيته أهو صالح الاثني فقط أو للذكر فقط أو لهما أو للاشكال بالخنوثة .

ولما ساق هذه الأشياء دليلا على إحاطة علمه فلزمها أن دلت على تمام قدرته، وختمها بالنشأ الأولى فلزم من ذلك الإقرار حتما بأنه قادر ١٥ على البعث، عبر بما يقتضى أنه لما تقدم به وعده على جميع السنة رسله صار واجبا عليه بمعنى أنه لا بد من كونه لأنه لا يبدل القول لديه، لا غير ذلك، فمبحرف الاستعلاء تأكيد له ردا لإنكارهم إياه فقال: ﴿ وان عليه ﴾ أى خاصا به علما وقنرة ﴿ النشأة ﴾ أى الحياة وهو محدود لابن

كثير وأبى عمرو ومقصود لغيرهما مصدر نشأ - إذا حثى وربى وسن
 ﴿الآخرى لا﴾ أى التى ينشأ بها الخلق بعد ان يميتهم . ولما كان الغنى
 والفقر من الأمور المتوسطة بين الاختيارية والاضطرابية له بكل الأمرين
 سبب و كان مقسوما بين الإناث والذكور بحكمة ربانية لا ينفج الذكر
 فيها / قوته ولا يضر الأثني ضعفها، و كان ذكر النشأة الآخرة كالمعرض
 ١٠١ / ٥ إنما أوجب ذكر النشأة الأولى، تعقب ذكرهما به و كان ذكر الغنى مع
 انه يدل على الفقر أليق بالامتنان، والنسبة إلى الرب، و كان الغنى الحقيقى
 إنما يكون فى تلك الدار، آخر ذكره فقال : ﴿ وانه ﴾ ولما كان ربما
 سب إلى السعى وغيره، أكد بالفعل فقال : ﴿ هو ﴾ أى وحده من
 ١٠ غير نظر إلى سعى ساع ولا غيره ﴿ اغنى ﴾ ولما كان الغنى فى الحقيقة
 إنما هو غنى النفس، وهو رضاها بما قسم لها وسكونها وطمأنيتها،
 وإنما سعى ذو المال غنيا لأن المال بحيث تطمئن معه النفس، فمن كان
 راضيا بكل ما قسم الله به فهو غنى، وهو فى الجنانه مغنى وإن كان
 فى الدنيا ﴿ واقى ﴾ أى أمكن من المال وأرضى بجميع الأحوال،
 ١٥ قال البغوى^٢ : أعطى أصول المال وما يدخر بعد الكفاية، قال : وقال
 الأخفش أقى أفقر - انتهى . ونقل الإصبهانى مثله عن أبى زيد، فتكون
 الهمة للازالة^٣ ويقال، أفناه بكذا أرضاه، واقناه الصد :
 أمكنه منه .

ولما كانت الشعري لأنها تقطع السماء عرضا ادل النجوم بعد تمام

(١) فى الاصل : قسما (٢) راجع معالم التنزيل بهامش الباب ٦ / ٢٢٤ (٣) فى
 الأصل : للازليه .

القدرة على الفعل بالاختيار مع أنها بما دخل تحت ذلك الجنس المقسم به أول السورة، وهي لمروها في سيرها عرضا على جميع المنازل التي كانت العرب تستمطر بها وتنسب بالإتيان بالحد الموجب للنفي إليها كانت قد عبدها من دون الله أبو كبشة الخزاعي لكونها عنده أجل الكواكب، قال تعالى دالا بالتأكيد على سفاهة من عبدها: ﴿وانه هو﴾ ٥ أى لا غيره ﴿رب الشعرى﴾ أى الكاملة في معناها وهي العبور، وأهل علم النجوم يقولون: إن الأحكام النجومية المنسوبة إليها أصح ما ينسب إلى العالم العلوى، وهي نجم بضئ [خلف] الجوزاء، ويسمى كلب الجبار، وسميت الجوزاء بالجبار تشبيها لها بملك على كرسيه وعلى رأسه تاج، وقال الرازي في اللوامع: هي أحد كوكبي ذراعى الأسد، وقال ابن القاص في كتاب ١٠ دلائل القبلة: وترى عند صلاة الصبح نيرة زائدا نورها على نور سائر الكواكب حولها، وقد طمس الصبح نور سائر الكواكب، وأما الشعرى الأخرى فهي الغميصاء - بالعين المعجمة والصاد المهملة - فهي أقل نورا منها، ولذلك سميت الغميصاء، وقال القزاز في جامعته: وقيل: بكت على أختها فقمصت عينها، أى غارت وذهبت . ١٥

ولما دل سبحانه على كمال علمه وشمول قدرته بأمور الخافقين: العلوى والسفلى، فكان ذلك داعيا إلى الإقبال على ما يرضيه، وناهاها عن الإلزام بما يسخطه، شرع في التهديد لمن وقف عن ذلك بما وقع في مصارع الأولين من عجائب قدرته فقال: ﴿وانه أهلك عادا﴾ ولم يأت بضمير الفصل لأنه لم يدع في أحد غيره إهلاكهم، وهو أمرهم بقوله: ٢٠

(الاولى هـ) أى القدماء فى الزمان جدا دلالة على أنه المنصرف فى جميع
الآزمنة ، و قدمهم لأن الشر أتاهم من حيث ظنوه خيرا و جزموا بأنه
من الأنواء النافعة التى كانت عادتهم استمطارها ، و قيل : إن عادا قبيلتان :
و الاولى قوم هود عليه السلام و الاخرى أرم ذات [الهاد - ١] - قاله
جماعة منهم القشيري . قال البغوى^٢ : و كان لهم عقب فكانوا عادا الاخرى ،
١٠٢ / و قال ابن جرير^٣ : و عادا الاولى / هم الذين غنى الله بقوله ” الم ركيف
فعل ربك بعاد ارم “ و إنما قيل لهم عادا الاولى [لأن] نبي لقيم بن هزال
هزيل بن عبل بن عاد كانوا أيام ارسل الله على هؤلاء عذابه سكانا
بمكة مع إخوانهم من العماقة ولد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه
السلام فلم يصيبهم من العذاب ما أصاب قومهم و هم عاد الاخرى ، ثم
هلكوا بعد بغى بعضهم على بعض فتفانوا ، و قال غير ابن جرير : إن
أرم هم عاد الاخرى ، و عطف عليهم قوله : (و ثودا) أى أهلكتهم
ثم سبب عن الإهلاك قوله : (فآ اتقى هـ) أى من الفريقين أحدا ،
و من قال : إن عادا قبيلتان جعل عدم الإبقاء خاصا بشمرد ، و قراءة عاصم
١٥ و حمزة و يعقوب^٤ منع الصرف نص فى أنهم قوم صالح عليه السلام ،
و قراءة الباقيين بالصرف أنسب للإهلاك و الإعدام .

و لما قدم من كان إهلاكهم بنفس الريح التى هى مبدأ الأمطار
الآتية لهم فى السحاب ، و أتبعهم من إهلاكهم بها يحملها للصيحة و إرجافها

(١) زيد من القرآن (٢) راجع المعالم بهامش الباب ٦ / ٢٢٥ (٣) راجع تفسيره

٢٧ / ٤١ (٤) راجع ثمر المرجان ٧ / ١٠٦ .

بهم ، اتبعهم من كان إهلاكهم بالماء الذي هو غاية السحاب فقال :
 ﴿ و قوم نوح ﴾ اى أهلكهم لأجل ظلمهم بالكذيب ، ولما كان
 إهلاكهم فى بعض الزمان الماضى قال : ﴿ من قبل ١ ﴾ اى قبل الفريقين
 فصار فى الكلام تهويلان يهزان القلب و يفعلان فى النفس وصف هؤلاء
 بالقيلتين ، أولئك بالاولى ، ولو لا تقديمهم ما كان هذا ، و علل ه
 هلاكهم بما يؤذن أنه لافرق عنده بين قوى و ضعيف و قليل و كثير مؤكدا
 لأن ما اشتهر من طغيان عاد يوجب أنهم أظنى الناس : ﴿ انهم كانوا ﴾
 اى بما لهم من الأخلاق التى هى كالجبال التى لا انفكاك عنها ﴿ هم ﴾
 اى خاصة ﴿ اظلم ﴾ من الطائفتين المذكورتين ٢ ﴿ و اظنى ٣ ﴾ اى
 و أشد تجازا فى الظلم و علوا و إسرافا فى المعاصى و تجبرا و عتوا لهادي ١٠
 دعوة نوح عليه السلام و لأنهم أطول أعمارا و أشد أبدانا ، و كانوا
 مع ذلك ملء الأرض ، و يجوز أن يكون الضمير للفرق الثلاثة .
 ولما ذكر الهلاك بالريح العاصفة الناشئة عنها ثم بالماء الناشئ عن
 السحاب الناشئ عن الريح ، ذكر الإهلاك بالريح والنار و الماء إعلاما بأنه الفاعل
 وحده بما أراد من العذاب من العناصر التى سبب الحياة مجتمعة و منفردة ، ١٥
 فقال مقدما عن العامل إعلاما بالتخصيص بما ذكر من العذاب إفادة
 بأنه تعالى قادر على كل شيء فلم يهذب فرقة بما عذب به الأخرى :
 ﴿ و انؤتفك ﴾ اى المدن المقلبة عن و سورها إلى أقطانها بقدره جعلتها
 من شدتها و عظمتها كأنها انقلبت نفسها من غير قالب و ذلك أنه
 سبحانه فتحها من الأرض ففتقها ثم دفعها فى الهواء إلى عنان السماء ثم ٢٠

قلها و أتبعها حجارة النار الكبريتية و غمرها بالماء الذي لا يشبهه شيء من
 مياه الدنيا، ولذلك قال: ﴿اهوىٰ﴾ أى رفع و حط و أزل، فكان الإنزال
 إهواء حقيقيا، و الرفع مجازيا لأنه سببه و هى مدن قوم لوط عليه السلام،
 و أشار إلى الحجارة و الماء بقوله مسيا عن الإهواء و معقبا له :
 ٥ ﴿ففسهها﴾ أى أتبعها ما غطاها فكان لها بمنزلة الغشاء، و هو لها بقوله :
 ﴿ما غشىٰ﴾ أى أمرا عظيما من الحجارة و غيرها لا يسع العقول وصفه،
 و قد اشتمل ما ذكره سبحانه من الصحف على بيان ما ينفع من الأعمال
 و ما يضر / و بيان التوحيد باحاطة الله سبحانه بالنهايات التى لانهاية
 بعدها علما و قدرة لاخصاصه ببيان المصنوعات و ببيان البعث للتخويف
 ١٠ بالآجل و إهلاك المرتدين للتخويف بالماجل لمن كان قلبه جافيا عن النفوذ
 إلى الآجل .

/ ١٠٣

و لما أهلك كل واحدة من هذه الفرق فلم يبق من فجارها احد ،
 و أبجى من أطاعه منهم فلم يهلك منهم أحد، و كان إهلاكه لكل منها
 بشيء غير ما هلك به الفريق الآخر، فدل كل من ذلك على تمام علمه
 ١٥ و كمال قدرته، و كان كل ما تقدم فى هذه السورة من النعم و النقم لكونه
 كان أم أوجه الحكم نعمة على كل مؤمن لما فيها من الترغيب فى ثوابه
 و التهيب من عقابه، خاطب سبحانه رأس المؤمنين لأن خطابه له أشد
 فى تذكر غيره فقال مسيا عما مضى : ﴿فبأى الآء ربك﴾ أى عطية المحسن
 إليك التى هى وجه الإنعام و الإكرام و هى إشارة المعرفة به سبحانه
 ٢٠ بمنزلة ظل الشخص من الشخص كما أنه لا يتصور ظل إلا لشخص
 فكذلك (٢٠) ٨٠

فكذلك فعل الفاعل ولا أثر للوثر (تبارى) أى تشك باجالة الخواطر
 فى فكرك فى إرادة هداية قومك بحيث لا تريد أن أحدا منهم يهلك
 وقد حكم ربك بأهلك كثير منهم لما اقتضته حكمته ، وكان بعض خطرك
 فى تلك الإجمالة يشكك بعضا ، ولما تم الكلام على هذا المنهاج البديع
 والنمط الرفيع فى حسان البيان للواعظ والشرع والقصص القديمة ه
 والإنذار العظيم التام على وجه معجز من وجوه شتى ، أنتج قوله مرغبا
 مرهبا خاتما السورة بما بدأ هنا به من ذكره صلى الله عليه وسلم : (هذا)
 النبى صلى الله عليه وسلم (نذير) أى عذر بليغ التحذير ، ولما كانت
 الرسل الماضون عليهم الصلاة والسلام قد تقررت رسالتهم فى النفوس
 وسكنت إليها القلوب ، بحيث أنه لا يسع إنكارها ، فكان قد أخبر عن ١٠
 إنكار من كذبهم لأجل تكذيبهم ، وإنجائهم وإنجاه من صدقهم لأجل
 نصرتهم ، وكان لا فرق بينه صلى الله عليه وسلم وبينهم فى ذلك إلا أن
 الرحمة به أبلغ وأغلب ، مرعبا فى اتباعه مرهبا من نزاعه ، قال :
 (من النذر الاولى) يجب له ما وجب لهم وأتم كالمنذرين الاولين ،
 فاحذروا ما حل بالمكذبين منهم وارجوا ما كان للصادقين . ١٥
 ولما كان كل آت قريبا ، وكانت الساعة - وهى ما أنذر به من
 القيامة وما دونها - لابد من إتيانها لما رقع من الوعد الصادق به المتحف
 بالدلائل التى لا تقبل شكاً بوجه من الوجوه ، فكان باعتبار ذلك لاشئ
 أقرب منها ، قال دالا على ذلك بصيغة الماضى الذى قد تحقق وقوعه
 واشتقاق الواقع مما منه الفعل : (ازفت الأزفة) أى دنت ٢٠

الساعة الدانية في نفسها التي وصفت لكم بالفعل بالقرب غير مرة لأنها محط
الحكمة وإظهار العظمة ، وما خلق الخلق / إلا لأجلها ، المشتعلة على الضيق
وسوء العيش من القيامة ، وكل ما وعدتموه في الدنيا مما يكون به ظهور
هذا الدين وقع المفسدين . ولما ضاق الخناق من ذكرها على هذا الوجه ،
تشوف السامع إلى دفعها ، فاستأق قوله : (ليس لها) واستدرك
ه بقوله : (من دون الله) أى من أدنى رتبة من رتبة الملك المحيط بكل
شئ قدرة وعلما (كاشفة له) أى كاشف يوجد ما يقيمها ويحلى عليها ،
أو يدفع كربها وهمها وإن بالغ في الكشف وبذل الجهد فيه ، فالحاء
للبالغة ، ويجوز أن تكون مصدرا كالجائية والكاذبة والباقية فيكون
١٠ الحاء للتأنيث .

ولما أفهم هذا أن الله يكشفها أى يكشف كربها عن يريد من
عباده ويشقله على من يشاء ، ويكشف عليها باقامتها ، ولا حيلة لغيره في
شئ من ذلك بوجه ، سبب عنه وعمما تقدمه من الإنذار قوله منكرا
موبخا : (افن هذا الحديث) أى القول العظيم الذى يأتيكم على سبيل
١٥ التجدد بحسب الوقائع والحاجات (تحبون لا) إنكارا وهو في غاية
ما يكون من رقيق القلوب .

ولما كان المعجب قد يمسك نفسه عن الضحك ، بين أنهم ليسوا كذلك
فقال : (وتضحكون) أى استهزاء تجددون ذلك في كل وقت مبتدأ
ضحكم منه وهو بعيد من ذلك ، ولما كان إنما يورث الحزن بكونه

(١) زيدت الواو في الأصل .

نزل بالحزن قال: ﴿ولا تبكون﴾ أى كما هو حق من يسمعه .

ولما كان البكاء قد يكون على التقصير فى العمل ، بين أن الامر

أخطر من ذلك [فقال]: ﴿واتم﴾ أى والحال أنكم فى حال بكاكم

﴿سمدونه﴾ أى دائبون فى العمل جاهدون فى العمل ، فان الامر جد ،

فالدأب فى العمل والجدة فيه حيثئذ علة للبكاء ، فكأنه قيل : ولا تدأبون فى هـ

العمل فتبكون ، وإنما قلت ذلك لأن "سمد" معناه دأب فى العمل ورفع

رأسه تكبرا وعلا ، وسمد الإبل : جد فى السير ، وسار سيرا شديدا ،

واسماد : ورم ، وسمد : قام متحيرا وحزن وسر وغفل ولها وقام

وحصل ونام واهتم وتكبر وتحير وبطر وأشر ، وسمد الأرض : سهلها ،

و أيضا جعل فيها السجاد ، أى السرقين ، والشعر : استأصله ، وهو لك سمد ١٠

أى سرمدا ، والسמיד : الحوارى ، ذكر ذلك مبسوطا القزاز فى جامعه

وصاحب القاموس . فالمادة كما ترى تدور على انتشارها على الدأب

فى العمل فتارة بذكر مبدئه الباعث عليه ، وتارة الناشئ عنه ، وتارة ما

بينهما ، وهو الجد فى العمل ، فينطلق الاسم على كل من ذلك تارة حقيقة

ومرة بمجاز الاول ، وأخرى بمجاز الكون ، فالتقصيد باعث ، وكذا ١٥

الاهتمام والقيام ورفع الرأس ناشئان عنهما ، وذلك أوله ، والسدم

بمعنى الحرص والهم واللهج بالشيء ، والسديم : الضباب الرقيق ، هو مبدأ

الكشف ، والمسدم : البعير المهمل وما دب ظهره ، كأنه من الإزالة ، وركية

سدم : متدققة - للمعالجة فى فتحها ، ولأن تدققها دأب فى العمل ، وكذا

سدم الباب أى ردمه ، والدمس / : الودك ، لأنه منشط على العمل ومنشأ ٢٠ / ١٠٥

منه، والوضر والدنس، ودمس المطر الأرض: بلها قليلا، لأنه مبدأ الكثير،
والقارورة: سدها، والباب: أغلقه، لأنه يعالج في فتحه، والدمسة:
غبرة إلى السواد - كأنه مبدأ السواد، والديسم لما لم يكن أبواه من نوع
واحد - كأنه مبدأ لكل نوع منهما ولأنه يلزم الخلط في العادة العلاج،
٥ ومنه الدمسة للردى من الرجال - كأنه لم يكمل فيه النوع، ولأن نقص
الشيء عن عاداته يلزمه العلاج والفعل بالاختيار، والديسم: الرفيق بالعمل
المشفق، وأنا على دسم من الأمر أى طرف منه، والمسد - محركة:
المحور من الحديد، لأنه آلة القتل، وحبل من الليف أو ليف المقل لأنه
محل الدأب، والمساد: نحى السمن، ودمسه: دفته، يصلح أن يكون مبدأ
١٠ ومقصدا، ومنه دمس بينهم: أصلح، لأنه دفن أحقادهم وعالج في ذلك،
والدمس: إخفاء الشيء والظلام، لأنه منشئ التعب، ودمس الموضع:
درس - للتعب في معرفته، ودمس الإهاب: غطاه فيمشط شعره، والدمس:
الشخص، وبالتحريك: ما غطى، والدودمس بالضم: حية مجرقة الغلاصيم
تنفخ فتحرق ما أصابت بنفخها، ومن آثاره الناشئة عنه الورم، وكذا
١٥ القيام متحيرا والغفلة والسرور والحزن واللهو والنوم والكبر والتبخر
والعلو والعتا، والسמיד أى الحوارى، والسمد بمعنى السرمد: والسمد: الهم
مع ندم أو الغيظ مع حزن، والديماس: الكن، ويما بين ذلك سمد
الأرض والشعر والسير الشديد والجد فيه، وهو نفس الدأب، وكذا
السديم للكثير الذكر، وماء مسدم وعاشق مسدم: شديد العشق، والديسم:
٢٠ ظلمة السواد، والديسم: الكثير الذكر، ودمس البعير: طلاه بالحناء - والمسد:

إدآب السير - وبالتحريك : المضاف للمحكم القتل ، ورجل عمود : مجدول الخلق - شبه به - وهى بهاء ، ودمس^١ بينهم : أصلح ، وهو من الدفن أيضا لأنه دفن أحقادهم فبين أن جعل السمود فى الآية بمعنى الدآب فى العمل هو الأولى ، وأن كون الجملة حالا من جعلها معطوفة على "تضحكون" - انتهى والله أعلم .

٥

ولما حث على السمود ، فسرہ مسیبا عن الاستفهام ومدخوله قوله :
 ﴿ فاسجدوا ﴾ أى اخضعوا خضوعا كثيرا بالسجود الذى فى الصلاة
 ﴿ لله ﴾ أى الملك الاعظم ﴿ واعبدوا ﴾ أى بكل أنواع العبادة فانه
 "ما ضل صاحبكم" عن الامر بذلك "وما غوى" قال الرازى فى اللوامع :
 قال الإمام محمد بن على الترمذى : تعبدنا ربنا مخلصين أن نكون له كالعبید ١٠
 وأن يكون لعبیده كما هو لهم - انتهى ، ولو كان السمود بمعنى اللهو
 كان الانسب تقديمه على "تكون" - والله أعلم ، وقد ظهر أن آخرها
 نتيجة أولها ، ومفصلها ثمرة موصلها - والله الهادى .

* * * * *

(١) من القاموس ، وفى الأصل : مس .

/ ١٠٦

سورة القمر ١ و تسمى " اقتربت " /

مقصودها بيان آخر النجم في أمر الساعة من تحققها وشدة قربها
و تصنيف أهلها - باعتبار ما ذكر هناك من العجب من القرآن و الضحك
و البكاء و العمل - إلى طالب علم مهتد به ، و إلى متبع نفسه هواها و شهواتها
ه ضال باهمالها فهو خائب ، و ذلك لأنه سبحانه وعد بذلك باخبار نبيه
صلى الله عليه وسلم و تحقق صدقه بما أيده به من آياته التي ثبت بها
اقتداره على ما يريد من الإيجاد و الإعدام ، فثبت تفرد به بالملك و أيد
اقترابها بالتأثير في آية الليل بما يدل على الاقتدار على نقض السماوات
المستلزم لإهلاك... فان ذلك... بأنه ما بقى إلا تأثير آية النهار و عند ما
١٠ يكون طى الانتشار و عموم البوار المؤذن بالإحضار لدى الواحد القهار ،
و أدل ما فيها على هذا الغرض كله أول آياتها ، فلذلك سميت بما تضمنته
من الاقتراب و الساعة و القمر ، و كانت تسميتها بالقمر أشهر لدلالته
بسرعة سيره و كثرة تقابله على الاقتراب المنجم به النجم بالإشارة
لا بالعبارة ، و لم تسم بالانشقاق لأنه إذا أطلق انصرف إلى الآتم ، فالسماء
١٥ أحق به ﴿ بسم الله ﴾ الذى أحاط علمه فتمت قدرته ﴿ الرحمن ﴾ الذى
وسعت رحمته كل شيء فعمت الشقى و السعيد ﴿ الرحيم ﴾ الذى خص
بأتمام النعمة من اصطفاه فأسعدتهم رحمته .

لما ختمت النجم بالتهديد باقتراب القيامة التي ينكرونها بعد أن

(١) الرابعة و الخمسون من - سور القرآن الكريم ، مكية ، و عدد آياتها (٥٥)

بالاتفاق - راجع نثر المرجان ٧ / ١١٠ .

فتحتها بالاقسام البلس (٤) في النجم الذي هو أعم من القمر وغيره بتفسيره
 طلوعا و أفولا و صعودا و هبوطا ، افتتح هذه بذلك مع الدلالة عليه عقلا
 و سمعا في التأثير في أعظم آيات الله و غير ذلك ليقطع العباد عن الفساد ،
 و يستعدوا لها قبل مجيئها أحسن استعداد ، فقال دالا على عظيم اقتداره
 عليها بتأنيث فعلها : ﴿ اقتربت الساعة ﴾ اشتدت قريبا الساعة : اللحظة التي ه
 لاساعة في الحقيقة غيرها التي تقوم فيها القيامة لأنه قل ما بقي بيننا وبينها
 بالنسبة إلى ما مضى من زمن آدم عليه السلام لبعث خاتم الانبياء الذي
 لم يبق بعد أمته أمة تنتظر ، فيكون في الزمان مهلة لذلك .

ولما كان الإخبار باقترابها يحتاج عند المعاند [إلى] آية دالة عليه ، وكانت

الآيات السماوية أعظم ، فالتأثير فيها أدل على تمام الاقتدار ، وكان القمر ١٠
 أدل على الانواء التي بها منافع الخلق في معاشهم ، وكانت العرب أعرف
 الناس بها ، دلهم على التأثير فيه على اقترابها مع الإرهاب من شذائد
 العذاب باعدام الاسباب فقال : ﴿ و انشق ﴾ بغاية السرعة و السهولة
 ﴿ القمر ﴾ آية للرسول المنذر لكم بها ، فكان انشقاقه - مع الدلالة

على ذلك بإعجاز القرآن وغيره - دالا على كونها و قربها أيضا بالتأثير ١٥
 العظيم الحارق لعادة ما قبله من التأثير في أحد الثرين اللذين هما أعظم

الاسباب / المقامة للعائش الدال على القدرة على التأثير في الآخرة الدال ١٠٧ /

ذلك على القدرة على تمام التصرف فيهما من جمعها و خسفهما و اعتداهما

و لسيدهما (٤) الذي هو من أسباب خراب الأرض ، يقول الإنسان عنده : أين

المفر ؟ المؤذن بطي العالم المعلم بأن له ربا فاعلا بالاختيار مدبرا بالحكمة ٢٠

الدال على بعث عباده ليحكم بينهم فيما كانوا فيه يختلفون، فيثيب من تابع رسله ويعاقب من خالفهم، وانشقاق القمر على حقيقته في زمان النبي صلى الله عليه وسلم أمر شهير جدا، وإجماع أهل التفسير عليه كما قاله القشيري، وقال: رواه ابن مسعود رضى الله عنه ولا يخالف له فيه - انتهى . وذلك أن قريشا سألوا النبي صلى الله عليه وسلم أن تريهم آية فأراهم انشقاق القمر بحيث طلعت فرقة عن يمين حراء وأخرى عن يساره - رواه الشيخان^١ عن ابن مسعود وأنس رضى الله عنهما، ومعلوم أن الأمة تلقت كتابيهما بالقبول فهو يكاد يلحق بالمتواتر وقد أبداه القرآن فلم يبق فيه شك، قال القشيري: وروى أيضا ابن عمر وحذيفة ١٠ وابن عباس وجبير بن مطعم رضى الله عنهم، وقال أبو حيان: سبب نزولها أن مشركى العرب من قريش قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: إن كنت صادقا فشق لنا القمر فرقتين، ووعده بالإيمان إن فعل ذلك، وكانت ليلة البدر فسأل ربه فانشق - انتهى، ومن قال: المراد به "سينشق" يحتاج في صرف الماضى عن حقيقته إلى المستقبل إلى صارف وأنى له ذلك ولا سيما وقد تأيدت الحقيقة بالنسبة الصحيحة الشهيرة .

١٥ وقال الإمام أبو جعفر ابن الزبير: لما أعلمهم سبحانه بأن إليه المنتهى، وأن عليه النشأة الأخرى، وإذ ذاك يقع جزاء كل نفس بما أسلفت، أعلمهم سبحانه بقرب ذلك وحسابه ليزدجر من وقفه للازدجار فقال تعالى "أقربت الساعة وانشق القمر" ثم إن سورة ص تضمنت من عناد

(١) راجع صحيح البخارى - التفسير و صحيح مسلم - أبواب المنافقين (٢) راجع

المشركين وسوء حالهم وتوبيخهم في عبادتهم ما لا يضر ولا ينفع ما يكاد يوجد في غيرها مما تقدمها، وبعد التنبيه في السورة قبلها والتحريك بآيات لا يتوقف عنها إلا من أضله الله وخذله، وأثبتت السورة بعد على تمهيد ما تضمنته سورة ص فلم يخل سورة منها من توبيخهم وتقريعهم لقوله في الزمر "والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا ه الى الله زلفى" وقوله "لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء" وقوله "قل الله اعبد مخلصا له دينى فاعبدوا ما شئتم من دونه" وقوله مثلا لحالهم "ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون" الآية إلى ما بعد من التقريع والتوبيخ، وقوله في سورة غافر "ما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا فلا يغرك تقلبهم في البلاد" وقوله "ذلكم باه ١٠ اذ دعى الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا فالحكم لله" وقوله "افلم يسيروا في الارض" الآية، وقوله "ان الذين يحادلون في ايت الله بغير سلطان اتاهم ان في صدورهم الاكبر ما هم ببالغيه /" وقوله ١٠٨ / "الم تر الى الذين يحادلون في آيات الله انى يصرفون" "الذين كذبوا بالكتب وبما ارسلنا به رسلا فسوف يعلمون" إلى قوله "فاما نرينك بعض الذى نعدهم او نترفينك فالىنا يرجعون" وقوله "اولم يسيروا في الارض" إلى ما تخلل هذه الآيات، وقوله في السجدة "فاعرض اكثرهم فهم لا يسمعون وقالوا قلوبنا في اكنة" "وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه" "ان الذين يلحدون في اياتنا لا يخفون علينا" إلى قوله "اولئك ينادون من مكان بعيد" وقوله "سنريهم ايتنا في الافاق ٢٠

و في انفسهم “ إلى آخر السورة ، و قوله في الشورى ” و الذين اتخذوا
من دونه اولياء الله حفيظ عليهم و ما انت عليهم بوكيل “ ” كبر على
المشركين ما تدعوهم اليه و الذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له
حجتهم داحضة عند ربهم “ الآية ” ام لهم شركا شرعوا لهم من الدين
ما لم ياذن به الله “ الآية ، ” فان عرضوا فما ارسلناك عليهم حفيظا ان
عليك الا البلغ “ و قوله في الزخرف ” انضرب عنكم الذكر صفحا “
الآية ، ” و جعلوا له من عباده جزءا “ إلى ما تردد في هذه السورة
بما قرعوا به أشد التقريع ، و تكرر في آيات كثيرة فتأملها مثل قوله تعالى
في الدخان ” بل هم في شك يلعبون “ إلى قوله ” يوم نبطش البطشة الكبرى “
١٠ انا منتقمون “ و قوله ” ان يوم الفصل ميقاتهم اجمعين “ إلى قوله هذا
” ما كنتم به تمترون “ و قوله في الجاثية ” فبأي حديث بعده يؤمنون “
إلى قوله ” و الذين كفروا بنايت ربهم لهم عذاب من رجز اليم “ و قوله
” افرئيت من اتخذ الله هواه “ إلى آخر السورة ، و قوله في الاحقاف
” و الذين كفروا عما انذروا معرضون “ و معظم هذه الآية لم يخرج
١٥ عن هذا إلى ختامها ، و كذلك سورة القتال و لم يتضمن إلا الأمر
بقتلهم و أسرهم و تعجيل حربهم ” فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب
الرقاب “ و أما سورة الفتح فما تضمنته من البشارة و الفتح أشد
على الكفار من كل ما قرعوا به ، و لم تخرج عن الغرض
المتقدم ، و كذا سورة الحجرات لتضمنها من الأمر بتقدير النبي صلى الله
٢٠ عليه و سلم : لإجلاله ما يقرعين المؤمن و يقتل العدو الحاسد و ما فيها

ايضا من إتلاف أمر المؤمنين و جمع كلمتهم و تأخيهم، و موقع هذا لا يخفى على أحد، و أما سورة الذاريات والطور و النجم فما تضمنته بما ذكرناه قبل أوضح شيء، و بذلك اقتنحت كل سورة منها فأمل مطالعها ففي ذلك كفاية في الغرض - والله تعالى هو أعلم بالصواب، فلما انتهى ما قصد من تقرير مكذبي رسول الله صلى الله عليه وسلم ٥ و بلغت الآي في هذه السورة من ذلك أقصى غاية، و تمحض باطلهم و انقطع دابرهم، و لم يحيروا جوابا فيما عرض عليهم سبحانه في سورة القمر من أحوال الأمم مع أنبيائهم، و كان القصد من ذلك - والله أعلم - مجرد التعريف بأنهم ذكروا فكذبوا فأخذوا ليتبين لهؤلاء أن لافرق بينهم و بين غيرهم و أن لا يغرم عظيم حلمه سبحانه عنهم، فهذه ١٠ السورة إغذار عند تبكيتهم و انقطاع حججهم بما تقدم و بعد أن انتهى الأمر في وعظهم و تنبيههم بكل آية إلى / غاية يعجز عنها البشر، و لهذا ١٠٩ / افتتح سبحانه هذه السورة بقوله تعالى ” و لقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر حكمة بالغة فا تغن النذر“ و ختمها سبحانه بقوله ” اكفاركم خير من أولئكم ام لكم براءة في الزبر“ و هذا يبين ما قدمنا، و كان قد ١٥ قيل لهم : أى فرق بينكم و بين من تقدم حتى ترتكبوا مرتكبهم و تظنوا أنكم ستفوزون بعظيم جزائكم، فذكر سبحانه لهم قصة كل أمة و هلاكها عند تكذيبها بأعظم إيجاز و أجزل إيراد و أغخم عبارة و ألطف إشارة، فبدأ بقصة قوم نوح بقوله ” كذبت قوم نوح“ إلى قوله ” و لقد تركناها آية فهل من مدكر فكيف كان عذابي ونذر“ ثم استمر في ذكر الأمم ٢٠

مع أنبيائهم حسبما ذكروا في السورة الوارد فيها لإخبارهم من ذكر أمة
 بعد أمة إلا أن الواقع هنا من قصصهم أوقع في الزجر و أبلغ في الوعظ
 و أعرق في الإفصاح بسوء منقلبهم و عاقبة تكذيبهم ، ثم ختمت كل
 قصة بقوله ” فكيف كان عذابي و نذري “ و تخلل هذه القصص بقوله
 ٥ تعالى ” و لقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر “ و هي إشارة إلى
 ارتفاع عذر من تعلق باستصعاب الأمور على زواجره و تنبيهاته و مواظمه
 و يدعى بعد ذلك و استعلاؤه فقليل له أنه يسر قريب المرام ، و هذا
 فيما يحصل عند التنبيه و التذكير لما عنده بكون الاستجابة بأذن الله
 تعالى و وراء ذلك من المشكل و المتشابه ما لا يتوقف عليه ما ذكره و حسب
 ١٠ عموم المؤمنين الإيمان بجميعه و العمل بمحكمه ، ثم يفتح الله تعالى فهم
 ذلك على من شرفه به و أعلى درجته ، فيتين بحسب ما يشرح الله تعالى
 صدره ” يرفع الله الذين آمنوا منكم و الذين اتوا العلم درجات “ و من
 تيسر المقصود المتقدم تكرار قصص الأنبياء مع أهمهم في عدة سورة
 أي حفظ منها اطلع على ما هو كاف في الاعتبار بهم ، ثم إذا ضم بعضه
 ١٥ إلى بعض اجتمع منه ما لم يكن ليحصل من بعض تلك السورة ، فسبحان
 من جعله حجة باهرة و برعانا على صدق الآتي به محمد صلى الله عليه و سلم ،
 و صراطا مستقيما و نورا مبينا . و لما ذكر سبحانه عواقب الأمم في
 تكذيبهم قال لمشركي العرب ” اكفاركم خير من أولئكم “ و من هذا
 النمط قول شعيب عليه السلام ” و يقوم لا يجر منكم شقاقى ان يصيكم
 ٢٠ مثل ما أصاب قوم نوح او قوم هود او قوم صالح و ما قوم لوط منكم يبعد “

ثم قال تعالى " ام يقولون نحن جميع منتصر سبهزم الجمع و يولون الدبر " ١١٠
 أى إنكم تعلقتم بتألفكم و جماعتكم فسأفرق ذلك بهزيمتكم يوم بدر / بقتل
 صناديدكم فاحجتم بعد هذا ، إنما مساق القصص فى هذه السورة و اعتماد
 التعريف بحال من ذكر فى أن كذبوا و عاندوا ، فأعقب تسكذيبهم
 أخذهم و هلاكهم ، ثم تعقب هذا كله بصرف الكلام فى مشركى
 العرب فى قوله " أكفاركم خير من أولئكم " و ليس شىء من السور المذكورة
 فيها قصص على هذا الاستيفاء كالآعراف و هود ، و بظاهرها ليس
 فى شىء من ذلك تعقيب بذكر مشركى العرب على الصفة الواردة هنا ، فأباً
 ذلك بكال المقصود من الوعظ و التحريك بذكره و انقضاء هذا الغرض ،
 و ذلك أنهم ذكروا أولاً بعرض أحوال الأمم و التعريف بما آل إليه ١٠
 أمرهم ، و كان ذلك فى صورة عرض من يريد تأديب طائفة من إليه
 نظرم قبل أن يظهر منهم تمرد و عناد ، فهو يستلطف فى دعائهم
 و لا يكلمهم تكليم الواجد عليهم ، بل يفهم الإشفاق
 و الاستعطاف و إرادة الخير بهم ثم يذكرهم بذلك و يكرره عليهم المرة
 بعد المرة و إن تخلل ذلك ما بين منهم فظاعة التهديد و شدة الوعيد ، ١٥
 فلا يصحبه تعيين المخاطب و صرف الكلام بالكلية إليه ، بل يكون ذلك
 على طريق التعريض و التوبيخ ، ثم لو كان لا يحتقر بما قبله و ما بعده من
 التلطف حتى إذا تكررت الموعظة فلم تقبل ، فهنا محل الغضب و شدة
 الوعيد ، و على هذا وردت السور المذكور فيها حال الأمم كسورة
 الآعراف و هود و المؤمنين و الزلزال و الصافات ، و ما من سورة منها إلا ٢٠

والتي بعدها أشد في التعريف وأمل في الزجر بعد التعريف، فتأمل تعقيب القصص في سورة الأعراف بقوله تعالى " وكذلك نفصل الآيات ولعلمهم يرجعون " وقوله بعد موعظة بالغة بذكر من حرمه بعد إشرافه على الفوز وهو الذي أخلد إلى الأرض واتبع هواه فقال بعد ذلك ه " فاقصص القصص لعلمهم يتفكرون " وتذكيره إياه لمح الغفلة إلى ما ختمت به السورة وذلك غير خاف في التلطف بالموعظة وقال تعالى بعد قصص سورة هود " وكذلك أخذ ربك " الآية، وقال تعالى " فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء - إلى قوله : وانا لموفوم نصيهم غير منقوص " وتكررت الآية إلى آخر السورة يحارى ما ذكر ولم تبق ١٠ هذه وآى الأعراف في تلطف الاستدعاء، وقال تعالى في قصص آخر سورة المؤمنين " فذرهم في غمرتهم إلى حين - إلى قوله : لا يشعرون " ثم قال " ولهم اعمال من دون ذلك هم لها عاملون حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب اذا هم يجأرون " استمرت الآية على شدة الوعيد يتلو بعضها بعضا إلى قوله " الحسبتم انما خلقنكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون " ١٥ وقوله تعالى بعد " انه لا يفلح الكافرون " ولم يبين هذه الآية، وبين الواقعة / عقب قصص سورة هود، وقال في آخر قصص الظلة " وانه لتنزيل رب العلمين " إلى قوله خاتمة السورة " وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون " فوبخهم وعنفهم ونزه نبيه صلى الله عليه وسلم [عن] توهمهم وعظيم إلفكهم وافتراءهم، وكل هذا تعنيف وإن لم يتقدم له مثله ٢٠ في السورة المذكورة. ثم هو صريح في مشركى العرب معين لهم في غير تلويح

تلويح ولا تعريض، ثم إنه وقع عقب كل قصة في هذه السورة قوله تعالى "ان في ذلك" وفيه تهديد ووعد، وقال تعالى في آخر الصافات "فاستفتهم الربك البنات ولهم البنون ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون الا انهم من افكهم يقولون ولد الله وانهم لكاذبون" وهذا أعظم التوبيخ وأشد التقرير، ثم زه نبيه سبحانه عن بهتان مقالهم وسوء ارتكابهم وقبح فعالهم، بقوله "سبحان ربك رب العزة عما يصفون"، فلما أخذوا بكل مأخذ فما أغنى ذلك عنهم قال تعالى في سورة القمر "ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر" "حكمة بالغة فما تغني النذر"، ثم قال تعالى لنيه صلى الله عليه وسلم "قول عنهم" ولم يقع أمره صلى الله عليه وسلم بتركهم والإعراض عنهم والتولى إلا بعد حصول ١٠ القصص في السورة المذكورة وأخذهم بكل طريق، وأول أمره بذلك صلى الله عليه وسلم في سورة السجدة "فأعرض عنهم وانتظر انهم منتظرون" ثم في سورة الذريات "قول عنهم فما انت بملوم" بأشد وعيد وأعظم تهديد بعقب كل قصة بقوله "ولقد تركناها آية فهل من مدكر"، وقوله "فكيف كان عذابي ونذر" ثم صرف اليهم ١٥ بما تقدم قوله "اكفاركم خير من اولئكم أم لكم براءة في الزبر" فبلغ ذلك أعظم مبلغ في البيان وإعذار، ثم قال تعالى "وكل شئ فعلوه في الزبر" ففرق سبحانه بسابق حكمته فيهم "انا كل شئ خلقناه بقدر" وانقضى ذكر القصص فلم يتعرض لها مستوفاة على هذا المساق فيما بعد إلى آخر الكتاب - فسبحان من رحم به عباده المتقين وجعله آية وأى ٢٠

آية باهرة إلى يوم الدين ، وقطع عناد الجاحدين و غائلة المعتدين وجعله
 بيانا كافيا ونورا هاديا وواعظا شافيا - جعلنا الله سبحانه و تعالى من اهتدى
 واعتاق بسبيبه إنه أهل الاستجابة و العفو و المغفرة - انتهى •

ولما كان التقدير : فأعرض الكفار عن آية انشقاقه وقالوا :

هـ سحر ، مع علمهم بأنه دال قطعا على صدق من انشق لتصديقه ، عطف

عليه الإعلام بحالهم في المستقبل فظلم لمن يطلبه من المؤمنين لإجابة مقترحة

من مقترحاتهم رجاء لإيمانهم فقال : (وان يروا) أى فيما يأتى (آية)

أى أية آية كانت (يعرضوا) أى عن / الانتفاع بها كما أن أعرضوا / ١١٢

عن هذه لما وأوها ، وقال بعضهم : سحر ، وقال بعضهم : أمهلوا حتى

١٠ يحىء السفار ، فان قالوا : إنهم رأوا كما رأيتم فليست بسحر ، فان محمدا

لا يستطيع أن يسحر أهل الأرض كلهم ، فجاء السفار وشهدوا برؤيته

منشقا ، و مع ذلك فلم يؤمنوا (ويقولوا) أى على سبيل التجديد

منهم و الاستمرار : هذا (سحر) أى هذا الذى يأتينا به هذا الرجل

من وادى الخيال الذى لا حقيقة له وهو (مستمره) أى لأنه

١٥ فارق السحر بأنه لا ينكشف فى الحال لأنه محكم قوى ثابت دائم بشموله

و إحاطته بجميع الأنواع ، ولذلك يتأثر عنه غاية الخوارق المتباينة

الأنواع الكثيرة •

ولما فطم عن التشوف إلى إجابتهم فى المقترحات على ما قدرته ،

تسبب منهم عن الانشقاق بقوله : (وكذبوا) أى بكون الانشقاق

٢٠ دالا على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم و جزموا بالتكذيب عنادا

أو خبنا منهم . و لما كان التكذيب في نفسه قد يكون حقا ، قال مينا أنه باطل ، فبين عن حالهم بقوله : (و اتبعوا) أى بمعالجة فطرم الأولى المستقيمة في دعائها إلى التصديق (هوآهم) أى حتى نابذوا ما دلهم عليه بعد الفطر الأولى عقولهم ، قال القشيري : إذا حصل اتباع الهوى فن شؤمه يحصل التكذيب ، لأن الله سبحانه و تعالى يلبس على قلب صاحبه حتى لا يستبصر الرشده ، و اتباع الرضى مقرون بالتصديق لأن الله تعالى بركات الاتباع للحق يفتح عين البصيرة فيأتى بالتصديق - والله الهادى . و لما كان ذلك مفضلا لقلوب المحققين ، سلام بالوصول إلى محط تظهر فيه الحقائق و تضمحل فيه الشقاشق ، فقال عاطفا على ما تقديره : فسيستقر أمر كل من أمر الحق و المبطل في قراره ، و يطلع على ١٠ دقائقه و أسراره : (و كل أمر) من أموركم و غيرها (مستقره) أى ثابت و موجود ، انتهاءه إلى غاية تظهر فيها حقيقته من غير حيلة تصاحبه إلى رد ذلك القرار و لا خفاء على أحد ، فلا بد أن ينتهى الحق من كل شيء من الآجال و الهدايات و الضلالات و السعادات و الشقاوات و غيرها إلى نهايته فيثبت ثبوتا لا زوال له ، و ينتهى الباطل بما دعاه ١٥ الخلق فيه إلى غايته فيتلاشى تلاشيا لا ثبات له بوجه من الوجوه ، فاذا استقرت الأمور ظهر ما لهم عليه و علموا الخاسر من الفائز ، و فى مثل هذا قال ابن عمرو التيمي أخو القعقاع فى وقعة السى (؟) من بلاد العراق : و الموت خيلنا لما التقينا بقارن و الأمور لها انتهاء .

و قرأ أبو جعفر بالجر صفة لأمر ، فيكون معطوفا على الساعة أى و اقرب ٢٠ (١) راجع نثر الرجان ١١٢/٧ .

/ ١١٣

/ كل أمر مستقر أى ثابت وهو الحق أى اقرب الظهور وثباته ، وذلك لا يكون إلا وقد كان خفاء الباطل وفواته . ولما حذر و بشر قال معلما أنه يحيط العلم بأمرهم من قبل الإجابة إلى شق القمر وأنه ما شقه لطمع في إيمانهم بل للاعلام بخذلانهم مؤكدا لمن يتعلق رجاءه بأن ٥ تواتر الآيات ربما أوجب لهم التصديق المتضمن لأن ما جاءهم ليس فيه كفاية: ﴿ ولقد جاءهم ﴾ من قبيل الانشقاق ﴿ من الأنباء ﴾ أى الأمور العظيمة المرئية ، المسموعة التى تستحق لعظمتها أن يخبر بها إخبارا عظيما سيما ما جاء فى القرآن من تفصيل أصول الدين وفروعه وأخبار الاولين والآخرين والاولى والاخرى ﴿ ما فيه ﴾ خاصة ﴿ مزدجرا ﴾ ١٠ أى موضع للزجر من شأنه أن يكون لهم به انزجار عظيم عما فيه من الباطل ، ولكن لم يزدجر منهم إلا من أراد الله ، قال القشيري: لأن الله أسبل على أبصارهم يحجف الجهل فعموا عن مواضع الرشد .

ولما كان ما فيه ذلك قد لا يكون محكما ، بينه بقوله: ﴿ حكمة ﴾ عظيمة ﴿ بالغة ﴾ أى لها معظم البلوغ إلى منتهى غايات الحكمة لصحتها ١٥ و طهارتها و وضوحها ، ففيها مع الزجر ترجية و مواظ و أحكام و دقائق تجل عن الوصف . ولما تسبب عنها انزجارهم . سبب عن ذلك قوله: ﴿ فما ﴾ نفيا صريحا أو باستفهام إنكارى موبخ ﴿ تغن النذر ﴾ الإنذارات و المنذرون و الأمور المندر بها - إنما المعنى بذلك هو الله تعالى ، فما شاءه كان وما لم يشأه لم يكن ، ولعل الإشارة باسقاط ياء ” تغنى “ ٢٠ باجماع المصاحف من غير موجب فى اللفظ إلى أنه كما سقطت غاية

أحرف الكلمة سقطت نمرة الإنذار وهو القبول .

ولما كان صلى الله عليه وسلم شديد التعلق بطلب نجاتهم ، فهو لذلك
ربما انتهى إجابتهم إلى مقترحاتهم ، سبب عن ذلك قوله : (قول عنهم ٢)
أى كلف نفسك الإعراض عن ذلك فما عليك إلا البلاغ ، وأما الهداية
فالى الله وحده . ولما بين اقتراب الساعة بالإجابة إلى بعض مقترحاتهم ٥
القائمة مقامها كلها بدلالته على القدرة عليها ، وأتبع ذلك الفطم عن طلب
الإجابة إلى شيء فيها لأنها لا تغنى شيئاً ، تطلعت النفوس الكاملة إلى وصف
الساعة فأجاب عن ذلك على سبيل الاستئناف بذكر ظرفها وذكر ... ما يقع
فيه من الأحوال ، فقال معلقاً بتقديره : الساعة كائنة على وجه الاقتراب
الشديد : (يوم يدع) ويجوز - والله أعلم - أن يكون الناصب له "تول" ١٠
لأنهم لما عرضوا حين دعاهم كان جزاءهم أن يعرض عنهم يوم حاجتهم
إليه لأن الجزاء من جنس العمل ، فكأنه قيل بعد أن عد القيامة / أمراً
محققاً لا يأتى النزاع فيه : تول عنهم فى ذلك اليوم العبوس الذى أنت فيه
الشافع المقبول ... و تركهم لأحواله ودواهيه ، فقد بان الخاسر فتولهم
إنما يضرهم ، لأن توليهم عنك لا يضرهم شيئاً أصلاً ، وتوليك عنهم يضرهم ١٥
ضرراً ما بعده ضرر - والله أعلم ، وحذف واو « يدعوا » للرسم باجماع
المصاحف من غير موجب لأن المقام لبيان اقترابها ، فكأنه إشارة إلى
كونها بأذن دعاء ، وأيضاً فى حذفه تشبيه للخبر بالامر إشارة إلى أن
هذا الدعاء لا بد على أن يكون على أعظم وجه وأتقنه وأهوله وأمكنه
كما يكون كل مأمور من الامر المطاع ، والوقف على هذا وأمثاله ٢٠

بغير واو لجميع القراء موافقة للرسم لأن القاعدة أن ما كان فيها رواية اتبعت وإن خالفت الرسم أو الأصل، وما لم يرد فيه عن أحد منهم رواية اتبع فيه الرسم وإن خولف الأصل، لأن التخفيف معهود في كلام العرب كالوال والمتعال من أسمائه الحسنی، لكن قال علامة القراءات شمس الدين الجزري في كتابه المسمى بالنشر في هذه الاحرف الاربعة: هذا و"يدع الانسان" في سبحان و"يبح الله الباطل" في شورى و"سندع الزبانية" في العلق: نص الحافظ أبو عمرو الداني عن يعقوب على الوقف عليها بالواو على الأصل، ثم قال: قلت: وهو من انفراده، وقد قرأت به من طريقه (الداع) أي النفخ في الصور (إلى شيء نكراً) ١٠ عظيم الوصف في النكارة بما تكرهه النفوس فتوجل منه القلوب لأنه لا شيء منه إلا وهو خارج عما تقدمه من العادة.

ولما بين دعاءه بما هال أمره، بين حال المدعويين زيادة في الهول فقال: ﴿خشعا ابصارهم﴾ أي ينظرون نظرة الخاضع الذليل السافل المنزلة المستوحش الذي هو بشر حال، ونسب الخشوع إلى الابصار ١٥ لأن العزو والذل يتبين من النظر: فإن الذل ان يرمى به صاحبه إلى الأرض مثلاً مع هيئة يعرف منها ذلك كما قال تعالى "خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي" وإفراده في قراءة أبي عمرو ويعقوب وحمزة والكسائي على أن الخشوع بلغ في النهاية من الشدة ونسبته إلى كل بصر على حد سواء، وجمع على لغة "أكلوني البراغيث" في قراءة الباقيين بضم

راجع نثر المرجان ٧/ ١١٥٠.

الحاء و تشديد الشين مفتوحة أو مستندا المدعويين، و الإبصار يدل بعض الإشارة إلى أن كل ذلك موزع على الأبصار .

و لما بين من حالهم هكذا ما يدل على نكارة ذلك اليوم، بين كيفية خروجهم بيانا لما يلزم من تصويره زيادة الذعر فقال: ﴿يخرجون﴾ أى على سبيل التجدد الأشرف فالأشرف ﴿من الاجداث﴾ أى القبور ٥ المهيأة لسباع النفخ فى الصور ﴿كأنهم﴾ فى كثرتهم و تراكم بعضهم على بعض من كبيرهم / و صغيرهم و ضعيفهم و قويهم ﴿جراد منتشرا﴾ ١١٥ / أى منبث متفرق حيران مطاوع لمن نشره بعد ما كان فيه من سكون محتلط بعضه ببعض، لاجهة له فى الحقيقة يقصدها لو خلى و نفسه .

و لما كان الانتشار قد يكون وجه المهل و الوقار، قال مينا أن ١٠ الأمر على خلاف ذلك زيادة فى هول ذلك اليوم و تقريراً لما تقدم من وصفه: ﴿مهطعين الى الداع﴾ أى مسرعين خائفين مقبلين بأبصارهم عليه لا يقلعون عنه، مادين أعناقهم نحوه مصوبى رؤسهم لا يلتفتون إلى سواه كما يفعل من ينظر فى ذل و خضوع و صمت و استكانة . و لما بين حال الكل حصر حال المبطلين فقال: ﴿يقول﴾ أى على ١٥ سبيل التكرار: ﴿الكنفرون﴾ أى الذين كانوا فى الدنيا عريقين فى ستر الأدلة و إظهار الأباطيل المضلة: ﴿هذا﴾ أى الوقت الذى نحن فيه بما نرى من الأحوال ﴿يوم عسره﴾ أى فى غاية العسر و الصعوبة و الشدة، و ذلك بحسب حالهم فيه .

و لما تقدم أمره سبحانه لنيه صلى الله عليه وسلم بالتولى عنهم ٢٠

تهديدا لهم ، و صرح بما أراد من أمر الساعة لما دعا إلى ذلك من تقدم ذكرها ، ولأنها أشد هول يهددون به ، و بيانا أن الخلق ما خلق إلا لأجلها لأنها محط الحكمة ، و ختم بعسرها على الكافرين ، تتم ذلك التهديد بعذاب الدنيا ردعا لأهل الغلظة الموكلين بالمحسوسات ، فذكر عسر يوم كان على الكافرين فيها ، فقال مهتدا لقريش يجعل القصة مثلا لهم في إهلاكهم و في أمر الساعة من حيث أنه كما أهلك أهل الارض في آن واحد بما أرسله من الماء فهو قادر على أن يهلكهم في آن واحد بالصيحة ، و كما صرف هذا التصريف الذي [ما] سمع بمثله في الإهلاك فهو قادر على أن يصرفه في الإحياء عند البعث على وجه ما عهد مثله تنبت ٥ فيه الأجساد و تحيا فيه العباد ، جوابا لمن كأنه قال : هذا ما يوعدهونه بعد الموت ، فهل لهم عذاب قبله دال على كمال القدرة : ﴿ كذبت ﴾ أى أوقعت التكذيب العظيم الذى عموا به جميع الرسالات و جميع الرسل ، و أنت فعلهم تحقيرا لهم و تهوينا لأمرهم في جنب قدرته .

و لما كان ما كان من تصميمهم عليه و عزمهم على عدم الانفكاك عنه لكونه جبلة مستغرقا لجميع ما بعدهم من الزمان ، و كانوا قد سنوا سنة التكذيب فكان عليهم مع وزرهم و زر من أتى بعدهم ، و كان ما قبلهم من الزمان يسيرا في جنب ما بعده عدما ، فلذلك ذكر الظرف من غير حرف [جر] لأنه مع أنه الحق أعظم في التسلية فقال : ﴿ قبلهم ﴾ أى في جميع ما سلف من الزمان و مضى بعضه بالفعل و بعضه بالقوة لقوة ١١٦ / ٢٠ العزم / : ﴿ قوم نوح ﴾ مع ما كان بهم من القوة و لهم من الانتشار

في جميع الاقطار .

ولما ذكر تكذيبهم إشارة إلى أنه جلة لهم جحدوا بها النبوة رأسا
فلاحظ لهم في التصديق للحق فلا يفرق حالهم بالنسبة إلى أحد من
الناس كان من كان ، فلذلك سبب عن هذا المطلق قوله : (فكذبوا عبدنا)
أى على ما له من العظمة نسبة إلينا لكونه لم يتعبد لغيرنا قط مع تشریفنا ه
إياه بالرسالة ، فكان تكذيبهم فرا عما دخل في تكذيبهم المطلق الشامل
لكل ما يمكن تكذيبه وهو ميد (؟) (وقالوا) مع التكذيب أيضا زيادة
على تغطية ما ظهر منه من الهداية : (مجنون) أى فهذا الذى يظهر له
من الخوارق من أمر الجن .

ولما كان إعلاء الصوت على النبي كاثما من كان عظيم القباحة جدا ه
زائد الفظاظة فكيف إذا كان مرسلا فكيف إذا كان من أولى العزم
فكيف إذا كان على سبيل الإنكار عليه ، فكيف إذا كان على صورة
ما يفعل ممن لاخطر له بوجه ، قال بانبا للجهول إشارة إلى تبشيعه
من غير نظر إلى قاتل وإيذانا بأن ذلك لم يكن من أكابرهم فقط بل من
كبيرهم وصغيرهم : (وازدجره) أى أعملوا أنفسهم في انتهاره وتوعده ١٥
وتهديده وانتشر ذلك في جميعهم بغاية ما يكون من الغلظة كفاله عن
الرسالة ومنعاه عنها ، والمعنى أنهم قالوا : إنه استظهر عليهم بالجنون .
ولما طال ذلك منهم ومضت عليه أجيالهم جيلا بعد جيل حتى
مضى له من إنذارهم أكثر مما مضى من الزمان لامة هذا النبي الحاتم
إلى يومنا هذا ، وأخبره الله أنه لن يؤمن منهم إلا من قد آمن معه ، ٢٠

تسبب عن ذلك الدعاء بالراحة منهم ، فلذلك قال صارفا وجه الخطاب إلى صفة الإحسان و الربوبية^١ و الامتنان إيدانا بأنه أجاب دعاءه و لبي نداهه : ﴿ فدعاربه ﴾ أى الذى رباه بالإحسان إليه برسائه معلما له لما أس من إجابتهم : ﴿ انى مغلوب ﴾ أى من قوى كلهم بالقوة و المنعة ٥ لا بالحجة ، و أكدّه لأنه من يأبى عن الملك الأعظم يكون مظنة النصرة ، و إبلاغا فى الشكاية إظهارا لذل العبودية ، لأن الله سبحانه عالم بسر العبد و جهره ، فها شرع الدعاء فى أصله إلا لإظهار التذلل ، و كذا الإبلاغ فيه ﴿ فانتصره ﴾ أى أرقع نصرى عليهم أنت وحدك على أبلغ وجه .

ولما استجاب له سبحانه ، سبب عن دعائه قوله ، عائدا إلى مظهر ١٠ العظمة إعلاما بمزيد الغضب الموجب دائما للاستيعاب بالغضب : ﴿ ففتحنا ﴾

أى تسبب عن دعائه [أنا فتحنا -^٢] فتحا يليق بعظمتنا ﴿ ابواب السماء ﴾

كلها فى جميع الأقطار ، و عبر بجمع القلة عن الكثرة / لأن عادة العرب / ٢١٧

أن تستعيره لها و هو أرشق و أشهر من بيان ، و سياق العظمة بأبى كونه

أغيرها . و لما كان المراد تهويل أمر الماء بذكر حاله التى كان عليها حتى

١٥ كأن المحدث بذلك شاهده جعلت كأنه آية فتحت بها السماء فقال :

﴿ بماء منهمر قسيلة ﴾ أى منصب بأبلغ ما يكون من السيلان و الصب عظما

و كثرة ، و لذلك لم يقل : بمطر ، لأنه خارج عن تلك العادة ، و استمر

ذلك أربعين يوما ﴿ و فجرنا ﴾ أى صدعنا بما لنا من العظمة و شققنا

و بعثنا و أسلنا ﴿ الارض عيونا ﴾ أى جميع عيون الارض ، ولكنه

(١) فى الأصل : الرتبة (٢) زيد نظرا للسياق .

عدل عنه للتهويل بالإيهام ثم البيان، وإفادة لأن وجه الأرض صار كله عيونا .

ولما كان الماء اسم جنس يقع على الأنواع المختلفة كما يقع على النوع الواحد، وكان قد ذكر ماء السماء والأرض، سبب عن ذلك قوله: ﴿فالتقى الماء﴾ أى المهود وهو ماء السماء وماء الأرض بسبب هـ فعلنا هذا، وزاد فى تعظيمه بأداة الاستعلاء فقال: ﴿على امر﴾ ولما تقررت هذه العظمة لهذه الواقعة، فكان ربما ظن أنه صار جزافا، وزاد على الحد المأمور به، أشار إلى أنه بالنسبة إلى عظمته فى غاية الحفاوة فقال: ﴿قد قدر﴾ أى مع كونه مقدورا عليه فى كل وقت بغاية السهولة قد وقع تقديره فى الأزل، فلم يستطع أن يزيد على ذلك قطرة فما فوقها ١٠ ولا أن يهلك غير من أمرناه بأهلاكه، وأشار بالتخفيف إلى غاية السهولة فى ذلك سبحانه .

ولما ذكر ما علم منه بقرينة ما ذكر من خرقه للعادة، وأن إجابته لدعوته عليه الصلاة والسلام، ذكر تمام الانتصار بنجاته فقال: ﴿وحملنه﴾ أى بما لنا من العظمة على من ذلك الماء بعد أن صار جميع وجه الأرض ١٥ بجرى واحدا، وحذف الموصوف تهويلا بالحث على تعرفه بتأمل الكلام فقال: ﴿على ذات﴾ أى سفينة ذات ﴿الواح﴾ أى أخشاب نجرت حتى صارت عريضة ﴿ودسرا﴾ جمع دسار وهو ما يشد به السفينة وتوصل بها ألواحها ويلج بعضها ببعض بمسار من حديد أو خشب أو من خيوط الليف على وجه الضخامة والقوة والدفع والمثانة، ولعله ٢٠

عبر عن السفينة بما شرحها تنبيهاً على قدرته على ما يريد من فتح الرق
ورقق الفتق بحيث يصير ذلك المصنوع، فكان إلى ما هيأه ليراد منه
وإن كان ذلك المراد عظيماً وذلك المصنوع .

ولما كان ذلك خارقاً للعادة فكان يمكن أن يكون في السفينة خارق

٥ آخر باسكانها على ظهر الماء من غير حركة، بين أن الأمر ليس كذلك
فقال: «ظهوراً خارقاً آخر في جريها: (تجري) / أي السفينة (باعيناج)

/ ١١٨

أي محفوظة أن تدخل بحر الظلمات، أو يأتي عليها غير ذلك من الآفات،
بمحفظنا على ما لنا من العظمة حفظ من ينظر الشيء كثرة ولا يغيب
عنه أصلاً، وجوزوا أن يكون جمع تكسير لعين الماء، ثم علل ذلك بقوله:

١٠ (جزاء) أي لعبدنا نوح عليه السلام، ولكنه عبر هنا بما يفهم العلة

ليحذر السامع وقوع مثل ذلك العذاب له إن وقع منه مثل فعل قومه
فقال: (لمن) وعبر عن طول زمان كفرهم [بقوله]: (كان كفره) أي وقع

الكفر به وهو أجل النعم، فقال (٥) على أهل ذلك الزمان وذلك جزاء
من كفر النعم، ويجوز أن يكون المراد به قومه بين أنه وقع الكفر

١٥ منهم وقوعاً كأنهم مجبولون عليه حتى كأنه وقع عليهم لتوافق قراءة
مجاهد بالبناء للفاعل .

ولما تم الخبر عن نجاته بحمله فيها، نبه عن آثارها بقوله:

(ولقد ركنها) أي هذه الفعلة العظيمة من جرى السفينة على هذا
الوجه وإبقاء نوعها دالة على ما لنا من العظمة، وقيل: تلك السفينة

بمعناها بقيت على الجودى حتى أدرك بقايا ما هذه الأمة ﴿ اية ﴾ أى علامة عظيمة على ما لنا من العلم المحيط والقدرة النامة ﴿ فهل من مدكره ﴾ أى مجتهد فى التذكير بسبب هذا الأمر لما يحق على الخلق من شكر الخالق بما هدت إليه رسله كما قالوه .

ولما قدم تعالى قوله " فإتغن النذر " وأتبعه ذكر إهلاكه ه المكذبين، وكان ما ذكره من شأنهم أمرهم فى الجلالة والعظمة بحيث يحق للسامع أن يسأل عنه ويتعرف أحواله ليتهدى بها على ذلك بقوله مسيلا عن التذكير باستفهام الإنكار والتوبيخ: ﴿ فكيف كان ﴾ أى وجد وتحقق ﴿ عذابى ﴾ أى لمن كذب وكفر وكذب رسلى ﴿ ونذره ﴾ أى الإنذارات الصادرة عنى والمنذرون المبلغون عنى فانه أنجى نوحا عليه ١٠ السلام ومن آمن معه من أولاده وغيرهم ومتعهم بعد إهلاك عدوهم وجعل الناس الآن كلهم من نسله، قال القشبرى: فى هذا قوة لرجاء أهل الدين إذا لقوا فى دين الله محنة فليجد غيرهم ما آتاه الله أن يهلك الله عن قريب عدوهم ويمكنهم من ديارهم وبلادهم ويورثهم ما كان إليهم، وكذلك سنة الله فى جميع أهل الضلال - انتهى . وكان المعنى ١٥ فى تكرير ذلك عليهم بعد التذكير بما أتيناهم به من قصص هذه الأمم ميسرا لفهم صغيرهم وكبيرهم وذكرهم وأثام كيف كان أخذى لهم وعاقبة تخوفى إياهم لعلهم يتعظون فينتفعهم إنذار المنذرين .

ولما كان هذا التفصيل بما أنزل أول القرآن تيسيرا على الأمة، نبه

على ذلك / بقوله: ﴿ ولقد يسرنا ﴾ أى على ما لنا من العظمة ٢٠ / ١١٩

﴿ القرآن ﴾ أى على ما له من الجمع و الفرق و العظمة المناسبة لكونه
صفة لنا ﴿ للذكر ﴾ أى الانعاظ و التذكر و التدبر و الفهم و الحفظ
و التشريف لمن يراعيه، قال ابن برجان: أنزلناه باللسان العربى و أنزلناه
للافهام تنزيلا و خاطبناهم بموائدهم و أعلننا من قبل أعمالهم و أقبسناهم
٥ المعرفة و اليقين من قبل ذواتهم و ضربنا لهم الأمثال و أطلنا لهم فى هذه
الأعمال ليتذكروا الميثاق المأخوذ عليهم، و قال القشيرى: يسر قراءته
على ألسنة قوم، و علمه على قلوب قوم، و فهمه على قلوب قوم، و حفظه
على قلوب قوم، و كلهم أهل القرآن و كلهم أهل الله و خاصته - انتهى -
و الآية ناظرة بالعطف و المعنى إلى "و لقد جاءهم من الأنباء" الآيتين، فالمعنى
١٠ أنا و لو شئنا بما لنا من العظمة لجشاهم بعبارات لا يشمون وائحتها؛
و بلاغات لا يهتدون إلى وجه معناها أصلا لكننا لم نفعل ذلك بل خاطبناهم
بأبلغ من بلاغتهم مع تيسير فهم ما خاطبناهم به فكان [فى] ذلك إعجازان :
أحدهما أنه فوق بلاغتهم، و الثانى أنه مع علوه يشترك فى أصل فهمه الذكى
و الغبى. و لما كان هذا القرآن العظيم الجامع ترجمة لأفعاله سبحانه فى هذا
١٥ الوجود الشاهد و الغائب الذى أخبرنا عنه و شرحنا لما أنزل علينا من
أسمائه الحسنى و صفاته العليا التى تعرف لنا بها، و كان سبحانه قد جعل
خلق الآدمى جامعا، فما من شىء من أفعاله إلا و فى نفسه منه أثر ظاهر
ناظر للتفكر فى القرآن و التعرف للاسرار منه بالتذكر الذى يكون ...
لما كان الإنسان يعرفه ثم نسيه حتى صار لا يستقل باستحضاره فاذا ذكر به
٢٠ ذكره، فقال منها على عظيم فعل العلم و القرآن الذى هو طريقه بالتكرار

و التعبير بما هو من الذكر على أنه المحفوظ للإنسان بما هيا له من تيسير أمره (فهل من مذكره) قال البخارى فى آخر صحيحه: قال مطر الوراق: هل من طالب علم فيعان عليه، وقد تكررت هذه الموعظة فى هذه السورة أربع مرات، وذكرت الجملة الأخيرة منها منفكة عن تيسير القرآن مرتين: مرة فى أول القصص وهى قصة نوح عليه السلام، ومرة كما يأتى ه فى آخرها، وذلك عقب قصة فرعون وهو قوله "فكيف كان عذابى ونذر" مثل ذلك، وكررت "فباي الآء ربكما تكذبان" فى الرحمن إحدى وثلاثين مرة، فنظرت فى سر ذلك فظهر لى - والله الهادى - أن الذى تقدم فى سورة المفضل على هذه السورة أربع سور هذه السورة خاتمتها فأشير إلى التذكر بكل سورة منها حثا على تدبرها بآية ختمت كلماتها بكلمة ١٠ عادت حروفها [فى] السور الخمس / وادغم حرف منها فى آخر بعد قلب ١٢٠ / كل منها، فكانت هذه الكلمة التى مدلولها الذكر مشيرة إلى الحواس الخمس الظاهرة التى هى مبادئ العلم، و كان ما فى أول هذه المواضع و آخرها لخلوه عن ذكر القرآن موازيا للحرفين اللذين طرفهما للوهن بالتعبير والقلب لكن لما كان الحرفان بالإدغام كحرف واحد، كانت الجملتان الموازيتان ١٥ لهما كآية واحدة من تلك الأربع، و كان هذا الأول والآخر مشارا به إلى هذه السورة التى جمعت التذكير بالسور الأربع، وأعريت عن ذكر تيسير القرآن لافتتاح السور بمحو وما يقرب من المحو وهو آية الليل والتيسير فيها والساعة التى هى أغيب الغيب، وكل من فيها سوى الله محوصرف لسلب الأمر كله عنهم وخصت بها الأولى و الآخرة ٤٠

لجامع بينهما من غرق العصاة في الماء ونجاة المطيعين بعضهم بالسفينة
وبعضهم بنفس البحر الذي هو مسرح السفن، وكانت الموعدة المذكور
فيها القرآن في ختام قصة نوح عليه السلام مع عمومها لجميع القرآن
إشارة إلى خصوص التذكير بسورة ق لما بينهما من جامع الإحاطة بإحاطة
٥ جبل ق بالارض كلها وطوفان قوم نوح عليه السلام بعموم جميع
الارض و التي في سورة عاد إشارة إلى سورة الذاريات لأن كلام
كان بالريح، والتي في قصة ثمود إشارة إلى التذكر بالطور بجامع ما بينهما
من الرج و الرجف و الذل و الصعق، أما في قصة ثمود فظاهر، وأما في
الطور فلما كان من دكة و صعق نبي إسرائيل فيه، وقد ذكر الصعق في
١٠ آخر الطور، وما في قصة لوط إشارة إلى النجم لأن مدائنهم ارتفعت
إلى عنان السماء ثم أهويت و أتبعَت الحجارة، فلما كان الأمر هكذا،
و كانت النعم محيطة بالإنسان من جهاته الست. فضربت الحواس الخمس
في الجهات الست، فكانت ثلاثين، كأنه قيل: هل مدكر بهذا القرآن،
ولا سيما ما تقدم [على] هذه السورة منه في المفصل ما لله عليه من النعم
١٥ في نفسه و في الآفاق المشار إلى القسم الأول منها بمدكر. و إلى الثاني
بتكرير ذكر الآلاء فكل آية تكرر انتهى إلى العدد المخصوص و إلى
المجموع بالمجموع ليعلم أن نعم الله محيطة به على وجه لا يدرك على صنعته
إلا الله الذي له الإحاطة بجميع صفات الكمال التي أعظمها - من حيث
كونه أساسا يبنى عليه - الوحدانية المنزعة عن الشراكة فيخشى من معصيته
٢٠ أن يسلبه نعمه أو واحدة منها فلا يجد من يقوم بها ولا بشيء منها

غيره أو يعذبه بشيء مثل عذاب هذه الأمم أو بغير ذلك عما له من إحاطة القدرة والعلم فلا يجد من يرد عنه شيئاً منه سبحانه ، وأما الواحد الزائد فهو إشارة إلى أن المدار في / ذلك الإدراك هو العقل والحواس ١٢١ / كما أن المقصود بذلك كله واحد وهو الله تعالى ، وكل هذه الأشياء أسباب لمعرفته وأيضاً فالواحد إشارة إلى أن زيادة الآلاء من ه فضل الله تعالى لا تنقطع كما أن الواحد الذي هو أصل العدد لا يزال ، فكلمها أغتت زيادتها [ابتداء] دور ثم ابتداء دور آخر دائماً أبداً ، وللتكرير نكتة أخرى بديعة جداً ، وهي تأكيد التقرير دلالة على اشتداد الغضب المقضى لأنهى العقوبة كما أن من اشتد غضبه من إنكار شخص لشيء من قله إذا بينه غاية البيان بأمور متنوعة وهو يتمرد وبلد غاية اللدد يأخذه ١٠ فيجمع له جمعا لا يقدر على العدول عن الحق بحضرتهم ، وهو يذعن وهو في قبضته فيذكر تلك المعاني بين ذلك الجمع ، فيصير كلها ذكر له نوعاً منها بحضرتهم ، قال له : هل ظهر لك هذا ؟ فيقول ذاك المنكر : نعم ظهر لي ، فلا يريد ذلك إلا غضباً لما تقدم له من عظيم غضبه [و] لديه فيذكر له معنى آخر ثم يقول : هل ظهر لك هذا ؟ فيقول : نعم والله لا يعرج ١٥ على اعترافه ذلك ويذكر له نوعاً آخر ، ويقول مثل ذلك يريد الزيادة في تبكيته ونخجيله . وهكذا إلى أن يشتق - كل ذلك للتنبيه على لده وكفاية كل نوع منها لما أريد منه من البيان ، ولما قال في الكشف : فائدته أن يجددوا عند استماع كل نبأ من أنباء الأدلين ادكاراً وتعاظلاً وأن يستأنفوا تنبهاً واستيقاظاً إذا سمعوا الحث عليه والبحث على ذلك ٢٠

كله و أن يقرع لهم العصي مرات و يقعقع لهم السن تارات، لتلايلهم
 السهود و يستولى عليهم حكم الغفلة، و هكذا حكم التكريرات لتكون
 العبر حاضرة للقلوب مصورة اللاذهان مذكورة غير منسية في أوان -
 انتهى، و لمثل ما مضى أو قريب منه كرر التهويل بالعذاب ست مرات:
 ٥ أربع منها " فكيف كان عذابي ونذر " و اثنان منها " فذوقوا عذابي
 ونذر " فهما بمنزلة واحدة من الأربع ليرجع الست إلى الخمس الدال
 عليها " مذكر " إشارة إلى أن الحواس الخمس كما ضربت في الجهات
 الست لأجل النعم التي هي جلب المصالح ضربت فيها للتذكير بدفع
 النقم الذي هو درأ المفاسد والتحذير منها، و من فوائد تكرر الست
 ١٠ الراجعة إلى الخمس مرتين : مرة لجلب النعم و أخرى لدفع النقم أن
 الحواس مكررة ظاهرا و باطنا، فن ذل لسانه بالقرآن ظاهرا صحت حواسه
 الظاهرة و نورت له الباطنة، و من أبي عذب بسبب الباطنة تفسد الظاهرة،
 و اختيار للوعظتين عدد الست مع إرادة جماعة إلى خمس لأن الست
 عدد تام و ذلك لأن عدد كسورها إذ جمعت سادتها و لم تزد عنها و لم
 ١٥ تنقص و هي النصف و الثلث و السدس، و هذا العدد مساو لدعائم
 الإسلام الخمس و حظيرته الجهاد التي هي عماد تقوى المتقين أهل مقعد
 الصدق الذين يؤمنون بالغيب و يقومون الصلاة و بما رزقناهم ينفقون
 و الذين يؤمنون بما أنزل إلى نبيهم صلى الله عليه وسلم و ما أنزل من قبله
 المشار به إلى الصيام " كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم"
 ٢٠ و الحج " و اذ جعلنا البيت مثابة للناس و أمنا " و الجهاد " أم حسبتم إن
 تدخلوا (٢٨) ١١٢

تدخلوا الجنة" إلى قوله "كتب عليكم القتال وهو كره لكم" وذلك إشارة إلى أن هذا الدين تام لا زيادة فيه ولا نقص لأن النبي الذي أرسل ختام الأنبياء، وتام الرسل الأصفياء. ولما كان قوم عاد قد تكبروا بشدتهم وقوتهم، وكانت حال قريش قرية من ذلك لقولهم إنهم أمنع العرب وأقوام وأجمعهم للكمالات وأعلام، كرر ذلك في قصتهم مرتين ٥ زيادة في تذكير قريش وتحذيرهم ولا سيما وقد كان بدء عذابهم من بلدهم مكة المشرفة كما هو مشروح في قصتهم، وكرر الأمر بالذوق في قصة لوط عليه السلام لأنهم عذبوا بما رددع من كان له قلب بالطمس، فلما لم ينفعهم ذلك أتاها أكبر منه فكانوا كأس الدابر، فلكل مرة من العذاب من الأمر بالذوق، وخصوا بالأمر بالذوق لما في فاحشتهم ١٥ الخبيثة ما يستأذونه، وقد عم عذاب هذه الأمم جميع الجهات بما لقوم نوح ولوط عليهما السلام من جهة الغرق بالماء الماطر وحجارة السجيل ومن الحب (٩) من الماء النابع والخسف، وما في عموم عذابهم من استغراق بقية الجهات - والله الهادي .

ولما انقضت قصه نوح عليه السلام على هذا الهول العظيم، كان ٢٥ ذلك موجبا للسامع أن يظن أنه لا يقصر أحد بعدهم وإن لم يرسل رسول فكيف إذا أرسل، فتشوف إلى علم ما كان بعده هل كان كما ظن أم رجع الناس إلى طباعهم؟ وكانت قصة عاد أعظم قصة جرت بعد قوم نوح عليه السلام فيما يعرفه العرب فيصلح أن يكون واعظا لهم، وكان عذابهم بالريح التي أهلكتهم ونسفت جبالهم التي كانت في محالهم ٢٥

/ ١٣٣

من الرمال المتراكمة ، فنقلها إلى أمكنة أخرى أقرب دليل إلى أنه تعالى
يسير الجبال يوم الدين ، هذا إلى ما في صفها الخارج عن العوائد من
تصوير / النفخ في الصور تارة للقيامة و تارة للحياه ، فأجيب بقوله :
(كذبت عاد) أى أوقعت التكذيب العام المطلق الذى أوجب
٥ تكذيبهم برسولى هود عليه السلام فى دعوته لهم إلى وإنذاره لهم عذاب .
ولما كان عادة الملوك أو بعضهم أنه إذا أملك قوما كثيرين من
جنده نجاء ناس مثلهم بمثل ذنوبهم أن يرفع بهم ، ويستأنهم لتلايهمك
جنده ، فيختل ملكه ، عقب الإخبار بتكذيبهم الإعلام بتعديهم لأنه
لايالى بشيء لأن كل شيء فى قبضته ، ولما كان تكذيبهم إلا بارادته
١٠ كما أن عذابه بمشيئته ، قال مسيبا عن ذلك : (فكيف) أى فعلى الاحوال
لاجل تكذيبهم (كان عذابى لهم ونذرهم) أى وإنذارى إياهم بلسان
رسولى ، وكرر فى آخر قصتهم هذا الاستخبار ، فكان فى قصتهم مرتين
كما تقدم من سره - والله أعلم .

١٥ ولما ذكر تكذيبهم وأعقبه تعذيبهم ، علم السامع أنه شديد العظمة
فاستمطر أن يعرفه فاستأنف قوله ، مؤكدا تنبيها على أن قريشا أفعالهم
فى التكذيب كأفعالهم كأنهم يكذبون بعذابهم : (أنا أرسلنا) بعظمتنا ،
وعبر بحرف الاستعلاء لإعلاما بالنقمة فقال : (عليهم ريحا) ولما
كانت الريح ربما كانت عيانا ، وصفها بما دل على حالها فقال : (صرصرا)
أى شديد البرد والصوت . ولما كان مقصود السورة قريب قيام الساعة

و وصف سيرهم إلى الداعي بالإسراع ، ناسب أن يعبر عن عذابهم بأقل ما يمكن ، فعبر باليوم الذي يراد به الجنس الشامل للقليل والكثير وقد يعبر به عن مقدار من الزمان يتم فيه أمر ظاهر سواء لحظة أو أياما أو شهورا أو كثيرا من ذلك أو أقل كيوم البعث و يوم بدر و يوم الموت بقوله تعالى - ” إلى ربك يومئذ المساق “ - : (في يوم) و أكد هـ شؤمها بدم زمانها فقال : (نحس) أى شديد القباحة ، قيل : كان يوم الأربعاء آخر الشهر وهو شوال ثمان بقيت إلى غروب الأربعاء ، وحقق لأن المراد باليوم الجنس لا الواحد بالوصف فقال : (مستمر) أى قوى فى محوسته نافذ ماض فيما أمر به من ذلك شديدة أسبابه ، موجود مرارته وجودا مطلوبا من مرسله فى كل وقت ، مستحكم المראה قويا ١٠ دائمها إلى وقت إنقاذ المراد .

و لما علم وصفها فى ذاتها ، أتبعه وصفها [بما] يفعل فيه فقال : (نزع) أى تأخذ من الأرض بعضهم من وجهها و بعضهم من حفر حفرها ليمتصوا بها من العذاب ، و أظهر موضع الإضممار ! - يكون نصا فى الذكور / والإناث فعبر بما هو من النوس تفضيلا لهم فقال : (الناس) الذين هم ١٥ / ١٢٤ صور لا ثبات لهم بأرواح التقوى ، فتطيرهم بين السماء و الأرض كأنهم الهباء المنثور ، فقطع رؤسهم من جشهم و تغبر ألوانهم تعنينا لهم إلى السواد ، ولذا قال : (كأنهم) أى حين ينزعون فيلقون لا أرواح فيهم كأنهم (اعجاز) أى أصول (إنخل !) قطعت رؤسها . و لما كان الحكم هنا على ظاهر حالهم . و كان الظاهر دون الباطن ، حمل على اللفظ قوله : (منقره) ٢٠

أى منقصف أى منصرع من أسفل قعره وأصل مفرسه، و التشبيه يشير إلى أنهم طوال قد قطعت رؤوسهم، و فى الحاقه وقع التشبيه فى الباطن الذى فيه الاعضاء الرئيسة، و المعانى اللطيفة، فأنث الوصف حملا على معنى النخل لا للطنها - والله أعلم .

٥ ولما طابق ما أخبر به من عذابهم ما هوله به أولا، أكد ذلك لما تقدم من سره فقال مسيا عنه مشيرا إلى أنه لشدة هوله مما يجب السؤال عنه : (فكيف كان) أيها السائل، ولقت القول إلى الإقرار تنبيها للعبيد على المحافظة على مقام التوحيد : (عذابى) لمن كذب رسلى (ونذره) أى وإنذارى أو رسلى فى إنذارهم هل صدق .

١٠ ولما آثم سبحانه تحذيره من مثل حالهم بأمر ناظر آثم نظر إلى تدبير ما فى سورة الذاريات، أتبع ذلك التنبيه على أنه ينبغى للسامع أن يتوقع الحث على ذلك، فقال مؤكدا لما لاكثر السامعين من التكذيب بالقول أو بالحال معلما أنه سهل طريق الفرار من مثل هذه الفتن الكبار إليه، و سوى من الاعتماد عليه، عائدا إلى مظهر العظمة إيذانا بأن تيسير

١٥ القرآن لما ذكر من إعجازه لا يكون إلا لعظمة نفوت قوى البشر، و تعجز عنها القدر (و لقد يسرنا) على ما لنا من العظمة فى الذات و الصفات (القران) الجامع الفارق كله و ما أشارت إليه هذه القصة من مفصله (للذكر) للحفظ و الشرف و الفهم و التدبير و الوعظ و الاتعاظ ما صرفنا فيه من أنواع الوعظ مع التنبيه للحفظ بالإيجاز و عذوبة اللفظ ٢٠ و قرب الفهم و جلالة المعانى و جزالة السبك و تنويع الفنون و تكثير

الشعب وإحكام الربط ﴿فهل من مذكر﴾ أى تسبب عن هذا الأمر العظيم الذى فلتناه أنه موضع السؤال عن أحوال السامعين: هل فيهم من يقبل على حفظه ثم تدبره وفهمه ويتعظ بما حل بالأمم السالفة، ويتذكر جميع ما صرف من الأقوال وينزلها على نفسه وما لها من الأحوال، ويجعل ذلك لوجهنا فيلقيه بتشريفه به أمر دنياه وأخراه . ٥

ولما كان هذا موضع الإقبال على تدبر مواعظ القرآن، وكان ثمود أعظم وعظ كان بعد عاد لما فى صيحتهم / الخارجة عن العهود من ١٢٥ / تصوير الساعة بنفختها المميتة ثم الحية، وقال مؤثنا فعلهم إشارة إلى سفول همهم وسفول فعلهم معلما أن من كذب هلك - على طريق الجواب لمن لعله يقول استبعادا للتكذيب بعد ما جرى فى القصتين الماضيتين من ١٠ التعذيب: ﴿كذبت ثمود﴾ أى قوم صالح ﴿بالنذرة﴾ الإنذارات والمنذرين كلهم لأنهم شرع واحد، ثم علل ذلك وعقبه بقوله معلما بالضمير أن المباشر لهذا الكفر رجالتهم لثلا يظن أنهم نساء فقط: ﴿فقالوا﴾ منكرين لما جاءهم من الله غاية الإنكار: ﴿ابشرا﴾ إنكارا لرسالة هذا النوع ليكون إنكار النبوة [إنكارا] لنبوة نبيهم على أبلغ الوجوه، وأعظم الإنكار بقولهم مقدمين ١٥ عدم الانفراد عنهم لخصوصيته: ﴿منا﴾ أى فلا فضل له علينا فواجه اختصاصه بذلك من بيننا، وزادوا ذلك [تأكيدا] فقالوا: ﴿واحدا﴾ أى ليس معه من يؤيده، ثم فسر الناصب لقوله "بشرا" بقوله: ﴿تبعه﴾ أى نجاهد أنفسنا فى خلع مألوفنا وخلاف آباتنا والإقرار على أنفسنا بسخافة العقل والعراقة فى الجهل ونحن [أشد] الناس كثرة ٢٠

وفوه وفهما ودراية. ثم استنجوا عن هذا الإنكار الشديد قولهم
 مؤكدين الاستشعار بأن كلامهم أهل لآل يكذب. (إنا إذا) أى
 إن اتبعناه (لى ضلل) أى ذهب عن الصواب محيط بنا (وسعره)
 أى تكون عاقبتنا فى ذلك الضلال الكون فى أوائل أمر لاسرى عاقبه ،
 ٥ فانه لم يجرب ولم يجتبر . ولم يمس أحد قبلنا سلفا لنا فيجرنا ذلك إلى
 جنون وجوع وفار كما يكون من يأتوه فى القفار فى أنواع من الحر بتوقد
 حر الجبال وحر الضلال وحر الهوم والرجال . وذلك من النار التى
 توعدا بها ، وهو معنى تفسير ابن عباس رضى الله عنهما له بالعذاب ،
 وجعل سفيان ابن عيينه له جمع سعيير ، والمعنى إنا [نكون] إذا اتبعناك
 ١٥ كما تقول جامعين بين الضلال والعذاب بسائر أنواعه .

ولما كان فيما قالوه أعظم تكذيب مدلول على صحته فى زعمهم بما
 اومأوا إليه من لونه ادبوا مثلهم . هو مع ذلك واحد من أحادهم
 فليس هو « مشهم » هو مفرد فلم يتأيد فكره بفكر غيره حتى يكون
 موضع الوثوق به ، دلوا عليه بأمر آخر ساقوه أيضا مساق الإنكار .
 ١٥ و اومأوا ، الإلقاء إلى أنه فى إسرعه كانه سقط من علو وقالوا : (أى الذى)
 أى أزل فته فى سرعه لأنه لم يكن عندهم فى مضمار هذا الشأن ولم يأتروا
 فيه قبل إتيانه به شئ منه بل أنهم به فته فى غاية الإسراع . ولما
 كان الإلقاء يكون للأجسام غالبا ، فكان لدفع هذا الوهم تقديم
 اللائب عن الفاعل إلى خلاف ما تقدم فى ص فقالوا : (الذكر)

(١) راحة البحر المحيط ١٨٠

أى الوحي الذى يكون به الشرف الاعظم ، و عبروا بعلی إشارة إلى أن مثل هذا الذى تقوله لا يقال إلا عن قضاء غالب و أمر قاهر فقال : ﴿ عليه ﴾ و دلوا على وجه التعجب والإنكار بالاختصاص بقولهم : ﴿ من بيننا ﴾ أى و بيننا من هو أولى بذلك سنا و شرفا و نبلا .

و لما كان هذا الاستفهام / لكونه إنكاريا بمعنى النفي ، أضربوا عنه هـ / ١٢٦ بقولهم على وجه النتيجة عطفًا على ما أفهمه الاستفهام من نحو : ليس الأمر كما زعم : ﴿ بل هو ﴾ لما أبديناه من الشبه ﴿ كذاب ﴾ أى بليغ في الكذب ﴿ اشرء ﴾ أى مرع غلبت عليه البطالة حتى أعجبت نفسه بمرح و تجبر و بطر ، و نشط في ذلك حتى صار كالمنشار الذى هو متفرغ للقطع مهياً له خشن الأمر سىء الخلق و الأثر فهو يريد الترفع .

١٠

و لما كان هذا غاية الذم لمن يستحق منهم غاية المدح ، أجاب تعالى عنه موعظة لعباده لئلا يتقولوا ما يعلمون بطلانه أو يقولوا ما لا يعلمون صحته بقوله : ﴿ سيعلمون ﴾ بوعده لا خلف فيه . و لما كان المراد التقريب لأنه أقعد في التهديد ، قال : ﴿ غدا ﴾ أى في الزمن الآتى القريب لأن كل ما حقق إتيانه قريب عند نزول العذاب في الدنيا و يوم ١٥ القيامة ، و قراءة ابن عامر و حمزة و رويس عن يعقوب بالخطاب ' التفات يعلم بغاية الغضب ﴿ من الكذاب الاشرء ﴾ أى الكذب و الاشرء هو احتقار الناس و الاستكبار على ما أبدوه من الحق محتص به و مقصود عليه لا يتعداه إلى مرميه و ذلك بأنهم جعلوا الكذب ديدنه و لم يتقدم حتى

(١) راجع نثر المرجان ٧ / ١٢٥ .

يدعى شيء منه لصالح عليه الصلاة والسلام ، فكان الكلام معينا لهم في الكذب قاصرا عليهم بسياقه على هذا الوجه المبهم المنصف الذى فيه من روعة القلب وهز النفس ما لا يعلمه حق عليه إلا الله تعالى ، وكلما كان الإنسان أسلم طبعيا وأكثر علما كان له أعظم ذوقا .

- ٥ ولما علم من هذا أنه سبحانه فصل الامر بينهم ، تشوف السامع إلى علم ذلك فقال تعالى مستأنفا دالا بأنهم طالبوه بآية دالة على صدقه : ﴿ انا ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ مرسلوا الناقة ﴾ أى موجدوها ومخرجوها كما اقترحوا من حجر أملائه لذلك وخصصناه من بين الحجارة دلالة على إرسالنا صالحا عليه السلام مخصصين له من بين قومه ، وذلك أنهم ١٠ قالوا لصالح عليه السلام : زيد أن نعرف الحق منا بأن ندعو آلهتنا و ندعو إلهك فن أجابه إلهه علم أنه الحق ، فدعوا آلهتهم فلم تجبهم ، فقالوا : ادع أنت ، فقال : فما تريدون ؟ قالوا : تخرج لنا من هذه الصخرة ناقة تبر (؟) عشراء ، فأجابهم إلى ذلك بشرط الإيمان ، فوعده بذلك وأكذبوا فكذبوا بعد ما كذبوا فى أن آلهتهم تجيبهم ، وصدق هو صلى الله عليه وسلم فى كل ما قال ، فأخبره ربه سبحانه أنه يجيبهم إلى إخراجها ١٥ ﴿ فتة لهم ﴾ أى امتحانا يخاطبهم به فيمبلهم عن حالتهم التى وعدوا بها ويجيبهم عنها ، وسبب سبحانه عن ذلك أمره بانتظارهم فيما يصنعون بعد إخراجهم لما توصلهم إليه عواقب الفتنة فقال : ﴿ فارتقبهم ﴾ أى كلف نفسك انتظارهم فيما يكون لهم جزاء على أعمالهم انتظار ن يحرسهم وهو ٢٠ عالم عليهم فانهم واصلون بأعمالهم إلى الداهية التى تسمى بأمر العرقوب ليكونوا (٣٠) ١٢٠

ليكونوا كمن جعل في رقبته ، ودل بصيغة الافعال على أنه يكون / له منه
 ١٣٧ / أذى بالغ قبل انفصال النزاع فقال : ﴿ واصطبره ﴾ أى عالج نفسك
 واجتهد فى الصبر عليهم ﴿ ونبثهم ﴾ أى أخبرهم إخبارا عظيما بأمر
 عظيم ، وهو أن الماء الذى يشربونه وهو ماء بئرهم ﴿ ان الماء قسمة بينهم ﴾
 أى بين ثمود وبين الناقة ، غلب عليها ضمير من يعقل ، يعنى إذا بعثناها
 كان لهم يوم لا تشاركهم فيه فى الماء ، ولها يوم لا تدع فى البئر قطرة يأخذها
 أحد منهم ، وتوسع الكل بدل الماء لبناء . ولما أخبر بتوزيع الماء ، أعلم أنه
 على وجه غريب بقوله استنفا : ﴿ كل شرب ﴾ أى من ذلك وحظ
 منه ومورد البرو وقت يشرب فيه ﴿ محتضره ﴾ أى أهل لما فيه من الأمر
 العجيب أن يحضره الحاضرون حضورا عظيما ، وتكلف أنفسهم لذلك ١٠
 لأنه صار فى كثرته وحسنه كما الحاضرة للبادية وتأهل لأن تعارضه
 حاضروه من حسنه ويرجعوا إليه وأن يجتمع عليه الكثير ويعودوا
 أنفسهم عليه .

ولما كان التقدير : فكان الأمر كما ذكرنا ، واستمر الأمد الذى
 ضربنا فافتتوا [كما] أخبرنا ﴿ فنادوا ﴾ بسبب الفتنة ﴿ صاحبهم ﴾ قدار بن ١٥
 سالف الذى اتدبره بطرا وأشرا لقتل الناقة ، كذبنا فيها بوعدهم الإيمان
 وإكرامها بالإحسان وهو أشقى الأثنين ﴿ فتعاطى ﴾ أى أوقع بسبب
 ندائهم التعاطى الذى لاتعاطى مثله ، فتناول ما لا يحق له أن يتناوله بسبب
 الناقة وهو سيفه يده قائما فى الأمر الناشئ عن هذا الأخذ على كل
 حال . ورفع رأسه بغاية الهمة ومد يديه مدا عظيما ، ورفعها وقام على ٢٠

أصابع رجله حين عا طوه ذلك أى سألوه فيه فطاوعهم و تامل النافه
بذلك السيف غير مكترث ولا مبال ﴿ فعفره ﴾ أى فتسبب عن هذا
الجد العظيم أن صدق فيما أثبت لهم الكذب فى الوعد بالإحسان إليها
والأشر، وهو إيقاع العقر الذى ما كان فى ذلك الزمان عقر مثله
هـ وهو عقر النافه التى هى آية الله وإهلاكها .

ولما وقع كذبهم على هذا الوجه العظيم المبني على غاية الأشر،
حقق الله تعالى صدقه فى توعدهم على تقدير وقوع ذلك، فأوقع عذابهم
سبحانه على وجه هو من عظمه أهل لأن يتساءل عنه، فبه سبحانه على
عظمه بإيراده فى أسلوب الاستفهام مسيا عن فعل الأشتى فقال:
١٠ ﴿ فكيف كان ﴾ و حافظ على مقام التوحيد كما مضى فقال: ﴿ عذابي ﴾

أى كان على حال و وجه هو أهل لأن يجتهد فى الإقبال على تعرفه
و السؤال عنه ﴿ و نذره ﴾ أى إنذارى . ولما علم تفرغ ذهن السائل
الواعى، استأنف قوله مؤكدا إشارة إلى أن عذابهم مما يستلذ وينجح به،
و إرغاما لمن يستبعد النصيحة الواحدة بفعل مثل ذلك، و إعلاما بأن القدرة

١٢٨ / ١٥ على عذاب من كذب من غيرهم / كهى على عذابهم فلا معنى للتكذيب :

﴿ أنا ﴾ بما لنا من العظمة ﴿ أرسلنا ﴾ لإرسالا عظيما، و دل على كونه

عذابا بقوله : ﴿ عليهم صيحة ﴾ و حقر شأنهم بالنسبة إلى عظمة عذابهم

بقوله تعالى : ﴿ واحدة ﴾ صاحبها عليهم جبريل عليه السلام فلم يكن

بصيحته هذه التى هى واحدة طاقة، و تلاشى عندها صياحهم حين نادوا

٢٠ صاحبهم لعقر النافه . و لما تسبب عنها هلاكهم قال : ﴿ فكانوا ﴾ كونا

عظيماً ﴿ كهشيم المحتظرة ﴾ أى محطمين كالشجر اليابس الذى جمده
الراعى ومن فى معناه ممن يجعل شيئاً يأوى إليه و يحتفظ به ويحفظ به
ماشيته فى وقت ما لا يقاله (٩) و هو حظيره أى شئ مستدير مانع فى ذلك
الوقت لمن يدخل إليه فهو يتهشم و يتحطم كثير منه و هو يعمل قندوسه
الغنم ثم تتحطم أولاً فأولاً ، وكل ما سقط منه شئ فداسته الغنم كان ه
هشياً ، و كأنه الحشيش اليابس الذى يجمعه صاحب الحظيرة لماشيته .
و لما كان التقدير : فلقد أبلغنا فى الموعظة لكل من يسمع هذه
القصة ، عطف عليه قوله مؤكداً لاجل من يعرض عن هذا القرآن و يعطل
إعراضه عنه بصعوبته : ﴿ ولقد يسرنا ﴾ أى على ما لنا من القدرة
و العظمة ﴿ القرآن ﴾ أى الكتاب الجامع لكل خير ، الفارق بين كل ١٠
ملبس ﴿ للذكر ﴾ أى الحفظ و التذكير و التذكر و حصول النباهة به
و الشرف إلى الدارين . و لما كان هذا غاية فى وجوب الإقبال عليه
لجميع المتولين ، قال : ﴿ فهل من مدكره ﴾ أى ناظر فيه بسبب قولنا هذا
بعين الإنصاف و التجرد عن الهوى ليرى كل ما أخبرنا به فتعينه عليه .
و لما كان النذير : كأنه قال المنذرين (٩) لم يتعظوا به فزاد فى وعظهم ، و كانت ١٥
قصة لوط عليه السلام مع قومه أعظم ما كان بعد ثمود مما تعرفه العرب
بالأخبار و رؤية الآثار ، و مع ما فى قصتهم من تصوير الساعة من
تبديل الأرض غير الأرض ، استأنف قوله : ﴿ كذبت قوم لوط ﴾
أى و هم فى قوة عظيمة على ما يحاولونه و إن كانوا فى تكذيبهم هذا
فى ضعف و قوع النساء عن التجرد بما دل عليه تأنيث الفعل بالناء و كذا ٢٠

ما قبلها من القصص ﴿ بالذره ﴾ أى الإنذار والإنذارات والمنذرين ،
 ودل على تنهى القباحة فى مرتكبهم بتقديم الإخبار عن عذابهم فقال :
 ﴿ أنا ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ ارسلنا ﴾ ودل على أنه إرسال إهانة
 بقوله : ﴿ عليهم ﴾ ودل على هوانهم وبلوغ أمره كل ما يراد به بقوله :
 ٥ ﴿ حاصبا ﴾ أى ريحا ترمى بحجارة هى دون ملء الكف فكانت مهلكة
 لهم محرقة خاسفة مفرقة ﴿ الآل لوط ﴾ وهم من آمن به وكان بحيث
 إذا رأته فكانك رأيت لوطا عليه السلام لما يلوح عليه من أفعاله
 والمشى على منواله فى أقواله وأحواله وأفعاله .

ولما كان استنأؤهم مفها إنجازهم مع التجويز لإرسال شيء عليهم
 ١٠ غير مقيد بما ذكر ، قال مستأنفا جوابا لمن كأنه قال : ما حالهم : ﴿ نجينهم ﴾
 أى نجية عظيمة بالتدرج ، وذكر أول الشروع لإنجائهم فقال : ﴿ بسحرا ﴾
 أى بآخر ليلة من الليالى وهى التى عذب فيها قومه ، فكان تنكيده لآما لانعرف
 تلك الليلة بعينها ، ولو قصدت سحر الليلة التى صبحت منها كان معرفة
 لا ينصرف ، و السحر : السدس الأخير من الليل : الوقت الذى يكون فيه
 ١٥ الإنسان لاسيما النساء والأطفال فى غاية الغفلة بالاستغراق فى النوم ،
 ويفتح الله فيها ابواب السماء بأذن الدعاء ليحصل منه الإجابة لأن الملوك
 إذا فتحوا أبوابهم كان ذلك إذنا للساس فى الدخول لقضاء الحوائج ،
 فالنزول وفتح الأبواب كناية عن ذلك - والله سبحانه وتعالى متعال عن
 حاجة إلى نزول أو فتح باب أو غير ذلك .

٢٠ ولما كان المراد من الموعظين الطاعة التى هى سبب النجاة ، فلذا

قال ذاكرا للإنعام معبرا عنه بغاية المقصود منه معرفا أن انتقامه عدل
ومعافاته فضل، لأن أحدا لا يقدر أن يكافئ نعمه ولا نعمة نها، معللا
للنجاة: ﴿نعمه من عندنا﴾ أى عظمة غريبة جدا لشكرهم، ولما كان كأنه
قيل: هل هذا محتص بهم... الإنجاة من بين الظالمين وهو محتص بهم،
أجاب بقوله: ﴿كذلك﴾ أى مثل هذا الإنجاة العظيم الذى جعلنا
جزاء لهم ﴿نجزي﴾ بقدرتنا وعظمتنا ﴿من شكره﴾ أى أرقع الشكر
بجميع انواعه فآمن وأطاع ليس بالامر بالمعروف والنهى عن
المنكر كائنا من كان من سوقة أو سلطان جائر شجاع أو جبان، فانتا
عليه بالإنجاة بعد هلاك عدوه، قال القشيري: والشكر على نعم الدفع
أم من الشكر على نعم النفع، ولا يعرف ذلك إلا كل موفق كيس، ١٠
فالآية من الاحتباك: ذكر الإنعام أولا - لأنه السبب الحقيقى - دليلا على
حذفه ثانيا، والشكر ثانيا - لأنه السبب الظاهر - دليلا على حذفه أولا .
ولما كان التقدير دفعا لعناد استشراف السامع إلى ما كان
من حاله صلى الله عليه وسلم معهم قبل العذاب: لقد بالغ فى شكرنا بوعظهم
ونصحهم ودعاتهم إلينا صرفا لما أنعمنا به عليه من الرسالة فى آم مواضعه، ١٥
عطف عليه إيماء إليه قوله، مؤكدا لأن تملأى المحذور من العذاب على
الإقامة فى موجهه يكاد أن لا يصدق: ﴿واقعد انذرهم﴾ أى رسولنا
لوط عليه السلام ﴿بطشتنا﴾ أى أخذتنا لهم المقرونة بشدة ما لنا من
العظمة، ووحيد إشارة إلى أنه لا يستهان بشيء من عذابه سبحانه بل
الاخذة الواحدة كافية لما لنا من العظمة فهى غير محتاجة إلى التثنية، ٢٠

ودل على أن إنذاره كان جدرا بالقبول لكونه واضح الحقيقة بما سبب عن ذلك من قوله: ﴿ قماروا ﴾ أى تكلفوا الشك الواهى ﴿ بالنذر ﴾ أى الإنذار مصدرا والإنذارات أو المنذرين حتى أدام إلى التكذيب . فكان سببا للأخذ .

١٣٠ / ٥ و لما كان ترك الاحتياط فى / إعمال الحيلة فى وجه الخلاص من إنذار النذير عظيم العرافة فى السفة . دل على أنهم تجاوزوا ذلك إلى انتهاك حرمة النذير ، فقال مقسما لأن مثل ذلك لا يكاد يقع فلا يصدق من حكاة : ﴿ ولقد راودوه ﴾ أى زادوا فى التكذيب الموجب للتعذيب أن عاجلوا معالجة طويلة تحتاج إلى قتل و دوران ﴿ عن ضيفه ﴾ ليسلمهم إليهم و هم ١٠ ملائكة فى هيئة شباب مرد ، و أفردوا و إن كان المراد الجنس استعظاما لذلك لو كان الضيف واحدا ﴿ فطمسنا ﴾ أى قتسبب عن مرادتهم أن طمسنا بعظمتنا ﴿ اعينهم ﴾ فسويناها مع سائر الوجوه فصارت بحيث لا يرى لها شق ، قال الغوى : هذا قول أكثر المفسرين ، و ذلك بصفقة صفقها لهم جبريل عليه الصلاة و السلام ، و قال القشيري : مسح بجناحه على وجوههم فعموا و لم يهتدوا للخروج ، و قال ابن جرير : و العرب تقول : طمست الريح الأعلام - إذا دفتها بما يسبق عليها من التراب . فانطلقوا هرابا مسرعين إلى الباب لا يهتدون إليه . لا يقعون عليه بل يصادمون الجدران خوفا مما هو أعظم من ذلك و هم يقولون : عند لوط أسحر الناس ، و ما أدتهم عقولهم أن يؤمنوا فينجوا أنفسهم مما حل بهم ، قال القشيري :

(١) راجع المعالم بهامش الباب ٦ / ٢٣٠ (٢) راجع تفسير هذه الآية فى جامعه .

وكذلك

و كذلك أجرى الله سبحانه سنته في أوليائه بأن يطمس على قلوب أعدائهم حتى يلتبس عليهم كيف يؤذون أوليائه ويخلصهم من كيدهم .
 ولما كان أول عذابهم قال : ﴿ فذوقوا ﴾ أى قسب عن ذلك أن قال قائل عن الله بلسان القال أو الحال : أيها المكذبون ذوقوا بسبب تكذيبكم لرسلى في إنذارهم ﴿ عذابى و نذره ﴾ أى وعاقبة انذارى على هـ السنة رسلى .

ولما كان بقاؤهم بعد هذا على حال كفرهم عجا إذ العادة قاضية بأن من أخذ ارعوى ولو كان أجبر الخلق ، و سأل العفو عنه صدقا أو كذبا خداعا و مكرأ ليخلص مما هو فيه ... بثباتهم على تكذيبهم حتى عذبوا على قرب العهد فقال مقسما : ﴿ ولقد صبحهم ﴾ أى أتاهم في وقت ١٠ الصباح ، و حقق المعنى [بقوله] : ﴿ بكرة ﴾ أى في أول النهار العذاب ، ولو كان أول نهارك الذى أنت به كان معرفة فامتنع ... ﴿ عذاب ﴾ أى قلع بلادهم ورفعها ثم قلبها ، و حصبها بحجارة من نار و خسفها و غمرها بأماء المنتين الذى لا يعيش به حيوان ﴿ مستقرئ ﴾ أى ثابت عليهم غير مزائل بخيال ولا سحر كما قالوا عند الطمس فانه أهلكتهم فاتصل بعذاب البرزخ المتصل ١٥ بعذاب القيامة المتصل بالعذاب الأكبر فى الطبقة التى تناسب أعمالهم من عذاب النار فقال لهم لسان الحال إن لم ينطق لسان القال : ﴿ فذوقوا ﴾ بسبب أعمالكم ﴿ عذابى و نذره هـ ﴾ .

و لما كرر هذا التكرير ، علم منه أن سبب العذاب / التكذيب بالإنذار لآى رسول كان ، وكان استئناف كل قصة منها على أنها أهل ٢٠ / ١٣١

على حدتها لأن يتعظ [بها] ، علم أن التقدير : فلقد بلغت هذه المواعظ
النهاية لمن كان له قلب ، فمطف عليه قوله مذكرا بالنعمة التي لا عدل لها :
(ولقد يسرنا) أى تعالى جدنا و تنهى مجدنا (القرآن) الجامع
الفارق (للذكر) و لو شئنا لأعطيناه بما لنا من العظمة إلى الحد حتى تعجز
ه القوى عن فهمه ، كما أعطيناه إلى رتبة وقفت القوى عن معارضته في نظمه ،
أو مطلع لا يتشبث بأذيال أدنى علمه ، إلا الأفراد من حذاق العباد ، فكيف
بما فوق ذلك .

ولما كانوا مع ذلك واقفين عن المبادرة إليه والإقبال عليه ، قال
تلطفاً بهم و تعظفاً عليهم مسيياً عن ذلك : (فهل) و أكد فقال :
١٠ (من مدرك) مفتك لنفسه من مثل هذا الذى أوقع فيه هؤلاء أنفسهم
ظنا منهم أن الأمر لا يصل إلى ما وصل إليه جهلا منهم و عدم أكثرات
بالعواقب .

ولما كان الآخر ينبغي له أن يحذر ما وقع للأول ، وكان قوم
فرعون قد [جاء] بعد قوم لوط عاياه السلام ، فكان ربما ظن أنهم لم يندروا
١٥ لأن من علم أن العادة جرت أن من كذب الرسل هلك أنكر أن
يحصل بمن تبع ذلك تمكذيب ، قال مقسماً : (ولقد جاء آل فرعون)
أى ملك انقبط بمصر و أشرافه الذين [إذا] رؤا كان كأنه رعى فيهم
لشدة قريبهم منه و تخلفهم بأخلاقهم (التذرع) أى الإنذارات
و المندرون بنذارة موسى و هارون عليهما السلام ، فان نذارة بعض الأنبياء
٢٠ كنذارة الكل لأنه لم يأت أحد منهم إلا و له من الآيات ما مثله آمن
عليه (٣٣) ١٢٨

عليه البشر ، والمعجزات كلها متساوية في خرق العادة ، و كان قد أنذرهم يوسف عليه السلام . و لما كان كأنه قيل : فما فعلوا عند مجيء ذلك إليهم ، قال : ﴿ كذبوا ﴾ أى تكذبا عظيما متسهينين ﴿ بآيتنا ﴾ التى أتاهم بها موسى عليه السلام و غيرها لأجل تكذيبهم بها على ما لها من العظمة المعروفة قطعاً [عن] أنها من عندنا .

و لما كانت خوارق العادات كما مضى متساوية الأقدام في الدلالة على صدق الآتى بها ، و كانوا قد صمموا على أنه مهما أتاهم بآية كذبوا بها ، كانوا كأنهم قد اتهم كل آية فلذلك قال : ﴿ كلها ﴾ و سبب عن ذلك قوله : ﴿ فاخذنهم ﴾ أى بما لنا من العظمة بنحو ما أخذنا به قوم نوح من الإغراق ﴿ اخذ عزيز ﴾ أى لا يغلبه شيء و هو يغلب كل شيء . ١٠ ﴿ مقتدره ﴾ أى لا يعجل بالأخذ لأنه [لا] يخاف الفتور و لا يخشى معقبا لحكمه ، بالغ القدرة إلى حد لا يدرك الوصف كنهه لأن صيغة الاقتران مبناها على المعالجة و من عاجل فعلا اجعل نفسه فيه ، فكان على أتم الوجوه ، و هذه الغاية هى المرادة ليس غيرها ، فهو تمثيل لأنه سبحانه يخاطبنا بما نعبده ، و بهذه المبالغة فلم يلفت منهم أحد ، و قد ختمت القصص / بمثل ١٥ / ١٣٢ ما افتتحت به من عذاب المفسدين بالإغراق لطابق الختم البدأ ، و كانت نجاة المصلحين من الأولين بالسفينة ، و كانت نجاة المصلحين من الآخرين بأرض البحر كانت هى سفينتهم ، ليكون الختم اعظم من البدأ كما هو شأن أهل الاقتدار .

و لما باغت هذه المواعظ الانتهاء ، و علت أقدامها على رتبة السها ، ٢٠

ولم يُبين ذلك كفار قريش عن شرادهم، ولا فتر من جحودهم وعنادهم،
 كان لسان حالهم قائلاً : إنا لانخاف شيئاً من هذا، فكان الحال مقتضياً
 لأن يقال لهم إلزاماً بالحجة : ﴿اكفاركم﴾ الراسخون منكم في الكفر الثابتون
 عليه يا أيها المكذبون لهذا النبي الكريم الساترون لشموس دينه ﴿خير﴾
 ٥ في الدنيا بالقوة و الكثرة أو الدين عند الله أو عند الناس ﴿من أولائكم﴾
 أى الكفار العظماء الجبابرة الأشداء الذين وعظناكم بهم في هذه السورة
 ليكون ذلك سبباً لا فتراق حالهم منهم فيأمنوا العذاب مع جامع
 التكذيب وإن لم يكن لهم براءة من الله ﴿أم لكم﴾ اجمعين دينهم
 كفاركم وغير كفاركم ﴿برآءة﴾ من العذاب من الله ﴿في الزبرج﴾ أى الكتب
 ١٠ الآتية من عنده أأنتم بها من العذاب مع أنهم خير منكم، فالآية من
 الاحتباك : أثبت الخيرية أو لا دليلاً على حذفها ثانياً، والبراءة ثانياً دليلاً
 على حذفها أولاً .

ولما بلغوا إلى هذا الحد من التهادى في الكفر مع المواعظ البالغة
 والاستعطاف المبكين، استحقوا أعظم الغضب، فأعرض عنهم الخطاب
 ١٥ إيذاناً بذلك وإهانة لهم واحتقاراً وإقبالا على النبي صلى الله عليه وسلم
 تسلياً له فقال عاطفاً على ما تقديره : أيدعون جهلاً ومكابرة شيئاً من
 هذين الأمرين : ﴿أم يقولون﴾ أى هؤلاء الذين أنت بين أظهرهم
 تعاملهم باللين في القول والقليل والصفح الجميل امثالاً لأميرنا تعظيماً
 لقدرك فاستهانوا بك : ﴿نحن جميع﴾ أى جمع واحد مبالغ في اجتماعه
 ٢٠ فهو في الغاية من الضم فلا افتراق له ﴿منتصره﴾ أى على كل من

يناويه لأنهم على قلب رجل واحد ، فالأفراد للفظ «جميع» ، وإفهام هذا المعنى ، أو أن كل واحد محكوم له بالانتصار .

ولما كان لسان الحال ناطقا بأنهم يقولون : هذا كله فأى الفريقين خير

مقاما وأحسن نديا وحوها . وقال بعضهم : لئن بعثنا لأوتينا مالا وولدا ،

ولاشك أنهم كانوا فى غاية الاستحالة لغلبة المؤمنين لهم على قلتهم ؛ ضعفهم ، هـ

أستأنف الجواب بقوله : ﴿ سيهزم ﴾ بأيسر أمر من أى هازم كان بوعد

لاخلف فيه ، وقراءة الجمهور ' بالبناء للفعول مفهومة للعظمة بطريقة كلام

القادرين ، فهى أبلغ من قراءة يعقوب بالنون والبناء للفاعل الدالة على العظمة

صريحا ﴿ الجمع ﴾ الذى تقدم أنه بولغ فى جمعه فصدق الله وعده وهزموا

فى يوم بدر وغيره فى الدنيا عن / قريب ، ولم يزالوا يضعفون حتى ١٠ / ١٣٣

اضمحل أمرهم وزال بالكلية سرهم ، وهى من دلائل النبوة البينة

﴿ ويولون الدبر ﴾ أى يقع توليتهم كلهم بهذا الجنس بأن يكون واليا لها

من منهم مع الهزيمة لأنه لم يتولهم فى حال الهزيمة نوع مسكنة يطعمون

بها فى الخيار ، وكل من أفراد الدبر والمتنصر وجمع المولين أبلغ مما

لو وضع غيره موضعه وأقطع للتغنت . ١٥

ولما وقع هذا فى الدنيا ، وكان فى يوم بدر ، وكان ذلك من

أعلام النبوة ، وكان ربما ظن ظان أن ذلك هو النهاية ، كان كأنه قيل :

ليس ذلك الموعد الأعظم : ﴿ بل الساعة ﴾ القيامة التى يكون فيها الجمع

الأعظم وال هول الأكبر ﴿ موعدهم ﴾ أى الأعظم للجزاء المتوعد به

(١) راجع نثر المرجان ١٣٢/٧ .

﴿و الساعة ادهى﴾ من كل ما يفرض وقوعه فى الدنيا، أفعل تفضيل
من الداهية وهى أمر هائل لا يهتدى لدوائه ﴿وامره﴾ لأن عذابها
للكافر غير مفارق ومزابل . ولما أخبر عن الساعة بهذا الإخبار الهائل،
علله مقسماً لأهلها بجملاً بعض ما لهم عند قيامها بقوله مؤكداً لما [أظهروا]
٥ من التكذيب: ﴿ان المجرمين﴾ أى القاطعين لما أمر الله به أن يوصل
﴿فى ضلل﴾ أى عمى عن القصد بتكذيبهم بالبعث محيط بهم مانع
من الخلاص من دواهى الساعة وغيرها، ومن الوصول إلى شئ من
مقاصدهم التى هم عليها الآن معتمدون ﴿وسرء﴾ أى نيران تضطرم
وتتقد غاية الانتقاد ﴿يوم﴾ أى فى ذلك اليوم الموعود به ﴿يسحبون﴾
١٠ أى فى الساعة دائماً بأيسر وجه إهانة لهم من أى صاحب كان ﴿فى النار﴾
أى الكامة فى النارية ﴿على وجوههم﴾ لأنهم فى غاية الذل والهوان
جزاء بما كانوا يذلون أولياء الله تعالى، مقولاً لهم من أى قائل اتفق:
﴿ذوقوا﴾ أى لأنهم لامنعة لهم ولا حية عندهم بوجه ﴿مس سقره﴾ أى
ألم مباشرة الطبقة النارية التى تلفح بحرهما فتلوح الجسم وتذيه فيسيل ذهنه ...
١٥ وعصاراً كما يسيل الدير وعصاره الرطب تسمى النخلة بذلك مسقاراً .
ولما أخبر بقيام الساعة وما يتفق لهم فيها جزاء لأعمالهم التى
قدرها عليهم وهى ستر فوضوا بها لاتباع الشهوات واحتجوا على رضاه
بها، وكان ربما ظن ظان أن تماديههم على الكفر لم يكن بارادته سبحانه،
علل ذلك منبهاً على أن الكل فعله، وإنما نسبته إلى العباد بأمور ظاهرة،
٢٠ تقوم عليهم بها الحجة فى مجارى عاداتهم، فقال: ﴿انا﴾ أى بما لنا من

العظمة (كل شيء) أى من الأشياء المخلوقة كلها صغيرها وكبيرها .
ولما كان هذا التعميم فى الخلق أمرا أفهمه النصب ، استأنف
قوله تفسيرا للعامل المطوى وإخبارا بجعل ذلك الخلق كله على نظام
محكم وأمر مقدر مبهم (خلقته بقدره) أى قضاء وحكم وقياس مضبوط
/ وقسمة محدودة وقودة بالغة وتدير محكم فى وقت معلوم ومكان هـ ١٣٤ /
محدود مكتوب فى ذلك اللوح قبل وقوعه تقيسه الملائكة بالزمان
وغيره من العد وجميع أنواع الأقيسة - فلا يخرم عنه مثقال ذرة
لأنه لا منازع لنا مع ما لنا من القدرة الكاملة والعلم التام ، فهذا العذاب
بقدرتنا ومشيئتنا فاصبروا عليه وارضوا به كما كنتم ترضون أعمالكم
السيئة ثم تحتجون على عبادنا بأنها بمشيئتنا بنحو "ولو شاء الله ما أشركنا" ١٠
فقد أوصلكم إلى ما ترون وانكشف آتم انكشاف أنه لا يكون شيء
على خلاف مرادنا ، ولا يقال لشيء قدرناه : لم ؟ قال الرازى فى اللوامع :
الكمية ساقطة عن أفعاله كما أن الكيفية والكمية ساقطتان عن ذاته
وصفته - انتهى . ولا يكون شيء من أمره سبحانه إلا ما هو على غاية
الحكمة ، ولو كان الخلق لا يعثون بعد الموت ليقع القصاص والقياس ١٥
العدل ليكون القياس جزافا لا بقدر وعدل ، لأن المشاهد أن الفساد فى
هذه الدار من المكلفين من الصلاح أضعاضا مضاعفة ، وقرئ فى الشواذ
رفع "كل" وجعله ابن جنى أقوى من النصب ، وليس كذلك لأن
الرفع لا يفيد ما ذكرته ، وما حمله على ذلك إلا أنه معتزلى ، والنصب
على [ما] قدرته قاصم لاهل الاعتزال .

ولما بين أن كل شيء بفعله ، بين يسر ذلك و سهولته عليه فقال :
 ﴿ وما أمرنا ﴾ أى كل شيء أردناه وإن عظم أثره ، وعظم القدر
 وحقر المقدورات بالتأنيث فقال : ﴿ الا واحدة ﴾ أى فلة يسيرة
 لامعاجة فيها وليس هناك إحداث قول لأنه قديم بل تعلق القدرة
 ٥ بالمقدور على وفق الإرادة الازلية ، ثم مثل لنا ذلك بأسرع ما يعقله
 وأخفه فقال : ﴿ كلفح بالبصره ﴾ فكما أن لمح أحدكم يبصره لا كلفة
 عليه فيه ، فكذلك الأفعال كلها ، بل أيسر من ذلك .

ولما أخبر بتمام قدرته ، وكان إهلاك من ذكر من الكفار وإنجاء
 من ذكر من الأبرار فى هذه السورة نحو ما ذكر من أمر الساعة فى
 ١٠ السهولة و السرعة ، دل على ذلك بانجاء أوليائه وإهلاك أعدائه فذكر بهم
 حملة وبما كان من أحوالهم بأيسر أمر لأن ذلك أوعظ للنفوس وأزجر
 للعقول ، فقال مقسماً تنبيها على عادتهم فى الكفر مع هذا الوعظ فعل
 المكذب بهلاكهم لأجل تكذيبهم عاطفا على ما تقديره : ولقد أنجبنا
 رسلنا وأشياعهم من كل شيء خطر : ﴿ ولقد اهلكنا ﴾ أى بما لنا من
 ١٥ العظمة ﴿ اشياعكم ﴾ الذين أتمم وهم شرع واحد فى التكذيب ، والقدرة
 عليكم كالقدرة عليهم ، فاحذروا أن يصيبكم ما أصابهم ، فلذلك سبب
 عنه قوله : ﴿ فهل من مدكره ﴾ أى بما وقع لهم أنه مثل من مضى بل
 أضعاف ... ، و أن قدرته سبحانه عليه كقدرته / عليهم ليرجع عن غيه
 ١٣٥ / خوفا من سطوته سبحانه .

٢٠ ولما تمت الدلالة على إحاطة القدرة بما شوهد من الأفعال الهائلة

التي لاتسعها قدرة غيره سبحانه ، وكانوا يظنون أن أحواله غير مضبوطة
لأنه لا يمكن ضبطها ولا يسعها علم عالم ولا سيما إذا ادعى أنه واحد ،
شرع في إتمام الإخبار بعظمة القدرة بالإخبار بأن أفعالهم كلها مكتوبة
فضلا عن كونها محفوظة فقال : ﴿ وكل شيء فعلوه ﴾ أى الاشياء فى
أى وقت كان ، كأن بالكتابة ﴿ فى الزبر ﴾ أى كتب الحفظه فليحذروا ه
من أفعالهم فانها غير منسية ، هذا ما أطبق عليه القراء مما أدى إلى هذا
المعنى من رفع كل ، لأنه لو نصب لأوهم تعلق الجار بالفعل فيوم أنهم
فعلوا فى الزبر كل شيء من الأشياء وهو فاسد .

ولما خصهم ، عم بقوله واعظا ونخوفا ونحذرا بأن كل شيء
محفوظ فمكتوب فمعرض على الإنسان يوم الجمع : ﴿ وكل صغير وكبير ﴾ ١٠
من الجواهر والمعاني منهم ومن غيرهم ﴿ مستطره ﴾ أى مكتوب على
وجه عظيم من اجتهاد الحفظه فى كتابته وتحريره مع سر ذلك
وسهولته .

ولما أخبر عن أحوال الكفرة فى الدنيا والآخرة واعظا بها
وإعلاما بعظمته وعلى صفاته وسعة مملكته وشامل علمه وقدرته ، ختم ١٥
بأحوال القسم الآخر من أهل الساعة وهم أهل طاعته تتميمًا لذلك وإشارة
وبشارة للسالك فى أحسن المسالك ، فقال مؤكدا ردا على المنكره :
﴿ ان المتقين ﴾ أى العريقين فى وصف الخوف من الله تعالى الذى
أدام إلى أن لا يفعلوا شيئا إلا بدليل . ولما كان من البساتين والمياه
ما هو ظاهر بكل مراد على عكس ما عليه الضال البعيد عن القصد ٢٠

الواقع في الهلاك والنار [قال]: ﴿ في جنت ﴾ أى في بساتين ذات أشجار
تسر داخلها، قال القشيري: و الجمع إذا قوبل بالجمع فالأحاد تقابل الأحاد.
ولما كانت الجنان لا تقوم و تدوم إلا بالماء قال: ﴿ ونهر ﴾ و أفرد
لأن التعبير بـ « في » مفهم لعمومهم به عموم ما كأنه ظرف و هم مظلوفون
له، و لكثرة الأنهار و عظمها حتى أنها لقرب بعضها من بعض و اتصال
منابعها و تهيه جميع الأرض لجرى الأنهار منها كأنها شيء واحد، و ما
وعد به المتقون من النعيم في تلك الدار فرقا تقة معجلة لهم في هذه الدار، فلهم
اليوم جنات العلوم و انهار المعارف، و في الآخرة الأنهار الجارية و الرياض
و الأشجار و القصور و الزخارف، و هو يصلح مع ذلك لأن يكون مما
١٠ منه النهار فيكون المعنى: أنهم في ضياء و سعة لا يزيلونه أصلا بضد
ما عليه المحرم من العمى الناشئ عن الظلام، [و] لمثل هذه الأغراض أفرد
مع إرادة الجنس لا للفاصلة فقط .

و لما كانت البساتين لا تسكن / في الدنيا لأنه ليس فيها جميع ما / ١٣٦

يحتاجه الإنسان، بين أن حال تلك غير حال هذه، فقال مبدلا عما
١٥ قبله: ﴿ في مقعد ﴾ أى تلك الجنان محل إقامتهم التي تراد للعود
﴿ صدق ﴾ أى فيما أراده الإنسان صدق وجوده الإرادة و لا يقعد
فيه إلا اهل الصدق، و لا يكون فيه إلا صدقه، لا لغو فيه و لا تأثيم،
و التوحيد لإرادة الجنس مع أن الإبدال يفهم أنه لا موضع في تلك
الجنان إلا و هو الصالح للتسمية بهذا الاسم و لأنهم لاتحاد قلوبهم و رضاهم

(١) في الأصل: ما .

كانهم في قعد واحد على أنه قرئ بالجمع .

- ولما كان هذا غير معهود ، بين أن سبه تمكين الله لهم منه
 لاختصاصه لهم و تقربه إليهم لإرضائه لهم ، فقال مقيدا لذلك بالتعبير بالعندية
 لأن عنديته سبحانه تعالى منزهة عن قرب الأجسام والجهات : (عند ملك)
 أى ملك تام الملك (مقتدر) أى شامل القدرة بالغها إلى حد لا يمكن
 إدراكه لغيره سبحانه كما تقدم قريبا ، فهو يوصلهم إلى كل خير ويدفع
 عنهم كل ضرر ، و كما أن لهم في الآخرة عندية الإشهاد ، فلهم في الدنيا
 عندية الإمداد ، ولهذا الاسم الشريف سر في الاتصاف على الظالمين ، ولقد
 ختمت السورة كما ترى كما ابتدئت به من أمر الساعة ، وكانت البداية
 للبداية والنهاية للنهاية ، وزادت النهاية بيان السبب الموجد لها ، وهو ١٠
 قدرته سبحانه وعز شأنه وعظمت رحمته وإحسانه ، وعفوه ومغفرته
 ورضوانه ، ولتصنيف الناس فيها إلى كافر مستحق للانتقام ، ومؤمن
 مؤهل لغاية الإكرام ، لم يذكر الاسم الأعظم الجامع الذى يذكر في سياق
 مقتضى جمع الجلال والإكرام لصنف واحد وهو من يقع منه الإيمان
 و [لا] يتدنس بالعصيان ، وهم الذين آمنوا ، ولمشاركتهما للسورتين اللتين بعدها ١٥
 في هذا الغرض ، وهو الكلام في حق الصنفين فقط من غير ذكر عارض
 من آمن . أشرك الثلاثة في الخلو عن ذكر الاسم الأعظم ، فلم يذكر
 في واحدة منها وجاء فيها من الصفات ما يقتضى العظمة على أهل
 الكفران ، وما ينبىء عن الإكرام والإحسان لأهل الإيمان "ولمن خاف
 مقام ربه جنتان " ولهذا ختمت هذه بصفة الملك المقتضى للسطوة التامة ٢٠

والإكرام البالغ وعدم المبالاة بأحد كائنا من كان، لأن الملك من حيث هو ملك إنما يقتضى مقامه إهانة العدو وإكرام الولي، وجعل ذلك على وجه المبالغة أيضا، كل ذلك للاعلام بأن تصريفه سبحانه لأحوال الآخرة كما قصد في هذه السورة من تصريفه في أحوال الدنيا ه من إهلاك الأعداء وإنجاء الأولياء. وكأن هذه السورة كانت هكذا لأنها جاءت عقب النجم التي شرح فيها الإسراء وكان للنبي صلى الله عليه وسلم من العظمة بخرق العوائد باختراق السماوات، والوصول إلى أنهي الغاية / ١٣٧ من المناجاة، وغيرها من سر الملكوت ومحل الجبروت، بعد أن لوح بمقامه عليه الصلاة والسلام بالطور ليعلم الفرق ويوصف كل بما هو ١٠ الحق، فكان ذلك مقتضيا لثلا يكون بعده من الناس إلا مؤمن خالص، فإن كان غيره فهو معاند شديد الكفر، وكأنها جعلت^١ ثلاثا لإرادة غاية التأكيد لهذا المعنى الشديد، فلما انقضت الثلاث كان متبركا به في معظم آيات الحديد ثم توجت كل آية من آيات المجادلة به إشارة إلى أنه قد حصل غاية التشوف إليه وترهيا لمن يعصى ولاسيما من يظاهر، ١٥ وترغيبا في الطاعة للملك الغافر، والله الموفق لما يريد إنه قوى فعال لما يريد^٢.

* * * * *

(١) في الأصل : انتهى (٢) ومن هنا تستأنف نسخة ظ (٣-٣) سقط ما بين الرقین من ظ .

سورة الرحمن 'عز وجل' وتسمى عروس القرآن

مقصودها الدلالة على ما ختمت به سورة " القمر من عظيم الملك وتمام الاقتدار بعموم رحمته و سبقها لفضه ، المدلول عليه بكال عليه ، اللازم عنه شمول قدرته ، المدلول عليه بتفصيل عجائب مخلوقاته و بدائع مصنوعات في أسلوب التذكير بنعماته . و الامتتان بحزب آياته ، على وجه ه متج للعلم باحاطته بجميع أوصاف الكمال ، فقصودها ' بالذات إثبات الاتصاف بعموم الرحمة رغبة في إنعامه وإحسانه ، وترهيا من انتقامه بقطع مزيد امتنانه . و على ذلك دل اسمها الرحمن لأنه العام الامتتان و اسمها عروس القرآن واضح البيان في ذلك ، لأنها الحاوية لما فيه من حل و حلل ، و جواهر وكل . و العروس بجميع النعم و الجمال ، و البهجة ١٠ من نوعها و الكمال (بسم الله) الذي ظهرت إحاطة كماله بما ظهر من عجائب مخلوقاته (الرحمن) الذي ظهر عموم رحمته بما بهر من بدائع مصنوعات و اشتهر من عظيم آياته و بيناته (الرحيم) الذي ظهر اختصاصه لأهل طاعته بما تحققوا به من الذل المفيد للعز بلزوم عباداته .

لما ختم سبحانه القمر بعظيم الملك و بليغ القدرة ، و كان الملك ١٥ القادر لا يكمل ملكه إلا بالرحمة ، و كانت رحمته لا تتم إلا بعمومها ، قصر

- (١) الخامسة و الخمسون من سور القرآن الكريم ، مدنية ، و عدد آياتها (٧٨) عند الكوفيين و الشامي و (٧٧) عند المدنيين و المكي (٧٦) عند البصريين كما في نثر المرحان ١٣٦/٧ (٢-٢) سقط ما بين الرمين من ظ (٣) سقط من ظ . (٤) من ظ . و في الأصل . فالمقصود .

هذه السورة على تعداد نعمه على خلقه في الدارين، وذلك من آثار الملك، وفصل فيها ما أجمل في آخر القمر من مقر^٢ الأولياء والأعداء في الآخرة، وصدرها بالاسم الدال على عموم الرحمة براعة الاستهلال، وموازنة لما حصل بالملك والاقدار من غاية التبرك والظهور والهيبة ٥ والرعب باسم هو مع أنه في غاية الغيب دال على أعظم الرجاء مفتحا لها بأعظم النعم وهو تعليم الذكر الذي هز ذوى الهمم العالية في القمر إلى الإقبال عليه بقوله ”ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر“ لانه لما كان للعظمة الدالة^٢ عليها نون / ”يسرنا“ التي هي عماد الملك / ١٣٨

نظران: نظر الكبرياء والجبروت يقتضى ان يتكلم بما يعجز خلقه من ١٠ كل جهة في الفهم والحفظ والإتيان بمثله وكل معنى من معانيه، ونظر الإكرام والرحمة، وكانت رحمته سابقة لغضبه نظر بها لخلقها لاسيما هذه الأمة المرحومة فيسر لها الذكر تحقيقا للرحمة بعد أن أبقي من آثار الجبروت الإعجاز عن النظر، ومن الإعجاز عن الفهم الحروف المقطعة أوائل السور، ومنع امتنع من أن يقول: إنه لامعاني لها بأن فهم [بعض-^١] ١٥ الأصفياء بعض اسرارها، فقال جوابا لمن كأنه قال: من هذا الملك المقتدر. فقيل: (الرحمن لا) أى العام الرحمة، قال ابن رجان: وهو ظاهر اسمه الله، وباطن اسمه الرب، جعل هذه الأسماء الثلاثة في ظهورها

(١) من ظ، وفي الأصل: في (٢) سقط من ظ (٣) من ظ، وفي الأصل: الدال (٤) من ظ، وفي الأصل: الإيجاز (٥) من ظ، وفي الأصل: يكون (٦) زيد من ظ .

مقام الذات يخبر بها عنه و حجابا بينه و بين خلقه ، يوصل بها الخطاب منه إليهم ، ثم أسماؤه الظاهرة مبينة لهذه الاسماء الثلاثة - انتهى .

و من مقتضى اسمه " الرحمن " اثبت جميع النعم ، ولذا ذكر في

هذه السورة أمهات النعم في الدارين .

و لما كان لا شيء من الرحمة أبلغ و لا أدل على القدرة من إيصال ٥

بعض صفات الخالق إلى المخلوق نوع إيصال ليتخلقوا به بحسب ما يمكنهم

منه فيحصلوا على الحياة الأبدية و السعادة السرمدية قال : (علم القرآن ١)

أى المرئى المشهود بالكتابة و المتلو المسموع - ٢ [الجامع لكل خير ،

الفارق بين كل لبس ، و كان القياس [يقتضى - ٢] أن لا يعلم المسموع

أحد لأنه صفة من صفاته ، و صفاته في العظم كذاته ، وذاته غيب ١٥

محض ، لأن الخلق أحقر من أن يحيطوا به علما ، و أين الثريا من يد

المتناول ، فل تعليم القرآن على أنه يقدر أن يعلم ما أراد من أراد

" و علم آدم الاسماء كلها " و لا يخفى ما فى تقديمه على جميع النعم من

المناسبة لأن [أجل النعم - ٢] نعمة الدين التى تتبعها نعمة الدنيا

و الآخرة ، وهو أعلى مراتب ، فهو سنام الكتب الساهوية و عمادها ١٥

و مصداقها و العبار عليها ، وفائدتها الإيصال إلى مقعد الصدق المتقدم

لأنه بين ما يرضى الله ليعمل به و ما يسخطه ليجتنب .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : من المعلوم أن الكتاب العزيز

(١) فى ظ : بسبب (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، وفى الأصل : قائده .

(٤) من ظ ، وفى الأصل : معدم .

وإن [كانت - ١] آية كلها معجزة باهرة و سورة في جليل النظم
و بديع التأليف قاطعة بالخصوم قاهرة ، فبعضها أوضح من بعض في
تبين إعجازها ، و تظاهر بلافتها و إعجازها ، ألا ترى إلى تسارع الأفهام إلى
الحصول على بلاغة آيات و سور من أول وهلة دون كبير تأمل كقوله
ه تعالى ” [و - ١] قيل يا ارض ابلعي ماءك و يا سماء اقلعي “ و قوله
” فاصدع بما تؤمر و اعرض عن المشركين “ الآيات ، لا يتوقف في باهر
إعجازها إلا من طبع الله على قلبه أو سد دونه باب الفهم فأنى له رلوجه
وقوعه ، و سورة القمر من هذا النمط / ، ألا ترى اختصار القصص فيه
مع حصول أطرافها و توفية أغراضها ، و ما جرى مع كل قصة من
١٠ الزجر و الوعظ و التنبيه و الإعذار ، و لولا أنى لم أقصد التعليق بما بيته
عليه من ترتيب السور لا وضحت ما أشرت إليه مما لم أسبق إليه ، و لعل
الله سبحانه ييسر ذلك فيما باليد من التفسير نفع الله به و يسر فيه ، فلما
انطوت هذه السورة على ما ذكرنا و بان فيها عظيم الرحمة في تكرر
القصص و شفع العظائم ، و ظهرت حجة الله على الخلق ، و كان ذلك
١٥ من أعظم ألطافه تعالى لمن يسره لتدبر القرآن و وفقه لفهمه و اعتباره ،
أردف ذلك سبحانه بالتنبيه على هذه النعمة فقال تبارك و تعالى ” الرحمن
علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان “ و خص من أسمائه الحسنى هذا
الاسم إشعاراً برحمته بالكتاب و عظيم إحسانه به ” و ان تعدوا نعمة الله
لا تحصوها “ ثم قد تمهد أن سورة الأمر بإعذار و من أين للعباد بحمیل

(١) زيد من ظ (٢) في ظ : عظام (٣) في ظ : الكتاب .

هذا اللطف و عظيم هذا الحلم حتى يرادوا إلى بسط الدلالات و إيضاح
البيانات إن ثمندر إليهم زيادة في البلاغ، فأنبأ تعالى أن هذا رحمه فقال
”الرحمن علم القرآن“ ثم إذا تأملت سورة القمر وجدت خطابها
وإعذارها خاصا ببنى آدم بل بمشركي العرب منهم فقط، فاتبعت سورة
القمر بسورة الرحمن تنبيها للثقلين وإعذارا إليهم و تقريراً للجنسين على هـ
ما أوردع سبحانه في العالم^١ من العجائب و البراهين الساطعة فتكرر فيها
التقرير و التنبية بقوله تعالى ”فباي آلاء ربكنا تكذبان“ خطاباً للجنسين
وإعذاراً للثقلين فإن اتصالها بسورة القمر أشد اليان - انتهى .

ولما كان كآته قيل : كيف [عله - '] و هو صفة من صفاته
ولمن عله ، قال مستأنفاً أو معللاً : ﴿خلق الانسان﴾ أى قدره و أوجده ١٠
على هذا الشكل المعروف و التركيب الموصوف منفصلاً عن جميع الجمادات
و أصله منها^٢ ثم^٣ عن سائر الناميات^٤ ثم عن غيره من الحيوانات ،
وجعله أصنافاً ، و فصل بين كل قوم بلسانهم عن عداهم و خلقه^٥ لهم
دليل على خلقه لكل شيء موجود ”انا كل شيء خلقته بقدر“ و الإنسان
وإن كان اسم جنس لكن أحقهم بالإرادة بهذا أولهم و هو آدم عليه ١٥
السلام ، وإرادته - كما قال ابن عباس رضى الله عنهما - لا تمنع إرادة
الجنس من حيث هو .

(١) من ظ ، و في الأصل : العام (٢) زيد من ظ (٣ - ٢) من ظ ، و في
الأصل : فيها ، مع يسير من البياض (٤) من ظ ، و في الأصل : المناسبات .
(٥) من ظ ، و في الأصل : خلقهم .

ولما كان كأنه قيل : فكان ما ذا بخلقه له ، قال : (علمه البيان هـ)
 وهو القوة الناطقة ، وهى الإدراك للأشياء الكلية والجزئية والحكم
 على الحاضر والغائب بقياسه على الحاضر تارة بالتوسم^٢ وأخرى بالحساب
 و مرة بالعياقة والزجر و طورا بالنظر فى الآفاق و غير ذلك من الأمور
 هـ مع التمييز بين الحسن و القبيح و غير ذلك مما أودعه سبحانه
 و تعالى له مع تعبيره عما أدركه بما هو غائب فى ضميره و إفهامه للغير
 / ١٤٠ / تارة بالقول و تارة بالفعل نطقا و كتابة و إشارة و غيرها ، فصار بذلك
 ذا قدرة على الكمال فى نفسه و التكميل لغيره ، فهذا تعليم البيان الذى
 مكن من تعليم القرآن ، و هذا و إن كان سبحانه جلنا عليه و خلقنا به
 ١٠ قد صار عندنا مألوفا و مشهورا معروفا ، فهو عند غيرنا على غير ذلك
 ٢ مما أوضحه لنا ١ سبحانه نعمة علينا بمحاجته لملائكته الكرام عن نينا
 آدم عليه الصلاة و السلام و ما أبدى لهم من علمه و بهرهم من رسم
 كل شئ بمعناه و اسمه .

ولما بين سبحانه النعمة فى تعليم القرآن الذى هو حياة الأرواح ،
 ١٥ و بين الطريق فيها ، دل على البيان بذكر الينات التى يجمعها أمر و يفرقها
 آخر ، و لها مدخل فى حياة الأشباح ، و عددها ٤ على سبيل الامتنان بيانا
 لأنها من اكبر النعم فقال فى جواب من قال : ما يانه ٤ بادئا بالكوكب
 الأعظم الذى هو أعظم نورا و أكبر جرما و أعم نفعا ليكون خضوعه

(١) من ظ ، و فى الأصل : من خلقه (٢) من ظ ، و فى الأصل : بالنوم .

(٣-٢) من ظ ، و فى الأصل : كما أوضحته (٤) من ظ ، و فى الأصل : عدد .

لقبول الآثار أدل على خضوع غيره بيانا لحكمته في تديره وقوته في تقديره: (الشمس) وهى آية النهار (والقمر) وهو آية الليل اللذان كان بهما البيان الإبراهيمي، وأله بدأ لهذه الأمة بغاية بيانه عليه الصلاة والسلام تشريفا لها بالإشارة إلى علو أفهامها (بحسبان م) أى جريهما، يجرى كل منهما - مع اشتراكهما في أنهما كوكبان سماويان^٥ - بحساب عظيم جدا لا تكاد توصف جلالاته في دقته وكثرة سمته وعظم ما يتفرع عليه من^٦ المنافع الدينية والدنيوية، ومن عظم هذا الحساب الذى أفادته صيغة الفعلان أنه على نهج واحد لا يتعداه، تعلم به الأعوام والشهور والأيام والساعات والدقائق والفصول فى منازل معلومة، ويعرف موضع كل منهما فى الآفاق العلوية وما يحدث له وما يتأثر^٧ عنه فى الكوائن السفلية بحيث أن به انتظام غالب الأمور السفلية إلى غير ذلك من الأمور التى خلقها^٨ الله عليها ولها، وبين الإنسان وبين كل منهما من المسافات ما لا يعلمه على التحرر إلا العليم الخبير، وهذا على تطاول الأيام والدهور لا يحتل ذرة دلالة على أن صانع قیوم لا يغفل، ثم بعد هذا الحساب المستجد والحساب الأعظم الذى قدر^٩ ١٥ لتكوير الشمس وانكدار القمر دلالة على أنه فاعل بالاختيار مع ما أفاد ذلك من تعاقب الملوك تارة بالاعتدال وتارة بالزيادة وأخرى بالتقص، وغير ذلك من الأمور فى لطائف المقدور .

(١) من ظ، وفى الأصل: اللذين (٢) من ظ، وفى الأصل: نعيان (٣) من ظ، وفى الأصل: من (٤) فى ظ: عظمة (٥) من ظ، وفى الأصل: خلقها .

ولما كان سيرهما على هذا المنهاج مع ما لهما فيه من الدؤب فيه
 بالتغير و التنقل طاعة منهما^١ لمديبرهما و مبدعهما و مسيرهما ، و كان
 خضوعهما - و هما النيران الأعظمان - دالا على خضوع ما دونهما من
 الكواكب بطريق الأولى ، كان ذكرهما مغنيا عن ذكر ما عداهما بخصوصه ،
 ٥ فأتبعهما حضور ما هو للأرض كالشجر و الزينة و النفع و الضر
 / ١٤١ و الصغر و الكبر / و الكثرة و القلة من النبات مقدا صفاره لعموم
 نفعه و عظيم^٢ وقعه بأن منه أكثر الأقوات لجميع الحيوان و الملا بس
 من القطن و الكتان و غير ذلك من عجيب^٣ الشأن ، معبرا بما يصلح لبقية
 الكواكب فقال : (و النجم) أى و جميع الكواكب السماوية و كل
 ١٠ نبت ارتفع من الأرض و لا ساق له من النباتات الأرضية التى هى
 أصل قوام الإنسان و سائر الحيوان (و الشجر) و كل ما له ساق
 و يتفكه به أو يقات (يسجدن^٤) أى يخضعان و يتقادان لما يراد منهما
 و يذلان للارتفاع بهما انقياد الساجد من العقلاء لما أمر به بحريهما لما
 سخر^٥ له و طاعتها لما قدر^٦ فيه من غير إياه على تجديد الأوقات من
 ١٥ نمو [فى - ٦] النبات و وقوف و اخضرار و بيس و إثمار و عطل ،
 لا يقدر النجم أن يعلو إلى رتبة الشجر و لا الشجر أن يسفل إلى وهدة
 النجم إلى غير ذلك مما صرفنا فيه من سجود الظلال و دوران الجبال^٧
 (١) من ظ ، و فى الأصل : منه (٢ - ٢) من ظ ، و فى الأصل : عموم دفعه .
 (٣) فى ظ : عظم (٤) فى ظ : فيما (٥ - ٥) من ظ ، و فى الأصل : قدره .
 (٦) زيد من ظ (٧) فى ظ : الخلال .

و المثال بما يدل على وحدانية الصانع و فعله بالاختيار ، و نفي الطباع ،
و من تسيير فى الكواكب و تدبير فى المنافع فى الحر و البرد اللذين جعل
سبحانه بهما الاعتدال فى النبات من الفواكه و الأقوات ، و غير ذلك
من وجود الارتفاعات .

و لما كان تغير ما تقدم من الشمس و القمر و النجم و الشجر يدل ٥
دلالة واضحة على أنه سبحانه هو المؤثر فيه ، و كانت السماء و الأرض
ثابتين على حالة واحدة ، فكان ربما أشكل أمرهما كما ضل فيهما خلق
من أهل الوحدة أهل الجود و الاعتزاز و الوقوف مع الشاهد و غيرهم ،
و كان إذا ثبت أنه تعالى المؤثر فيهما ، فلذلك قال مستندا للتأثير
فيهما إليه بعد أن أغرى ما قبلهما من مثله لما أغنى عنه من الدلالة ١٠
بالتغير و السير و التنقل عطفًا على ما تقديره : و هو الذى دبر ذلك :
(و السماء رفمها) أى حسا بعد أن كانت ملتصقة بالأرض ففتتها منها
و أعلاها عنها بما يشهد لذلك من العقل عند كل من له تأمل فى أن
كل جسم ثقيل مارفعه عما تحته إلا رافع ، و لا رافع لهذه إلا الله فانه
لا يقدر على التأثير غيره ، و لعظمها قدمها على الفعل تنبيها على التفكير فيما ١٥
فيها من جلالة الصنائع^٢ و أنواع البدائع ، و معنى بأنه جعلها منشأ أحكامه
و مصدر قضاياه و منزل أوامره و نواحيه و مسكن ملائكته الذين
يهبطون بالوحى على أنبيائه .

و لما كانت السماء مع علوها الدال على عزة موجدتها و مدبرها

(١) من ظ ، و فى الأصل : هو (٢) من ظ ، و فى الأصل : مشترك .

دالة على عدله باعتدال جميع أحوالها من الحر والبرد والمطر
والثلج [والندى-'] والطل وغير ذلك في أن كل فصل منها معادل
لضده وأنها^٢ لا ينزلها سبحانه إلا بقدر معلوم، وإلا لفست
الأرض [كلها-']، ودلنا على أنه شرع لنا مثل ذلك العدل لتقوم
١٤٢ / ٥ أحوالنا وتصلح أقوالنا وأفعالنا بما قامت به السموات والأرض / فقال:
(ووضع الميزان لا) أى العدل الذى دبر به الخافقين من الموازنة وهى
المعادلة لتنظم أمورنا .

ولما ذكر أولا القرآن الذى هو ميزان المعلومات، ودل على رحانيته
بأنواع من البيان، الذى رقى به الإنسان فصار أهلا للفهم، وذكره نعمة
١٠ الميزان للحسوسات، أقبل بالخطاب عليه لافتاله عن أسلوب الغيبة تنشيطا له
إلى ارتقاء مراتب الكمال بحسن الامثال معللا فقال: (ان) أى [لأن-']
(لا تظنوا) أى لا تتجاوزوا الحدود (فى الميزان) أى الأشياء الموزونة
من الموزونات المعروفة والعلم والعمل المقدر أحدهما بالآخر، وفى
مساواة الظاهر والباطن والقول والفعل، فالميزان الثانى عام لميزان
١٥ المعلومات و ميزان المحسوسات .

ولما كان التقدير: فاقندوا بأفعالى وتخلقوا بكل ما امر به من أقواله،
عطف عليه قوله: (واقيموا الوزن) أى جميع الأفعال التى يقاس
لها الأشياء (بالقسط) .

ولما كان المراد العدل العظيم، بينه بالتأكييد بعد الأمر بالنهى عن

(١) زيد من ظ (٢-٢) من ظ، وفى الأصل: لضدها وانه .

الضد فقال: ﴿ولا تخسروا الميزان﴾ أى توقعوا فى شيء من آلة العدل التى يقدر بها الأشياء من الذرع والوزن والعدل والكيل ونحوه - نوعا من أنواع الخسر - بما دل عليه تجريد الفعل فتخسروا ميزان أعمالكم وجزائكم يوم القيامة، وقد علم بتكرير الميزان ما^١ أريد من التأكيد فى الأمر به لما له من الضخامة سواء كان بمعنى واحد أو بمعان مختلفة . هـ

ولما ذكر لإنعامه الدال على اقتداره برفع السماء، ذكر^٢ على ذلك^٣ الوجه مقابلها بعد أن وسط بينهما ما قامت به من العدل تنبيها على شدة^٤ العناية والاهتمام به فقال: ﴿والارض﴾ أى وضع الارض: ثم فسر ناصبها ليكون كالمذكور^٥ مرتين إشارة إلى عظيم تدبيره لشدة ما فيه من الحكم فقال: ﴿وضعها﴾ أى دحاها وبسطها على الماء ﴿للالام﴾ ١٠ أى كل من فيه قابلية النوم أو قابلية الونيم وهو الصوت بعد أن وضع لهم الميزان الذى لا تقوم الارض إلا به .

ولما كان فى سياق بيان^٦ الرحمة بمزيد الإنعام، وكانت إقامة البيئة أعظم نعمة، وكانت الفواكه الذى ما يكون، وكانت برقتها وشدة لطافتها منافية للأرض فى يبسها وكثافتها، فكان كونها فيها عجبا دالا على عظيم قدرته، وكان ذكرها يدل على ما تقدمها من النعم من جميع الأقوات،

(١) من ظ ، وفى الأصل: من (٢ - ٢) من ظ ، وفى الأصل: ذلك على .
(٢) من ظ ، وفى الأصل: الشدة (٤) فى ظ: المذكور (هـ) من ظ ، وفى الأصل: د و (٦ - ٦) من ظ ، وفى الأصل: بيان سياق .

بدأ بها ليصير^١ ما يتقدمها كالمذكور مرتين، فقال مستأنفا وصفها بما هو أعم : ﴿ فيها فاكهة ﴾ أى ضروب منها عظيمة جدا يدرك الإنسان بما له من البيان تباينها^٢ فى الصور والألوان، والطعوم والمنافع - وغير ذلك من بديع الشأن .

٥ ولما كان المراد بتكثيرها^٣ تعظيمها، نبه عليه بتعريف نوع منها، ونوه به لأن فيه مع التفكه التقوت، وهو أكثر ثمار العرب المقصودين بهذا الذكر بالقصد الأول فقال : ﴿ والنخل ﴾ ودل على تمام القدرة بقوله : ﴿ ذات ﴾ أى صاحبة / ﴿ الاكام ﴾ أى أوعية ممرها، وهو الطلع قبل أن يفتق بالثمر، وكل نبت يخرج ما هو مكتم فهو ذو كمام، ١٠ ولكنه مشهور فى النخل لشرفه وشهرته عندهم، قال البغوى^٤ : وكل ما ستر شيئا فهو كم وككة، ومنه كم القميص، وفيه تذكير بثمر الجنة الذى يفتق عن نباهم، وذكر أصل النخل دون ثمره للتنبيه على كثرة منافعه من الليف والسعف والجريد والجذوع وغيرها من المنافع التى الثمر منها .

١٥ ولما ذكر ما يقتات من الفواكه وهو فى غاية الطول، أتبعه الأصل فى الاقيات للناس والبهائم وهو مكان من القصر^٥، فقال ذاكرًا ثمرته لأنها المقصودة بالذات : ﴿ والحب ﴾ أى من الخنطة وغيرها، ونبه على

(١) من^٦ ظ، وفى الأصل : البصير (٢) فى ظ : شانها (٣) من ظ، وفى الأصل : بانكارها (٤) راجع العالم بهامش الباب ٧ / ٣ (٥) من ظ، وفى الأصل : الفضة (٦) زيد فى الأصل : عنه، ولم تكن الزيادة فى ظ لحذفها .

تمام القدرة بعد تنبيهه بتمايز هذه المذكورات مع أن أصل السكل الماء بقوله : ﴿ ذو العصف ﴾ أى الورق و البقل الذى إذا زال عنه ثقل الحب كان عما تعصفه الرياح التى تطيره ، و هو الثبن الذى هو من قوت البهائم . و لما كان الريحان يطلق على كل نبت [طيب الرائحة خصوصا ، و على كل نبت - '] عموما ، أتبعه به ليعم و يخص جميع ما ذكر من سائر النباتات و غيره على وجه مذكر بنعمه بغذاء الأرواح بعد ما ذكر غذاء الأشباح فقال : ﴿ والريحان ﴾ و لما كان من كفر به سبحانه بإنكاره أو إنكار شيء من صفاته ، أو كذب بأحد من رسله قد أنكر نعمه أو نعمة منها فلزمه 'بانكاره لتلك' النعمة إنكار جميع النعم ، لأن الرسل داعية إلى الله بالتذكير بنعمه ، و كان ما مضى من هذه السورة إلى هنا اثنتى عشرة آية ١٠ على عدد الكوفى و الشامى ، عدد فيها أصول نعمه سبحانه على وجه دل بفاية البيان على أن له كل كمال ، و كان هذا العدد أول عدد زائد إشارة إلى تزايد النعم لأن كسوره النصف و الثلث و الربع و السدس تزيد على أصله ، و كان قد مضى ذكر الثقلين الجن و الإنس فى قوله "الانام" قال تعالى إشارة إلى أنهم المقصودون بالوعظ ، منكرنا موجبا مبكتا لمن ١٥ أنكر شيئا من نعمه أو قال قولاً أو فعل فعلاً يلزم منه إنكار شيء منها مسيئاً عما مضى من تعداد هذه النعم المتزايدة التى لا يسوغ إنكارها و لا إنكار شيء منها فيجب شكرها : ﴿ فبأى آلاء ﴾ أى نعم و عطايا ﴿ ربك ﴾ أى المحسن إليك بما أسدى من المزايا التى أسداها إليك على

(١) زيد من ظ (٢-٢) من ظ ، و فى الأصل : لانكار تلك .

وجه الكبرياء والعظمة وهى دائمة لاتقطع من غير [حاجة إلى -]
مكافأة أحد ولا غيرها - أيها الثقلان - المدبر لكما الذى لامدبر ولا سيد
لكما غيره، من آياته وصنائه وحكمه وحكمته وعزته فى خلقه واستسلام
الكل له وخضوعهما إليه، فان كل هذه النعم الكبار آيات دالة عليه
هـ وصنائع محكمة وأحكام وحكم ظهرت بها عزته وبانت بها قدرته
(تكذبون) فخاطبته بهذا الثقلين دليل على أن هذه الأشياء نعم على
الجن كما أنها نعم على الإنس، وأن لهم من ذلك ما لهم، وذكره
لهذه الآية بعد ذكر هذا العدد من الآيات إشارة إلى أن زيادة النعم
إلى حد لا يحصى بحيث ان استيفاء عددها لا تحيط به / عقول المكلفين

/ ١٤٤

١٠. لتلايظنوا أنه لانهمة غير ما ذكر فى هذه السورة، والتعبير عنها بلفظ
الآلاء من أجل أنها النعم المخصوصة بالملوك لما لها من اللعان والصف
المميز لها [من] غيرها ولما لرؤيتها من الخير والدعاء، وهى وإن كانت
من الوا فىمكن أخذها من اللؤواء إلى أن الأصل الهمزة واللام، فاذا
انضم اليهما لام أخرى أو ألف ازداد المعنى الذى كان ظهورا لأن الألف
١٥ غيب الهمزة وباطنها، واللام هى عين ما كان فلم يحصل خروج عن
ذلك المعنى، فاذا نظرت إلى الآل كان المعنى أن تلك النعم الكبار
الملوكية تظهر للعباد معرفته سبحانه وأنه يؤل إليه كل شىء أولا من
غير نزاع كما أنه كان بكل شىء، وتكل عن نظرها الابصار النوافذ
كما تكل عن رؤية الأشخاص التى يرفعها الآل لأنها تدل عليه سبحانه...

(١) زيد من ظ (٢) من ظ، وفى الأصل: الانسان .

نعم عظيمة وإن كانت نقما لأنه لا نعمة تدل مثل ما دل عليه سبحانه ،
وكرر هذه الآية في هذه السورة من هنا بعد كل آية إلى آخرها لما
تقدم في القمر من أن المنكر إذا تكرر إنكاره جدا بحيث أحرق الألباد
في المجاهرة بالعناد حسن سرد ما أنكره عليه ، وكلما ذكر بفرد منه قيل
له : لم تنكره ؟ سواء أقر به حال التقرير أو استمر على العناد ، فالتكرار ه
حيثئذ يفيد التعريف بأن إنكاره تجاوز الحد ، ولتغاير النعم وتعددتها
واختلافها حسن تكرير التوقيف عليها واحدة واحدة تنبها على جلالها ،
فإن كانت نعمة فالأمر فيها واضح ، وإن كانت نقمة [فالنعمة - ١] دفعها
أو تأخير الإيقاع بها ، ولما تقدم [من - ١] أن كل تذكير^٢ بما أفاده
الله تعالى من النعم بالحواس الخمس مضروبة في الجهات الست على أنك ١٠
إذا اعتبرت نفس الآية وجدتها مشيرة إلى ذلك ، فإن كل كلمة منها
- إلا الأخيرة في رسم من أثبت ألفها من كتبه المصاحف - خمسة أحرف
إن اعتبرت هجاء الأولين والثالثة خمسة في الرسم ستة في الهجاء والنطق ،
فهى للحواس وللجهات لأن الكل من الرب ، والكلمة الأخيرة ستة
أحرف إن اعتبرت رسمها في المصاحف التي أسقطت ألفها ، فإن في ١٥
إثباتها وحذفها اختلافا بين أئمة المصاحف ، وهى إشارة إلى الجهات
لأنها التي يملك الإنسان التصرف فيها ، أما^٣ الحواس فلا اختيار له فيها ، وإن
اعتبرت هجاءها بحسب النطق كانت سبعة أحرف إشارة إلى أن النعم
(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، وفي الأصل : مذكور تذكرا (٣) من ظ ، وفي
الأصل : او .

أكثر من أن تحصى لما تقدم من أسرار عدد السبعة وإلى أن تكذيب
المكلفين متكاثر جدا، فلذلك كان في غاية المناسبة ان تبسط هذه النعم
على عدد ضرب الحواس الخمس في الجهات الست، وذلك في الحقيقة فائدة،
فانه من المألوف المعروف والجميل الموصوف أن التكرير [عند] التكذيب
٥ يوجب التكرير عند التقرير، ويبلغ به النهاية في حسن التأثير، وزاد
العدد على مسطح الخمس في الست واحدة / إشارة إلى أن نعم الواحدة / ١٤٥
لا انقطاع لها، ولذلك فصلت إلى ثمان ذكرت أولا عقب النعم، فكانت
على عدد السبع الذي هو أول عدد تام لأنه جمع الفرد والزوج وزوج الفرد
و زوج الزوج، وزاد بواحد إشارة إلى أنه كلما انقضى دور من عدد
١٠ تام جدير لنعم أخرى فهي لا تنتهى لأن موليا له القدرة الشاملة
والعلم التام ورحمته سبقت غضبه، وفي كونها ثمانية إشارة إلى أنها سبب
إلى الجنة ذات الأبواب الثمانية إن شكرت، وفي تعقيها بسبع نارية
إشارة إلى أنها سبب للنار ذات الأبواب السبعة إن كفرت، وفي تعقيها
بها إشارة إلى أن سبيبتها للنار أقرب لكونها حفت بالشهوات، وفي ذلك
١٥ إشارة إلى أن من اتقى ما توعد عليه بشكر هذه النعم وفي أبواب النار
السبعة، ثم عقبها بثمانية ذكر فيها جنة المقربين إشارة إلى أن من عمل
لما وعده كما أمره به الله نال أبواب الجنة الثمانية، وثمانية أخرى عقب جنة
أصحاب اليمين إشارة إلى مثل ذلك والله أعلم، وكان ترتيبها في غاية
الحسن، ذكرت النعم أولا استعطافا وترغيا في الشكر ثم الأحوال ترهيبا
٢٠ ودرأ للفسدة بالعصيان والكفر ثم النعم الباقية لجلب المصالح، وبدأ
بأشرفها

بأشرفها فذكر الجنة العليا لأن القلب إثر التخويف يكون أنشط والأهم تكون أعلى والعزم يكون أشد، فحيث هذه الآية الأولى من الإحدى والثلاثين مشيرة إلى أن نعمة البصر من جهة الامام، فكأنه قيل: أنعمة البصر بما يواجهكم أو غيرها [تكذبان] .

ولما كان قد تقدم في إشارة الخطاب الامتتان بخلق الإنسان، ه ثم ذكر أصول النعم عليه على وجه بديع الشأن، إلى أن ذكر 'غذاء روحه': الريحان، أتبع ذلك تفصيلا لما أجمل فقال: (خلق الانسان) أى أصل هذا النوع الذى هو من جملة الانام الذى خلقنا الريحان لهم والغالب عليه الانس بنفسه وبما ألفة .

ولما كان أغلب عناصره التراب وإن كان من العناصر الأربعة، ١٠ عبر عنه إشارة به^١ إلى مطابقة اسمه - بما فيه مما يقتضى الانس الذى حاصله الثبات^٢ على حالة واحدة - لمسماه الذى أغلبه التراب لقله وثباته ما لم يحركه محرك، وعبر عن ذلك بما هو فى غاية البعد عن قابلية البيان فقال: (من صلصال) أى طين يابس له صوت إذا نقر عليه (كالفخار^٣) أى كالخزف المصنوع المشوى بالنار لأنه أخذه^٢ من التراب^٢ ثم خلطه ١٥ بالماء حتى صار طينا ثم تركه حتى صار حماء مستونا مننا، ثم صوره كما يصور الإبريق وغيره من الاواني ثم أيبسه حتى صار فى غاية الصلابة فصار كالخزف الذى إذا نقر عليه صوت صوتا يعلم [منه -^٤] هل

(١-١) من ظ، وفى الأصل: روجه - كذا (٢) سقط من ظ (٣-٣) من ظ، وفى الأصل: بالتراب (٤) زيد من ظ .

فيه عيب أم لا، كما أن الآدمي بكلامه يعرف حاله وغاية أمره ومآله،
فالذكر هنا 'غاية' / 'تخليقه' وهو أنسب بالرحمانية، وفي غيرها تارة
مبدأؤه وتارة إنشاؤه، فالارض أمه والماء أبوه ممزوجين بالهواء الحامل
للجزء الذي هو من فيج جهنم، فمن التراب 'جسده' و 'نفسه'، ومن الماء
روح و عقله، ومن النار غوايته وحدته، ومن الهواء حركته وقلبه
في محامده ومذامه .

ولما كان الجان الذي شمله أيضا اسم الانام مخلوقا من العناصر
الاربعة، وأغلبها في جبلته النار، قال تعالى: ﴿ وخلق الجآن ﴾ أى
هذا النوع المستتر عن العيون بخلق أيهم، وهو اسم جمع للجن . ولما
١٠ كان الجن [يطلق - ٢] على الملائكة لاستقارهم، بين أنهم لم يرادوا
به هنا فقال: ﴿ من مارج ﴾ أى شئ صاف خالص مضطرب
شديد الاضطراب جدا والاختلاط، قال البغوى^١: وهو الصافي من
لهب النار الذى لا دخان فيه، وقال القشيري، هو اللهب المختلط بشواد
النار - انتهى . و مرجت نارهم - أى اختلقت - يبرد الزمهير . ولما
١٥ كان المارج عاما^٢ في النار وغيرها، بينه بقوله: ﴿ من نار ﴾ هى أغلب
من عناصر، فمعين المراد بذكر النار لأن الملائكة عليهم السلام من نور
لا من نار، وليس عندهم مروج ولا اضطراب، بل هم في غاية الثبات
على الطاعة فيما أمروا به، وقد عرف بهذا كل مضطرب^٣ قدره

(١ - ١) فى ظ : آخر تخليقة (٢ - ٢) من ظ ، وفي الأصل: نفسه وجسده .
(٢) زيد من ظ (٤) راجع المعالم بهامش الباب ٤/٧ (٥) من ظ ، وفي
الأصل: ما (٦) من ظ ، وفي الأصل: مطرب .

ثلاثا يتعدى طوره .

ولما كان خلق هذين القليلين على هذين الوجهين اللذين هما في غاية التناقض مستورا أحدهما عن الآخر مع منع كل [من - '] التسلط على الآخر إلا نادرا، إظهارا لعظيم قدرته و باهر حكمته من أعظم النعم، قال مسيبا عنه : ﴿ فبأى آلاء ربكما ﴾ أى النعم المملوكة الناشئة عن مبدعكما هـ و مربيكما و سبدكما ﴿ تكذبن هـ ﴾ أى بنعمة البصر من جهة الوراثة و غيرها من خلقكم على هذا النمط الغريب، و إيداعكم ما أودعكم من القوى، و جعلكم خلاصة مخلوقاته، و من منع أحد قبيلكم عن الآخر، و تيسيره لكم الأرزاق و المنافع، و حملكم على الحنيفة السمحة، و قدرته على إعادتكم كما قدر على ابتدائكم .

١٠

ولما ذكر سبحانه هذين الجنسيتين اللذين أحدهما ظاهر و الآخر مستتر، إرشادا إلى التأمل فيما^٢ فيها من الدلالة على كمال قدرته، فكانا محتاجين إلى ما هما فيه من المحل، و كان صلاحه بما دبر سبحانه فيه من منازل الشروق الذى هو سبب الأنوار و الظهور، و الغروب الذى هو منشأ الظلمة و الخفاء، أتبعه قوله منبها على النظر فى بديع صنعه الدال ١٥ على توحيده : ﴿ رب ﴾ أى هو خالق و مدير ﴿ المشرقين ﴾ و مديريهما على كيفية لا يقدر على شئ منها غيره ﴿ و رب المغربين ﴾ كذلك، و هذه المشارق و المغارب هى ما للشئ من البروج، السافلة الجنوبية التى

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : ابدعكم (٣) من ظ ، و فى الأصل : لا (٤) من ظ ، و فى الأصل : هى .

/ ١٤٧

هى سبب الامطار و الثلوج ، التى هى سبب الحياة و الظهور ، حال كون الشمس منحدره فى افاق السماء ، و ما للصيف من البروج العاليه / فى جهة الشمال التى هى سبب التهشم و الافول و الشمس مصعده فى جو السماء ، و ما بينهما من الربيع الذى هو للنمو ، و الخريف الذى هو للذبول ، فهى آية الإيجاد و الإعدام ، فأول المشرق الصيف وقت استواء الليل و النهار [عند - ٢] حلول الشمس بأول البروج الشماليه صاعده و هو الكبش ، يعتدل الزمان حينئذ بقطعها الجنوبيه و استقبالها الشماليه ، ثم آخر مشارقه إذا كانت الشمس فى آخر الشماليه و اول الجنوبيه عند حلولها برأس الميزان يعتدل الزمان ثانيا لاستقبالها البروج الجنوبيه ، ثم يحلوها بآخر القوس و رأس الجدى يكون الانتهاء فى قصر الأيام و طول الليالى لتوسطها البروج الجنوبيه ، ثم يحلوها كذلك عند خروجها من برج التوأمن إلى السرطان من بروج الشمال ، و هى آخر درجات الشمس ، يكون طول الأيام و قصر الليالى ، فيختلف على هذين الفصلين الحر و البارد ، و كون الشمس فى أول برج الحمل هو بمثابة طلوعها من المشرق فى أول كل نهار ، و كونها فى الاعتدال الثانى عند استقبالها البروج الجنوبيه إذا حلت برأس الميزان هو بمثابة غروبها ، ثم بكونها فى الانتهاءين فى طول الأيام حين حلولها برج السرطان هو بمنزلة استوائها فى الصيف فى كبد السماء كما أن حلولها برأس الجدى عند الانتهاء فى الشتاء [فى - ٢] قصر الأيام و طول الليالى هو بمثابة استوائها فيما يقابل

(١) م س ظ ، و فى الأصل : بحال (٢) زيد من ظ .

استواءها

استواءها في الشتاء في كبد السماء في النهار^١ - ذكر ذلك ابن برجان و قال
بعد ذلك : سحر سيجاته لعباده جهنم - أى بواسطة الشمس - وهى أعدى
عدو لهم ، فأخرج لها بواسطة الزرع و الزيتون و الرمان و النخيل
و الأعتاب و الجبان المعروشات و غير المعروشات و من كل الثمرات .
ولما كان في هذا من^٢ النعم ما لا يحصى ، قال مسيا : ﴿ فبأى الآء ربك ﴾ ه
الذى^٣ دبر لكم^٤ هذا التدبير العظيم ﴿ تكذبون ﴾ أى بنبعة البصر من جهة
اليمين أو غيرها من تسخير الشمس و القمر دائبين دائرين لإدارة الزمان
و تجديد الأيام ، و عدد الشهور و الأعوام ، و اعتدال الهواء و اختلاف
الأحوال على الوجه الملائم لمصالح الدنيا و معاشها على منهاج محفوظ
و قانون لا يزيغ .

١٠

ولما كانت باحة البحر لجرى^٥ المراكب كساحة السماء لسير الكواكب
مع [ما -]^٦ اقتضى ذكره من تضمن ذكر المشارق و المغرب للشتاء
الحاصل فيه من الأمطار ما لو جرى على القياس لأفاض البحار ، فأغرقت
البرارى و القفار ، و علت^٧ على الأمصار و جميع الأفطار ، فقال : ﴿ مرج ﴾
أى أرسل الرحمن ﴿ البحرين ﴾ أى الملح و العذب فجعلهما مضطربين ، ١٥
من طبعهما الاضطراب ، حال كونهما ﴿ يلتقيان ﴾ أى يتماسان^٨ على ظهر
الأرض بلا فصل بينهما في رؤية العين و فى باطنها ، فجعل الخلو آية دالة

(١) من ظ ، و فى الأصل : النار (٢-٢) من ظ ، و فى الأصل : فيها (٣-٣) من
ظ ، و فى الأصل : در لا (٤) من ظ ، و فى الأصل : تجرى (٥) من ظ ،
و فى الأصل : غلب (٦) من ظ ، و فى الأصل : يتمسان .

على مياه الجنة ، و الملح آية دالة على بعض شراب أهل النار / لا يروى
 شربه ولا يغيثه ، بل يحرق بطنه و يعيه ، أو بحرى فارس و الروم هما
 ملتقيان فى البحر المحيط لكونهما خليجين منه .

٥ ' و لما كان التقاء المايين و لاسيما مع الاضطراب الدائم الاختلاط
 فيحيل ما لاحدهما أو لكل منهما من الصفات إلى الصفات الأخرى ،
 فتشوفت النفس إلى المانع^١ من مثل ذلك فى البحرين ، قال^٢ مستأقفا :
 (بينهما برزخ) أى حاجز عظيم من القدرة المجردة على الأول و تسبب
 الأرض على الثانى بمنعها مع^٣ الالتقاء من الاختلاط ، و قال ابن برجان :
 البرزخ ما ليس هو بصريح هذا و لا بصريح هذا ، فكذلك السهل
 ١٠ و الجبل بينهما برزخ يسمى الخيف ، كذلك الليل و النهار بينهما برزخ
 يسمى غشا ، كذلك بين الدنيا و الآخرة برزخ ليس من هذا و لا من
 هذا و لا هو خارج عنهما ، و كذلك الربيعان هما^٤ برزخان بين الشتاء
 و الصيف بمنزلة غبش أول النهار و غبش آخره ، جعل بين^٥ كل صنفين
 من الموجودات برزخا ليس من هذا و لا من هذا و هو منهما كالجماد
 ١٥ و النبات و الحيوان^٦ .

و لما كانت نتيجة ذلك كذلك قال : (لا يغيث^٧) أى لا يطفئان
 فى هلاك الناس كما طغيا فأهلكا من على الأرض أيام نوح عليه الصلاة
 (١ - ١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) فى ظ : النافع (٣) من ظ ، و فى
 الأصل : قال (٤) فى^٨ ظ : من (٥) من ظ ، و فى الأصل : هو (٦) من ظ ،
 و فى الأصل : سر (٧) من ظ ، و فى الأصل : الحيوانات .

والسلام ، ولا يبنى واحد منهما على الآخر بالممارسة ، ولا يتجاوزان ما حده لهما خالفهما ومديرهما لا في الظاهر ولا في الباطن ، فتى حفرت على جنب المالح وجدت الماء العذب ، وإن قربت الحفرة منه بل كلما قربت كان أحلى ، غلظتها الله سبحانه في رأى العين و حجز بينهما في رأى عين القدرة ، هذا وهما جمادان لا نطق لهما ولا إدراك ، فكيف يبنى ه بعضكم على بعض أيها المدركون العقلاء .

ولما كان هذا أمرا باهرا دالا دلالة ظاهرة على تمام قدرته لاسيما على الآخرة ، قال مسيبا عنه : (فبأي الآء ربكنا) أى الموجد لكما والمربى (تكذبن ه) أى بنعمة الإبصار من جهة اليسار أو غيره ، فهلا اعتبرتم بهذه الأصول من أنواع الموجودات فصدقتم بالآخرة لعلمكم بهذه البرازخ ١٠ أن موتكم هذه برزخ وفصل بين الدنيا والآخرة كالعشاء بين الليل والنهار ، و لو استقرأتم^١ ذلك فى آيات السماوات والأرض وجدتموه شائعا فى جميع الأكوان .

ولما ذكر المنة بالبحر ذكر النعمة بما ينبت فيه كما فعل بالبر ، فقال معبرا بالمبنى للفعول لأن كلا من وجوده فيه والتسليط على إخراجه ١٥ منه خارق من غير نظر إلى مخرج معين ، والنعمة نفس الخروج ، ولذلك قرأ [غير -^٢] نافع والبصريين بالبناء^٢ للفاعل من الخروج : (يخرج منهما) أى بمخالطة العذب الملتصق من غير واسطة أو بواسطة السحاب ، فصار ذلك

(١) من ظ ، وفي الأصل : استقرأنكم (٢) زيد من مد (٣) راجع نثر المرجان ١٤٤/٧ .

كالذكر والأنثى ، قال الرازى : فيكون العذب كاللقاح للبحر ، و قال أبو حيان^١ :
قال الجمهور : إنما يخرج من الأجاج فى المواضع التى يقع فيها الأنهار و المياه
العذبة فناسب إسناد ذلك إليهما ، و هذا مشهور عند الغواصين ، و قال
ابن عباس رضى الله عنهما و عكرمة مولا رضى الله عنه : / تكون هذه الأشياء
فى البحر بنزول المطر لأن الصدف [و غيرها] تفتح أفواهاها للطر - انتهى .

/ ١٤٩

فتكون الأصداف كالأرحام للنطف و ماء البحر كالجسد الغازى ، و الدليل
على أنه من ماء المطر كما قال الأستاذ حمزة الكرماني : إن من المشهور
أن السنة إذا أجذبت هزلت الحيتان ، و قلت الأصداف و الجواهر -
انتهى . ثم لاشك فى أنهما و إن كانا بحرين فقد جمعهما وصف واحد
١٠ بكونهما [ماء -^٢] ، فيسوغ إسناد الخروج إليهما كما يسند خروج
الإنسان إلى جميع البلد ، و إنما خرج من دار منها كما نسب الرسل إلى
الجن و الإنس بجمعهما فى خطاب واحد فقال " رسل منكم " و كذا
" و جعل القمر فيهن نورا " و مثله كثير (اللؤلؤ) و هو الدر الذى
[هو -^٢] فى غاية البياض و الإشراف و الصفاء (و المرجان) أى
١٥ القضبان المجرى التى هى فى غاية الحمرة ، فسبحان من غاير بينهما فى اللون
و المنافع و الكون - نقل هذا [القول -^١] ابن عطية عن ابن مسعود
رضى الله عنه ، و قال : [و -^٢] هذا هو المشهور الاستعمال - [انتهى -^٢] ،
و قال جمع كثير : [إن -^١] اللؤلؤ كبار الدر و المرجان صغاره .
و لما كان ذلك من جليل النعم ، سبب عنه قوله : (فبأي آلاء ربكما)

(١) راجع البحر المحيط ١٩١/٨ (٢) زيد من ظ (٣) زيد فى الاصل : النعم ،
و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها .

أى المالك لهما الذى هو الملك الأعظم (تكذبْنَه) مع هذه الصنائع
 [العظمى - ١]، أنعمة البصر من جهة الفوق أو غير ذلك من خلق المنافع
 فى البحار و تسليطكم عليها و إخراج الحلى الغريبة و غيرها .
 و لما كان قد ذكر سبحانه الحاج منه بماء السماء، ذكر السائر عليه^٩
 بالهواء، و أشار بتقديم الجار إلى أن السائر فى الفلك لا تصريف له، وإن ه
 ظهر له تصريف فهو لضعفه كلا تصريف، فقال : (و له) أى لا لغيره،
 فلا تغفروا بالأسباب الظاهرة فتقفوا معها فتسندوا شيئاً من ذلك إليها كما
 وقف أهل الاغترار بالشاهد، الذين هم أجد أهل الأرض أذهانا و أحقرهم
 شأنًا فقالوا بالاتحاد و الوحدة (الجوار) أى السفن الكبار و الصغار
 الفارغة و المشحونة . و لما كانت حياة كل شئ كونه على صفة كماله، ١٠
 و كانت السفن تبنى من خشب مجمع و توصل حتى تصير على هيئة تقبل
 المنافع الجمة، و كانت تبنى بذلك الجمع كما تبنى النباتات و الحيوان،
 و كانت ترتفع على البحر و يرفع شراعها و تحدث فى البحر بعد أن كانت
 مسترة بجمال الأمواج قال تعالى : (المنشئت) من نشأ - إذا حيى و ربا،
 و السحابة : ارتفعت، و أصل الناشئ كل ما حدث بالليل و بدأ، و معنى ١٥
 قراءة حمزة و أبى بكر بكسر الشين أنها رافعة شراعها بسبب استمساكها
 عن الرسوب و منشئة للسير، و معنى قراءة الباقين أنه أنشأها الصانع
 و أرسلها و رفع شراعها .

(١) زيد من ظ (٢) من ظ، و فى الأصل : عنه (٣) من ظ، و فى الأصل :

الاموال (٤) راجع نثر الرجان ١٤٠/٧ .

و لما كانت مع كونها عالية على الماء منغمسة فيه مع أنه ليس لها
 من نفسها إلا الرسوب والغوص قال : ﴿ في البحر ﴾ و لما كانت ترى
 على البعد كالجبال على وجه الماء قال : ﴿ كالأعلام ﴾ / أى كالجبال الطوال .
 و لما كان ما فيها من المنافع بالتكسب من البحر بالصيد وغيره و التوصل
 ٥ إلى البلاد الشاسعة للفوائد الهائلة ، و كانت أعمالهم في البحر الإخلاص
 [الذى - '] يلزم منها الإخلاص في البر ، لأنها بالنسبة إلى إبداءه لها
 و قدرته على التصرف فيها بكل ما يريده على حد سواء ، سبب عن ذلك
 قوله : ﴿ فبأى آلاء ربكما ﴾ أى النعمة العظمى ﴿ تكذبن ﴾ أنعمة البصر
 من تحتكم أو غيرها من الأسفار ، في محل الاخطار ، و الإنجاء عند الاضطراب
 ١٠ و الريح في محل الخسار ، و الإرشاد إلى ذلك بعد خلق مواد السفن
 و تعليم صنعتها و تسخيرها و الفلك لعدصى لوهما (٩) بمثابة جميع الكون ،
 فخدامها كالملائكة في إقامة الملكوت و تحسين تماسكه باذن ربهم ،
 و المسافرين بها الذين أنشئت لأجلهم وزان المأمورين المكلفين المتهيين
 الذين من أجلهم خلقت السماوات و الأرض و ما بينهما فعبء بهم من
 ١٥ غربتهم إلى قرارهم ، و من غيبتهم إلى حضورهم و مشاهدتهم ، و مدبرها أمرها
 في أعلاها يأمرهم بأمره فيعبدونه و يسمعون له ، ثم قد يصرف الاعتبار
 إلى أن تكون آية على قطع المؤمن أيام الدنيا فالدنيا هي البحر ، و السفينة
 جسمه ، و باطن العبد هو المحمول فيها ، و العقل صاحب سياستها ، و القوى
 خدمتها ، و أمر الله و تدبيره محيط بها ، و الإيمان أمتها ، و التوفيق

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و في الأصل : الشخص .

رحمها ، و الذكر شرعها ، و الرسول سائقها بما جاء به من عنده ، و العمل الطيب يصلح شأنها - ذكر ذلك ابن برجان .

و لما أخبر تعالى أنه خلق السماوات و الأرض و ما بث فيها من المنافع [من الأعيان - '] و المعاني ، و استوفى الأرض بقسميها برا و بحرا ، مضمنا ذلك العناصر الأربعة التي أسس عليها المركبات ، و كان أعجب ه ما للخلق من الصنائع ما في البحر ، و كان راكمه في حكم العدم ، دل على أنه المتفرد بجميع ذلك بهلاك الخلق ، فقال مستأنفا معبرا بالاسمية الدالة على الثبات و بده من ، للدلالة على التصريح تهويلا بفناء العاقل [على فناء غير العاقل - '] بطريق الأولى : (كل من عليها) أى الأرض بقسميها و السماء أيضا (فان يطمع) أى مالك و معدوم بالفعل ١ بعد أن كان هو و غيره من سائر ما [سوى - '] إليه ، و ليس لذلك كله من ذاته إلا العدم ، فهو فان بهذا الاعتبار ، و إن كان موجودا فوجوده بين عدمين أولهما أنه لم يكن ، [و] ثانيهما أنه يزول ثم هو فيما [بين - '] ذلك يتعاوره ٢ الایجاد و الإفناء في ٣ حين من أحواله و أعراضه و قواه ، و أسباب الهلاك محيطة به حسا و معنى و هو لا يراها كما أنها ١٥ محيطة بمن هو في السفينة من فوقه و من تحته و من جميع جهاته .

و لما كان الوجه أشرف ما في الوجود ، و كان يعبر به عما أريد به صاحب الوجه مع أنه لا يتصور بقاء الوجه بدون صاحبه ، فكان

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و في الأصل : الذي (٣ - ٢) سقط ما بين الرتين من ظ .

١٥١ / التعبير به عن حقيقة ذلك الشيء أعظم وأدل على الكمال، وكان من المقرر عند أهل الشرع أنه سبحانه ليس كمثل شيء فلا / يتوهم أحد [منهم - '] من التعبير به نقصا قال : ﴿ ويبقى ﴾ أى بعد فناء الكل، بقاء مستمرا إلى ما لا نهاية له ﴿ وجه ربك ﴾ أى المربي لك بالرسالة والترقية بهذا الوحي إلى ما لا يحد من المعارف، وكل عمل أريد به وجهه سبحانه وتعالى خالصا . ولما ذكر مباينته للخلوقات، وصفه بالإحاطة الكاملة بالنزاهة والحمد، وقال واصفا الوجه لأن المراد به الذات الذى [هو] أشرفها معبرا به ولأنها أبلغ من « صاحب » وبما ينبى على التنزيه عما ربما توهمه من ذكر الوجه بلبيد جامد مع المحسوسات يقيس الغائب ١٠ - الذى لا يعتريه حاجة ولا يلم بجنايه الأقدس نقص - بالشاهد الذى كله نقص وحاجة ﴿ ذو الجلال ﴾ أى العظمة التى لاترام وهو صفة ذاته التى تقتضى إجلاله عن كل ما لا يليق به ﴿ والاكرام ﴾ أى الإحسان العام وهو صفة فعله .

ولما كان الموت نفسه فيه نعم لاتنكر . وكان موت ناس نعمة على ناس، مع ما ختم به الآية من وصفه بالإنعام قال : ﴿ فبأى الآء ربك ﴾ أى [المربي لكما على هذا الوجه الذى مآله إلى العدم إلى أجل مسمى - '] ﴿ تكذبون ﴾ أى أيها الثقلان^٢ الإنسان والجنان، أنعمة السمع من جهة الامام أو غيرها من إيجاد الخلق ثم إعدامهم وتخليف بعضهم فى أثر بعض

(١) زيد من ظ (٢-٢) وقع ما بين الرقيين فى الأصل قبل « تكذبان » والترتيب من ظ .

و إرث البعض ما في يد البعض - ونحو ذلك من أمور لا يدركها على
جهتها إلا الله تعالى .

- و لما كان أدل دليل على عدم الحاجة ، وعلى دوام الوجود الغنى ،
قال دليلا على ما قبله : (يستله) ' أى على سبيل ' التجدد والاستمرار
(من فى السنوت) أى كلهم (و الارض) أى كلهم من ناطق ه
أو صامت بلسان الحال أو القال [أربها - ٢] ، و لما كان كأنه قيل :
فما ذا يفعل ٢ عند السؤال ، وكان أقل الأوقات المحددة المحسوسة "اليوم" ،
عبر به عن أقل الزمان كما عبر [به - ١] عن أخف الموزونات بالذرة
فقال مجيبا لذلك : (كل يوم) أى وقت من الأوقات من يوم السبت
و على اليهود لعنة الله و غضبه حيث قالوا فى السبت ما هو مناف لقوله ١٠
سبحانه و تعالى " و لقد خلقنا السنوت و الارض و ما بينهما فى ستة
ايام و ما مسنا من لغوب " " و لا يؤده حفظهما و هو العلى العظيم "
(هو فى شان ٤) أى من إحداث أعيان و تجديد معان أو إعدام ذلك ،
قال القشيري : [فى - ٢] فنون أقسام المخلوقات و ما يحويه عليها من اختلاف
الصفات - انتهى . و هو شؤن يديها لاشؤن يبتدئها تتعلق قدرته على وفق ١٥
إرادته على ما تعلق به العلم فى الازل أنه يكون أو يعدم فى أوقاته ، فكل شئ
قانت له خاضع لديه ساجد لعظمته شاهد لقدرته دال عليه " و ان من شئ
الايسبح بحمده " و ذلك التعبير - مع أنه من أجل النعم - أدل دليل على
(١ - ١) من ظ ، و فى الأصل : سوال (٢) زيد من ظ (٣ - ٣) فى ظ : هو
الفعل (٤) فى ظ : فى (٥) من ظ ، و فى الأصل : الاختلاف و .

صفات الكمال [له و صفات - ١] النقص للتغيرات و أنها عدم في نفسها
 و لأنها نعم قال : ﴿ فبأي آلاء ربكما ﴾ أى الربى لكما بهذا التدبير العظيم
 لكل ما يصلحكما ﴿ تكذبن ﴾ أنعمة السمع من [جهة - ١] الخلف
 أو غيرها من تصرفه إياكم فيما خلقكم له هو أعلم به منكم من معاشكم
 ٥ و جميع تقلباتكم ، و قد تكررت في هذه الآية المقررة على النعم من أولها
 إلى هنا ثمانى مرات عقب النعم إشارة - و الله أعلم - إلى أن نعمة الله
 سبحانه و تعالى / لا تحصى لأنها تزيد على السبعة التى هى العدد التام
 / ١٥٢
 الواحد هو مبدأ لدور جديد من العدد إشارة إلى أنه كلما انقضى منها
 دور ابتداء دور آخر ، و وجه آخر و هو أن الأخيرة صرح فيها بـ « من »
 ١٠ فى السماوات و الأرض ، و السبع التى قبلها يختص بأهل الأرض إشارة
 إلى أن أمهات النعم سبع كالسماوات و الأرض و الكواكب السيارة
 و نحو ذلك .

و لما انقضى عد النعم العظام على وجه هو فى غاية الإمكان من
 البيان ، و كان تغير سائر الممكنات من النبات و الجماد و الملائكة و السماوات
 ١٥ [و الأرض - ١] و ما حوتا بما عدا الثقليين على نظام واحد لا تفاوت
 فيه ، و أما الثقلان فأحوالهما لأجل تنازع العقل و الشهوات لا تكاد
 تنضب ، بل تغير حال الواحد منهم فى اللحظة الواحدة إلى ألوان كثيرة
 متضادة لما فيهم من المكر و أحوال المغالبة و البغى و الاستئثار باللهو

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل : حد (٣) من ظ ، وفى
 الأصل : حوت .

بالامر والنهي ، وكان أكثرهم يموت بناره من غير أخذ ثأره ، واقتضت
الحكمة ولا بد أنه لابد لهم من يوم يجتمعون فيه يكون بينهما فيه الفصل
على ميزان العدل ، خصهما بالذكر فقال آتيا في النهاية بالوعيد لأنه ليس
للعصاة بعد الإنعام والبيان إلا التهديد الشديد للرجوع إلى طاعة الملك
الديان ، والاتفات في قراءة الجماعة بالنون إلى التكلم أشد تهديدا من ه
قراءة حمزة والكسائي بالتحية على نسق ما مضى : (سنفرغ) أى
بوعده قريب لاخلف فيه من جميع الشؤون التي ذكرت (لكم) أى
نعمل عمل من يفرغ للشيء فلا يكون له شغل سواه بفراغ جنودنا
من الملائكة وغيرهم مما أمرناهم به مما سبق به كلمتنا ومضت به
حكمتنا من الآجال والأرزاق وغير ذلك فينتهى كله ولا يكون لهم ١٠
حينئذ عمل إلا جمعكم ليقضى بينكم : (آية الثقلين ع) بالنصفه ، والثقل
هو ما يكون به قوام صاحبه ، فكأنهما سميا بذلك تمثيلا لهما بذلك إشارة
إلى أنهما المقصودان بالذات من الخلائق ، [و - ٦] قال الرازي في
الوابع : وصفا بذلك يعظم ذلك شأنهما ، كأن ما عداهما لا وزن له^٢
بالإضافة إليهما - انتهى . وهذا كما قال صلى الله عليه وسلم " انى تارك ١٥
فيكم الثقلين : كتاب الله وعترتى " وقال جعفر الصادق : سميا بذلك لأنهما
مقلان بالذنوب .

(١) راجع نثر المرجان ١٤٧/٧ (٢) من ظ ، وفي الأصل : بوعيد (٣) في ظ :

عن (٤) من ظ ، وفي الأصل : بالصفه (هـ) من ظ ، وفي الأصل : المقصود .

(٦) زيد من ظ (٧) من ظ ، وفي الأصل : لها .

ولما كان هذا من اجل النعم التي يدور عليها العباد، ويصلح بها البلاد، و تقوم بها الساعات والارض، لان مطلق التهديد يحصل به انزجار النفس عما لها من الانتشار فيما يضر ولا ينفع، فكيف بالتهديد يوم الفصل قال: ﴿فبأى آلاء ربكما﴾ أى المحسن إليكما بهذا الصنع ٥ [المحكم - ١] ﴿تكذبن﴾ أبنعمة السمع عن اليقين أو بغيرها من إثابة امل طاعته وعقوبة امل معصيته، وسمى ابن برجان هذا الإخبار الذى لا نون جمع فيه خطاب القبض يخبر فيه عن موجوداته وما هو خالقه، قال: وذلك إخبار منه عن محض الواحدانية، وما قبله من "سفرغ" ونحوه وما فيه نون الجمع إخبار عن وصف ملكوته وجوده وهو ١٠ خطاب البسط .

ولما كان التهديد بالفراغ ربما أوهم أنهم الآن معجوز عنهم او عن بعض أمرهم، بين بخطاب القبض المظهر لمحض الواحدانية أنهم فى القبضة، لا فعل لأحد منهم بدليل أنهم / لا يصلون إلى جميع مرادهم بما هو فى ١٥٣ / مقدورهم، ولكنه ستر ذلك بالاسباب التى يوجب انتقيد بها إسناد الامور ١٥ إلى مباشرتها فقال يانا للراد بالثقلين: ﴿ينمعر﴾ أى يا جماعة فيهم الاهلية والعشيرة والتصادق ﴿الجن﴾ قدمهم لمزيد قوتهم ونفوذهم فى المسام و قدرتهم على الخفاء والتشكل فى الصور بما ظن أنهم لا يعجزهم شئ. ﴿والانس﴾ أى الخواص والمستأنسين والمؤانسين المبني أمرهم على الإقامة والاجتماع .

٢٠ ولما بان بهذه التسمية المراد بالثنية، جمع دلالة على كثرتهم فقال:

(ان استطعتم) [أى - ١] إن وجدت لكم طاعة الكون في (ان تفذوا)
 أى تسلكوا بأجسامكم وتمضوا من غير مانع يمنعكم (من اقطار) أى
 نواحي (السموات والارض) التى يتخللها القطر لسهولة انفتاحها لشيء.
 تريدونه من هرب من الله من إيقاع الجزاء بينكم، أو عصيان عليه في قبول
 أحكامه^٢ وجرى مرادانه وأفضيته عليكم من الموت وغيره أو غير ذلك ه
 (فانفذوا) وهذا يدل على أن كل واحدة منها محيطة بالآخرى لأن
 النفوذ لا يكون حقيقة إلا مع الحرق .

ولما كان نفوذهم في حد ذاته ممكنا ولكنه منعهم من ذلك بأنه
 لم يخلق في أحد منهم قوته ولا سيما وقد منعهم منه يوم القيامة بأمور
 منها إحداق أهل السماوات السبع [بهم - ١] صفا بعد صف وسرادق ١٠
 النار قد أحاط بالكافرين ولا منفذ لأحد إلا على الصراط ولا يجوزه إلا كل
 ضامر يخف، أشار إليه بقوله مستأنفا: (لا تفذون) أى [من - ١]
 شيء من ذلك (الا بسلطن ج) إلا بتسليط عظيم منه سبحانه بأمر قاهر
 وقدره بالغة وأنى لكم بالقدرة على ذلك، قال البغوى: وفي الخبر:
 يحاط على الخلق بالملائكة ولسان من ماري^٣ تم ينادون: يا معشر الجن ١٥
 - الآية . انتهى، وهذا حكاية ما يكون من ذلك يوم القيامة لأنه
 خاص بهم .

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، وفي الأصل : احكامها (٣-٣) من إظ ، وفي
 الأصل : الابد (٤) راجع معالم التنزيل بهامش الباب ٧ / ٦ (٥-٥) من ظ
 والعالم ، وفي الأصل : بالخلق (٦) زيد في الأصل : جهنم ، ولم تكن الزيادة في
 ظ والعالم لحذفها .

ولما كان هذا نظرم فيما بينهم وبين بقية الحيوانات بما أعطاهم
من القوى^١ الحسية و المعنوية و ما نصب لهم من المصاعد العقلية و المعارج
النقلية التي ينفذون بها إلى غاية الكائنات و يتخللون بما يؤديهم^٢ إليه عليها
إلى أعلى المخلوقات، ثم نظرم فيما بين الحيوانات و بين النباتات ثم بينها
و بين الجمادات دالا دلالة واضحة على أنه سبحانه و تعالى يعطى من
يشاء ما يشاء، فلو أراد قوام على النفوذ منها، و لو قوام على ذلك لكان
من أجل النعم، و أنه سبحانه قادر على ما يريد منهم، فلو شاء أهلكتهم
و لكنه يؤخرهم إلى آجالهم حلما^٣ منه و عفوا منه عنهم، سبب عن ذلك
قوله : ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَا﴾ أى المحسن إليكما المربي لكما بما تعرفون به
١. قدرته على كل ما يريد ﴿تَكْذِبُنَّ﴾ أنعمة السمع من جهة اليسار
أو غيرها من جعلكم سواء فى أنكم لا تقدرُونَ على مخالفة مراده سواء
كنتم جمعا أو فرادى، أو من ضمكم إلى يوم الجمع و قد جمعكم قبل حين
ابتداً بخلقكم أو اليوم المشهود و قد أشهدكم قبل على أنفسكم و عهد إليكم
أو بتكشيط السماوات و قد شاهدتم / تكشيط السحاب بعد بسطه،
١٥ أو بالجزاء و قد رأيتم الجزاء العاجل و شاهدتم ما أصاب الأمم الماضية .
و لما سلب عنهم القدرة على النفوذ المذكور تنبيها على سلب جميع
القدرة عنهم و على أن ما يقدرُونَ عليه إنما هو بتقديره لهم نعمة منه
عليهم، و لما كان منهم من بلغ الغاية فى قسوة القلب و جهود الفكر
(١) من ظ ، و فى الأصل : القوة (٢) من ظ ، و فى الأصل : يؤديهم .
(٣) من ظ ، و فى الأصل : حكما .

فهو يحيل العجز عن بعض الأمور إلى أنه لم يحجر بذلك عادة، لا إلى أنه سبحانه المانع من ذلك، فعمهم^(١) ثيء من ذلك سطوته فقال:

(يرسل عليكما) أى أيها المعاندون ، قال ابن عباس رضى الله عنهما:

حين [تخرجون من القبور -^٢] بسوقكم إلى المحشر (شواظ) أى لهب

عظيم منتشر مع التضايق محيط بكم من كل جانب له صوت شديد كهيبته ه

ذى الخلق الضيق الشديد النفس .

ولما كان الشواظ يطلق على اللهب الذى لا دخان فيه وعلى دخان النار وحرها وعلى غير ذلك ، يفنه بقوله : (من نار^٣ ونحاس) أى دخان هو فى غاية الفظاظة فيه شرر متطاير و قطر مذاب ، قال ابن جرير^٤:

والعرب تسمى الدخان نحاسا بضم النون وكسرهما ، وأجمع القراء على ١٠

ضمها - انتهى . وجرها أبو عمرو وابن كثير عطفا على " نار " ورفع

الباقون عطفا على " شواظ " .

ولما كان ذلك ممكنا عقلا وعادة ، وكانوا عارفين بأنهم لو وقعوا فى مثل ذلك لم يتخلصوا منه بوجه ، سبب عنه قوله : (فلا تنصرون^٥)

قال ابن رجب: هذا مصداق قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : يخرج عنق ١٥

من نار فيقول بكل جبار عنيد فليقتطعهم من بين الجمع لقط الحام حب السمسم ،

و يغشى المجرمين دخان جهنم من بين المؤمنين ولا يضرهم ، وآية الشواظ

(١) من ظ ، وفى الأصل : فعمم (٢) زيد من ظ (٣) راجع جامع البيان ٢٧/ (٤) راجع نثر الرجان ٢٧/ ١٥٠ (٥) من ظ ، وفى الأصل : ملك .

و عنق النار هنالك صواعق ما هنا وبروقه و النار الممهودة .
 و لما كان التهديد بهذا اطفأ بهم فهو نعمة عليهم و العفو عن المعالجة
 بارساله لذلك ، سبب عنه قوله : ﴿ فبأى آلاء ربكما ﴾ أى المرنى لكما بدفع
 البلايا و جلب المنافع ﴿ تكذبين ﴾ أبغمة السمع من فوق أو غيرها ،
 ٥ ألم يكن لكم فيما شهدتموه فى الدنيا من دلائل ذلك و آياته ما يوجب
 لكم الإيمان . و لما كان هذا ما لم تجر عادة بعمومه و إن استطردت بحرياته
 منه فى أشياء منه فى أماكن متفرقة كأشخاص كثيرة ، بين لهم وقته بقوله :
 ﴿ فاذا ﴾ أى فيقتسب عن هذا الإرسال أنه إذا ﴿ انشقت السماء ﴾
 من هوله و عظمتها فكانت أبوابا لنزول الملائكة و غيرهم ، و غير ذلك
 ١٠ من آيات الله ﴿ فكانت ﴾ لما يصيها من الحر ﴿ ورده ﴾ أى حره
 مشرقة من شدة لحيه ، و قال البغوى : كلون الفرس الورد و هو
 الأبيض الذى يضرب إلى حمرة و صفرة . ﴿ كالدهان ﴾ أى ذاتة صافية
 كالشيء الذى يدهن به أو كاللاديم الأحمر و المكان الزلق ، و آية ذلك فى
 الدنيا الشفقان عند الطلوع و عند الغروب ، و جواب « إذا » محذوف
 ١٥ تقديره : علمتم ذلك علما شهوديا ، أو فما اعظم الهول حينئذ و نحو ذا أن
 يكون الجواب شيئا دلت عليه ' الآيات الآتية ' نحو : فلا يسأل أحد
 إذ ذاك عن ذنبه ، و حذفه أنعم / أيذهب الوهم فيه كل مذهب .

/ ١٥٥

(١) راجع المعالم بهامش الباب ٧/٧ (٢ - ٢) سقط ما بين الرقيمين من ظ .
 (٣) من ظ ، وفى الأصل : هى (٤) من ظ . وفى الأصل : التأخير (٥) و العبارة
 من هنا إلى ما سننبه عليه جرى نسخها من ظ اطمس نسخة الأصل .

و لما كان حفظ السماء عن مثل ذلك بتأخير إرسال هذا وغيره من
الاسباب وجعلها محل الروح والحياة والرزق من اعظم الفواضل
قال مسيبا عنه : (فبأى آلاء ربكما) أى الربى لكما هذا التدبير المتقن
(تكذبُن) أنعمه السمع من تحت أو غيرها وليس شئ بما أخبرتكم
به من أحوال الآخرة إلا قد أقمت لكم فى الدنيا ما تهتدون به إلى العلم
بكونه . و لما كان يوم القيامة ذا ألوان كثيرة و مواقف مهولة طويلة
شهيرة تكون فى كل منها شوؤن عظيمة و أمور كبيرة ، ذكر بعض ما
سببه هذا الوقت من التعريف بالعاصى و الطائع بآيات جعلها الله سببا فى
عليها فقال : (فيومئذ) أى فسبب عن يوم انشقت السماء لأنه (لايسئل)
سؤال تعرف و استعلام بل سؤال تقرع و توبخ و كلام ، و ذلك أنه ١٠
لايقال له : هل فعلت كذا ؟ بل يقال له : لم فعلت كذا ، على أنه ذلك اليوم
طويل ، و هو ذو ألوان تارة يسئل فيه و تارة لايسئل ، و الامر فى غاية
الشدة ، و كل لون من تلك الألوان يسمى يوما ، فقد مضى فى الفاتحة أن
اليوم عبارة عن وقت يمتد إلى اقضاء أمر مقدر فيه ظاهر من ليل أو نهار
أو غيرهما لقوله تعالى ” إلى ربك يومئذ المساق “ أى يوم إذا بلغت ١٥
الروح التراقي و هو لا يختص بليل و لا نهار ، و بناء للفعول تعظيما للأمر
بالإشارة إلى أن شأن المعترف بالذنب لا يكون خاصا بعهد دون عهد بل
يعرفه كل من أراد علمه ، و أضمر قبل الذكر لما هو مقدم فى الرتبة ليفهم
الاختصاص فوحد الضمير لأجل اللفظ فقال : (عن ذنبه) أى خاصة
و قد سئل المحسن عن حسنة سؤال تشریف له و تدعيم لمن دونه .

و لما كان الإس اعظم مقصود بهذا . ولهذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم منهم ، و كان التعريف بالشاهد المألوف أعظم في التعريف ، و كان علم أحوال الشيء الظاهر أسهل ، قدمهم فقال : ﴿ انس ﴾ و لما كان لا يلزم من علم أحوال الظاهر علم أحوال الخفى ، بين أن الكل عليه سبحانه ه هين فقال : ﴿ ولا جان ﴾ و لما كان هذا التمييز من أجل النعم لثلاثا يؤدي الالتباس إلى زويع بعض المطيعين عاملا (١) أو نكايه بالسؤال عنه قال : ﴿ فبأى آلاء ربكما ﴾ أى الذى رنى كلا منكم بما لا مطمع فى إنكاره و لاختفاء فيه ﴿ تكذبن ﴾ أبتعة الشتم من الامام أم من غيرها . و لما كان الكلام عاما عرف أنه خاص بتعرف المجرم من غيره دون ١٠ التعزير بالذنب أو غيره من الاحوال فقال معللا لعدم السؤال : ﴿ يعرف ﴾ أى لكل أحد ﴿ المجرمون ﴾ أى العريقون فى هذا الوصف ﴿ بسيمهم ﴾ أى العلامات التى صور الله ذنوبهم فيها فجعلها ظاهرة بعد أن كانت باطنة ، و ظاهرة الدلالة عليهم كما يعرف أن الليل إذا جاء لا يخفى على أحد أصلا و كذلك النهار و نحوهما لغير الاعمى ، و تلك السيماء - والله أعلم - ١٥ زرقة العيون و سواد الوجوه و العمى و الصمم و المشى على الوجوه و نحو ذلك ، و كما يعرف المحسنون سيماء من يياض الوجوه ، و إشارتها و تبسمها ، و الغرة و التحجيل و نحو ذلك ، و سبب عن هذه المعرفة قوله مشيرا بالبناء للفعول إلى سهولة الاخذ من أى آخذ كان ﴿ فيؤخذ بالنواصي ﴾ أى منهم و هى مقدمات الرأس ﴿ و الاقدام ﴾ بعد أن يجمع بينهما

(١) من هنا استأنف الأصل (٢) من ظ ، و فى الأصل : بن

كما انهم كانوا [م - '] يجمعون ما ' أمر الله به ان يفرق . و يفرقون ' ما أمر الله به أن يجمع ، فيسحبون بها سبحانه من كل صاحب ' اقامه الله لذلك لا يقدرّون على الامتناع بوجه فيلقون ' في النار .

ولما كان ذلك نعمة لا يقام بشكرها لكل من يسمعها لأن كل أحد ينتفى ' من الإجمام ' و يود للمجرمين ' عظيم الانتقام ، سبب عنه قوله : ه (فبأي 'آله ربكما) أي النعم الكبار من الذي دبر مصالحكم بعد أن أوجدكم (تكذببنه) أنعمة الشم من وراء أم بغيرها بما يجب ان يفعل من الجزاء في الآخرة لكل شخص بما كان يعمل ' في الدنيا أو غير ذلك من الفضل .

ولما كان أخذهم على هذا الوجه مؤذنا بأنه [يصير] إلى خزي عظيم ، ١٠ صرح به في قوله ، بانبا على ما هدى إليه السياق ' من محو ' : أخذنا مقولا فيه عند وصولهم إلى محل النكال على الحال التي ذكرت من الأخذ بنواصيهم وأقدامهم : (هذه) [أي - '] الحفرة العظيمة الكريهة المنظر " القرية منكم " [الملازمة للقرب لكم - '] (جهنم التي يكذب)

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، وفي الأصل : من (٣) زيد في الأصل : ويفرق ، ولم تكن الزيادة في ظ لحذفها (٤) من ظ ، وفي الأصل : يحجب (٥) من ظ ، وفي الأصل : يلتقون (٦) من ظ ، وفي الأصل : ينبغي (٧) من ظ ، وفي الأصل : الاحترام (٨) من ظ ، وفي الأصل : المجرمون (٩) من ظ ، وفي الأصل : يفعل (١٠-١١) من ظ ، وفي الأصل : ينحو (١١-١٢) من ظ ، وفي الأصل : القريب لكم .

أى ماضيا و حالا و مآلا استهانة و لو ردوا إلى الدنيا - بعد إدخالهم
إياها - لعادوا لما نهوا عنه ، ﴿ بها المجرمون ٥ ﴾ أى العريقون فى الإجمام ،
و هو قطع ما من حقه أن يوصل [و هو - '] ما أمر الله به ، و خص
هذا الاسم إشارة إلى أنها تلقاها بالتجهم و العبوسة و الكلاحة و الفظاظة
٥ كما كانوا يفعلون مع الصالحين عند الإجمام [المذكور - '] : قال ابن
برجان : و قرأ عبد الله " هذه جهنم التى كنتم بها تكذبون فتصليانها "
لا تموتان فيها ولا تحيان " ثم استأنف ما يفعل بهم فيها فقال :
﴿ يطوفون بينها ﴾ أى بين دركة النار التى تتجهمهم ﴿ و بين حميم ﴾
أى ماء حار هو من شدة حرارته ذو دخان .

١٠ . و لما كان هذا الاسم يطلق على البارد ، بين أمره فقال : ﴿ ان ٤ ﴾
أى بالغ حره إلى غاية ليس وراءها غاية ، قال الرازى فى اللوامع :
وقيل : حاضر ، و به سعى الحال بالآن لأنه الحاضر الموجود ، فان الماضى
لا تدارك له و المستقبل أمل و ليس لنا إلا الآن ، ثم الآن ، ليس بثابت
طرفة عين ، لأن الآن هو الجزء المشترك بين زمانين ، فهم دائما
١٥ يترددون بين عذاب النار المذية للظاهر و الماء المقطع بحره للباطن الذى
لا يزال حاضرا لهم تردد الطائف الذى لا أول لتردده و لا آخر .

و لما كان عذاب المجرم - القاطع لما من شأنه أن يكون متصلا -
من أكبر النعم و أسرها لكل أحد حتى لمن سواه من المجرمين ، سبب

(١) زيد من ١ ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : بأن تصليانها ، و فى نثر المرجان
١٥٣/٧ : تصليان (٣) من ظ ، و فى الأصل : يدرك (٤) من ظ ، و فى الأصل : الخبر .

قوله : ﴿ فَبَإِذَا آتَىٰ رَبُّكَ ﴾ اى المحسن إليكما أيها الثقلان باهلاك المجرم
 فى الدارين وإنجاء المسلم عما أهلك به المجرم لطفًا بالمهدين ليرتدعوا
 / ١٥٧ / أو ينزجروا عما يكون سبب إهلاكهم 'هم ومن والاهم' ﴿ تكذِّبُكُمْ ﴾
 أنعمه الشَّم من اليمين أم من غيرها مما أراكم من آياته ، و ظاهر عليكم
 من بيناته ، فى السماوات والأرض ، 'وما' أراكم من مطالع الدنيا من هـ
 الشمس التى هى آية النهار والقمر الذى هو آية الزمهرير ، وغير ذلك
 من آياته المحكمة المرئية والمسموعة ، وقد كررت هذه الآية عقب ذكر
 النار وأهوالها سبع مرات تنبيهًا على استدفاع أبوابها السبعة ٢ كما مضى -
 والله المستعان .

'ولما كان' قد عرف ما للمجرم المجترئ على العظام ، وقدمه لما ١٠
 اقتضاه مقام التكبر من الترهيب وجعله سبعا إشارة إلى أبواب النار
 السبعة . عطف عليه ما للخائف الذى أداه خوفه إلى الطاعة وجعله
 [ثمانية - ٤] على [عدد - ٤] أبواب الجنة الثمانية فقال : ﴿ ولمن ﴾
 [اى - ٤] والكل [من - ٤] ، ووحده الضمير مراعاة للفظ 'من' ،
 إشارة إلى قلة الخائفين ﴿ خاف ﴾ أى من الثقلين . ١٥

ولما كان ذكر الخوف من الزمان المضروب للحساب [والتدبير
 والمكان المعد لها أبلغ من ذكر الخوف من الملك المحاسب - ٤] المدبر ،
 والخوف مع ذكر وصف الإكرام أبلغ من ذكر الخوف عند ذكر

(١-١) سقط ما بين الرهين من ظ (٢-٢) من ظ ، وفى الأصل : بما (٣) من
 ظ ، وفى الأصل : السبع (٤) زيد من ظ .

أوصاف الجلال، قال دلاً بذلك على أن المذكور رأس الخائفين :
 ﴿مقام ربه﴾ أى مكان قيامه الذى يقيمه و غيره فيه المحسن إليه للحكم
 'و زمانه الذى ضربه' له و قيامه عليه و على [غيره -] بالتدبير، فهو
 رقيب عليه و عليهم، فكيف إذا ذكر مقام المنتقم الجبار المتكبر قترك
 د لهذا ما يفضبه و فعل ما يرضيه ﴿جشنج﴾ عن يمين و شمال، واحدة
 للعلم و العقل و أخرى للعمل، و يمكن أن يراد بالثنائية المبالغة إيهاماً لأنها
 جنان متكررة و متكررة مثل "القيما فى جهنم كل كجبارٍ عنيد"
 و نحو ذلك .

ولما كانت هذه نعمة جامعة، سبب عنها قوله : ﴿فبأى الآء ربك﴾
 ١٠ أى نعم الربى لكما^١ و المحسن إليك^٢ باحسانه الكبار التى لا يقدر غيره
 على شيء منها ﴿تكذبن لا﴾ أبنعمه الشم من اليسار المنبعثة من القلب
 أو غيرها من تربة جنان الدنيا بنفس جهنم من حر الشمس و حرورها،
 فجعل من ذلك جميع الفواكه و الزروع إلى غير ذلك من المرافق التى
 طبخها بها "و كائن من آية فى السموات و الارض يبرون عليها] و هم
 ١٥ عنها معرضون " - [^٣ و غير ذلك من نعمه التى لا تحصى .

ولما كانت البساتين لا يكمل مدحها إلا بكثرة الأنواع و [الألوان -]
 و الفروع المشتبكة^١ و الأغصان، قال واصفا لهما : ﴿ذواتا﴾ أى صاحبتا^٢

(١) من ظ، و فى الأصل : الخافقين (٢-٢) عبارة ما بين الرقيين تكررت فى
 الأصل، و لم يكن التكرار فى ظ نخلدناها (٣) زيد من ظ (٤-٤) سقط ما بين
 الرقيين من ظ (٥) من ظ، و فى الأصل : النبعث (٦) فى ظ : المسكة (٧) من
 ظ، و فى الأصل : صاحباً .

رد عين الكلمة فان اصلها ذرو، (افان ج) أى جمع فن يتنوع فيه الثمار،
وفن وهو الغصن المستقيم طولا الذى تكون به الزينة بالورق والثمر و كال
الارتفاع، قال عطاء: فى كل غصن فنون من الفاكهة؛ ولهذا سبب عنه
قوله: (فباى الآء ربك) [أى] الربى لكما والمحسن إليك (تكذبن) أبغمة
الشم من جهة الفوق أو غيرها مما ذكره لكم من وصف الجنة الذى
جعل لكم من أمثاله ما تعجبون به .

ولما كانت الجنان لا تقوم إلا بالأنهار قال: (فيهما عين) أى
فى كل واحدة عين (تجرئن) أى فى كل مكان شاء صاحبهما / وإن
علا مكانه كما تصعد المياه فى الأشجار فى كل غصن منها، وإن زاد
علوها جرى على عنبى دموعه الجاريتين من خشية الله . وذلك على ١٠
مثال جنات الدنيا، والشمس صاعدة فى البروج الشامية من تكامل
المياه وتفجرها عيوننا فى أيام الربيع والصيف لقرب العهد بالأمطار
(فباى الآء ربك) أى المالك لكما والمحسن إليك (تكذبن) أبغمة
الشم من جهة التحت [أو غيرها - ٢] مما ذكره وجعل له فى الدنيا
أمثالا كثيرا .

١٥

ولما كان بالمياه حياة النبات وزكاؤه، قال ذاكرا أفضل النبات:
(فيهما) أى هاتين الجنتين العاليتين، ودل على جميع كل ما يعلم
و زيادة بقوله: (من كل فاكهة) أى تعلمونها أو لا تعلمونها (زوبجن ج)

(١) - قط من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل: البرزخ (٣) فى ظ : حين .

(٤) زيد من ظ .

أى صنفان^١ يكمل أحدهما بالآخر كما لا يدرك كنه أحد الزوجين بسبب العمل بما يرضى و الآخر بالانتهاء عما يسخط (فأى^٢ الآء ربكما) أى النعم الكبار التى رباهما الموجد لكما المحسن إليكما (تكذبين^٣) أنعمة اللس من الامام أو غيرها من أنه أوجد لكما جنان الدنيا بواسطة حر النار التى هى أعدى عدوكما^٤ إشارة إلى أنه قادر على أنه يوجد رضوانه و محبته من موضع غضبه و انتقامه لإكراما ، فقد جعل ما فى الدنيا مثالا^٥ لما ذكر فى الآخرة ، فأى^٦ شئ من ذلك تكذبان ، لا يكمل الإيمان حتى يصدق المؤمن أنه تعالى قادر على أن يجعل من جهنم جنة بأن يجعل من^٧ موضع سخطه رحمة و يشاء ذلك و يعتبر ذلك بما أرانا ١٠ من نمودجه .

و لما كان التفكه لا يكمل حسنه إلا مع التنعم من طيب الفرش وغيره ، قال مخفرا عن الذين يخافون مقام ربهم من قبلى الإنسان و الجن مراعيًا معنى "من" بعد مراعاة لفظها تحقيقا للواقع : (متكئين) أى لهم ما ذكر فى حال الاتكاء و هو التمكن بهيئة المتربع أو غيره من ١٥ الكون على جنب ، قال فى القاموس : توكأ عليه : تحمل ، و اعتمد كأوكأ ، و التكاء كهزمة : العصا ، و ما يتوكأ عليه ، و ضربه فأتكأه : ألقاه على هيئة المتكى أو على جانبه الأيسر ، و قال ابن القطائع : و ضربه حتى أتكأته

(١) من ظ ، و فى الأصل : صنفين (٢) فى الأصل و ظ : عدوكم (٣) من ظ ، و فى الأصل : مثالا (٤) زيد فى الأصل : الآء ربكما ، و لم تكن الزيادة فى ظ لفظها (٥) سقط من ظ (٦) راجع كتاب الأفعال ١٢١/١ .

أى سقط على جانبه ، وهو يدل على تمام التمتع بصحة الجسم و فراغ البال (على فرش) و عظمها بقوله مخاطبا للكافرين بما تحتل عقولهم 'وإلا فليس' فى الجنة ما يشبهه على الحقيقة شئ من الدنيا (بطأئها) أى فما ظنك بظواهرها و وجوهها (من استبرق^٢) و هو تخين الدياج يوجد فيه من حسنه ريق كأنه [من -^٢] شدة لمعانه يطلب إيجاد ه حتى لانه نور مجرد .

ولما كان المتكى قد يشق عليه القيام لتناول ما يريد قال : (وجنا الجنتين) أى مجنيهما اسم بمعنى المفعول^٤ - كأنه عبر به ليفهم سهولة نفس المصدر الذى هو الاجتناء (دان^٥) أى قريب من كل من^١ يريد من متكى وغيره لايخرج إلى صعود شجرة ، و موجود من كل ١٠ حين يراد غير مقطوع ولا ممنوع .

ولما كان ربما وجد مثل من ذلك شاهد [له -^٢] من أغصان تعطف بحملتها فقرب و أخرى تكون قرية من ساق الشجرة فيسهل تناولها قال : (فبأى الآء ربكما) أى النعم الكبار الملوكة التى أوجدها لكما / هذا المبنى لكما الذى يقدر على كل ما يريد (تكذبني^٥) ابغمة ١٥ / ١٥٩ اللس من جهة الورا أم غيرها من قدرته [على -^٢] عطف الأغصان و تقريب الثمار .

(١ - ١) من ظ ، و فى الأصل : ليس (٢) فى الأصل : بظاهاها ، و فى ظ : ظواهاها (٣) زيد من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : مفعول (٥) فى ظ : فى .

ولما كان ما ذكر لا يتم نعمته إلا بالنسوان الحسنان، قال دالا على
الكثرة بعد سياق الامتان بالجمع الذى هو أولى من التثنية بالدلالة على
أن فى كل بستان جماعة من النسوان، لما بهن من عظيم اللذة وفرط
الانس: ﴿ فيهن ﴾ أى الجنان التى علم بما مضى أن لكل فرد من
ه الخافقين منها جنتين . ولما كان سياق الامتان معرفا بأن جمع القلة
أريد به الكثرة مع ما ذكر من محسناته فى سورة « ص »، قال معرابه:
﴿ قصرت الطرف لا ﴾ أى نساء مخدرات هن فى وجوب الاستر بحيث يضمن
من ذكرهن بغير الوصف من غير تصريح، قد قصرن طرفهن وهمهن
على أزواجهن ولهن من الجمال ما قصرن به أزواجهن عن الالتفات
١٠ إلى غيرهن لفتور الطرف وسحره وشدة أخذه للقلوب جزاء لهم على
قصرهمهم فى الدنيا على ربهم .

ولما كان الاختصاص بالنسوة لاسيما المرأة من أعظم الملذذات
[قال -] : ﴿ لم يطمئن ﴾ أى يجامعن ويتسلط عليهن فى هذا الخلق
الذى أنشئت فيه نوع من أنواع السلطة سواء من إناث أو جنات أو غير
١٥ ذلك، يقال: طمئت المرأة كضرب وفرح: حاضت، وطمئها الرجل:
اقتضاها وأيضاً جامعها، والبعير عقلته (٩)، فكأنه قيل: هن أ بكر لم يخاط
موضع الطمئ منهن ﴿ انس ﴾ ولما كان المراد تعميم الزمان أسقط
الجار فقال: ﴿ قبلهم ﴾ أى المتكئين ﴿ ولا جان ﴾ وقد جمع هذا
(١) من ظ، وفى الأصل: الخافقين (٢) من ظ، وفى الأصل: جنتان .
(٣) زيد من ظ .

كل من ^١ يمكن منه جماع من ظاهر و باطن ، وفيه دليل على أن الجنى يغشى الإنسى كما نقل عن الزجاج ﴿ فباي الآ ربكما ﴾ أى النعم الجسم [من] المربى الكامل العلم الشامل القدرة القيوم ﴿ تكذبن ه ﴾ أنعمة اللس من جهة اليمنى أم غيرها عما جعله الله لكم مثالا لهذا من الأبرار الحسان ، أو غير ذلك من أنواع الإحسان .

- و لما دل ما تقدم من وصف المستمتع بهن بالعزة و النفاسة ، زاده على وجه أفاد أنه يكون بهن غاية ما يكون من سكون النفس وقوة القلب و شدة البدن و اعتدال الدم و غير ذلك من خواص ما شبههن به فقال : ﴿ كأنهن الياقوت ﴾ الذى هو فى صفاته بحيث يشف عن سلكه و هو جوهر معروف ، قال فى القاموس : أجوده الأحمر الرمانى نافع للوسواس .
و الخفقان و ضعف القلب شربا و لجود الدم تعليقا . ﴿ و المرجان ٥ ﴾ فى يياضه ، و صغار الدر أنصح يياضا ، قال أبو عبد الله القزاز : و المرجان صغار اللؤلؤ ، و هذا الذى يخرج من نبات البحر أحمر معروف - انتهى .
و قد يستفاد من ذلك أن ألوانهن البياض و الحمرة على نوع من الإشراب هو فى غاية الإعجاب من الشفوف و الصفاء ، و هو مع ذلك ثابت لا يعتريه ١٥
تغير ليطابق الحديث الذى فيه ” يرى مخ ساقها من وراء سبعين حلة “
و قال / أبو حيان ^٢ : شبههن بهما فيما يحسن التشبيه به فالياقوت فى إملاسه و شفوفه و المرجان فى إملاسه و جمال منظره ﴿ فباي الآ ربكما ﴾ أى
(١) زيد فى الأصل : حميم ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٢) من ظ ،
و فى الأصل : المقدر (٣) راجع البحر المحيط ٨ / ١٩٨ .

النعم الغريبة البالغة في الحسن من المالك الملك المربي يسدائع الترية
 ﴿ تكذبن ٥ ﴾ أنعمة اللس من جهة اليسرى أم غيرها مما جعله مثالا لما
 ذكر من وصفهن من تشبيه شيء بشيئين بلوغ الأمر في الحسن إلى حد
 لا يساويه فيه شيء واحد^٢ ليشبه به، فهو [كما - ٢] قيل : بيضاء في دمع
 ٥ صفراء في نعج كأنها فضة قد شابها ذهب، وقد جعل سبحانه الأشياء
 الشفافة مثالا لذلك وأنت ترى بعض الأجسام يكاد يرى فيه الوجه
 [بل في سواد العين أعظم غرة حيث يرى فيه الوجه - ٢] فان السواد
 منشأ الظلام .

ولما كان ألد ما أفاده الإنسان من النعم ما كان تسبب منه، قال
 ١٠ سارا لهم بذلك مع ما فيه من لذة المدح لاسيما والمدح الملك الأعلى،
 معظم له بسياق الاستفهام المفيد للاثبات بعد النفي المفيد للاختصاص على
 وجه الإنكار الشديد على من يتوهم غير ذلك : ﴿ هل جزاء الإحسان ﴾ أى
 فى العمل [الكائن - ٢] من الإنسان أو الجن أو غيرهم ﴿ إلا الإحسان ٥ ﴾
 أى فى الثواب، فهذا من المواضع التى أعيدت فيها المعرفة والمعنى
 ١٥ مختلف، روى البغوى بسنده عن أنس رضى الله عنه أن النبي صلى الله
 عليه وسلم قال : هل تدرون ما قال ربكم ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم،
 قال : يقول : هل جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد إلا الجنة . وذلك جزاء
 إحسان العبد فى العمل فى مقابلة إحسان ربه إليه بالترية ﴿ فبأى آلاء ربكما ﴾

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل : كاحد (م) زيد من ظ .

(٤) راجع المعالم بهامش الباب ١٠/٧ .

أى النعم العظيمة الحسن من السيد الكريم العظيم الرحيم الجامع لأوصاف الكمال (تكذبين) أبغمة اللس من جهة الفوق أم غيرها مما جعله الله سبحانه مثالا فى أن من احسن قبول بمثل إحسانه ، وهذه الآية ختام ثمان آيات حاثثة على العمل الموصل إلى الثمانية الأبواب الكاثثة لجنة المقربين - والله الهادى .

و لما كان قد علم بما ذكر أول هذا الكلام من الخوف مع ذكر وصف الإكرام ، وآخره من ذكر الإحسان أن هذا الفريق محسنون ، و كان من المعلوم أن العاملين طبقات ، و أن كل طبقة أجرها على مقدار أعمالها ، اقتضى الحال بيان ما أعد لمن دونهم : (و من دونهما) أى من أدنى مكان و رتبة مما تحت جنتى هؤلاء المحسنين [المقربين] (جنتن) ١٠ أى لكل واحد لمن دون هؤلاء المحسنين - ١ [من الخائفين و هم أصحاب البين ، قال ابن عباس رضى الله عنهما : دونهما فى الدرج ، و جعل ابن برجان الأربع موزعة بين الكل ، و أن تخصيص هذه العدة إشارة إلى أنها تكون جامعة لما فى فصول الدنيا الأربعة : الشتاء و الربيع و الصيف و الخريف ، و فسر بذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم : جنتان من ذهب ١٥ أوتيتهما و ما فيهما ، جنتان من فضة أوتيتهما و ما فيهما . ثم جوز أن يكون المراد بالدون الأدنى إلى الإنسان ، و هو البرزخ ، فتكون هاتان لاهل البرزخ كما كان " و ان للذين ظلموا عذابا دون ذلك " من عذاب القبر (فبأى آلاء ربكما) أى المحسن بنعمه السابعة إلى الأعلى و من دونه

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : فى .

(تَكْذِبُنَّ) أبنعمة اللس من جهة التحت أم غيرها / مما جعله الله في الدنيا
مثالا لهذا من أن بعض البساتين أفضل من بعض إلى غير ذلك من
أنواع التفضيل .

و لما كان ما في هاتين من الماء دون ما في الباقيتين، فكان ربما
ه ظن أن ماءهما لا يقوم بأعلى كفايتهما قال : (مدهامتن ع) أي خضراوان
خضرة تضرب من شدة الري إلى السواد، من الدهمة، قال الأصهباني: الغالب
على هاتين الجنتين النبات و الرياحين المنبسطة على وجه الأرض وفي
الأولين الأشجار و الفواكه (فباي آلاء ربكما) أي نعم المحسن إلى العالی
منكما و من دونه بسعة رحمته (تَكْذِبُنَّ ع) أبنعمة الذوق من جهة
١٠ الامام أم غيرها مما جعله مثالا لذلك من جنات الدنيا الكثيرة الري
و غيره .

و لما كان ذكر ما يدل على ريهما، حققه بقوله : (فيهما) أي
في كل جنة لكل شخص منهم (عِشْنِ نَضَاحَتَيْنِ ع) أي تفوران بشدة
توجب لهما رشاش^١ الماء بحيث لا ينقطع ذلك . ولم يذكر جريهما فكأنهما
١٥ بحيث يرويان جنتهما ولا يبلغان الجرى، و النضخ دون الجرى و فوق
النضخ، قال الأصهباني: و أصل النضخ بالمعجمة - انتهى . و كأنهما لمن تغرغر
عيناه بالدمع فتمتثلان من غير جرى، و قال ابن رجان ما معناه أن
حر (٩) عدم جريهما لكونهما على مثال جنة خريف ما ههنا و شتاء
[به - ٢] لبعد عهدهما بنزول الماء [و - ٢] سكنا في أعماق الأرض

(١-١) من مد، و في الأصل : توحدما رشا (٢) زيد من ظ .

لينعكس بالنبع والفوران صاعدا مع أن الجنة لا مطر فيها ﴿ فباي الآء ربكما ﴾
 أى نعم الربى البليغ الحكمة فى الترية ﴿ تكذبين ٥ ﴾ أبنعمة الذوق
 من جهة ما وراء اللسان أم غيرها مما جعله مثالا لذلك من الاعين التى
 تفور ولا تجرى والآناب المصنوعة للفوران لأنها بحيث تروق^١ ناظرها
 لصعودها بقوة نبعا و ترشيشها من النعم الكبار . ولما ذكر الرى والسبب ٥
 فيه ، [ذكر - ٢] ما ينشأ عنه فقال : ﴿ فيهما فاكهة ﴾ أى من كل الفاكهة ،
 وخص أشرفها وأكثرها وجدانا فى الحريف والشتاء كما فى جنان الدنيا
 التى جعلت مثالا لهاتين الجنةين فقال : ﴿ ونخل و رمان ٣ ﴾ فان كلا
 منهما فاكهة وإدام ، فلذا خص تشريفا وتنبها على ما فيهما^٢ من التفكه
 وأولاهما أعم نفعا وأعجب [خلقا - ٢] فلذا قدم ﴿ فباي الآء ربكما ﴾ أى ١٠
 نعم المحسن إليك أيها الثقلان بجليل الترية ﴿ تكذبين ٤ ﴾ أبنعمة الذوق
 من اليمين أم من غيرها مما جعل مثالا لهذا من جنان الدنيا وغير ذلك .
 ولما كان ما ذكر لا تكمل لذته إلا بالأنيس ، وكان قد ورد أنه
 يكون فى بعض ثمار الجنة وحمل أشجارها نساء و ولدان كما أن امثال ذلك
 فى بطن مياه الدنيا " وجعلنا من الماء كل شئ حي " قال جامعا على نحو ٥
 ما مضى من الإشارة إلى أن الجنةين لكل واحد من أفراد هذا الصنف :
 ﴿ فيهن ﴾ أى الجنان الأربع أو الجنان التى خصت للنساء ، وجوز ابن برجان
 أن يكون الضمير للفاكهة والنخل والرمان فانه يتكون منها نساء و ولدان

(١) من ظ ، وفى الأصل : تروق (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، وفى الأصل :
 قبلها (٤) من ظ وفى الأصل : بنعمه .

في داخل فشر الرماح و نحوه ﴿ خيرت ﴾ اى نساء / بليغ ما فيهن من الخير، أصله خير مثقلا لأن " خير " الذى للتفضيل لا يجمع جمع سلامة، ولعله خفف لاتصافهن^١ بالخفة في وجودهن و جميع شأنهن، و ليكون^٢ هاتين الجنتين دون ما قبلهما ﴿ حسان ع ﴾ اى في غاية الجمال
 ٥ خلقا و خلقا ﴿ فباى آلاء ربكما ﴾ اى نعم الكامل الإحسان [إلحكا -^٣]
 ﴿ تكذبين ع ﴾ انعمة الذوق من جهة اليسار أم من غيرها مما جملة مثالا لتكون النساء و الولدان و الملابس و الحلى من ثمار الاشجار و الزروع التى من المياه^٤ التى بها العيش، ففيها^٥ التوليد و غير ذلك مما تظهره الفكرة لأهل العبرة لأن كل ما فى الجنة ينشأ عن الكلمة من الرزق كما ينشأ
 ١٠ عنه سبحانه فى هذه الدار على تسليب... والحكمة^٦، ثم يبين بقوله : ﴿ حور ﴾ اى ذوات أعين شديدة سواد السواد و شديدة بياض البياض، و قال ابن جرير^٧ : يبيض جمع ﴿ مقصورت ﴾ اى على أزواجهن و محبوسات، صيانة عن التبذل، فهو كناية عن عظمتهن ﴿ فى الخيام ع ﴾ التى هى من الدر المجوف الشفاف جزاء لمن قصر نفسه عن ... الله فكف
 ١٥ جوارحه عن الزلات، و صان قلبه عن الغفلات ﴿ فباى آلاء ربكما ﴾ اى الجليل الإحسان إلحكا ﴿ تكذبين ع ﴾ أنعمة الذوق من جهة الفوق

(١) من ظ . و فى الأصل : لاتصافه (٢) من ظ ، و فى الأصل : لكن .
 (٣) ريد من ظ (٤) من ظ . و فى الأصل : ما (٥) من ظ ، و فى الأصل :
 اثمار (٦) من ظ . و فى الأصل : عندها (٧) ومن هنا انقطعت نسخة ظ .

أم بغيرها مما جعله مثالا لهذا في الدنيا ، فانه كما خلقنا من تراب ثم طورنا
 في أطوار الخلقة بحسب حكمة الاسباب كذلك خلق أولئك من أرض
 الجنة ورياضها وفواكهها عن كلمة السكان من غير أسباب .
 ولما كانت أنفس الاخيار ذوى الهمم العالية الكبار في الالتفات
 إلى الأبرار قال : ﴿ لم يطمئن ﴾ أى يتسلط عليهن نوع سلطة ه
 ﴿ انس ﴾ وعم الزمان بحذف الجار فقال : ﴿ قبلهم ﴾ أى اتقى الطمئ
 المذكور في جميع الزمان الكائن قبل طمئ أصحاب هذه الجنان لهم ،
 فلو وجد في لحظة من لحظات القبل لما صدق النفي ﴿ ولا جان ﴾
 فهن في غاية الاختصاص كل بما عنده ﴿ فبأى ﴾ أى فتسبب عن هذا
 التعدد لمثل هذه النعم العظيمة أنا نقول تعجيبا ممن يكذب تويخا له ١٠
 وتنبها على ما له تعالى من النعم التى تفوت الحصر : بأى ﴿ الآ ربك ﴾
 أى النعم الجليلة من المدبر لكما بما له من القدرة التامة والعظمة
 الباهرة العامة ﴿ تكذبن ﴾ أبغمة الذوق من تحت أم بغيرها مما جعله
 مثالا لهذا من الأبرار المخدرات ، وجميع ما ذكر من النعم العامة الظاهرة
 فى كل حالة فى الدنيا والآخرة ، وختم بالتقرير أربع وعشرون ١٥
 ثمان منها أول السورة من النعم الدنياوية ، وست عشرة جنان ، وجعلها
 على هذا العدد ، إشارة إلى تعظيمها بتكثيرها فانه عدد تام لانه جامع
 لاكثر الكسور ، ولذا قسم الدرهم وغيره أربعة وعشرون قيراطا . ولما
 تم التقرير بالنعم المحيطة بالجهات الست والحواس الخمس على الوجه
 الأكمل من درء المفسد وجلب المصالح كما تقدمت الإشارة إليه بمدكر ، ٢٠

بقوله فهل من مدكره في القمر، / بالحسن (٩) فيها إلى الحواس الخمس وبتكرارها .
 و تكرار " فكيف كان عذابي و نذري " سقا إلى الجهات الست من جهة
 الوراء والخلف، أوزرها بعمه أخرى واحدة إشارة إلى أن السبب في
 هذا اعتقاد وحدانية الواحد تعالى اعتقادا أدى الخضوع لأمر مرسل كلما
 ٥ جاء من عنده تعالى فلذلك كانت نعمه لا تنقطع أصلا، بل كلما تم
 دور منها ابتداء دور آخر جديد، وهكذا على وجه لا انقطاع له أبدا
 كما أن الواحد الذي هو أصل العدد لا انتهاء له أصلا، وهذه النعمة
 الدالة على الراحة الدائمة التي هي المقصودة بالذات على وجه لا يرى أغرب
 منه ولا أشرف، فقال تعالى مينا حال المحسنين و من دونهم شركاهم
 ١٠ في الراحة على ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب
 بشر: ﴿ متكئين ﴾ أي لهم ذلك في حال الاتكاء ديدا لأنهم لا شغل
 لهم بوجه إلا التمتع ﴿ على رفوف ﴾ أي ثياب ناعمة و فرش رقيقة
 النسيج من الدياج لينة و وسائد عظيمة [و -] رياض باهرة و بسط
 لها أطراف فاضلة . و رفوف السحاب هدبه أي ذيله المتدلى .

١٥ ولما كان الأخضر أحسن الألوان و أبهجها قال: ﴿ حطري و عبقري ﴾
 أي متاع كامل من البسط و غيرها هو في كماله و غرابته كأنه من عمل
 الجن لنسبته إلى بلدهم، قال في "قاموس": عبقري موضع كثير الجن،
 و قرية بناؤها في غاية الحسن، و العبقري الكامل من كل شيء، والسيد
 والذي [ليس -] فوقه شيء . و قال الرازي: هو الطنافس الخميعة،

(١) زيد من ظ و القاموس .

قال^١ ابن جرير^٢: الطنافس الثخان. وقال القشيري: العبقري عند العرب كل ثوب موشى. وقال الخليل: كل جليل نفيس فاخر من الرجال وغيرهم، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم في عمر رضى الله عنه^٣: فلم أربقربا من الناس يفرى فريه. وقال قطرب: ليس هو من المنسوب بل هو بمنزلة كرسى وبختى.

و لما كان المراد به الجنس، دل على كثرته بالجمع مع التعمير بالمفرد إشارة إلى 'وحدة تكامله' بالحسن فقال: (حسان ج) أى هى فى غاية من كمال الصنعة وحسن المنظر لا توصف (فباى الآء ربكنا) أى النعم العظيمة من المحسن الواحد الذى لا يحسن غيره [و-°] لا إحسان إلا منه ولا تعد نعمه ولا تحصى ثناء عليه (تكذبين ه) وهذه الآية تمت النعم ١٠ الثمان المختصة بجنة أصحاب اليمين إشارة إلى العمل لأبوابها الثمانية - والله الموفق.

ولما دل ما ذكر فى هذه السورة من النعم على إحاطة مبدعها بأوصاف الكمال، ودل بالإشارة بالنعمة الأخيرة على أن نعمه لا نهاية لها لأنه مع أن له الكمال كله متعال عن شائبة نقص، فكانت ترجمة ذلك ١٥ قوله فى ختام نعم الآخرة مناظرة لما تقدم من ختام نعم الدنيا معبرا هناك بالبقاء لما ذكر قبله، من الفناء، وهذا [بما-°] من البركة إشارة

(١) من ظ، وفى الأصل: قيل (٢) راجع جامع البيان ٢٧/ ٥ (٣) راجع صحيح البخارى - المناقب (٤-٤) من ظ، وفى الأصل: الوحدة الكاملة (ه) زيد من ظ (٦) زيد فى الأصل. ولا يكاد، ولم تكن الزيادة فى ظ لحذفها.

إلى [أن] نعمه لا انقضاء [لها-^١] : ﴿تَبْرَكَ﴾ قال ابن برجان : تفاعل من البركة ، و لا يكاد يذكره جل ذكره إلا عند أمر معجب - انتهى ، و معناه ثبت ثباتا لا يسع العقول جمع وصفه لكونه على / صيغة المفاعلة المفيدة لبذل الجهد إذا كانت ممن تمكن منازعته ، و ذلك مع اليمن و البركة و الإحسان . و لما كان تعظيم الاسم أقعد و أبلغ في تعظيم المسمى قال : ﴿اسم ربك﴾ أى المحسن إليك بانزال هذا القرآن الذى جبلك على متابعته فصرت مظهرا له و صار خلقا لك فصار إحسانه إليك فوق الوصف ، ولذلك قال واصفا للرب فى قراءة الجمهور : ﴿ذى الجلال﴾ أى العظمة الباهرة فهو المنتقم من الأعداء ﴿و الأكرام ع﴾ أى الإحسان الذى لا يمكن الإحاطة به فهو المتصف بالجمال الأقدس المقتضى لفيض الرحمة على جميع الأولياء ، و قراءة ابن عامر " ذو " صفة الاسم ، و كذا هو فى مصاحف أهل الشام ، و الوصفان الأخيران من شبه الاحتكاك لأنه حذف من الأول متعلق الصفة و هى النعمة للآعداء ، و من الثانى أثر الإكرام و هو الرحمة للآولياء ، فاثبات الصفة أولا يدل على حذف ١٥ ضدها ثانيا ، و إثبات الفعل ثانيا يدل على حذف ضده أولا ، و قال الرازى " فى اللوامع " : كأنه يريد بالاسم الذى افتتح به السورة و قد انعطف آخر السورة على أولها على وجه أعم ، فيشمل الإكرام بتعليم القرآن و غيره و الاتقام بادخال النيران و غيرها - الله سبحانه و تعالى هو الموفق للصواب .

(١) راجع نثر المرجان ١٦١ / ٧ (٢ - ٢) سقط ما بين الرقيين من ظ .

(٣-٣) من ظ ، و فى الأصل : اول السورة على آخرها .

سورة الواقعة

مقصودها شرح^١ احوال الاقسام الثلاثة المذكورة في الرحمن للأولياء من السابقين واللاحقين و الأعداء المشاqqين^٢ من المصارحين و المنافقين^٣ من الثقلين للدلالة على تمام القدرة بالفعل بالاقتدار الذي دل عليه آخر الرحمن بآيات الكمال [و - °] دل عليه آخر هذه بالتنزيه بالنفى لكل هـ شيء به نقص ثم الإثبات بوصف العظمة بجميع الكمال من الجمال والجلال، ولو استوى الناس لم يكن ذلك من بليغ الحكمة، فان استواءهم يكون شبهة لأهل الطبيعة، واسمها الواقعة دال على ذلك بتأمل آياته وما يتعلق الظرف به (بسم الله) الذي له الكمال كله تفاوت بين الناس في الأحوال (الرحمن) الذي عم بنعمة البيان وفاضل في ١٠ قبولها بين أهل الإقبال و أهل الإقبال (الرحيم °) الذي أقبل^٤ بأهل حزبه إلى^٥ أهل قربه ففاضوا بمحاسن الأقوال والأفعال .

لما صنف سبحانه الناس [في - °] تلك إلى ثلاثة أصناف: مجرمين وسابقين ولاحقين، وختم بعلة ذلك وهو أنه ذو الانتقام والإكرام، شرح احوالهم في هذه السورة و بين الوقت الذي يظهر فيه ١٥

(١) السادسة والخمسون من سور القرآن الكريم، مكية، وعدد آياتها (٩٦)

عند الكوفيين و (٩٧) عند البصريين، و (٩٩) عند المدنيين والمكي والشامي.

(٢) من ظ، و في الأصل: سر (٣) من ظ، و في الأصل: المنافقين .

(٤) من ظ، و في الأصل: المشاqqين (٥) زيد من ظ (٦) من ظ، و في

الأصل: عم (٧) من ظ، و في الأصل: و .

إكرامه و انتقامه بما ذكر في الرحمن غاية الظهور فقال بانبا على ما أرشده السياق إلى أن تقديره : يكون ذلك كله كونا يشترك في علمه الخاص والعام : ﴿ اذا وقعت الواقعة لا ﴾ أى التى لا بد من وقوعها ولا واقع يستحق أن يسمى الواقعة بلام الكمال و تاء المبالغة غيرها ، و هى النفخة الثانية التى يكون عنها البعث الأكبر / الذى هو القيامة الجامعة لجميع الخلق للحكم بينهم على الانفراد الظاهر الذى لامدعى للشاركة فيه بوجه من الوجوه ، و يجوز أن يكون " إذا " منصوبا بالمحذوف اتذهب النفس فيه كل مذهب ، فيكون أهول^١ أى إذا وقعت كانت 'أمور يضيق عنها' نطاق الحصر .

١٠ ولما كان هذا معناه الساعة التى أبرم القضاء بأنه لا بد من كونها ، عبر عنه بانبا على مبتدأ محذوف فقال : ﴿ ليس لوقعتها ﴾ أى تحقق وجودها ﴿ كاذبة ؟ ﴾ [أى كذب]^٢ فهى مصدر عبر عنه باسم الفاعل للمبالغة بأنه ليس فى أحوالها شيء يمكن أن ينسب^٣ إليه كذب ولا يمشى فيها كذب أصلا ولا يقر عليه ، بل كل ما أخبر بمجيئه جاء من غير أن يردده^٤ شيء ، وكل ما أخبر بنفيه اتقى فلا يأتي به شيء ، وقرر عظمتها وحق بعث الأمور فيها بقوله مخبرا عن مبتدأ محذوف : ﴿ خافضة ﴾ أى هى لمن يشاء الله خفضه^٥ من عظماء أهل النار وغيرهم

(١) من ظ ، وفى الأصل : احوال (٢-٣) من ظ ، وفى الأصل : اسرها
و يضيق (٣) زيد من ظ (٤) من ظ ، وفى الأصل : من (٥) من ظ ، وفى
الأصل : سبب (٦) من ظ ، وفى الأصل : يره (٧) من ظ ، وفى
الأصل : الحفضة .

بما يشاءه من الجبال وغيرها إلى أسفل سافلين ﴿رافعة لا﴾ أى لضعفاء أهل الجنة وغيرهم من منازلهم وغيرها بما يشاءه إلى عليين ، لا راد لأمره ولا معقب لحكمه . ولما كان فى هذا من الهول ما يقطع القلوب الواعية أكده بقوله وزاد ما يشاء منه أيضا بقوله مبدلا من الظرف الأول بعض ما يدخل فى الرفع والخفض : ﴿إذا رجت الارض﴾ أى كلها على ه سعتها وقلها بأيسر أمر ﴿رجالا﴾ أى زلزلات زلزلا شديدا بعنف فانخفضت وارتفعت ثم انتفضت بأهلها انتفاضا شديدا ، قال البغوى^١ : والرج فى اللغة التحريك . ولما ذكر حركتها المزعجة ، أتبعها غايتها فقال : ﴿وبست الجبال﴾ أى إقنت على صلابتها وعظمتها بأذن إشارة وخطط حجرها بترابها حتى صار شيئا واحدا ، وصارت كالعهن المنفوش ، وسيرت وكانت ١٠ تمر مر السحاب ﴿بسال فكانت﴾ أى بسبب ذلك ﴿هباء﴾ غبارا [هو -^٢] فى غاية الانحاق ، وإلى شدة لطافته أشار بصيغة الاتفعال فقال : ﴿منبثلا﴾ أى منتشرا متفرقا بنفسه من غير حاجة إلى هواء يفرقه فهو كالذى يرى فى شعاع الشمس إذا دخل^٣ فى كوة .

ولما ذكر غاية مبادئها المرجفة المرهبة ، ذكر مبادئ غاياتها فقال : ١٥ ﴿وكنتم﴾ أى قسمتم بما كان فى جلاتكم وطباعكم فى الدنيا ﴿ازواجا ثلثة ه﴾ أى أصنافا لا تكمل حكمة صنف منها إلا بكونها [قسمين -^١] : أعلى ودونه ، ليكون ذلك أدل على تمام القدرة وهم أصحاب المينة المتقسمين إلى سابقين وهم المقربون ، وإلى لاحقين وهم

(١) راجع المعالم بهامش الباب ١٢/٧ (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، وفى الأصل : دخلت .

الآرار أو أصحاب اليمين ، و كأنهم من أولى القلب الذى هو العدل السواء
 من أصحاب المشئمة إلى آخر أصحاب المينة فأصحاب السواء هم المقربون ،
 و بقية أصحاب المينة أصحاب اليمين ، و أصحاب المشئمة هم أصحاب القسم
 الثالث ، و كل من الثلاثة ينقسم إلى أعلى و دونه ، و قد تبينت الأقسام
 ٥ الثلاثة آخر السورة ، قال البيضاوى : و كل صنف يكون أو يذكر مع
 صنف آخر زوج . و لما قسمهم إلى ثلاثة / أقسام و فرع تقسيمهم ، ذكر / ١٦٦
 أحوالهم و ابتدأ ذلك بالإعلام بأنه ليس الخبر كالخبر كما أنه ليس العين
 كالآثر فقال : ﴿ فاصحب المينة لا ﴾ أى جهة اليمين و موضعها و أعمالها ،
 ثم فخم أمرهم بالتعجيب من حالهم بقوله منبها على أنهم [أهل - ١]
 ١٠ لأن يسأل عنهم فيما يفهمه اليمين من الخير و البركة فكيف إذا عبر عنها
 بصيغة مبالغة فقال : ﴿ ما ﴾ و هو مبتدأ ثان ﴿ اصحب المينة ﴾ أى
 جهة اليمين و موضعها و أعمالها ، و الجملة خبر عن الأولى ، و الرابط
 تكرار المبتدأ بلفظه . قال أبو حيان رحمه الله تعالى : و أكثر ما يكون
 ذلك فى موضع التهويل و التعظيم .

١٥ و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : لما تقدم الإعذار فى السورتين
 المتقدمتين و التقرير على عظيم البراهين ، و أعلم فى آخر سورة القمر أن
 كل واقع فى العالم بقضاءه سبحانه و قدره " انا كل شئ خلقته بقدر "

(١) زيد من ظ (٢) زيد فى الأصل : ثم فخم أمرهم بالتعجيب من حالهم بقوله
 منها على أنهم أهل لأن يسأل عنهم فيما يفهمه اليمين ، و هو تكرار لخذلتها .
 (٣) راجع البحر المحيط ٢٠١ / ٨

”وكل شيء فعلوه في الزبر“ و اعلمهم سبحانه في الواقعة بانقسامهم الآخري فافتح ذكر الساعة ” اذا وقعت الواقعة “ إلى قوله ” وكنتم ازواجا ثلاثة “ فتجردت هذه السورة للتعريف بأحوالهم الآخريه ، و صدرت بذلك كما جرد في هذه السورة قبل التعريف بحالهم في هذه الدار ، وما انجر في السور الثلاث جاريا على غير هذا الأسلوب فبحكم استدعاء الترغيب و الترهيب اضا بالعباد و رحمة و مطالعها مبنية على ما ذكرته نصريحا لا تلويحا ، و على الاستيفاء لا بالإشارة و الإيماء ، و لهذا قال تعالى في آخر القصص الآخراية في هذه السورة : ” هذا نزلهم يوم الدين “ فأخبر أن هذا حالهم يوم الجزاء و قد قدم حالهم الدنياوى في السورتين قبل و تأكيد التعريف المتقدم فيما بعد ، و ذلك قوله ” فاما ان كان ١٠ من المقربين “ إلى خاتمتها - انتهى .

ولما ذكر الناجين بقسميهم ، أتبعهم أضدادهم فقال :
 ﴿ واصحب المشمة لا ﴾ أى جهة الشؤم و موضعها و أعمالها ، ثم عظم ذنبهم فقال : ﴿ ما اصحب المشمة ١ ﴾ أى لأنهم أهل لأن يسأل عما أصابهم من الشؤم و الشر و سوء بعظيم قدرته التى ساقتهم إلى ما وصلوا ١٥ إليه من الجزاء الذى لا يفعله بنفسه عاقل بل ولا بهيمة مع ما ركب فيهم من العقول الصحيحة و الافكار العظيمة و صان الاولين عن خذلان هؤلاء فأوصلهم إلى النعيم المقيم .

ولما ذكر القسمين ، و كان كل منهما قسمين ، ذكر أعلى أهل

(١) من ظ ، و في الأصل : ذكر .

القسم الاول ترغيا في أحسن حالهم ولم يقسم أهل المصنفة توهيا من
سوء مآلهم فقال: ﴿ والسبقون ﴾ أى إلى أعمال الطاعة أصحاب
الجنيتين الاولين في الرحمن وهم أصحاب القلب ﴿السبقون ع﴾ أى هم الذين
يستحقون الوصف بالسبق لا غيرهم لأنه منزلة أعلى من منزلتهم فلذلك
سبقوا إلى منزلتهم وهى جنتهم وهم قسمان كما يأتى عن الرازى، وعن
المهدوى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال: السابقون الذين إذا أعطوا
الحق قبلوه وإذا / سئلوه بذلوه وحكموا للناس كحكمهم لأنفسهم .

/ ١٦٧

ولما بين علو شأنهم ونسب السبق إليهم، ترجمه نازعا للفعل منهم
بقوله: ﴿ اولئك ﴾ أى العالو الرتبة جدا من 'الذين هم' أصحاب الميمنة
١٠ ﴿المقربون ع﴾ أى الذين اصطفاهم الله تعالى للسبق فأرادهم لقربه أو^٢
أنعم عليهم [بقربه - ^٢] ولو لا فعله فى تقريبهم لم يكونوا سابقين، قال
الرازى فى اللوامع: المقربون تخلصوا من نفوسهم فأعمالهم كلها لله دينا
ودنيا من حق الله وحق الناس، وكلاهما عندهم حق الله، والدنيا عندهم
آخرتهم لأنهم يراقبون ما يبدو لهم من ملكوته فيتلقونه بالرضا والانقياد،
١٥ وهم صنفان، فصنف قلوبهم فى جلاله وعظمته هائمة قد ملكتهم هيتهم
فالحق يستعملهم، وصنف آخر قد أرخى^٣ من عنائه، فالأمر عليه أسهل
لأنه [قد - ^٢] جاور بقلبه هذه الحطة ومحل أعلى فهو أمين الله فى
أرضه، فيكون الأمر عليه أسهل لأنه قد جاور - انتهى . ثم

(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) من ظ، وفى الأصل: «و» (٣) زيد

من ظ (٤) من ظ، وفى الأصل: ملكهم (٥) من ظ، وفى الأصل: رجا .

[بين - ١] تقريره لهم بقوله : ﴿ في جنت النعيم ٥ ﴾ أى الذى لا نعيم غيره لأنه لا كدر فيه بوجه ولا منغص ، و الصنف الآخر منهم المتقربون و المتشاققون من أصحاب المشمة ، أولئك المنغضوب عليهم المبعودون ، و من دونهم الضالون البعيدون و هم أصحاب الشمال .

و لما ذكر السابقين فصلهم فقال : ﴿ ثلثة ﴾ أى جماعة كثيرة حسنة ، ٥ و قال البغوى^٢ : و الثلثة جماعة غير محصورة العدد ، ﴿ من الاولين ٥ ﴾ و هم الانبياء الماضون عليهم الصلاة و السلام ، و من آمن بهم من غير واسطة رضى الله عنهم ﴿ و قليل من الآخرين ٥ ﴾ و هم من آمن بمحمد - عليه الصلاة و السلام - كذلك بغير واسطة رضى الله عنهم ، فقد كان الانبياء عليهم الصلاة و السلام مائة ألف و نيفا و عشرين ألفا ، و كان من خرج ١٠ مع موسى عليه السلام من مصر و هم من آمن به من الرجال المقاتلين من هو فوق العشرين و دون الثمانين و هم ستمائة ألف فذا ظنك^٣ بمن عداهم من الشيوخ و من دون العشرين من التابعين و الصبيان و من النساء ، فكيف بمن عداه من سائر النبيين عليهم الصلاة و السلام المجتدين من بنى إسرائيل وغيرهم ، و قيل : الثلثة و القليل كلاهما من هذه الامة ، رواه ١٥ الطبرانى و ابن عدى عن ابن عباس رضى الله عنهما ، وفيه أبان بن أبى عياش و هو متروك و رواه إسحاق بن راهويه و مسدد بن مسرهد و أبو داود الطيالسى و إبراهيم الحزبى و الطبرانى^٤ من رواية على بن زيد

(١) زيد من ظ (٢) راجع المعالم بهامش الباب ٧ / ١٣ (٣) من ظ ، و فى الأصل : فان (٤) راجع بجمع الزوائد ٧ / ١٨٨ .

و هو ضعيف عن عقبه بن صهبان عن أبي بكرة رضى الله عنه مرفوعا
و موقوفا ، و الموقوف أدلى بالصواب ، و تطبيقه على هذه الامة سواء
كان مرفوعا أو موقوفا صحيح لا غبار عليه ، فتكون الصحابة رضى الله عنهم
كلهم من هذه الثلاثة و كذا من تبعهم باحسان إلى رأس القرن الثالث
٥ و هم لا يحصيهم إلا الله تعالى ، [و - '] من المعلوم أنه تناقص الأمر
بعد ذلك إلى أن صار / السابق في الناس أقل من القليل لرجوع الإسلام / ١٦٨
[إلى الحال - '] الذى بدأ عليها من الغربية ” بدأ الإسلام غريبا و سيكون
غريبا فطوبى للغرباء “ و يجوز أن يقدر أيضا : [و - '] ثلث - أى جماعة
كثيرة هلكى - من الأولين ، و هم المعاندون من الأمم الماضين ، و قليل من
١٠ الآخرين - و هم المعاندون من هذه الامة .

و لما ذكر السابقين فى الخير [بصفيتهم مشيرا إلى السابقين فى الشر - ']
بصفيتهم ، ذكر جزاء أهل الخير ليعلم منه جزاء أولئك ، فقال مبينا أنهم
ملوك لكن ملكهم لا ينافس [فيه - '] و لا يحاسد ، بل هو كله
يقابل بالوداد و الصفاء (على سرر) و هو ما يسر الإنسان من المقاعد
١٥ العالية المصنوعة للراحة و الكرامة التى هى آية الملك و هو العرش
(موضونة لا) أى منسوجة نسجا مضاعفا منسودة داخلا ٢ بعضها فى
بعض مقارب النسيج معجبا كالدرع لكن نسجها بالذهب مفصلا بالجواهر
من الدر و الياقوت .

و لما ذكر السرر و بين عظمتها ، ذكر غايتها فقال : (متكئين)

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، وفق الأصل : داخل

أى متكئين هيئة المتربع أو غيرها من الجنب أو غيرها (عليها) ولما كان الجمع إذا كثر كان ظهور بعض أهله إلى بعض ، أعلم أن جموع أهل الجنة على غير ذلك فقال: (متقبلين هـ) فلا بعد ولا مداورة لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض ولا يكره بعضهم بعضا .

ولما كان المتكى قد يصعب عليه القيام لحاجته قال: (يطوف عليهم) هـ
أى لكفاية كل ما يحتاجون إليه (ولدان) على أحسن صورة وزى
وهية (مخلدين لا) قد حكم الله ببقائهم على ما هم عليه من الهيئة ، قال
البعوى: تقول العرب لمن كبر ولمن شمت: إنه مخلد ، قال: قال الحسن:
هم أولاد أهل الدنيا ، لم يكن لهم حسنات يثابون^٢ عليها ولا سيئات يعاقبون
عليها لأن الجنة لا ولادة فيها ، فهم خدام أهل الجنة .

ولما كان مدخهم هذا فى غاية الإبلاغ مع الإيجاز ، وكان فيه
- إلى تبليغ ما لهم - تحريك إلى مثل أعمالهم ، وكان الآكل الذى هو من
أعظم المآرب مشارا إليه بالمدح العظيم الذى^٣ من جملة الاستراحة على
الأمرة التى علم أن من عادة الملوك أنهم لا يتسمنونها إلا بعد قضاء الوطر
منه فلم يبق بعده إلا ما تدعو الحاجة إليه من المشارب وما يتبعها قال ١٥
تعالى: (باكواب) أى كيزان مستديرة الأفواه بلا عرى ولا خراطيم
لا يعوق الشارب منها عائق عن الشرب من أى موضع أراد منها فلا
يحتاج أن يحول الإناء إلى الحالة التى تناوله عنها ليشرب ، ويمكن أن تكون

(١) راجع المعالم بهامش الباب ٧ / ١٤ (٢) من ظ ، وفى الأصل : يتاهبون .

(٣) من ظ ، وفى الأصل : التى .

البداء بالشراب لما نالوا من المتاعب من العطش كما لمن يشرب من
الحوض فيكون حيثنذ قبل الأكل والله أعلم ﴿ و اباريق لا ﴾ أى أوانى
لها عرى و خراطيم فيها من أنواع المشارب ما تشتهى الأنفس و تلذ
الاعين ﴿ وكاس ﴾ أى إناء معد للشرب فيه و الشراب نفسه .

٥ و لما كان الشراب عاما بينه بقوله : ﴿ من معين لا ﴾ أى خمر جارية

صافية صفاء الماء ليس يتكلف عصرها بل ينبع كما ينبع الماء . و لما

أثبت نفعها و ما يشوق إليها ، نفي ما ينفر عنها فقال : ﴿ لا يصدعون ﴾

/ ١٦٩ / أى تصدعا يوجب المجاوزة ﴿ عنها ﴾ أى بوجع فى الرأس و لا تفرق

للملأة ﴿ ولا ينزفون لا ﴾ أى يذهب بعقولهم بوجه من الوجوه أى يصرع

١٠ شرابهم ، من نزفت البئر - إذا نزح ماؤها كله ، و نزف فلان : ذهب

عقله أو سكر ، و بنى الفعلان للجهول لأنه لم تدع حاجة إلى معرفة الفاعل ،

و قال الرازى فى اللوامع : قال الصادق : لا تذهل^١ عقولهم عن موارد

الحقائق عليهم و لا يغييون عن مجالس المشاهدة بحال .

و لما بدأ بالالذهاضم للأكل ، تلاه بما يليه بما يدعو إليه الهضم

١٥ تصرىحا به بعد التلويح فقال : ﴿ وفاكهة بما يتخيرون لا ﴾ أى هو فيها

بحيث لو كان فيها جيد وغيره و اختاروا و بالغوا فى التنقية لكان بما

يقع التخيير عليه ، و لما ذكر ما جرت^٢ العادة بتناوله لمجرد اللذة ، أتبعه

ما العادة انه لإقامة البيئة و إن كان هناك لمجرد اللذة أيضا فقال :

(١) من ظ ، و فى الأصل : لا يذهب (٢) زيد فى الأصل : به ، و لم تكن .

الزيادة فى ظ لحذفها .

(ولحم طير) ولما كان في لحم الطير مما يرغب عنه ، احترز عنه بقوله : (مما يشتهون) أى غاية الشهوة بحيث يحدون لآخره من اللذة 'ما لأوله' .

ولما كان لم يكن بعد الأكل والشرب أشهى من الجماع ، قال عاطفا على " ولدان " : (و حور عين) أى يظفن عليهم ، و جره حمزة ه والكسائي عطفا على " سرر فان النساء في معنى الاتكاء لأنهن يسمين فراشا . ولما كان المثل في الأصل الشيء نفسه كما مضى في الشورى قال : (كأمثال) أى مثل أشخاص (اللؤلؤ المكنون) أى المصون في الصدف عما قد يدنسه .

ولما أبلغ في وصف جزائهم بالحسن والصفاء ، دل على أن أعمالهم ١٠ كانت كذلك لأن الجزاء من جنس العمل فقال تعالى : (جزاء) أى فعل لهم ذلك لأجل الجزاء (بما كانوا) جبلة وطبعا (يعملون) أى يحدون عمله على جهة الاستمرار .

ولما أثبت لها الكمال وجعله لهم ، نفى عنها النقص فقال : (لا يسمعون) أى على حال من الأحوال (فيها لغوا) أى شيئا عما لا ينفع فان ١٥ انكأ... بالسميع الحكيم ذلك ، واللغو : الساط (ولا تائبيا) أى ما يحصل به الإثم أو النسبة إلى الإثم ، بل حركاتهم وسكناتهم [كلها -] رضى الله ، و ما قطع قلوب السائرين إلى الله إلاها تان الخصلتان بينا أحدم

(١-١) من ظ ، وفي الأصل : ما لا يحدون لآخره (٢) راجع نثر المرجان ١٦٨/٧ .

(٣) من ظ ، وفي الأصل : بما (٤) زيد من ظ .

ينى ما ينفعه مجتهدا فى البناء إذ هو قد غلبه طبعه فهدم أكثر ما بنى ،
وبينا هو بظن أنه قد قرب إذا هو ' تحقق بمثل ذلك أنه قد بعد ، نزحت
داره وشط مزاره ، فآله المستعان .

ولما كان الاستثناء ، معيار (٩) العموم ، ساق بصورة لاستثناء قوله :

٥ ﴿ الا قىلا ﴾ أى هو فى غاية اللطافة و الرقة بما دل عليه المبنى على ما
قبلها محاسن مع ما تدل عليه مادة قوله . ولما تشوف السامع إليه
بالتعير بما ذكر ، بينه بقوله : ﴿ سلما ﴾ ودل على دوامه بتكريره
فقال : ﴿ سلما ﴾ أى لا يخطر فى النفس ولا يظهر فى الحس منهم قول
إلا دالا على السلامة لأنه لا عطب فيها أصلا ، [و - '] ساقه مساق
١٠ الاستثناء المتصل دلالة على أنه إن كان فيها لغو فهو ذلك حسب ، وهو
ما يؤمنهم و ينعمهم و يبشرهم مع أنه دال على حسن العشرة و جميل الصبغة
و تهذيب / الأخلاق و صفاء المودة .

/ ١٧٠

ولما آتم سبحانه القسم الأول القلى السواى المودى من الثلاثة
بقسميه ، و ذكر فى جزائه بما لأصحاب المدن ما لا يمكنهم الوصول إليه ،
١٥ عطف عليه الثانى الذى هو دونه لذلك و هم والله أعلم الأبرار و هم أيضا
صنفان ، و ذكر فى جزائهم من جنس ما لأهل البوادر أنهى ما
يتصورونه و يتمنونه فقال : ﴿ و اصحب اليمين لا ﴾ ثم نغم أمرهم و أعلى
مدحهم لتعظيم جزائهم ، و الإشارة ' إلى أنهم أهل لأن يسأل عن حالهم
فأنهم فى غاية الإعجاب فقال : ﴿ ما اصحب اليمين ' ﴾ ولما عبر عنهم بما

(١) من ظ ، و فى الأصل : قد (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، و فى .
الأصل : اشارة .

أنهم أنهم أولو القوة والجد في لأعمال، والبركة في جميع الأحوال، ذكر
عيشهم بادئا بالفاكهة لأن عيش الجنة كله تفكه، ذاكرا منها ما ينبت في
بلاد العرب من غير كلفة بغرس ولا خدمة، وأشار إلى كثرة ما يذكره
بأن جعله ظرفهم، فقال من غير ذكر لسرير الملك الذي حبا به المقربين
من الملك، ولم يزد على ذلك المأكل وما معه بما يتصور للبهائم: هـ
(في سدر) أى شجر نبق متدلى الأغصان من شدة حمله، من سدر
الشعر - إذا سدل (محضود لا) أى هو مع أنه لاشوك له ولا عجم
بحيث تنثى أغصانه من شدة الحمل، من خضد الشوك: قطعه، والغصن: ثناه
وهو رطب، وفي ذكر هذا تنبيه على أن كل ما لانفع فيه أو فيه نوع
أذى له في الجنة وجود كرم لأن الجنة إنما خلقت للنعيم . ١٠
ولما ذكر ما يطلع في الجبال والأماكن المعطشة والرمال، اتبعه
ما لا يطلع إلا على المياه دلالة على أن أماكنهم في غاية السهولة والرى
فقال: (وطلع) أى شجر موز أو نخل، وقال الحسن: شجر له ظل
بارد طيب، الرائحة [وقال الفراء وأبو عبيدة: شجر عظام لها شوك، وقيل:
هو أم غيلان، وله نور كثير - ١]، ويحكى عن أبي تراب النخشي ١٥
أنه كان ساراً مع قوم من الصوفية على قدم التوكل، فجاءوا أياها
فقال: آريدون ان تأكلوا، قالوا: نعم، فضرب يده على شجرة أم
غيلان فاذا عليها عراجين موز، فأكلوا إلا شابا منهم، فقال: لا آكل

(١) من ظ، وفي الأصل: ذلك هذا (١) زيد من ظ .

ولا اصحبك بعدها ، لأنى كنت أسير بلا معلوم ، وقد صرت أنت الآن معلومى ، كلما جمعت التفقت نفسى إليك . ﴿منضود لا﴾ أى منظوم بالحمل من أعلاه إلى أسفله متراكم يترأكب بعضه على بعض على ترتيب هو فى غاية الإعجاب ، قال فى القاموس : الطلع : شجر عظيم ، و الطلع : والموز ، و الطلع من النخل : شئ يخرج كأنه نعلان مطبقان والحمل بينهما منضود ، و الطرف محدد . أو ما يبدو من ثمرته أول ظهورها .

ولما ذكر ما لا يكون إلا فى البلاد الحارة قال : ﴿ وظل ممدود لا﴾ أى مستوعب للزمان والمكان فهو دائم الاستمداد كما بين الإسفار و طلوع الشمس لافتاء له ولانهاية . ولما كان ما ذكر من الرى لا يستلزم الجرى^٢ قال : ﴿ و ماء مسكوب لا﴾ أى جار فى منازلهم من غير اخذود ولا يحتاجون فيه إلى جلب من الأماكن البعيدة ، ولا الإدلاء فى بر كما لأهل البوادي .

ولما ذكر ما تقدم ، عم بقوله : ﴿ و فاكهة كثيرة لا﴾ أى اجناسها وأنواعها وأشخاصها . ولما كانت لا تكون عندنا إلا فى أوقات يسيرة ، بين أن أمر الجنة على غير ذلك فقال : ﴿ لا مقطوعة﴾ ولما كانت فى الدنيا قد يعز التوصل إليها مع وجودها لشيء من الأشياء أقله صعود الشجرة أو التحجز / بمجدار أو غيره قال : ﴿ ولا ممنوعة لا﴾ ولما كان التفكه لا يكمل الالتذاذ به إلا مع الراحة قال : ﴿ وفرش مرفوعة﴾ أى هى رفيعة القدر وعالية بالفعل لكثرة الحشو و التراكم بعضها على بعض

١٧١ /

(١) من ظ ، وفى الأصل : الحبر .

ولأنها على السرر ، وروى البغوى^١ من طريق النسائي عن أبي سعيد وأبي هريرة رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ارتفاعها كما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام .

ولما كانت النساء يسمين فرشاً ، قال تعالى معيذا للضمير على غير ما يقبدر إليه الذهن من الظاهر على طريق الاستخدام مؤكداً لأجل هـ إنكار من ينكر البعث : ﴿ اِنَّا ﴾ أى بما لنا من 'القبرة' و'العظمة' التى لا يتعاطفها شيء ﴿ انشأتهن ﴾ أى الفرش التى معناها النساء من أهل الدنيا بعد الموت ولو عن الهرم و'العجز بالبعث' ، وزاد فى التأكيد فقال : ﴿ انشاء لا ﴾ أى من غير ولادة ، بل جمعناهن^٢ من التراب كما فعلنا فى سائر المكلفين ليكونوا كآبائهم آدم عليه الصلاة والسلام فى خلقه من ١٠ تراب ، فتكون الإعادة كالبداءة ، ولذلك يكون الكل عند دخول الجنة على شكله عليه الصلاة والسلام ، ويجوز أن 'يكون المراد' بهن الحور العين فيكون إنشاء مبتدعاً لم يسبق له وجود .

ولما كان للنفس أتم التفات إلى الاختصاص ، وكان الأصل فى الانثى المنشأة أن تكون بكراً ، نبه على أن المراد بكاراة لا تزول إلا حال ١٥ الوطئ ثم تعود ، فكلما عاد إليها وجدها بكراً ، فقال : ﴿ لجمعتهن ﴾ أى الفرش الثيبات وغيرهن بعظمتنا المحيطة بكل شيء ﴿ ابكاراً لا ﴾ أى

(١) فى معالم التنزيل بهامش إباب التأويل ٧ / ١٥ (٢-٢) سقط ما بين الرقيين من ظ (٣-٣) مز ظ ، وفى الأصل : للبعث بالعجز (٤) من ظ ، وفى الأصل : جعلناهن (٥-٥) فى ظ : يراد .

بكرة دائمة لأنه لا تغيير في الجنة ولا نقص .

- ولما كان مما جرت به العادة أن البكر تنضرر من الزوج لما يلحقها من الوجع بازالة البكرة، دل [على] أنه لا نكد هناك أصلا بوجع ولا غيره بقوله : ﴿عربا﴾ جمع عرب ، وهي الغنجة المتحبة إلى زوجها ،
- ٥ قال الرازي في اللوامع : الفطنة بمراد الزوج كفطنة العرب . ولما كان الاتفاق في السن أدعى إلى المحبة ومزيد الألفة قال : ﴿أربابا﴾ أى على سن واحدة وقد واحد ، بنات ثلاث وثلاثين [سنة - '] وكذا أزواجهن . قال الرازي في اللوامع : أخذ من لعب الصبيان بالتراب - انتهى ، وروى البغوى^٢ من طريق عبد بن حميد عن الحسن : قال أتت عجوز^١ النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ! ادع الله أن يدخلني الجنة ، فقال : يا أم فلان ! [إن - '] الجنة لا تدخلها عجوز ، فولت تبكى ، قال : أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز ، إن الله تعالى يقول : إنا أنشأناهم ، الآية ، رواه الترمذى عنه في الشمائل هكذا مرسلا ، ورواه البيهقي في كتاب البعث عن عائشة رضى الله عنها والطبرانى في الأوسط من وجه
- ١٥ عنها ، ومن وجه آخر عن أنس رضى الله عنه ، قال شيخنا حافظ عصره ابن حجر : وكل طريقه ضعيفة ، وروى البغوى^٢ أيضا من طريق الثعلبي عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الآية
-
- (١) من ظ ، وفي الأصل : ما (٢) زيد من ظ (٣) راجع المعالم بهامش الباب ١٦ / ٧ (٤) زيد في الأصل : إلى ، ولم تكن الزيادة في ظ و المعالم لحذفها . (٥-هـ) من ظ و المعالم ، وفي الأصل : إلى ان أدخل (٦) زيد من المعالم .

قال: عجائزكن في الدنيا عمشا رمضا فجملهن أبكارا .

ولما كان هذا الوصف البديع مقتضيا لما يزدهى [عنه - ١]
النفس لأن يقال: لمن هؤلاء؟ وإن كان قد علم قبل ذلك، به عليه
بقوله تعالى: ﴿ لا صاحب اليمين طي ﴾ ويجوز أن يتعلق بـ "أترابا"
نصا على أنهم في أسنان أزواجهن .
٥

١٧٢ / / ولما أنهى وصف ما فيه أهل هذا الصنف على أنهى ما يكون
لأهل البادية بعد أن وصف ما للسابقين بأعلى ما يمكن أن يكون لأهل
الحاضرة، وكان قد قدم المقايسة في السابقين بين الأولين والآخرين،
فل هنا كذلك فقال: ﴿ ثلة من الأولين لا ﴾ أى من اصحاب اليمين
﴿ وثلة ﴾ أى منهم ﴿ من الآخرين ﴾ فلم يبين فيهم قلة ولا كثرة، ١٠
و الظاهر أن الآخرين أكثر، فان وصف الأولين بالكثرة لا ينافي كون
غيرهم أكثر ليتفق مع قول النبي صلى الله عليه وسلم: إن هذه الأمة
ثلثا أهل الجنة، فانهم عشرون ومائة صف، هذه الأمة منهم
ثمانون صفا .

ولما أتم وصف ما فيه الصنفان المحمودان، وبه تمت أقسام اصحاب ١٥
الميمنة الأربعة الذين هم اصحاب القلب واليمين، أتبعه أضدادهم فقال:
﴿ واصحاب الشمال لا ﴾ أى الجهة التى تتشامم العرب بها وعبر بها عن
الشيء الأخرس والحظ الأنقص^٢، والظاهر أنهم أدنى اصحاب المشامة كما

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل: ازواج (٣) من ظ ، وفى
الأصل: الأنفس .

كان أصحاب اليمين دون السابقين من أصحاب الميمنة ، ثم عظم ذمهم
ومصائبهم فقال : ﴿ مَا أَصْحَابُ الشَّامِلِ ۚ ﴾ [اى - ١] إنهم بحال من الشوم
هو جدير^٢ بأن يسأل عنه^٣ . ولما ذمهم وعابهم ، ذكر عذابهم ليعلم أن
القسم الأشد منهم فى الشؤم أشد عذابا فقال : ﴿ فى سُمُومٍ ۚ أَى
ظُرْفِهِمِ الْمُحِيطُ بِهِمْ لَفْحٌ مِّنْ لَّفْحِ النَّارِ شَدِيدٍ يَنْخُلُّ الْمَسَامُ ۚ ﴾ (وحميم لا)
أى ماء حار بالغ فى الحرارة إلى حد يذيب اللحم .

ولما كان للتهكم فى القلب من شديد الوجد ما يجعل عن الوصف
والحد قال : ﴿ وَظِلٌّ ﴾ ثم أتبعه ما صرح بأنه تهكم فقال : ﴿ مِّنْ يَّحْمُومٍ ۚ ﴾
أى دخان أسود كاللحم أى الفحم شديد السواد بما أفهمته الزيادة وشبه
١٠ صيغة المبالغة . ولما كان المعهود من الظل البرد والإراحة ، نقي ذلك
عنه^٤ فقال : ﴿ لَا بَارِدٌ ﴾ ليروح النفس ﴿ وَلَا كَرِيمٌ ۚ ﴾ ليؤنس به ويلجأ
إليه ويرجى خيره^٥ ويعول فى حال عليه بأن يفعل ما يفعله الواسع
الخلق الصفوح من الإكرام ، بل هو مهين ، سماه ظلًا لترتاح النفس إليه
ثم نقي عنه نفع الظل و بركته لينضم حرقان : الياس بعد الرجاء إلى
١٥ إحراق اليحموم فتصير الغصة غصتين .

ولما أنتج هذا أنه على خلق اللثيم فهو موضع الحرارة والضيق
والخسة والشدة ، علاه بقوله : ﴿ أَنَهُمْ ﴾ أكدوه وإن كان فيهم أهل
(١) زيد من ظ (٢ - ٢) من ظ ، وفى الأصل : هم جديرون (٣) من ظ ،
وفى الأصل : عنهم (٤) من ظ ، وفى الأصل : متحلل (٥ - ٥) من ظ ، وفى
الأصل : عن ذلك (٦) من ظ ، وفى الأصل : غيره .

الضر لاجتماعهم في الاسترواح إلى منابذة الدين باتباع الشهوات، ولأن ما مضى لهم بالنسبة إلى هذا العذاب حال ناعم، وعبر بالكون دلالة على العراقة في ذلك ولو بتهيؤهم له جبلة وطبعاً فقال: ﴿ كانوا ﴾ أى في الدنيا. ولما كان ذلك ملازماً للاستغراق في الزمان بميل الطباع، نزع الجوار فقال: ﴿ قبل ذلك ﴾ أى الأمر العظيم [الذى - '] وصلوا ه إليه ﴿ مترفين قسمة ﴾ أى في سعة من العيش منهمكين في الشهوات مستمتعين بها متمكّنين فيها لترامى طباعهم إليها فأعقبهم ما في جبلاتهم من الإخلاد إلى الترف عدم الاعتبار والاتعاظ في الدنيا والتكر على الدعاة إلى الله، وفي الآخرة شدة الألم لرقّة أجسامهم المهيّئة للترف بتعودها بالراحة باخلادها إليها وتعويلها عليها ﴿ وكانوا ﴾ أى مع الترف ١٠ ﴿ بصرون ﴾ أى يقيمون ويدومون على سبيل التجديد بما لهم من الميل الجبلى إلى ذلك ﴿ على الخنث ﴾ أى الذنب / ، ومنه قولهم: بلغ الغلام الخنث، أى الحلم الذى هو وقت المؤاخذة بالذنب، ويطلق الخنث على الكذب والميل إلى الأباطيل واليمين الغموس ونقض العهد المؤكد .

ولما كان ذلك قد يكون من المعهود بما يغتفر بكونه صغيراً ١٥ أوفى وقت يسير قال: ﴿ العظيم ع ﴾ دالا على أنهم يستهينون العظام من القبائح والفواحش .

ولما وصفهم بالترف والإصرار على السرف، وكان ذلك يلازم

(١) زيد من ظ (٢) من ظ، وفي الأصل: يدعون (٣) من ظ، وفي الأصل: في .

البطالة، وكان يلزم عنها الغباوة و الفساد الموجب للشقاوة، ذكر إنكارهم لما لا أئين منه، فقال عاطفا على ما أفهمه التعبير عن الإثم بالحنث [من نحو - ١]: فكانوا يقسمون بالله جهد أيمانهم انهم لا يبعثون و أن الرسل كاذبون: ﴿ و كانوا يقولون لا ﴾ أى إنكارا مجددين لذلك دائما ٥ جلافة أو عنادا: ﴿ انذا ﴾ أى أنبث إذا، وحذف العامل لدلالة "مبعوثون" عليه، ولا يعمل هو لأن الاستفهام وحرف التأكيد اللذين لهما الصدر منناه ﴿ متنا ﴾ أى فلم يبق في رد أرواحنا طب بوجه ﴿ وكنا ﴾ أى كونا ثابتا ﴿ ترابا وعظاما ﴾ ولما كان استفهامهم هذا لإنكار ان يكون فى شيء من إقامة أبدانهم أو رد أرواحهم طب، أعاد الاستفهام ١٠ تأكيداً لإنكارهم فقال: ﴿ انا لمبعوثون ﴾ أى كائن و ثابت بعثنا ساعة من الدهر، وأكدوا ليكون إنكارهم لما دون المؤكد بطريق الأولى . ولما كانت أفهامهم وافقة مع المحسوسات لجودهم. وكان البلى كلما كان أقوى كان ذلك البلى فى زعمهم من البعث أبعد، قالوا مخرجين فى جملة فعلية عاطفا على الواو من "مبعوثون" من غير تأكيد بضمير ١٥ الفصل بالاستفهام: ﴿ او اباؤنا ﴾ أى يبعث اباؤنا أى يوجد بعثهم من حين، وزادوا الاستبعاد على ما أفهموا بقولهم: ﴿ الاولون ﴾ أى الذين قد بليت مع لحومهم عظامهم، فصاروا كلهم ترابا ولا سيما إن حملتهم السيول ففرقت ترابهم فى كل أوب، وذهبت به فى كل صوب، وسكن نافسح وابن عامر الواو على أن العاطف "أو" ويجوز أن

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : أعادوا .

يكون العطف على محل ' ان ' واسمها .

ولما كانوا في غاية الجلالة، رد إنكارهم بأثبات ما نفوه، وزادهم الإخبار باهانتهم ثم دل على صحة ذلك بالدليل العقلي لمن يفهمه، فقال مخاطبا لأعلى الخلق وأوقفهم به لأن هذا المقام لا يذوقه حق ذوقه إلا هو كما أنه لا يقوم بتقريره لهم والرفق بهم [إلا هو]: ﴿ قل ﴾ أى لهم و لكل من ٥ كان مثلهم، وأكد لإنكارهم: ﴿ ان الاولين ﴾ الذين جعلتم الاستبعاد فيهم أوليا، ونص على الاستغراق بقوله: ﴿ والآخرين ﴾ ودل على سهولة بعثهم وأنه في غاية الثبات، منها على أن نقلهم بالموت والبلى تحصيل لا تفويت: ﴿ لمجموعون ﴾ بصيغة اسم المفعول، في المكان الذى يكون فيه الحساب . ولما كانت جمعهم بالتدرج، عبر بالغاية فقال: ١٠ ﴿ الى ميقات ﴾ أى زمان و مكان ﴿ يوم معلوم ﴾ أى معين عند الله، ومن شأنه أن يعلم بما عنده من الآمارات، والميقات: ما وقت به الشيء من زمان أو مكان أى حد .

ولما كان زمان البعث متراخيا عن نزول القرآن، عبر بأدائه و أكد لأجل إنكارهم فقال: ﴿ ثم ﴾ أى بعد البعث بعد الجمع المدرج ١٥ ﴿ انكم ﴾ / و أيد ما فهمه من أصحاب الشمال هم القسم الأدنى من أصحاب المشأمة فقال: ﴿ ايها الضالون ﴾ أى الذين غلبت عليهم الغباوة فهم لا يفهمون، ثم أتبع ذلك ما أوجب الحكم عليهم بالضلال فقال: ﴿ المكذبون ﴾ أى تكذبا ناشئا عن الضلال و التقيد بما لا يكذب

به^١ إلا عريق في التكذيب بالصدق (لا كلون من شجر) منبته النار .
 ولما كان الشجر معدن الثمار الشهية^٢ كالسدر و الطلح ، بينه بقوله :
 (من زقوم^٣) أى شىء هو في غاية الكراهة والبشاعة في المنظر وتن
 الرائحة والأذى ، قال أبو عبد الله القزاز في ديوانه الجامع و عبد الحق
 ه في واعيهِ : الزقم^٤ : شوب اللبن و الإفراط فيه ، يقال : بات يزقم اللبن
 زقما ، و من هذا الزقوم الذى ذكره الله^٥ تبارك و تعالى ، و قالوا : قال
 أبو حنيفة : الزقوم شجرة غبراء صغيرة [الورق - °] لا شوك لها زفرة لها
 كعابر في رؤسها و لها ورد تجرشه النحل ، و نورها أبيض و رأس ورفها
 قبيح جدا ، و هى مرعى ، و منابتها السهل ، قال في القاموس : في الدفر
 ١٠ بالبدال المهملة . الدفر - بالتحريك : وقوع الدود في الطعام و الذل
 و التثنية ، و يسكن ، و قال في المعجمة : الدفر - محركة : شدة ذكامة الريح كالذفرة
 أو ينخص^٦ برائحة الإبط المتثنية ، و التثنية و ماء الفحل ، و الذفر من الكتاب :
 السهكة من الحديد ، و الكعبرة بضم تين و عين و راء مهملتين : عقدة أنبوب
 الزرع ، و عن السهيل ان أبا حنيفة ذكر في النبات أن شجرة بالين
 ١٤ يقال لها الزقوم لا ورق لها ، و فروعها أشبه شىء برؤس الحيات ، و قال
 البيضاوى : شجرة صغيرة الورق دفرة مرة تكون بتهامة ، و في القاموس :
 و لزقة : الطاعون . و قال في النهاية : فعول من الزقم : اللقم الشديد

(١) من ظ و في الأصل : فيه (٢) من ظ ، و في الأصل : المشبهة (٣) من ظ ،
 و في الأصل : الزقوم (٤) من ظ ، و في الأصل : ذكر (٥) زيد من ظ .
 (٦) من ظ ، و في الأصل : ذكاة (٧) في القاموس : يخصان .

والشرب المفرط، وقال ابن القطاع^١: زقم زقما: بلع، وقد علم من [مجموع - ٢] هذا الكلام تفسيره بالطاعون تارة والشرب المفرط أخرى، ومن الاشتراط والشجرة المنتنة والبشعة المنظر أنه شيء كرهه يضطر آكله إلى التملؤ منه بنهمة وهمة عظيمة، ومن العلوم أن الحامل له على هذا مع هذه الكراهة لا يكون إلا في أعلى طبقات الكراهة، ولذلك حسن جدا [موقع - ٢] قوله مسليا عن الآكل: ﴿فالتون﴾ أى ملئنا هو في غاية الثبات وأتم في غاية الإقبال عليه [مع ما هو عليه - ٢] من عظيم الكراهة ﴿منها﴾ أى الشجر، أنه لأنه جمع شجر أو^٢ هو اسم جنس، وهم يكرهون الإناث فتأنيثه - والله أعلم - زيادة [في - ٢] تنفيرهم منه ﴿البطون﴾ أى لشيء عجيب يضطركم إلى ١٠ تناول هذا الكره بما هو أشد منه كراهة بطبقات من جوع أو غيره، وإن فسرت بما قالوا [من - ٢] أنه معروف لهم أنه الزبد بالتمر لم يضر ذلك بل يكون المعنى أنهم يتملؤن منها تملأ من يأكل من هذا في الدنيا مع أنه من المعلوم أنه لا شيء في النار المعدة [للعذاب - ٢] لمن أعدت لعذابه حسن .

١٥

ولما كان من يأكل كثيرا يعطش عطشا شديدا فيشرب ما قدر عليه رجاء تبريد ما به من حرارة العطش، سبب عنه قوله: ﴿فشربون عليه﴾ أى على [هذا - ٢] الملىء أو الأكل / ﴿من الحميم﴾ أى الماء الذى ١٧٥ / هو في غاية الحرارة بحيث ضعف إحماؤه وإغلاؤه .

ولما كان شربهم^١ لآدنى قطرة من ذلك في غاية العجب، ٢٠

(١) في كتاب الأفعال ٢ / ٨٦ (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، وفي الأصل : و .

(٤) من ظ ، وفي الأصل : شومهم .

أتبعه ما هو اعجب منه وهو شدة تملؤهم منه فقال مسيبا عما مضى:
 ﴿ فشربون ﴾ أى منه ﴿ شرب ﴾ بالفتح فى قراءة الجماعة وبالضم
 لنافع وعاصم وحزة، وقرئ شاذا بالكسر والثلاثة مصادر، قال فى
 القاموس: وشرب كسمع شربا ويثك أو الشراب مصدر وبالضم والكسر
 ٥ اسمان، وبالفتح القوم: يشربون، وبالكسر: الماء والحظ منه، والمورد
 ووقت الشرب، والكل يصلح هنا ﴿ الهيمه ﴾ أى الإبل العطاش لأن
 بها الهيام وهو داء يشبه الاستسقاء جمع أهيم، وقال القزاز: جمع هيام
 وهو اى - الهيام - بالضم: داء يصيب الإبل فتشرب ولا تروى -
 انتهى. وقال: ذو الرمة:^١

١٠ فأصبحت كالهيام لا الماء مبرد صداها ولا يقضى عليها هيامها

ويقال: الهيم: الرمل، ينصب فيه كل ما صب عليه، والمعنى أنه يسلط عليهم من
 الجوع ما يضطرهم إلى الأكل ثم من العطش ما يضطرهم إلى الشرب على هذه الهيئة.
 ولما كان كأنه قيل: هذا عذابهم كله، قيل تهكما بهم ونكاية لهم:
 ﴿ هذا نزلهم ﴾ أى ما يعد لهم أول قدومهم مكان ما يعد للضيف أول
 ١٥ حلوله كرامة له ﴿ يوم الدين ﴾ أى الجزاء الذى هو حكمة القيامة،
 وإذا كان هذا نزلهم فما ظنك بما يأتى بعده على طريق من يعنى
 به فما ظنك بما يكون [لمن - ٢] هو أغنى منهم من المعاندين وهو
 فى طريق التهكم مثل قول أنى الشعراء الضبي:

وكنا إذا الجبار^٢ بالسيف^٣ ضافنا جعلنا القنا والمرهقات له نؤلا

(١) راجع البحر المحيط ٢٠٨/٨ (٢) زيد من ظ والبحر المحيط (٣) من ظ ،
 وفى الأصل: ما الجار (٤) فى البحر: بالحيث .

ولما ذكر الواقعة وما يكون فيها للأصناف الثلاثة، وختم بها على وجه بين فيه حكمتها وكانوا ينكرونها، دل عليه بقوله: ﴿ نحن ﴾ أى لا غيرنا ﴿ خلقنكم ﴾ أى بما لنا من العظمة، ولعل هذا الخطاب للدهرية المعطلة من العرب . ولما كانوا منكرين [للبعث عدوا منكرين للابتداء-^١] وإن كانوا من المخلصة (٢) بالمقرين بالخالق لأنها لما بينهما من الملازمة لا انفكاك لأحدهما عن الآخر فقال: ﴿ فلو لا ﴾ أى تسبب عن ذلك أن يقال تهديدا ووعيدا: هلا ولم لا ﴿ تصدقونه ﴾ أى بالخلق الذى شاهدتموه ولا منازع لنا فيما فيه تصدقوا بما لا يفرق بينه وبينه إلا بأن يكون أحق منه فى مجارى عاداتكم، وهو الإعادة فتعملوا عمل العبيد لساداتهم ليكون حالكم حال مصدق بأنه مربوب . ١٠

ولما حضضهم على التصديق بالاستدلال بإيجادهم، وكان البعث إنما هو تحويلهم من صورة بالية إلى الصورة التى كانوا عليها من قبل، سبب عن تكذيبهم به مع تصديقهم بالخلق عدم النظر فى تبديل الصور فى تفاصيله، أو سبب عن قول من عساه يقول من أهل الطبائع: إنما خلقنا من نطفة حدثت بحرارة كائنة^٢، فقال: ﴿ افروايتم ﴾ أى أخبروني هل رأيتم بالبصر أو البصيرة أنا خلقناكم فيهديكم ذلك أنا تقدر على الإعادة كما قدرنا على البداية فرأيتم ﴿ ماتمنون ﴾ أى تريقون - / من ١٧٦ /

النطف التى هى منى فى الأرحام بالجماع .

ولما كانت العبرة بالمسبب لا بالسبب، نه على ذلك بتجديد الإنكار

(١) زيد من ظ (٢) من ظ، وفى الأصل: كامله .

تنبيها على أنهم وإن كانوا معترفين بتفردده بالإبداع، فإن إنكارهم للبعث مستلزم لإنكارهم لذلك فقال: ﴿أنتم تخلقونه﴾ أى 'توجدونه مقدرا' على ما هو عليه من الاستواء والحكمة بعد خلقه من صورة النطفة إلى صورة العلقة ثم من صورة العلقة إلى صورة المضغة ثم منها إلى صورة العظام والأعصاب ﴿أم نحن﴾ خاصة . ولما كان المقام لتقرير المنكرين ذكر^٢ الخبر المفهوم من السياق على وجه أفهم أن التقدير: أو أنتم الخالقون له أم نحن؟ فقال: ^٢ بل نحن ^٣ ﴿الخالقون﴾ أى الثابت لنا ذلك، فالآية من الاحتباك: ذكر أولا "تخلقون" دليلا على حذف مثله [له -^٤] سبحانه ثانيا، وذكر الاسم [ثانيا -^٤] دليلا على حذف مثله ١٠ لهم أولا، وسر ذلك [أنه ذكر -^٤] ما هو الأوفق لأعمالهم بما يدل على وقت التجدد [ولو -^٤] وقاما، وما هو الأولى بصفاته سبحانه بما يدل على الثبات والدوام .

ولما كان الجواب: أنت الخالق وحدك، وكان الطبيعي ربما قال: اقتضى ذلك الحرارة [المخمرة -^٤] للنطفة، وكانت المفاوطة للأجال مع المساواة فى اسمية الحياة من الدلائل العظيمة على تمام القدرة على الإفاء والإبداء بالاختيار مبطله لقول أهل الطبائع دافعة لهم، أكد ذلك الدليل بقوله: ﴿نحن﴾ أى بما لنا من العظمة لا غيرنا ﴿قدرنا﴾ أى تقديرا

(١ - ١) من ظ ، وفى الأصل : يتجدونه مقدورا (٢) من ظ ، وفى الأصل :

أكد (٣-٣) -قط ما بين الرقین من ظ (٤) زيد من ظ (٥) من ظ ، وفى

الأصل : ما .

عظيما، لا يقدر سوانا على نقض شيء منه ﴿ بينكم ﴾ أى كلكم لم تترك أحدا منكم بغير حصة منه ﴿ الموت ﴾ أى أوجبناه على مقدار معلوم لكل أحد لا يتعداه، فقصرنا عمر هذا وربما كان فى الأوج من قوة البدن وصحة المزاج، فلو اجتمع الخلق كلهم [على] إطالة عمره ما قدروا أن يؤخروه لحظة، وأطلنا عمر هذا وقد يكون فى الحضيض من ضعف هـ البدن واضطراب المزاج فلو تماثلوا على تقصيره طرفة عين لعجزوا، وأنتم معترفون بأنه سبحانه رتب أفعاله على مقتضى الكمال والقدرة والحكمة البالغة، فلو كانت فائدة الموت مجرد القهر لكانت نقضا لكونه يعم الغنى والفقير والظالم والمظلوم، ولكان جعل الإنسان مخلدا أولى وأحكم، فقائده غير مجرد القهر وهى الحمل على إحسان العمل للقاهر خوفا من ١٠ العرض عليه والمحاسبة بين يديه ثم النقلة إلى دار الجزاء والترقية إلى العلوم التى البدن حجابها من تمييز الخبيث والطيب والعلم بمقادير الثواب والعقاب، وغير ذلك مما يبصره أولو الأبواب .

و لما كان حاصل الموت أنه تغيير الصورة التى كانت إلى غيرها، وكان من قدر على تحويل صورة شيء إلى شيء قدر على تحويلها ١٥ إلى شيء آخر مماثل لذلك الشيء قال: ﴿ وما نحن ﴾ أى على ما لنا من العظمة، وأكد النفي فقال: ﴿ بمسبوقين ﴾ أى بالموت ولا عاجزين ولا مغلوبين ﴿ على أن نبدل ﴾ تبديلا عظيما ﴿ أمثالكم ﴾ أى صوركم وأشخاصكم لما تقدم فى الشورى من أن المثل فى الأصل هو الشيء نفسه ﴿ وننشكم ﴾ أى إنشاء جديدا بعد تبديل ذواتكم ﴿ فى ما لا تعلمونه ﴾ ٢٠

فان بعضهم تأكله السباع أو الحيتان/ أو الطيور فتنشأ أبدانها منه، 'بعضهم يصير ترابا فربما نشأ منه نبات فأكلته الدواب، فنشأ منه' أبدانها، وربما صار ترابه من معادن الأرض كالذهب والفضة والحديد والحجر ونحو ذلك، وقد لمح إلى ذلك قوله تعالى "قل كونوا حجارة أو حديدا ٥ 'أو خلقا'" إلى آخرها، أو يكون المعنى كما قال البغوى^٢: نأتى بخلق مثلكم بدلا منكم ونخلقكم فيما لا تعلمون من الصور . أى بتغيير^٣ أو صافكم وصوركم فى صور أخرى بالمسخ ، ومن قدر على ذلك قدر على الإعادة . ولما كان التقدير: فلقد علمت النشأة الثانية النطفية، عطف عليه قوله مؤكدا تنبيها على أنهم لما كانوا يعملون بخلاف ما يعلمون كانوا كأنهم ١٠ منكرون لهذا العلم: ﴿ ولقد علمتم ﴾ أى^٤ أيها العرب ﴿ النشأة الاولى ﴾ "التراية لأبيه آدم عليه الصلاة والسلام: أو اللحمية لأنكم حواء عليها السلام حيث لم يكن هناك طبيعة تقتضى ذلك، وإلا لوجد مثل ذلك بعد ذلك، والنطفية لكم، وكل منها تحويل من شئ إلى غيره، فالذى شاهدتم قدرته على ذلك لا يقدر على تحويلكم بعد أن تصيروا ترابا إلى ٥ ما كنتم عليه أولا من الصورة؟ ولهذا سبب عما تقدم قوله: ﴿ فلو لا ﴾ أى فهلا ولم لا ﴿ تذكرون ٥ ﴾ أى تذكرنا عظيما تكرهون أنفسكم وإن كان فيه خفاء ما - بما أشار إليه الإدغام من أن المعلوم عليه غيب، وكذا

(١ - ١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل : آخره .

(٣) راجع المعالم بهامش الباب ١٩/٧ (٤) من ظ ، وفى الأصل : بتغيير (٥) فى

ظ : إلى (٦) سقط من ظ .

بعض ما قيس به ان من قدر على هذه الوجوه من الإبداعات قدر على الإعادة، بل هي أهون في مجارى عاداتكم .

ولما كان عليهم بأمر النبات الذى هو الآيـة العظمى لإعادة
الأموات أعظم من عليهم بجميع ما مضى، و كان أمره فى الحرث
و إلقاء البذر [فيه - ١] أشبه شىء بالجماع و إلقاء النطفة، و لذلك سميت
المرأة حرثا، وصل بما مضى مسييا عنه قوله منكرا عليهم: ﴿ افـرءـيـتم ﴾
أى أخبرونى هل رأيتم بالبصر أو البصيرة ما نهناكم عليه وفيما تقدم
قتسب عن تنبهكم لذلك أنكم رأيتم ﴿ ما تحرثون ﴾ أى تجددون حرثه
على سبيل الاستمرار بتهيئة أرضه للبذر ' و إلقاء البذر فيه ' .

ولما كانوا لا يدعون القدرة على الإنبات بوجه، و كان القادر عليه ١٠
قادرا على كل شىء، و هم يعتقدون فى أمر البعث ما يؤدى إلى الطعن
فى قدرته، كرر الإنكار عليهم فقال: ﴿ ما تم تزرعون ﴾ أى تثبتونه بعد
طرحكم البذر فيه و تحفظونه إلى أن يصير مالا ﴿ ام نحن ﴾ خاصة،
و أكد لما ٢ مضى بذكر الخبر المعلوم من السياق فقال: ﴿ الزرعونه ﴾
أى المنبتون له و الحافظون، فالآية من الاحتباك بمثل ما مضى فى ١٥
أختها قريبا سواء .

و لما كان الجواب قطعا: أنت الفاعل لذلك وحدك ؟ [قال - ١]
موضحا لأنه ما زرعه غيره بأن الفاعل الكامل من يدفع عما صنعه ما

(١) زيد من ظ (٢ - ٢) سقط ما بين الرقيين من ظ (٣) من ظ، و فى
الأصل: بما .

يفسده، ومن إذا أراد إفساده لم يقدر أحد على منعه ﴿لو نشاء﴾ أى
لو عاملناكم بصفة العظمة، وأكد لأن فعلهم فعل الآمن [من - ١]
ذلك مع أنهم فى غاية الاستبعاد لأن يهلك زرعهم كما زرعه أو لأن
المطعم أهم من المشروب و أعظم، فانه الاصل فى إقامة البدن و المشروب
٥ تبع له فقال: ﴿لجعلنه﴾ أى بتلك العظمة ﴿حطاما﴾ أى مكسرا
مفتتا / لا حب فيه قبل النبات حتى لا يقبل الخروج أو بعده يبرد مفرط
أو حر مهلك أو غير ذلك فلا يتفجع به ﴿فظلمت﴾ أى فأقمت بسبب
ذلك نهارا فى وقت الأشغال العظيمة و فى كل وقت وتركتم كل ما
يهمكم ﴿تفكهون﴾ قال فى القاموس: فكهم بملح الكلام: أطرفهم
١٠ بها وفكه - كفرح فكها فهو فكه وفاكه: طيب النفس أو يحدث
صحه فيضحكهم ومنه تعجب كتفكه، والتفاكه: التمازح، وتفكه: تدم،
والأفكوكه: الأعجوبة، وقال ابن برجان: الفكه هو المتردد فى القول
الذاهب فيه كل مذهب - انتهى. فأقمت دائما تندمون على العاقبة (٩)
أو معاصيكم التى سببت ذلك التلف أو تعجبون أو تحدثون فى ذلك
١٥ ولم تخرجوا على شغل غيره كما تفعلون عند الأشياء السارة التى هى فى
غاية الإعجاب والملاحة والملازمة، ولهذا عبر عما المراد به الإفاة مع
الدوام بـ "ظل" الذى معناه أقام نهارا إشارة [إلى ترك الأشغال التى
تهم ومحلها النهار: يمنع الإنسان من أكثر ما يهيمه من الكلام لهذا النازل
الأعظم، وحذف إحدى لامى ظل وتاء الفعل من تفكه إشارة - ١]

(١) زيد فى ظ: تفكه.

إلى ضعف المصابين عن الدفاع في بقائهم وفي كلامهم حال بقائهم الضعيف، وكون المحذوف عين الفعل وهو الوسط، إشارة إلى خلع القلب واختراق الجوف والقهر العظيم، فلا قدرة لأحد منهم على بمانعة هذا النازل بوجه ولا على تبريد ما اعتراه منه من حرارة الصدر وخوف الفقر بغير الشكاية إلى آماله من يعلم أنه لا ضرر في يده ولا نفع، هـ وربما كان ذلك إشارة إلى [أنه - '] عاداته سبحانه قرب الفرج في شدائد الدنيا ليكون الإنسان متمكناً من الشكر لا عذر له في تركه، ويكون المعنى أنكم مع [كثرة - '] اعتيادكم للفرج بعد الشدة عن قرب تياسون أول ما يصدكم البلاء، فتقبلون على كثرة الشكاية، ولا ينفعكم كثرة التجارب لإدراك النعم أبداً .

١٠

ولما ذكر تفكهم، وكان التفكه يطلق على ما ذكر من التعجب والتندم وعلى التمتع، قال الكسائي: هو من الأضداد، تقول العرب: تفككت أى تمتعت، وتفككت، أى حزنت، بين المراد بقوله حكاية لتفكهم: (أنا) وأكد إعلاماً بشدة بأسهم [فقال - ']: (لمغرمون لا) أى مولع بنا وملازمون بشر دائم وعذاب وهلاك لهلاك رزقنا، ١٥ أومكرومون بغرامة ما أنفقنا ولم يتنفع به، وقراءة أبي بكر عن عاصم بالاستفهام لإنكار هذا الواقع والاستعظام له والتعجب منه، وهى منبهة على أنهم لشدة اضطرابهم^٢ من ذلك الحادث مذبذبون تارة يحزمون باليأس والشر وتارة يشكون فيه وينسبون الأمر إلى سوء تصرفهم، وعليه يدل

(١) زيد من ظ (٢) في ظ: اضطرابهم .

إضرابهم^١ : ﴿ بل نحن ﴾ أى خاصة ﴿ محرومون ه ﴾ أى حرمانا غيرنا
و هو من لا يرد قضاؤه ، فلا حظ لنا فى الاكتساب ، فلو كان الزارع من
له حظ لأفلح زرعه ، قال فى القاموس : الغرام : الولوع^٢ والشر الدائم والهلاك
و العذاب ، والغرامة ما يلزم أدائه ، و حرمة : منعه ، والمحروم ، الممنوع عن
ه الخير و من لا ينمى له مال و المحارف - [أى -^٣] بفتح الراء - و هو الممنوع
من الخير الذى لا يكاد يكتسب ، و قال الأصهبانى فى تفسيره : و المحروم
ضد المرزوق ، أى و المرزوق المجرد بالجيم و هو المحظوظ .

/ و لما وقفهم على قدرته فى الزرع مع وجود أسبابه ، و قدمهم
بشدة إليه ، و كان ربما ألبس نوع لبس لأن لهم فيه سببا فى الجملة ،
١٠ أتبعه التوقيف على قدرته على التصرف فى سببه الذى هو الماء الذى لا سبب
لهم فى شئ من أمره أصلا ، فقال مسليا عما أقادهم هذا التنبيه مذكرا^٤
بنعمة الشرب^٥ الذى يحوج إليه الغذاء : ﴿ افرئتم ﴾ أى أخبرونى هل
رأيتم بالبصر أو البصيرة ما نهنا عليه مما مضى فى المطعم و غيره ، أفرأيتم
﴿ الماء ﴾ و لما كان منه ما لا يشرب ، و كانت النعمة فى المشروب أعظم ،
١٥ قال و اصفأ له بما أغنى عن وصفه بالعذوبة ، و بين موضع النعمة التى
لا يحيد عنها فقال^٦ : ﴿ الذى تشربون^٧ ﴾ و لما كان عنصره فى^٨ جهة
العلو ، قال منكرا عليهم مقررا لهم : ﴿ اتم انزلتموه ﴾ و لما كان الإنزال

(١) فى الأصل : اضطرابهم ، و فى ظ : اصرارهم (٢) من ظ و القاموس ،
و فى الأصل : الوداع (٣) زيد من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : مذكر (ه) من
ظ ، و فى الأصل : الرب (٦ - ٧) سقط ما بين الرقيين من ظ (٧) من
ظ ، و فى الأصل : من .

قد يطلق على مجرد إيجاد الشيء النفيس ، و كان السحاب من عادته
المرور مع الريح لا يكاد يثبت ، عبر بقوله تحقيقاً لجهة العلو و توقيفا
على موضع النعمة في إثباته إلى أن يتم حصول النفع به : ﴿ من المزن ﴾
أي السحاب المملوء المدوح الذي شأنه الإسراع في المضى ، وقال
الأصبهاني : [و - '] قيل : السحاب الأبيض خاصة ، وهو أعذب ماء ه
﴿ ام نحن ﴾ أي خاصة . وأكد بذكر الخبر وهو لا يحتاج إلى ذكره
في أصل المعنى فقال : ﴿ المنزلون ه ﴾ أي له ، رحمة [لكم - '] وإحسانا
إليكم بتطيب عيشكم على ما لنا من مقام العظمة الذي شأنه الكبر والجبروت
وعدم المبالاة بشيء ، و الآية من الاحتباك بمثل ما مضى في الآيتين
السابقتين سواء .

١٠

و لما كان الجواب : أنت وحدك فعلت ذلك على غناك عن الخلق
بما لك من الرحمة و كمال الذات والصفات ، قال مذكرا بنعمة أخرى :
﴿ لونشآء ﴾ أي حال إزاله و بعده قبل أن ينتفع به . و لما كانت صيرورة
الماء [ملحا - '] أكثر من صيرورة التبت حطاما ، لم يؤكد لذلك
والتنبيه على أن السامعين لما مضى التوقيف على تمام القدرة صاروا في ١٥
حيز المعترفين فقال تعالى : ﴿ جعلته ﴾ أي بما تقتضيه صفات العظمة
﴿ اجاجا ﴾ أي ملحا مرا محرقا كأنه في الأحشاء لهيب النار الموجع فلا
يبرد عطشا ولا يثبت نباتا ينتفع به . و لما كان هذا بما لا يساغ^٢ لإنكاره ،
(١) زيد من ظ (٢) زيد في الأصل : له ، ولم تكن الزيادة في ظ لغذفناها .

سبب عنه على سبيل الإنكار والتحضيض قوله : ﴿ فلو لا تشكرون ﴾
 أى فهل لا ولم لا تجدون الشكر على سبيل الاستمرار باستعمال ما أفادكم^١
 ذلك من القوى فى طاعة الذى أوجده لكم ومكنكم منه وجعله ملائماً
 لطباعكم مشتتهى لنفوسكم نافعا لكم فى كل ما تزونه .

٥ ولما كانت النار سبباً لعنصر ما فيه الماء فيتطلب فيتقاطر كما

كان الماء سبباً لتشقيق الأرض بالزرع ، ولم يكن لمخلوق قدرة على
 التوصل بنوع سبب ، أتبعه بها كما أتبع الزرع بالماء لذلك وليان القدرة
 على ما لاسبب فيه لمخلوق فى السفلى كما كان إنزال الماء عريان سنتهم
 فى العلو ، فقال مسيباً عما مضى تنبيهاً على أنه أهلهم للتأمل فى مصنوعاته

١٨٠ / ١٠ والتبصر فى عجائب آياته فقال : / ﴿ افريتم ﴾ أى أخبروني هل رأيتم

بالأبصار والبصائر ما تقدم فرأيتم ﴿ النار ﴾ ولما كان المراد ناراً

مخصوصة توقفهم^٢ على تمام قدرته وتكشف لهم ذلك كشفاً بيناً بإيجاد

الاشياء من أضدادها فقال : ﴿ التى توروون^٣ ﴾ أى تستخرجون من الزند

فتوقدون به سواء كان الزند يابساً أو أخضر بعد أن كانت خفية فيه

١٥ لا يظن من لم يحرب ذلك أن فيه ناراً أصلاً ، فكان ذلك مثل التورية

التي يظهر فيها شيء ويراد غيره ، ثم صار بعد ذلك الحفاء^٤ إلى ظهور

عظيم وسلطة متزايدة وعظمة ظاهرة^٥ تحرق كل ما لا يسها حتى ما

خرجت منه ، والعرب أعرف الناس بأمر الزند ، وذلك أنهم يقطعون

(١) من ظ ، وفى الأصل : افاد (٢) من ظ ، وفى الأصل : توقم (٣) من

ظ ، وفى الأصل : الاخفاء (٤) فى ظ : باهرة .

غصنا من شجر المرخ و آخر من العفار ، ويحكون احدهما على الآخر
 فتندح منها النار على أن النار في كل شجر ، وإنما خص المرخ و العفار
 لسهولة القدح منهما ، وقد قالوا : في كل شجر نار واستمجد المرخ و العفار .
 ولما كان هذا من عجائب الصنع ، كرر التقرير و الإنكار تنبيها
 عليه فقال : ﴿ اتم انشاتم ﴾ أى اخترعتم و أوجدتم و أودعتم ه
 و أحيتهم و ريتهم و أوقعتم ﴿ شجرتها ﴾ أى المرخ و العفار التى تتخذون
 منها الزناد الذى يخرج منه . و أسكنتموها النار محتلطة بالماء الذى هو ضدها
 و خبأتموها في تلك الشجرة لايبدو واحد منها على الآخر مع المضادة
 فيغلبه حتى يمحقه و يعدمه ﴿ ام نحن ﴾ أى خاصة ، و أكد بقوله :
 ﴿ المنشئون ه ﴾ أى لما بنا لنا من العظمة على تلك الهيئة ، فن قدر على ١٥
 [إجماد - ٢] النار التى هى أيبس ما يكون من الشجر الأخضر مع ما
 فيه من المائية المضادة لها في كيفيتها ، كان أقدر على إعادة الطراوة
 و الغضاضة في تراب الجسد الذى كان غضا طريا فيبس و يلى ، و الآلة
 من الاحتباك بمثل ما مضى في أخواتها سواء .

و لما كانت الجواب قطعا : أنت وحدك ، قال دالا على ذلك ١٥
 تنبيها على عظم هذا الخبر : ﴿ نحن ﴾ أى خاصة ﴿ جعلناها ﴾ بما اقتضته
 عظمتنا ، و قدم من منافعها ما هو أولى بسياق البعث الذى هو مقامه فقال :
 ﴿ تذكرة ﴾ أى شيئا تذكرونه و تذكرون به تذكرنا عظيما جليلا عن

(١) من ظ ، و فى الأصل : واحدا (٢) من ظ ، و فى الأصل : ذلك (٣) زيد
 من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : مثل (هـ-ه) سقط ما بين الرقين من ظ .
 (هـ) سقط من ظ .

كل ما أخبرنا به من البعث وعذاب النار الكبرى وما ينشأ فيها من
شجرة الزقوم^١ وغير ذلك^٢ مما نيره لأولى البصائر والفهوم من العلوم،
قال ابن برجان: فوزان قدح الزناد من الشجر، والزناد وزان الصيحة
بهم ووزان إنشائه الأجسام ووزان إنشائه الشجرة النار، ويتذكر بانشائها
٥ في الشجر إنشاء الحياة في الأجسام وانشائها من غيبها أن النار الكبرى
في غيب ما نشاهده، وهذا من آثار كونها في الجو - انتهى - وعلق
بها سبحانه كثيرا من أسباب المعاش التي لاغنى عنها ليكون مذكرا لهم
بما أوقدوا به حاضرا دائما فيكون أجدر باتعاظهم (و متاعا) أى إنشاء
وبقاء و تعميرا ونفعا وإصلاحا إلى غاية المراد من الاستضاءة والاصطلاء
١٠ والإنضاج والتحليل والإذابة والتعقيد والتكليس، وهروب السباع
وغير ذلك، والمراد أنها سبب لجميع ذلك (للقوين ؟) أى الجياع
الذين أقوت بطونهم - أى خلت - من الفقر والإغناء من التازلين بالارض^٣
القواء، والقواء بالكسر والمد أى القفر الخالية المتباعدة الأطراف / البعيدة
/ ١٨١
من العمران، وكل آدمى مهياً للقواء فهو موصوف به وإن لم يكن حال
١٥ الوصف كذلك، وقال الرازى: أقوى من الأضداد: اغتنى واقتقر،
وقال أبو حيان^٤: وهذه الأربعة التي ذكرها الله تعالى ووقفهم عليها
من أمر خلقهم وما به قوام عيشهم من المطعم والمشروب، والنار
من أعظم الدلائل على البعث إذ فيها انتقال من شئ إلى شئ وإحداث

(١ - ١) من ظ، وفى الأصل: غيرك (٢) من ظ، وفى الأصل: بارض.

(٣) راجع البحر المحيط ٢١٢/٨.

شيء من شيء، ولذلك امر في آخرها بتنزيهه - انتهى .

ولما دل [سبحانه - ١] في هذه الآيات على عجائب القدرة و غرائب الصنع، فبدأ بالزرع و ختم بالنار و الشجر، و أرجب ما نبه عليه من التذكر لأمرها و التبصر في شأنها [أنها - ١] من أسباب ما قبلها، و أنه سبب لها لكونه سببا لها للإثبات ما هي له، و كان مجموع ذلك إشارة ٥ إلى ٢ العناصر الأربعة، قال ابن برجان: إلا أن الماء و الأرض لخلق الأركان، و الأخلاق و الصفات للهواء و النار، و كان ذلك من جميع وجوهه أمرا باهرا، أشار إلى زيادة عظمته بالأمر بالتنزيه مسييا عما أفاد ذلك، فقال معرضا عن قد يلم به الإنكار مقبلا على أشرف خلقه إشارة إلى ٣ أنه لا يفهم هذا المقام حق فهمه سواه و لا يعمل به حق عمله ١٠ غيره ٢: (فسبح) أى أوقع التنزيه العظيم عن كل شائبة نقص من ترك البحث و غيره و لا سيما بعد بلوغ هذه الأدلة إلى حد المحسوس تسليح متعجب من آثار قدوته الدالة على تناهى عظمته و تسليح شكر له و تعظيم له و إكبار و تنزيه عما يقول الجاحدون و تعجب منهم مقتديا بجميع ما فى السماوات و الأرض، و من أعجب ذلك أنه سخر لنا ١٥ فى هذه الدار جهنم، قال ابن برجان: جعل منها بجمرة الشمس جنات و ثمرات و فواكه و زروع ٤ و معاش .

(١) زيد من ظ (٢-٢) سقط ما بين الرقيين من ظ (٣) زيد فى الأصل: قال، ولم تكن الزيادة فى ظ لحذفها (٤) من ظ، وفى الأصل: زرع .

ولما كان تعظيم الاسم اقعد^١ في تعظيم المسمى قال : (باسم)
 أى متلبسا بذكر اسم (ربك) أى المحسن بعد الترية إليك بهذا البيان
 الأعظم بما خصك به مما لم يعطه أحدا غيرك ، وأثبتوا ألف الوصل هنا
 لأنه لم يكثر دوره كثرته في البسملة منها وحذفوه منها لكثرة دورها
 هـ وهم^٢ شأنهم الإيجاز وتقليل الكثير إذا عرف معناه ، وهذا معروف
 لا يجهل ، وإثبات ما أثبت من أشكاله مما لا يكثر دليل على الحذف منه ،
 وكذا لا تحذف الألف مع غير الباء في اسم الله ولا مع الباء في غير
 الجلالة من الاسماء لما تقدم من العلة .

ولما كان المقام للتعظيم قال : (العظيم ع)^{ثلاثة} الذي ملا^٣ الأكوان كلها
 ١٠ عظمة ، فلا شيء منها إلا وهو مملوء بعظمته تبرزها عن أن تلحقه شائبة
 نقص أو يفوته شيء من كمال ، قال القشيري : وهذه الآيات التي عددها
 سبحانه تمهيد لسلوك طريق الاستدلال وكما في الخبر ” تفكر ساعة خير
 من عبادة ستين سنة ” هذه الفكرة التي نبه الله عليها .

ولما كان من العظمة الباهرة^٢ ما ظهر في هذه السورة من أفانين
 ١٥ الإنعام في الدارين ، وبدأ بنعمة الآخرة لكونها النتيجة ، ثم دل عليها
 بانعامه في الدنيا فكان تذكيرا بالنعم لتشكر ، ودلالة على النتيجة لتذكر ،
 وفي كل حالة تستحضر فلا تكفر ، فوصلت الدلالة إلى حد هو أوضح
 من المحسوس وأضوأ من المشموس ، وكان / مع هذه الأمور الجليلة

/ ١٨٢

(١) من ظ ، وفي الأصل : انفذ (٢) من ظ ، وفي الأصل : هو (٣) من ظ ،
 وفي الأصل : التي نبه الله عليها .

في مظهر أعجز الخلائق على أن يأتوا بمثله من كل وجه، [أما - ١] من جهة الجواب عن^٢ تشبههم وتعتهم فلكونه يطابق ذلك مطابقة لا يمكن أن يكون شيء مثلها^٣، ويزيد على ذلك بما شاء الله من المعارف من غير أن يدع لبسا، و [أما - ١] من جهة المفردات فلكونها النهاية في جلالة الألفاظ ورشاقة الحروف وجمع المعاني، فيفيد ذلك أنه لا تقوم كلمة ه أخرى مقام كلمة منه أصلا، وأما من^٤ جهة التركيب فلكون كل [كلمة - ١] منها أحق في مواضعها بحيث أنه لو قدم شيء منها أو آخر لا اختل المعنى المراد في ذلك السياق بحسب ذلك المقام، وأما من جهة الترتيب في الجمل والآيات والقصص في المبادئ والغايات فلكونه مثل تركيب الكلمات، كل جملة منتظمة بما قبلها انتظام [الدر - ١] اليتيم في العقد المحكم النظيم، ١٠ لأنها إما أن تكون علة لما تلت أو دليلا أو متممة بوجه من الوجوه الفارقة^٥ على وجه تمتع الجنب جليل الحجاب لتكون أحلى في فقه، وأجلى بعد ذوقه في نظمه و سائر علمه، فكان ثبوت جميع ما أخبر به على وجه لا مغتر فيه ولا وقفة في اعتقاد حسنه، فثبت أن الله تعالى أرسل الآتي بهذا القرآن صلى الله عليه وسلم بالهدى وبالحق، لا أنه أتاه كل ما ينبغي ١٥ له، فأتاه الحكمة وهي البراهين القاطعة واستعمالها على وجوهها، والموعظة الحسنة، وهي الأمور المرققة للقلوب المنورة للصدور، والمجادلة التي هي على أحسن الطرق في نظم معجز موجب^٦ للإيمان، فكان من سمعه

(١) زيد من ظ (٢) من ظ، وفي الأصل: على (٣) من ظ، وفي الأصل: منها (٤) من ظ، وفي الأصل: ان (٥) من ظ، وفي الأصل: التركيب (٦) من ظ، وفي الأصل: الفاية (٧) في ظ: منقط .

و لم يؤمن لم يبق له من الممحلات إلا أن يقول : هذا البيان ليس لظهور المدعى و ثبوته بل لقوة عارضة المدعى وقوته على تركيب الأدلة و صوغ^١ الكلام و تصرف وجوه المقال ، و هو يعلم أنه يغلب لقوة جداله لا لظهور مقاله^٢ ، كما أنه ربما يقول أحد المتأخرين عند انقطاعه لخصمه : أنت تعلم أن الحق معي لكنك تستضعفى و لاتصفى ، فحينئذ لا يبق للخصم جواب إلا الإقسام بالإيمان التى لا يخرج عنها أنه غير مكابر و أنه منصف ، و إنما يفزع^٣ إلى الإيمان لأنه لو أتى بدليل آخر لكان معرضاً لمثل هذا ، فيقول : وهذا غلبتى فيه لقوة جدالك و قدرتك على سوق الأدلة ببلادة مقالك ، فذلك كانوا إذا ألهمهم النبى صلى الله عليه وسلم قالوا : إنه يريد أن يتفضل علينا فيما نعلم خلافه ، فلم يبق إلا الإقسام ، فأنزل الله أنواعاً من الأقسام بعد الدلائل العظام ، و لهذا كثرت [الآيات - ٤] فى أواخر القرآن ، و فى السبع الأخيرة خاصة أكثر ، فذلك سبب عن هذه الأدلة الرائعة والبراهين القاطعة قوله : ﴿ فلا أقسم ﴾ بإثبات " لا " النافية^٤ ، إما على أن يكون مؤكدة بأن

١٥ بنى^٥ ضد ما أثبتته القسم ، فيجمع الكلام بين إثبات المعنى المخبر به و نقيضه ، و إما على تقدير أن هذا المقام يستحق لعظمته و إنكاركم له أن

(١) من ظ ، و فى الأصل : صدع (٢) من ظ ، و فى الأصل : لمقاله .
(٣) من ظ ، و فى الأصل : يصوع (٤) زيد من ظ (٥) من ظ ، و فى الأصل : الناهية (٦) من ظ ، و فى الأصل : يبقى .

يقسم عليه بأعظم من هذا على ما له من المظمة لمن له علم -
والله أعلم .

- / ولما كان [الكلام - '] السابق في الماء الذي جعله سبحانه مجعما . ١٨٢ /
- لنعم الدنيوية الظاهرة وقد رتب سبحانه لإنزاله الأنواء على منهاج دبره
وقانون أحكامه ، وجعل إنزال القرآن نجوما مفرقة و بوارق متلاثة .
متألقة قال : ﴿ بموقع النجوم لا ﴾ أى بمساقط الطوائف القرآنية المنيرة
النافعة المحيية للقلوب ، وبهبوطها الذى ينبى عليه ما ينبى من الآثار الجليلة
و أزمان ذلك و أماكنه و أحواله ، و بمساقط الكواكب و أنوائها و أماكن
ذلك و أزمانه فى تدبيره على ما ترون من الصنع المحكم والفعل المتقن
المقوم ، الدال بغروب الكواكب على القدرة على الطى بعد النشر و الإعدام ١٠
بعد الإيجاد ، و بطلوعها الذى يشاهد أنها ملجأة إليه لجاء الساقط من علو
إلى سفلى لا يملك لنفسه شيئا ، لقدرة على الإيجاد بعد الإعدام ، و بآثار
الأنواء على مثل ذلك بأوضح منه - إلى غير ذلك من الدلالات التى يضيق
عنها العبارات ، و يقصر دون عليها مديد الإشارات ، و لمثل هذه
المعاني الجليلة و الخطوب العظيمة جعل فى الكلام اعتراضا بين القسم ١٥
و جوابه ، و فى الاعتراض اعتراضا بين الموصوف و صفته تأكيداً للكلام ،
و هذا لناقد الافهام تنبيها على أن الأمر عظيم و الخطب قادم جسيم ،
فقال موضحا له بالتأكيد رحمة للعبيد بالإشارة إلى أنهم جروا على غير
ما يعلمون من عظمتا فعدوا غير عالمين : ﴿ وانه ﴾ أى هذا القسم على
(١) زيد فى الأصل : انتهى ، ولم تكن الزيادة فى ظ لفحذفناها (٢) زيد من ظ .

[هذا - ١] المنهج (لقسم لو تعلمون) أى لو تجدد لكم فى وقت علم
لعلتم أنه (عظيم) وإقسامه لنا على ذلك ونحن أقل قدرا وأضعف
أمرا إعلاما بما له من الرحمة التى من أعظمها أنه لا يتركنا سدى - كل
ذلك ليصلح أنفسنا باتباع أمره والوقوف عند زجره، قال ابن برجان :
هـ ومن إتيانه جل جلاله فى خليقته وحكمه فى بريته أن جعل لكل
واقع من النجوم الفلكية طالعا يسمى بالإضافة إلى الواقع الرقيب دون
تأخر، وذلك هو المشار إليه بقوله تعالى ”رب المشرقين ورب المغربين
فبأى الآء ربكما تكذبان“ يجمع ذلك الشمس والقمر والنجوم وهى
نجوم منازل القمر عددها ثمانية وعشرون منزلة سوى تحجبها الشمس
١٠ فتمت تسع وعشرون منزلة يستشرفها القمر، فربما استر ليلة وربما
استر ليلتين، فالقمر ينزل فى هذه المنازل كل ليلة منزلة حتى يتمها
[التمام - ١] الشهر، وأما الشمس فانها تقيم فى كل منزلة [منها - ١]
ثلاثة عشر يوما خلا الجهة فانها تقيم فيها أربعة عشر يوما ويسمى
حلولها فى هذه المحال ثم طلوع المنزلة التى تليها لوقوع هذا رقيب لها
١٥ نوء - انتهى. وهو يعنى أن من تأمل هذه الحكم علم ما فى هذا القسم من
العظم، وأشبع القول فيها أبو الحكم، وبين ما فيها من بدائع النعم، ثم
قال : ويفضل [الله - ١] بفتح رحمته كما شاء فينزل [من السماء - ١]
ماء مباركا يكسر به من برد الزمهرير فيرطبه ويبرد من حر السعير فيعدله،
وقسم السنة على أربعة فصول أتم / فيها أمره فى الأرض بركاتها وتقدير

/ ١٨٤

(١) زيد من ظ (٢) من ظ، وفى الأصل : لنجوم .

أقواتها ، [قال : و بارك فيها و قدر بها أقواتها - '] في أربعة أيام ،
ثم قال : و جعل هذه الدنيا على هذا الاعتبار الجنة الصغرى ، و لو أتم القسم
على هذا الوجه تم على الاعتبار تخفيفه الفصح و إنارته الزمهير و السعير
هى جهنم الصغرى .

و لما أتم القسم على هذا الوجه الجليل ، أجابه بقوله مؤكدا [لما - '] ه
لهم من ظاهر الإنكار : (انه) أى القرآن الذى أفهمته النجوم بعموم
أفهامها (لقرا ن) [أى - '] جامع سهل قريب مفقه مبين للغوامض
ذو أنواع جليلة (كريم) ظهرت فيه أفانين إنعامه سبحانه فيما دق من
أمر هذه الدنيا و جل من أمور الدارين بما ذكر فى هذه السورة و ما
تقدمها من إصلاح المعاش و المعاد ، فهو بالغ الكرم منزه عن كل
شائبة نقص و لؤم و دناءة ، من كرمه كونه من الملك الأعلى إلى خير
الخلق بسفارة^٢ روح القدس و بلسان العرب [الذين اتفق الفرق على
أن لسانهم أفصح الألسن و على وجه أعجز العرب - '] .

و لما ذكر المعنى ، ذكر محل النظم الدال عليه بلفظ دال على نفس
النظم فقال : (فى كتب) أى خط و مخطوط فيه جامع على وجه ١٥
هو فى غاية الثبات (مكنون) أى هو فى ستر مصون لما له من النفاسة
و العلو^٣ فى السماء فى اللوح المحفوظ ، و فى الأرض فى الصدور المشرفة ،
(١) زيد من ظ (٢) زيد فى الأصل : فيها ، و لم تكن الزيادة فى ظ لغذفتها .
(٣) من ظ ، و فى الأصل : جعل (٤) من ظ ، و فى الأصل : لسعار (هـ-هـ) فى
ظ : العلو و النفاسة .

وفي السطور في المصاحف المكرمة المطهرة، محفوظا مع ذلك من التغيير والتبديل .

ولما كان ما هو كذلك قد يحصل له خلل يسوء خدامه قال :
 ﴿ لا يمسّه ﴾ أى الكتاب ^١ الذى هو مكتوب فيه أعم من أن يكون
 هـ فى السماء أو فى الأرض أو القرآن أو المكتوب منه ^٢ فضلا عن أن
 يتصرف فيه ﴿ الا المطهرون ^٣ ﴾ أى الطاهرون الذين بولغ فى تطهيرهم
 وهم رؤس الملائكة الكرام ، ولم يكن السفير به إلا هم ولم يسر [الله - ^٤]
 حفظه إلا لأطهر عباده ، ولم يعرف معناه إلا لأشرف حفاظه وأطهرهم
 قلوبا ، ومن عموم ما يتحمله اللفظ من ^٥ المعنى بكونه كلام العالم لكل
 ١٠ شئ فهو لا يحمل لفظا إلا وهو مراد له أنه يحرم منه على من لم يكن
 له فى غاية الطهارة ^٦ بالبعد عن الخدثين الأكبر والأصغر ، فهو على هذا
 نفي بمعنى النهى وهو أبلغ ، قال البغوى : وهو قول أكثر أهل العلم ،
 وروى بإسناد من طريق أبى مصعب عن مالك عن عبد الله بن
 أبى بكر بن عمرو بن حزم أن فى الكتاب الذى كتبه رسول الله صلى الله
 ١٥ عليه وسلم لعمر بن حزم رضى الله عنه أن لا يمس القرآن إلا طاهر ،
 والمراد به المصحف للجوار كما فى النهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض
 العدو . وما يحتمله أيضا التعبير باللس أنه لا يقرأه بلسانه إلا طاهر ،

(١-١) سقط ما بين الرقعين من ظ (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، وفى الأصل :
 فى (٤) من ظ ، وفى الأصل : الظاهر (٥) راجع المعالم بهامش الباب ٢١/٧ .
 (٦) زيد فى الأصل : وهو ، ولم تكن الزيادة فى ظ لحذفناها .

فان اريد الجنابة كان النهى للحرمة أو للاكمل .

ولما ذكر الذى منه صيائنه ، أتبعه شرفه بشرف منزله و إنزاله على حال هو فى غاية العظمة مسميا له باسم المصدر للبالغة ولأن هذا المصدر أغلب أحواله ، ولذلك [غلب - ٢] عليه هذا الاسم : (تنزيل) أى

وصوله إليكم بالتدرج بحسب الوقائع والتقريب للافهام والتأنى والترقية ه من حال إلى حال وحكم إلى حكم بواسطة الرسل من الملائكة . ولما

كان هذا فى غاية الاتفاق واليسر ذكر من صفاته / ما يناسبه * فقال : ١٨٥ / (من رب العلين ه) من الخالق العالم بتريتهم .

ولما أفصح^٦ من وصف هذا الكتاب العظيم ما يقتضى أن يكون

بمجرده مثبتا^٧ لما لا^٨ تدركه العقول من كماله وكافيا فى الإذعان لاعتقاده ١٠ فكيف إذا كان ما تحكم العقول وتقضى بفساد ما سواه ، فكيف إذا كان بما يتذكر الإنسان مثله فى نفسه ، عجب منهم فى جعله سببا لإنكار البعث الذى إذا ذكر الإنسان أحوال نفسه كفاه ذلك فى الجزم به فقال منكرا تعجبا : (افهذا) ولما كان الإنسان مغرما بما يحدد له

من النعم ولو خلق فكيف إذا كان أعلى النعم قال : (الحديث) ١٥ أى الذى تقدمت أوصافه العالية وهو متجدد إليكم إنزاله وقتا بعد وقت (اتم) أى وأتم العرب الفصحاء والمفوهون البلغاء (مدهنون لا)

(١) زيد من ظ ، وفى الأصل : ذلك (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، وفى الأصل : بوسائط (٤) من ظ ، وفى الأصل : التيسير (٥) من ظ ، وفى الأصل : يناسب (٦) من ظ ، وفى الأصل : اتضح (٧-٧) من ظ . وفى الأصل : لدركه .

أى كذابون مافقون بسببه تظهرون غير ما تبطنون أنه كذاب^١ و اتم
تعلون صدقه بحسن معانيه، و عجزكم عن مماثلته فى نظومه و مبانيه،
و تقولون : لو شئنا لقلنا مثل هذا : و جميع أفعالكم تخالف هذا فانكم تصبرون
لوقع السيوف و معانقة الختوف ، و لا تأتون بشيء يعارضه يبادى شيئاً منه
ه أو يناقضه أو تلائنون أيها المؤمنون من يكذب به و يطعن فى علاه،
أو يتوصل و لو على وجه خفى إلى نقض^٢ شيء من عراه، تهاوناً به
و لا يتصلبون فى تصرفه^٣ تعظيماً لأمره حتى يكونوا أصلب من الحديد،
قال فى القاموس : دهن : نافع، [و -^٤] * المداينة : إظهار خلاف ما
تبطن^٥ كالادهان و الغش، و قال البغوى رحمه الله : هو الادهان و هو
١٠ الجرى فى الباطن على خلاف الظاهر، و قال الرازى : و الفرق بين
المدارة و المداينة يرجع إلى القصد، فما قصد به غرض سوى الله فهو
المداينة، و ما قصد به أمر يتعلق بالدين فهو المدارة، و قال ابن رجان :
الادهان و المداينة : الملاينة فى الأمور و التغافل و الركون إلى التجاوز
- انتهى . فهو على هذا إنكار على من سمع أحداً يتكلم فى القرآن بما
١٥ لا يليق ثم لا يجاهره بالعداوة، و أهل الاتحاد كابن عربى الطائى صاحب
الفصوص و ابن الفارض صاحب التائية أول من صوبت^٦ إليه هذه الآية،
فأهم تكلموا فى القرآن على وجه يطل الدين أصلاً و رأساً و يحلله عروة
عروة، فهم أضر الناس على هذا الدين، و من يؤول لهم أو ينافع عنهم

(١) من ظ، و فى الأصل : كذب (٢) من ظ، و فى الأصل : بعض
(٣) من ظ، و فى الأصل : نصرته (٤) زيد من ظ (ه) فى ظ : تضمير
(٦) راجع للعالم بهامش الباب ٧ / ٢٢ (٧) من ظ، و فى الأصل : صوب .

و يعتذر لهم أو بحسن الظن بهم مخالف لإجماع الأمة أبحس حالا منهم فان^١
مراده إبقاء كلامهم الذي لأفسد الاسلام منه من [غير -^٢] أن يكون
لإبقائه مصلحة ما بوجه من الوجوه .

ولما كان هذا القرآن متكفلا بسعادة الدارين ، قال تعالى :

(و يجعلون رزقكم) أى حظكم [و نصيكم -^٣] و جميع ما تنتفعون به .

١٨٦ /

من هذا الكتاب و هو نعمكم كله (انكم تكذبون) / أى توجدون حقيقة
التكذيب فى الماضى و الحال ، و تجددون ذلك فى كل وقت به و بما
أرشد إليه من الأمور الجليلة ، و هى^٤ كل ما هو أهل للتصديق به
و تصفونه بالأوصاف المتناقضة ، و من ذلك ما أرشد إليه من أنه لا فاعل
إلا الله تعالى فتقولون أنتم إذا أمطركم ما يرزقكم به : هذا بنوه كذا ، معتقدين ١٠
تأثير ذلك النوء ، وإنما هو بالله تعالى ، لجعلتم جزاء الرزق و بذل الشكر
على الرزق التكذيب ، و قال ابن برجان : و يجعلون رزقى إياكم من
قرآن عظيم أنزله ، و كلام عظيم نزلته ، و نور إيمان بينته ، و ضياء يقين جليته ،
و ما أنزلته من السماء [من] بركات قدرتها [و] من رياح أرسلتها ، و سحب
أفقتها ، يجعلون مكان الشكر على ذلك التكذيب .

١٥

و لما أنكر عليهم هذا الإنكار ، و عجب منهم هذا التعجب فى أن
ينسبوا غيره فعلا أو يكذبوا له خبرا . سبب عن ذلك تحقيقا لأنه لا فاعل
سواه قوله : (فلولا) و هى أداة تفهم طلبا بزجر و توبيخ و تقريع

(١) من ظ ، و فى الأصل : فانه (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل :
بمصلحة (٤) فى ظ : الحلية (٥) من ظ ، و فى الأصل : هو .

بمعنى هل لا ولم لا ﴿ اذا بلغت ﴾ [أى - ١] الروح منكم و من غيركم
 عند الاحتضار ، أضمرت من غير ذكر لدلالة الكلام عليها دلالة ظاهرة
 ﴿ الحلقوم لا ﴾ وهو مجرى الطعام فى الحلق ، و الحلق مساغ الطعام
 و الشراب معروف ، فكان الحلقوم أدنى الحلق إلى جهة اللسان لأن الميم
 منقطع التمام ﴿ و أنتم ﴾ أى و الحال أنكم أيها الماكفون حول المحتضر
 المتوجعون له ﴿ حيثئذ ﴾ أى حين إذ بلغت الروح ذلك الموضع .
 و لما كان بصرم لكونه لا ينفذ فى باطن كالعدم [قال - ٢] : ﴿ تنظرون لا ﴾
 أى و لكم وصف التحديق إليه و لا حيلة لكم و لا فعل بغير النظر ، و لم يقل :
 تبصرون ، لئلا يظن أن لهم إدراكا بالبصر لشيء ^٣ من البواطن ^٢ من
 ١٠ حقيقة الروح و غيرها نحوها ﴿ و نحن ﴾ أى و الحال أنا نحن بما لنا
 من العظمة ﴿ اقرب إليه ﴾ أى المحتضر حقيقة بعلمنا و قدرتنا التامة
 و ملائكتنا ﴿ منكم ﴾ على شدة قربكم منه ﴿ و لكن لا تبصرون ه ﴾ أى
 مع تحديقكم إليه لا يتأثر عن ذلك التحديق غايته . و هو الإبصار لقربنا
 منه ، و لا ملائكتنا الموكلين بقبض روحه ، لتعلموا أن الفعل لنا لا لغيرنا ،
 ١٥ فلا يتجدد لكم شيء من هذا الوصف لتدركوا به حقيقة ما هو فيه ، فثبت
 ما أخبرنا به من الاختصاص بباطن العلم و القدرة اللذين عبرنا عنهما
 بالقرب الذى هو أقوى أسبابهما .

و لما كان الكلام لإثبات هذه الأغراض المهمة قبل جواب "لولا"
 أعادها تأكيداً لها و تبيننا فقال : ﴿ فلو لا ان كنتم ﴾ أيها المكذبون

(١) زيد من ظ (٢) زيد و لا بد منه (٣-٢) من ظ ، و فى الأصل : بالبواطن .

بالبعث و غيره (غير مدينين لا) أى مقهورين مملوكين مجبرين محاسبين
 بما عملتم فى دار البلاء التى أقامكم فيها أحكم الحاكمين بامتناعكم بأنفسكم
 عن أن يجازيكم أو يمنع غيركم لكم منه ، و أصل تركيب ” دان “ للذل
 و الانقياد - قاله البيضاوى (رجعونها) أى الروح إلى ما كانت عليه
 (ان كنتم) أى كوناً ثابتاً (صدقين *) أى فى أنكم غير / مقهورين على ٥ / ١٨٧ /
 الإحضار على الملك الجبار الذى أقامكم فى هذه الدار للابتلاء و الاختبار ،
 و أنه ليس لغيركم أمركم ، و فى تكذيبكم لما ينبىء به من الأمور الدنيوية
 بذل شكركم ، و هذا دليل على أنه لاهياة لمن بلغت روحه الحلقوم أصلاً
 و هذا إلزام لهم بالبعث حاصله أنه سبحانه إن كان لا يعيدكم فليس هو
 الذى قدر الموت عليكم ، و إن [كان - ١] لم يقدره فالكم لا زفعونه عنه ١٠
 لأنه من الفوادح التى لا يدرك علاجها ، و أتمتعوا بمقدماته . و إن
 قلم : إنه مقدر لا يمكن علاجه ، لزمكم الإقرار بأن البعث مقدر لا يمكن
 علاجه ، فان أنكرتم أحدهما فأنكروا الآخر ، و إن أقرتم بأحدهما فأقروا
 بالآخر ، و إلا فليس إلا العناد ، فان ٢ قلم : [نحن - ١] لا نعلم أنه قدره
 فاعلموا أنه [لو] لم يكن بتقديره لأمكنت مقاومته وقتاً ما لاسيما و النفوس ١٥
 مجبولة على كراهته ، و فى الموتى الحكماء و الملوك ، و تقريره أنكم قد بالقلم
 فى الجحود بآيات الله تعالى و أفعاله فى كل شىء . إن أرسل إليكم رسولا قلم :
 ساحر كذاب ، و إن صدقه مرسله بكتاب معجز قلم : سحر و اقترأ
 و أمر عجاب ، و إن رزقكم من الماء الذى به حياة كل شىء مطراً ينعشكم

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : و ان .

به قلت: صدق نوء كذا. على حال مؤد إلى التعطيل والإهمال 'والعبث'،
 فالكم لا ترجعون الروح إلى البدن عند بلوغه الحلقوم إن لم يكن ثم
 مدبر لهذا الكون بالإرسال والإنزال وإفاضة الأرواح وقبضها وبعث
 العباد لدينوتهم^٢ على ما فعلوا فيما أقامهم فيه. فهو تمثيل بأفعال الملوك
 ٥ على ما يعهد. فكما أن ملوك الدنيا لا يرسل^٣ أحد منهم إلى أحد من رعيته
 يأخذه قهرا إلا للدينونة فكيف يظن بملك الملوك غير ذلك، فتكون
 ملوك الدنيا أحكم منه، فان كان ليس بتمام القدرة فافعلوا برسله كما
 تفعلون برسل الملوك، فانه ربما خلص المطلوب منهم بنوع من أنواع
 الخلاص بعد بلوغه إلى باب [الملك - ٤] فارساله سبحانه هو مثل^٤
 ١٠ إرسال الملوك غير أنه لتمام قدرته يأخذ أخذا لا يقدر احد على رده،
 ولا أن يتبع مأخوذه أصلا لا لخدمه بعد الأخذ ولا ليخفف عنه شيئا
 بما هو فيه بغير ما امر به سبحانه على السنة رسله من الدعاء والصدقة
 ولا ليعلم حاله بوجه [من الوجوه - ٥] بل الأمر كما قيل:

إذا غيب المرء استسر حديثه ولم يخبر الأفكار عنه بما يقى

١٥ ولما كان التقدير: لا يقدر أحد أصلا على ردها بعد بلوغها إلى
 ذلك المحل لأننا نريد جمع الخلاق للدينونة بما فعلوا فيما أقامهم فيه وأمرناهم
 به ولا يكون إلا ما نريد، فكما أنكم مقرون بأنه خلقكم من تراب وبأنه
 يعيدكم قهرا إلى التراب [يلزمكم حتما أن تقرؤا بأنه قادر على أن يعيدكم

(١-١) من ظ، وفي الأصل: اى الغيب (٢) من ظ، وفي الأصل: لدنولهم.

(٣) في ظ: لا ينزل (٤) زيد من ظ (٥) في ظ: قيل.

من التراب - ١] فان أنكرتم هذا اللازم لزمكم إنكار ملزومه ، و ذلك
مكافئة في الحس فليكن الآخر مثله ، فثبت أنا إنما نعيد الخلاق إلى
التراب لنجمعهم فيه ثم نبعثهم منه لنجازى كلا بما يستحق و نقسمهم
إلى أزواج ثلاثة (فأما ان كان) / أى الميت منهم (من المقربين)
أى السابقين الذين اجتذبهم الحق من أنفسهم فقربهم منه فكانوا مرادين ٥
قبل أن يكونوا مرادين ، وليس القرب قرب مكان لأنه تعالى منزّه
عنه ، و إنما هو بالتخلق بالصفات الشريفة على قدر الطاقة البشرية ليصير
الإنسان روحا خالصا كالملائكة لاسيلا للحفظ و الشهوات عليه ، فان
قربهم إنما هو بالانخلاع من الإرادة أصلا و رأسا ، و ذلك أنه لاشهوات
لهم فلا أغراض فلا فعل إلا ما أمروا به فلا إرادة ، إنما الإرادة للولى ١٠
سبحانه و هو معنى « و ينهى عن الفحشاء و المنكر و البغى » أى مطلق الإرادة
فى [غير - ١] أمر من الله ، لأن المملوك الذى هو لغيره لا ينبغى أن يكون
له شئ لا إرادة ولا غيرها - وفقنا الله تعالى لذلك (فروح) [أى - ١]
فله راحة و رحمة و ما ينعشه من نسيم [الريح - ١] و معنى قراءة يعقوب ٢
بالضم طمأنينة فى القلب و سكينة و حياة لا موت بعدما (وريحان ٣)
أى رزق عظيم و نبات حسن بهج و أزاهير طيبة الرائحة .

و لما ذكر هذه اللذات ، ذكر ما يجمعها و غيرها فقال : (و جنت)
أى بستان جامع للفواكه و الرياحين و ما يكون عنها و تكون عنه .

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : مرادين (٣) راجع نثر

الرجان ١٩٤/٧ .

ولما كان جنان الدنيا قد يكون فيها نكد، أضاف [هذه الجنة - ١] إلى المراد بهذه الجنان إعلاما بأنها لا تنفك عنه فقال: ﴿نعيم﴾ أى ليس فيها غيره بل هى مقصورة عليه ﴿واما ان كان﴾ أى المبت منهم ﴿من اصحاب اليمين لا﴾ أى الذين هم فى الدرجة الثانية من اصحاب الميمنة ﴿فسلم﴾ [أى سلامة - ١] ونجاة وأمر وقول دال عليه .
ولما كان ما يواجه به الشريف من ذلك أعلى قال: ﴿لك﴾ أى يا أعلى الخلق أو يا أيها المخاطب .

ولما كان من [أصاب - ١] السلام على وجه من الوجوه فائزا، فكيف إذا كان مصدرا للسلام ومنبعا منه قال: ﴿من اصحاب اليمين﴾ ١٠. أى أنهم فى غاية [من - ١] السلامة وإظهار السلام، لا يدرك وصفها، وهو تمييز فيه معنى التعجيب، فان إضافته لم تفده تعريفا، وفى اللام ومن، مبالغة فى ذلك، فالمعنى: فأما هم فعجبا لك وأنت أعلى الناس فى كل معنى، وأعرههم بكل أمر غريب منهم فى سلامتهم و سلامهم وتعافيههم وملكهم وشرفهم وعلو مقامهم، وذلك كله إنما أعطوه لأجلك زيادة ١٥ فى شرفك لاتباعهم لديك، فهو مثل قول القائل حيث قال^٢:

فيا لك من ليل كأن نجومه بكل مقار العمل شدت مدبل
و قول القائل أيضا حيث قال^٢:

لله در أنو شروان من رجل ما كان أعرفه بالدون والسفل
أى عجبا لك من ليل وعجبا من أنوشروان .

(١) زيد من ظ (٢-٢) فى ظ: قوله .

و لما ذكر الصنفين الناجيين ، أتبعهما الهالكين جامعا لهم في صنف واحد لأن من أريدت له السعادة يكفيه ذلك ، ومن ختم بشقائه لا ينفعه ذلك الإغلاظ والإكثار فقال : ﴿ وأما ان كان ﴾ أى ذلك الذى أخذناه من أصحاب المشأمة وأنتم حوله تنقطع أكبادكم له ولا تقدرّون / له على شيء أصلا ﴿ من المكذبين ﴾ .

١٨٩ / ٥

و لما كان المكذب تارة يكون معاندا ، وتارة [يكون - '] جاهلا مقتضرا ، قال : ﴿ الضالين لا ﴾ أى أصحاب الشمال الذين وجهوا وجهة هدى فزاغوا عنها لتهاونهم فى البعث ﴿ فنزل ﴾ أى لهم وهو ما يعد للقادم على ما لاح ﴿ من حميم ﴾ أى ماء مثاه فى [الحرارة - '] بعد ما نالوا من العطش كما يرد أصحاب الميمنة الحوض كما يبادر به القادم ١٠ ليرد^١ به غلة عطشه و يغسل به وجهه ويديه ﴿ وتصلية جحيم ﴾ أى لهم بعد النزول^٢ أن يصلوا النار الشديدة التوقد صليا عظيما .

و لما تم ما أريد من إثبات البعث على هذا الوجه المحكم البين ، وكانوا مع البيان يكذبون به ، لفت الخطاب عنهم إلى أكمل الخلق ، وأكد تسميعا لهم^٣ فقال سائقا له مساق النتيجة : ﴿ ان هذا ﴾ أى الذى ١٥ ذكر فى هذه السورة من أمر البعث الذى كذبوا به فى قولهم "أنا لمبعوثون" ومن قيام الأدلة عليه . و لما كان من الظهور فى حد لا يساويه فيه غيره ، زاد فى التأكيد على وجه التخصيص فقال :

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل : ايرد (٣) من ظ ، وفى الأصل : ترك (٤) من ظ ، وفى الأصل : له .

﴿ لهو حق اليقين ﴾ أى لكونه - لما عليه من الأدلة القطعية المشاهدة^١ - كأنه مشاهد مباشر، قال الأصهبانى : قال قتادة فى هذه الآية : إن الله عز وجل ليس تاركا أحدا من الناس حتى يوقفه على اليقين من هذا القرآن، فأما المؤمن فأيقن فى الدنيا ففعله ذلك ، وأما المنافق فأيقن يوم القيامة

٥ حيث لا ينفعه - انتهى .

ولما تحقق له هذا اليقين ، سبب عنه أمره بالتنزيه له سبحانه عما وصفوه به مما يلزم منه وصفه بالمعجز بعد تقسيمه للأزواج الثلاثة على طريق الإيجاز كما أمره بذلك بعد الفراغ من تقسيمهم على طريق الإطناب إشارة إلى أن المفاوتة بينهم مع ما لهم من العقول من أعظم الأدلة على الفعل بالاختيار ، على فساد القول بالطبيعة : ﴿ فسبح ﴾ أى أوقع التنزيه كله عن كل شائبة نقص بالاعتقاد والقول والفعل والصلاة وغيرها بأن تصفه بكل ما وصف به نفسه من الاسماء الحسنى وتنزهه عن كل ما نزه عنه نفسه المقدس ، ولتقصره الفعل^٢ لإفادة العموم أثبت الجار بقوله : ﴿ باسم ربك ﴾ أى المحسن إليك بما خصك به مما لم يعطه

١٥ أحدا غيرك عما وصفه به الكفرة من التكذيب بالواقعة ، وإذا كان هذا لاسمه فكيف بما له وهو ﴿ العظيم ﴾ الذى ملأت عظمته جميع الأقطار والآكران ، وزادت على ذلك بما لا يعلمه حق العلم سواه لأن من له هذا الخلق على هذا الوجه المحكم ، وهذا الكلام [الأعز الأكرم -^٣] ، لا ينبغي

(١) زيد فى الأصل : كان ، ولم تكن الزيادة فى ظ فخذناها (٢) من ظ ، وفى الأصل : نفسه (٣) زيد من ظ .

لشائبة نقص أن تلم بجنابه، أو تدنو من فناء بابه، وقد انطبق آخر السورة على أولها في الإخبار بالبعث وتصنيف الخلائق فيه إلى الأصناف المذكورة في أولها أي انطبق، وزاد هذا الآخر بأن اعتنق بدليله أي

اعتنق، واتفق مع أول التي بعدها أي اتفق، وطابقه / أجل طباق،
 ١٩٠ / وختمت بصفتي الرحمة والعظمة، وجلت عن الاسم الجامع كاللتين قبلها ه
 لما ذكره في أواخر القمر من أنه لم يذكر في واحدة من الثلاث أحد
 من أهل المعصية المصاحبة للإيمان، ليخاطب' بالاسم الجامع للاهانة
 والإحسان، وإنما ذكر أهل الكفران المستوجبين للهوان بالخلود في
 النيران، وأهل الإيمان المتأهلين للإحسان بتأييد الإمكان في أعلى
 الجنان - انتهى .

١٠

(١) من ظ، وفي الأصل محاطب .

* * * * *

سورة الحديد

مقصودها بيان أن عموم الرسالة لعموم الإلهية بالبعث [إلى -'] الأزواج
 الثلاثة المذكورة في السورتين الماضيتين من الثقلين تحقيقاً لأنه سبحانه
 يختص بجميع صفات الكمال تحقيقاً انتزهه عن^٢ كل شائبة^٣ نقص المبدئية
 ٥ به هذه السورة المختوم به ما قبلها الراد لقولهم "أنا لمجموعون أو أبائونا
 الأولون" المقتضى لجهاد^٤ من يحتاج إلى الجهاد بمن عصى رسول الله صلى الله
 عليه وسلم بالسيف و ما ترتب عليه من النفقة ردا لهم عن النقائص الجسدية
 وإعلاء إلى الكمالات الروحية التي دعا إليها الكتاب حذرا من سواء
 الحساب يوم التجلي للفصل بين العباد [بالعدل -'] ليدخل أهل
 ١٠ الكتاب وغيرهم في الدين طوعا أو كرها ، ويعلم أهل الكتاب الذين كانوا
 يقولون : ليس أحداً فضل منهم ، فضيلة هذا الرسول صلى الله عليه وسلم
 على جميع من تقدمه من الرسل عليهم الصلاة والسلام بعموم رسالته وشمول
 خلافته ، وانتشار دعوته وأثره أمتة تحقيقاً لأنه لا حد لفائض رحمته^٥
 سبحانه لتكون هذه السورة التي هي آخر النصف الأول والتي بعدها التي
 ١٥ هي أول النصف الثاني من حيث العدد غاية المقصود من السورة التي هي
 أوله عند الالتفات والرد كما كانت السورة التي^٦ غاية النصف الأول^٧

(١) السابعة والخمسون من القرآن الكريم ، مدنية ، وعدد آياتها (٢٩) عند
 الكوفيين والبصريين و (٢٨) عند المدنيين والمكي والشامي - كما في شر المرجان
 ٧ / ١٩٦ (٢) زيد من ظ (٣ - ٢) من ظ ، وفي الأصل : شائبة كل (٤) من
 ظ ، وفي الأصل : بجهاد (٥) في ظ : فضله (٦-٧) سقط ما بين الرقنين من ظ .

في المقدار وهي الإسراء، وكذا السورة التي^١ هي أول النصف الثاني وهي الكهف كاشفتين لمقصد الأولى فيما دعت إليه من الهداية وشدت إليه من الإنذار، على ذلك دل اسمها الحديد بتأمل آياته وتدبر سر ما ذكر فيه وغاياته. أسند صاحب الفردوس^٢ عن جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا تلتجموا يوم الثلاثاء فان سورة الحديد أنزلت يوم الثلاثاء. (بسم الله) الذي أحاطت إلهيته بجميع الموجودات (الرحمن) الذي وسعهم جوده في جميع الحركات والسكنات (الرحيم) الذي خص من بينهم بما له من الاختيار في كمال الاقتدار أهل ولايته بما يرضيه / من العبادات .

١٩١ /

لما ختمت الواقعة بالأمر بتنزيهه عما أنكره الكفرة من البعث، ١٠
جاءت هذه لتقرير ذلك التنزيه [و - '] تبينه بالدليل والبرهان والسيف والسنان فقال تعالى كالنعليل لآخر الواقعة: (سبح) أى أوقع التسبيح بدلالة الجبلّة تعظيماً له سبحانه وإقراراً بربوبيته وإذعاناً لطاعته، وقصره، وهو متعد ليدل على العموم بقصره، وعلى الإخلاص بتعديته باللام وجعله ماضياً هنا وفي الحشر والصف ومضارعاً في الجمعة والتغابن ١٥
ليدل على أن ما أسند إليه التسبيح هو من شأنه وهجيره وديده وتخصيص كل من الماضي والمضارع بما افتتح به لما يأتي [في '] أول الجمعة، والإتيان بالمصدر أول الإسراء أبلغ من حيث أنه يدل باطلاقة
(١) زيد من ظ (٢) راجع المخطوطة ص: ٢٠٤/ب (٣) من ظ، وفي الأصل: جميع (٤) في ظ: هنا .

على استحقاق التسييح [من كل شيء - ١] و في كل حال ﴿ الله ﴾
أى الملك المحيط بجميع صفات الكمال ﴿ ما فى السموات ﴾ أى الأجرام
العالية و الذى فيها و هى الأرض و من فيها و كل سماء و من فيها ،
و ما بينهما لأنها كلها فى العرش الذى هو أعلى الخلق .

٥ و لما كان الكلام آخر الواقعة مع أهل الخصوص بل هو أخص
أهل الخصوص ، لم يحتج إلى تأكيد لحذف ما جعلنا للخافقين كشيء
واحد لأن نظره لما نظر علو نظرا واحدا لما أخبر به عنهما من التنزيه
فقال : ﴿ و الأرض ﴾ أى و ما فيها و كذا [نفس - ١] الأرضى كما
تقدم ، فشمّل ، ذلك جميع الموجودات لأنه إذا سبّح ذلك كله فتسييح العرش
١٠ بطريق الأولى و تنزيه ٢ هذه الأشياء بما فيها من الآيات الدالة على أنه
سبحانه لا يلى بجنابه شائبة نقص ، و ان كل شيء واقف على الباب يشاهد
الطلب ، قال القشيري : التسييح : التقديس و التنزيه ، و يكون بمعنى سباحة
الأسرار فى بحار الإجلال ، فيظفرون بجواهر التوحيد ، و ينظمونها فى
عقد الإيمان ، و يرصعونها فى أطواق الوصلة .

١٥ و لما قرر ذلك ، دل على أنه لا قدرة لشيء على الانفكاك عنه ،
و أن له كل كمال ، فهو المستحق للتسييح و الحمد فقال : ﴿ و هو ﴾ أى
وحده ﴿ العزيز ﴾ الذى يغلب كل شيء و لا يغلبه شيء ﴿ الحكيم ﴾
الذى أتقن كل شيء صنعه .

و قال الأستاذ أبو جعفر ابن الزبير العاصمى فى برهانه : لما تقدم قوله

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : تنزيهه .

[سبحانه - ١] تعالى "فلولا تصدقون" وفيه من التقرير والتوبيخ لمن قرع به ما لا خفاء به، ثم اتبع بقوله تعالى "افريتم ما تمنون" الآيات إلى قوله "ومتاعا للفقيرين" فعزروا وبخوا على سوء جهلهم وقبح ضلالهم، ثم قال سبحانه وتعالى بعد ذلك "ابهذا الحديث انتم مدهنون، واستمر توبيخهم" إلى قوله "ان كنتم صدقين"، فلما أشارت هذه الآيات ه إلى قبائح مرتكباتهم، أعقب تعالى [ذلك - ١] تنزيهه عز وجل عن سوء ما انتحلوه وضلالهم فيما^٢ جهلوه فقال تعالى "فسبح باسم ربك العظيم" أى نزّهه عن عظيم ضلالهم وسوء اجترائهم، ثم أعقب ذلك بقوله "سبح لله ما فى السموات والارض"، أى سبح باسم ربك، فهى سنة العالم بأسرهم / "وله أسلم من فى السموات والارض" "سبح لله ما ١٠ / ١٩٢ فى السموات والارض" ثم أتبع ذلك بقوله "له الملك وله الحمد" [فبين تعالى انفراد بصفة الجلال ونعوت الكمال، وأنه المتفرد بالملك والحمد - ١] وأنه الأول والآخرو الظاهر والباطن إلى قوله "وهو عليم بذات الصدور" فتضمنت هذه الآيات إرغام من أشير إلى حاله فى الآية المتقدمة من سورة الواقعة وقطع ضلالهم والتعريف بما جهلوه من صفاته ١٥ العلى وسمائه الحسنى جل وتعالى، وافتحت آى السورتين واتصلت معانيها ثم صرف الخطاب إلى عباده المؤمنين فقال تعالى "أمنوا بالله ورسوله" واستمرت الآى على خطابهم الى آخر السورة - انتهى .

(١) زيد من ظ (٢) من ظ، وفى الأصل: توبيخه (٣ - ٢) من ظ، وفى الأصل: ضلال ما .

و لما أخبر بذلك، دل على وجه مصرح بما أفهمه الأول من تسييح
 السماوات والأرض بقوله: ﴿له﴾ أى وحده ﴿ملك السموات والأرض﴾
 أى وملك ما فيها وما بينهما ظاهرا وباطنا، فالملك الظاهر ما هو
 الآن موجود فى الدنيا من أرض مدحية وسماء مبنية وكواكب مضية
 ٥ وأفلاك عليّة ورياح محسوسة وسحاب مرئية - وما تفصل إلى ذلك من
 خلق وأمر، والملك الباطن [الغائب - ١] عنا، وأعظمه المضاف إلى
 الآخرة وهو الملكوت، قال القشيري: الملك مبالغة من الملك يعنى
 بدلالة الضمة، قال، والملك بالكسر أى القدرة على الإبداع^٢ فلا مالك
 إلا الله، وإذا قيل لغيره: مالك، فعلى المجاز بالأحكام المتعلقة فى الشريعة
 ١٠ على ملك الناس أى بتصحيحه أو إفساده ونحوه ذلك، فالآية من الاحتباك:
 ذكر ما بين السماوات والأرض أولا دليلا على حذف ما بينهما ثانيا،
 وذكر الخافقين ثانيا دليلا على حذف مثل ذلك أولا ليكون التسييح
 والملك شاملا للكل .

و لما كان ذلك مما لا نزاع فيه، وكان ربما عاند معاند، دل عليه
 ١٥ بما لا مبطع فيه لغيره فقال مقدما الإحياء لأنه كذلك فى الخارج ولأن
 زمن الحياة أكثر لأن البعث حياة دائمة لاموت بعدها: ﴿يحيى﴾ أى
 له صفة^٣ الإحياء فيحيى ما يشاء من الخلق بأن يوجد على صفة الإحياء
 كيف شاء فى أطوار يتقلبها كيف شاء^٤ وكيف يشاء^٥ وما يشاء
 (١) زيد من ظ (٢) من ظ، وفى الأصل: الإبلاغ (٣) من ظ، وفى
 الأصل: صفات (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ .

(ويميت ع) أى له هاتان الصفتان على سبيل الاختيار والتجدد والاستمرار، فهو قادر على البحث بدليل ما ثبت له من صفة الإحياء . ولما كان هذا شاملا للقدرة على التجديد والإعادة، عم الحكم بقوله : (وهو على كل شيء) أى من الإحياء والإماتة وغيرهما من كل ممكن (تقديره) أى بالغ القدرة إلى حد لا يمكن الزيادة عليه .

ولما أخبر بتمام القدرة، دل على ذلك بقوله : (هو) أى وحده (الاول) أى بالأزلية قبل كل شيء فلا أول له، والقديم الذى منه وجود كل شيء وليس^١ وجوده من شيء لأن كل ما نشاهده متأثر لانه حقير، وكل ما كان كذلك فلا بد له من موجد غير متأثر (والآخر) بالابدية، الذى ينتهى إليه وجود كل شيء فى سلسلة الترقى وهو بعد ١٠ فناء كل شيء ولو بالنظر إلى ما له من ذاته فلا آخر له لانه يستحيل عليه [نعت - ٢] العدم لأن كل ما سواه متغير، وكل ما تغير بنوع من التغير جاز إعدامه، وما جاز إعدامه فلا بد له من معدم يكون بعده ولا يمكن إعدامه .

ولما كان السبق يقتضى البطون، والتأخر يوجب / الظهور، وكانا ١٥ / ١٩٣

أمرين متضادين لا يكاد الإنسان يستقل بتعلقهما فى شيء واحد، نبه على اجتماعهما فيه، فقال مشيرا بالواو إلى تمام الاتصاف وتحقيقه : (والظاهر) أى بالاحدية للعقل بأدلتها الظاهرة فى المصنوعات بما له من الأفعال ظهورا لا يحمله عاقل، وهو الغالب فى رفعته وعلوه فليس فوقه شيء

(١) زيد فى الأصل : منه ، ولم تكن الزيادة فى ظ لحذفنا (٢) زيد من ظ .

(والباطن ج) بالصمدية وعن انطباع الحواس وارتسام الخيال و تصور
 الفهم و الفكر و بتمام العلم و الحكمة بما له من العظمة في ذاته بكثرة
 تعالى و الحجب بطونا [لا - ١] يكتنهه شيء، و قال القشيري: الاول
 بلا ابتداء، الآخر بلا انتهاء، الظاهر بلا خفاء، [الباطن - ١] نعت
 ٥ العلا و عز الكبرياء - انتهى، و العطف للدلالة كما أشير إليه على الإحاطة
 التامة لأنها لما كانت متضادة كانت بحيث لو أعريت عن الواو لربما ظن
 أن وجودها لا على سبيل التمكن، فلا تكون محيطة بل مقيدة بحيثية
 مثلا، فجاءت الواو دلالة على تمكن الوصف و إحاطته وأنه واقع بكل
 اعتبار ليس واحد من الأوصاف مكملا لشيء آخر و لا شارحا لمعناه،
 ١٠ فهو أول على الإطلاق^٢ و آخر كذلك، و ظاهر حتى في حال بطونه
 و باطن كذلك، و هذا على الأصل فان صفاته تعالى محيطة فلا إشكال،
 إنما الإشكال عند الخلو من العطف فهو الأغلب في إيرادها كما في آخر
 الحشر، و لعل ذلك مراد الكشف بقوله: [إن - ١] الواو الاولى
 معناها الدلالة على الجامع بين الصفتين^٢ الاولى و الآخرة، أى جمعا هو
 ١٥ في غاية الممكنة، و الثالثة على أنه الجامع بين الظهور و الخفاء، و أما الوسطى
 فعلى أنه الجامع بين مجموع الصفتين الاولين و مجموع الصفتين الاخيرتين،
 فهو المستمر الوجود في جميع الاوقات الماضية و الآتية - انتهى .

و لما كان من ظهر لشيء بطن عن غيره، و من بطن لشيء غاب

(١) زيد من ظ (٢) من ظ، و في الأصل: الاطباذق - كذا (٣) من ظ، و في
 الأصل: الصنفين .

عنه عليه، و كان سبحانه في ظهوره على ذلك بمعنى^١ أنه ليس فوقه شيء،
 وفي بطونه بحيث ليس دونه شيء، فقد جمعت الأوصاف إحاطة العلم
 والقدرة، أعلم نتيجة ذلك فقال: (وهو بكل شيء عليم) أى
 لكون^٢ الأشياء عنده^٣ على حد سواء، [و - ^٤] البطون والظهور إنما
 هو بالنسبة إلى الخلق، وأما هو سبحانه فلا باطن من الخلق عنده بل ه
 هو في غاية الظهور لديه لأنه الذى أوجدكم، وهذا معنى ما قال البغوى^٥
 رحمه الله تعالى: سأل عمر رضى الله عنه كعباً عن هذه الآية فقال: معناها
 أن علمه بالاول كعلمه بالآخر، وعلمه بالظاهر كعلمه بالباطن - انتهى .
 لأن العلم يستلزم القدرة على حسيبه . ولما كان الصانع للشيء عالماً به،
 دل على علمه و ما تقدم من وصفه بقوله: (هو) أى^٦ وحده ١٠
 (الذى خلق السموات) وجمعها لعلم العرب بتعددتها^٧ (و الأرض)
 أى الجنس الشامل للكل، أفردتها لعدم توصلهم إلى العلم بتعددتها
 (فى ستة أيام) سنا للتأني و تقريراً للأيام التى أوترها سابعها الذى
 خلق فيه الإنسان الذى دل خلقه باسمه " الجمعة " على أنه المقصود بالذات
 وبأنه السابع^٨ على أنه نهاية المخلوقات - انتهى^٩ .

١٥

/ ولما كان تمكن الملك من سرير الملك كناية عن انقراذه بالتدبير
 / ١٩٤

- (١) من ظ ، وفي الأصل: بل بمعنى (٢) من ظ ، وفي الأصل: لكونه .
 (٣) من ظ ، وفي الأصل: على يده (٤) زيد من ظ (٥) راجع معالم التنزيل
 بهامش الباب ٧ / ٢٥ (٦) سقط من ظ (٧) من ظ ، وفي الأصل: بتعددته .
 (٨) من ظ ، وفي الأصل: السابق .

و إحاطة قدرته وعلمه، وكان ذلك هو روح الملك، دل عليه منها على
عظمته بأداة التراخي فقال: ﴿ثم استوى﴾ أى أوجد السواء وهو العدل
إيجاد من هو شديد العناية ﴿على العرش﴾ المحيط بجميع الموجودات
بالتدبير المحكم للعرش وما دونه ومن دونه ليتصور للعباد أن العرش منشاء
٥ التدبير، ومظهر التقدير، كما يقال فى ملوكنا: جلس فلان على سرير
الملك، بمعنى أنه انفرد بالتدبير، وقد لا يكون هناك سرير فضلا
عن جلوس.

ولما كان المراد بالاستواء الانفراد بالتدبير، وكان التدبير لا يصح
إلا بالعلم والقدرة، كشفه بقوله دالا على أن علمه بالخفايا^١ كعلمه بالجلال^٢ :
١٠ ﴿يعلم ما يلج﴾ أى يدخل دخولا يغيب به ﴿فى الارض﴾ أى
من النبات وغيره من أجزاء الاموات وغيرها و [إن -^٣] كان ذلك
بعيدا من العرش، فان ألما كن كلها بالنسبة إليه على حد سواء فى ^٢ القرب
و البعد^٤ ﴿و ما يخرج منها﴾ كذلك، و فى التعبير بالمضارع دلالة على
ما أودع فى الخافقين من القوى فصار بحيث يتجدد منها ذلك بخلقه تجدد
١٥ استمرار إلى حين خرابهما.

ولما قرر ذلك فيما قد يتوهم بعده لبعده عن العرش بسفوله^٥
تنبيها على التنزه عن التحيز فكان اولى بالتقديم، أتبعه قسيمه وهو جهة
العلو تعميما للعلم بسائر الخلق فقال: ﴿و ما ينزل من السماء﴾ ولم يجمع
(١) من ظ، و فى الأصل: بالخفاء (٢) زيد من ظ (٣-٣) فى ظ: البعد
و القرب (٤) من ظ، و فى الأصل: سفوله.

لأن المقصود حاصل بالوحدة^١ مع إفهام التعبير^٢ بها الجنس السافل
للكل، وذلك من الوحي والأمطار والحر والبرد وغيرها من الأعيان
والمنافع التي يوجد بها سبحانه من مقادير أعمار بني آدم وأرزاقهم
وغیرها من جميع شؤونهم ﴿ وما يعرج ﴾ أى يصعد ويرتقى ويغيب
﴿ فيها^٣ ﴾ كالأنجرة والأنوار والكواكب والأعمال وغيرها . ٥
ولما كان من يتسع ملكه يغيب عنه علم بعضه لبعده عنه، عرف
أنه لا مسافة أصلاً بينه وبين شيء من الأشياء فقال: ﴿ وهو معكم ﴾
أى أيها الثقلان المحتاجان إلى التهذيب بالعلم والقدرة المسييين عن القرب
﴿ اين ما كنتم^٤ ﴾ فهو عالم بجميع أموركم وقادر عليكم تعالياً عن اتصال
بالعلم ومماسه، أو انفصال عنه بغيبة أو مسافة، قال أبو العباس ابن تيمية ١٠
فى كتابه الفرقان^٥ بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان: لفظ [”مع-“]
لا يقتضى فى لغة العرب أن يكون أحد الشيئين مختلطاً بالآخر لقوله
” اتقوا الله وكونوا مع الصديقين “ وقوله ” محمد رسول الله والذين
معه أشداء على الكفار “ ولفظه ” مع “ جاءت فى القرآن عامة وخاصة،
فالعامة ” ما يكون من نحوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ١٥
ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم “ الآية، فافتتح الكلام بالعلم
واختتمه^٦ بالعلم، ولهذا قال ابن عباس رضى الله عنهما والضحاك
(١) من ظ، وفى الأصل: بالوحدة (٢) من ظ، وفى الأصل: بالتعبير .
(٣) مثله فى الأعلام ١ / ١٤١، وفى ظ « الفرق » (٤) زيد من ظ (٥) فى
ظ : ختمه .

و سفيان الثوري و أحمد بن حنبل : هو معهم بعله^١ ، و أما المعية / الخاصة
 فقوله تعالى "ان الله مع الذين اتقوا و الذين هم محسنون" و قوله تعالى
 لموسى و هارون عليهما السلام " اننى معكما اسمع و ارى " و قال " اذ
 يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا " يعنى النبي صلى الله عليه و سلم و أبو بكر
 الصديق رضى الله عنه ، فهو مع موسى و هارون عليهما السلام دون فرعون ،
 و مع محمد صلى الله عليه و سلم و صاحبه رضى الله عنه دون أبى جهل
 و غيره من أعدائه ، و مع الذين اتقوا و الذين هم محسنون دون الظالمين
 المعتدين ، فلو كان معنى المعية أنه بذاته فى كل مكان تناقض الخبر الخاص
 و الخبر العام ، بل المعنى^٢ أنه مع هؤلاء بنصره و تأييده دون أولئك ،
 ١٠ و قوله تعالى " و هو الذى فى السماء إله و فى الارض إله " أى هو إله
 فى السماء و إله فى الارض كما قال تعالى " وله المثل الأعلى فى السموات
 و الارض و هو العزيز الحكيم " و كذلك فى قوله تعالى " و هو الله فى
 السموات و فى الارض " كما فسرهُ أئمة العلم^٣ كآحمد و غيره^٤ أنه
 المعبود فى السماوات و الأرض .

١٥ و لما كانت الأعمال منها ظاهر و باطن ، عبر فى امرها باسم
 الذات دلالة على شمولها بالعلم و القدرة [و - °] تنبيهاً على عظمة الإحاطة
 بها و بكل صفة من صفاته فقال : (و الله) أى المحيط بجميع صفات
 الكمال ، و قدم الجار لمزيد الاهتمام و التنبيه على تحقق الإحاطة كما مضى

(١) من ظ ، و فى الأصل : بالعلم (٢) من ظ ، و فى الأصل : بمعنى (٣) زيد
 فى الأصل : من ، و لم تكن الزيادة فى ظ لخصفناها (٤ - ٤) من ظ ، و فى
 الأصل : و غيرهم (٥) زيد من ظ .

التنيه عليه [غير مرة -^١] وتمثله بنحو: أعرف فلانا ولا أعرف غيره؛
فقال: ﴿ بما تعلمون ﴾ أى على سبيل التجدد^٢ والاستمرار ﴿ بصيره ﴾
أى عالم بجلالته ودقائقه .

ولما كان صانع الشيء قد لا يكون ملكا، وكان الملك لا يكمل ملكه
إلا بعلم جميع ما يكون فى مملكته و القدرة عليه ، وكان إنكارهم للبعث ه
إنكارا لأن^٣ يكون ملكا، أكد ذلك بتكرير الإخبار به فقال: ﴿ له ﴾ أى
وحده ﴿ ملك السموات ﴾ و جمع لا قضاء المقام له^٤ ﴿ والارض ﴾
أفرد لحفاء تعددها عليهم مع إرادة الجنس ، ودل على دوام ملكه وإحاطته
بقوله عاطفا على ما تقديره: فمن الله المبدأ ، معبرا بالاسم الأعظم الجامع
ثلا يظن الخصوص بامور ما تقدم: ﴿ والى الله ﴾ أى الملك الذى ١٠
لا كفؤ له وحده ﴿ ترجع ﴾ بكل اعتبار على غاية السهولة ﴿ الاموره ﴾
أى كلها حسا بالبعث ومعنى بالإبداء^٥ والإفناء ، ودل على هذا الإبداء
والإفناء بأبدع الامور وأروقها فقال: ﴿ يولج ﴾ أى يدخل ويغيب
بالنقص والمحو ﴿ الليل فى النهار ﴾ فاذا قد قصر بعد طوله ، وقد انمحي
بعد تشخصه وحلوله ، ففلا الضياء الأقطار بعد ذلك الظلام ١٥
﴿ يولج النهار ﴾ الذى عم الكون ضياؤه وأناره لآلاؤه ﴿ فى اليل ﴾
الذى قد كان غاب فى عليه ، فاذا الظلام قد طبق الآفاق ، والطول^٦ الذى
(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل : التجديد (٣) من ظ ، وفى
الأصل : لا (٤) زيد فى الأصل : فقال ، ولم تكن الزيادة فى ظ لخذفتاها .
(٥) من ظ ، وفى الأصل : بالابتداء (٦) فى ظ : الطول .

[كان - '] له قد صار نقصا .

ولما كان في هذا إظهار أخفى الأشياء حتى يصير في غاية الجلاء ،
أتبعه علم ما هو عند الناس / أخفى ما يكون فقال : ﴿ وهو ﴾ أى وحده
﴿ عليم ﴾ أى بالغ العلم ﴿ بذات الصدوره ﴾ أى ما يصحبها فتخفيه فلا
يخرج منها من الهزات على مدى الأيام على كثرة اختلافها وتغيرها
وإن خفيت على اصحابها .

ولما قامت الأدلة على تنزيهه سبحانه عن شائبة كل نقص ، وإحاطته
بكل صفة كمال ، المقتضى لثبوت أن الملك له ، الموجب قطعاً لتفرده بعموم
الإلهية ، المقتضى لإرسال من يريده إلى جميع من فى ملكه ، وختم بالعلم
بالضائر التى أجلها الإيمان ، قال آمرا بالإذعان له ولرسوله صلى الله عليه
وسلم : ﴿ آمنوا ﴾ أى أيها الثقلان ﴿ بالله ﴾ أى الملك الأعظم الذى
لامثل له ﴿ ورسوله ﴾ الذى عظمت من عظمتة . ولما كان الإيمان
أساساً ، والإنفاق وجهاً ظاهراً ورأساً ، قال جامعاً بين الأساس الحامل
الخفى والوجه الظاهر الكامل البهى : ﴿ وانفقوا ﴾ أى فى إظهار دينه :
١٥ ورغبهم فى ذلك بطلب اليسير مما أعطاهم [الله - '] وزهدهم منه بقوله :

﴿ مما جعلكم ﴾ أى بقدرته ﴿ مستخلفين ﴾ أى مطلوباً . وجوداً خلافتكم
﴿ فيه ﴾ وهو له دونكم بما يرضى من استخلفكم فى تمهيد سبيله فطيخوا بها
نفساً لأنها ليست فى الحقيقة لكم وإنما أتم خزان ، وخافوا من عزلكم
من الخلافة بانتزاعها من أيديكم بتولية غيركم أمرها ، إما فى حياتكم ، وإما

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل : الأسباب (٣) من ظ ، وفى
الأصل : الانطاق .

بعد عمتكم، كما فعل بغيركم حين أوصل إليكم ما وصل من أموالهم،
فليس لكم منها إلا ما أكلتم فأفقيتم أو لبستم فأبليتم أو تصدقتم فأبقيتم - وفي
رواية: فأمضيتهم، وليهن الإنفاق منها عليكم كما يهون على الإنسان النفقة
من مال غيره إذا أذن له فيه .

ولما أمر بالإنفاق ووصفه بما سهله، سبب عنه ما يرغب فيه ه
فقال مبالغا في تأكيد الوعد لما في ارتكابه من العسر بالتعبير عنه بالجمله
الاسمية وبناء [الحكم - '] على الضمير بالوصف بالكبير وغير ذلك :
(فالذين آمنوا) وبين أن هذا خاص بهم لضيق الحال في زمانهم
فقال : (منكم وانفقوا) أى من أموالهم فى الوجوه التى نذب إليها
على وجه الإصلاح كما دل عليه التعبير بالإنفاق (لهم اجر كبيره) أى ١٠
لا تبلغ عقولكم حقيقة كبره فاغنموا الإنفاق فى أيام استخلاصكم قبل
عزلكم وإتلافكم .

ولما رغب فى الإنفاق والإيمان، وكان الإيمان مقتضى بالإنفاق،
عجب من لا يبادر إلى الحاصل على كل خير، فقال مفعلا لما أجمل من
الترغيب فيهما، بادئا بأبين كل خير، منفسا عنهم بالتعبير بأداة الاستقبال ١٥
بالبشارة بالعفو عن الماضى مرهبا موبخا لمن لا يبادر إلى مضمون ما دخل
عليه الاستفهام، عاطفا على ما تقديره : فما لكم لا تبادرون إلى ذلك :
(وما) أى وأى شئ (لكم) من الأعذار أو غيرها فى أنكم،
أو حال كونكم (لا تؤمنون بالله ع) أى تجددون الإيمان - أى تجديددا
(١) زيد من ظ .

مستمرا - بالملك الاعلى أى الذى له الملك كله و الامر كله بعد سماعكم لهذا الكلام: لأن ١٠ لا تدخل على / مضارع إلا و هو بمعنى الاستقبال ، ولو عبر بعبارة تدل على الحال لربما تعنت متعنت فقال: فأت ما طلب منا ، و الذى بعد هذا من الحال التى هى فى معنى العلة دالة على هذا ، و هى قوله: ﴿ و الرسول ﴾ أى و الحال أن الذى له الرسالة العامة ﴿ يدعوكم ﴾ صباحا و مساء على ما له من مقتضيات القبول منه من حسن^١ السمعت و جلالة القدر و إظهار الخوارق و غير ذلك ﴿ لتؤمنوا ﴾ أى لاجل أن تجددوا الإيمان ﴿ بربكم ﴾ أى الذى أحسن تربيتكم بأن جعلكم من أمة هذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم و شرفكم به ﴿ و قد ﴾ ١٠ أى و الحال أنه قد ﴿ اخذ ميثاقكم ﴾ أى وقع أخذه [فصار -^٢] فى غاية [القباحة -^٢] ترك ما وقع التوثق بسية بنصب الأدلة و التمكين^٢ من النظر بابداع العقول ، و ذلك كله منضم إلى أخذ الذرية من ظهر آدم عليه الصلاة و السلام و إشهادهم على أنفسهم و إشهاد الملائكة عليهم ، و بنى الفعل للفعول فى قراءة أبى عمرو ليكون المعنى أى أخذ كان لأن الغدر ١٥ عند الكرماء شديد من غير نظر إلى معين لاسيما العرب فكيف إذا كان الآخذ الملك الاعظم القادر على كل شئ العالم بكل شئ ، و رسوله الذى تعظيمه من تعظيمه ، كما صرحت به قراءة الجماعة بالبناء للفاعل و لا يخفى الإعراب ، و الحاصل أنهم نقضوا الميثاق فى الإيمان ، فلم يؤاخذهم

(١) من ظ ، و فى الأصل : جنس (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : التمكن .

حتى أرسل الرسل .

و لما حثهم على تجديد الإيمان على سبيل الاستمرار بالتعجب من ترك ذلك ، وكان كل واحد يدعى العرافة في الخير ، هيجهم و ألهمهم بقوله :
 ﴿ ان كنتم ﴾ أى جلبة ووصفا ثابتا ﴿ مؤمنين ﴾ أى عريقين في وصف الإيمان ، و هو الكون على نور الفطرة الأولى .
 و لما وصفه بالربوبية ، دل عليها بقوله : ﴿ هو ﴾ أى وحده
 [لا غيره - '] ﴿ الذى ينزل ﴾ أى على سبيل التدرج و الموالاة بحسب الحاجة . و لما كان الخطاب في هذه السورة للخاص ، قال مضيفا إلى ضميره غير مقرون بما يدل على الجلال و الكبرياء ﴿ على عبده ﴾ أى الذى هو أحق الناس بحضرة جماله ' و إكرامه لأنه ما تعبد لغيره قط ﴿ 'أيت ﴾ ١٠
 أى علامات هى من ظهورها حقيقة بأن يرجع إليها و يتقيد [بها - ']
 ﴿ بينت ﴾ جدا على ما له من التعوت التى هى فى غاية الوضوح ﴿ ليخرجكم ﴾
 أى الله أى عبده بما أنزل إليه مع أنه بشر مثلكم ، و الجنس إلى جنسه
 أميل و منه أقبل ، و لا سيما إن كان قريبا و لييا أريبا ﴿ من الظلمت ﴾
 التى أتم منغمسون فيها من الحظوظ و النقائص ' التى جبل عليها الإنسان ١٥
 و الغفلة و النسيان ، الحاملة على تراكم الجهل ، فن آتاه سبحانه العلم و الإيمان
 فقد أخرجه من هذه الظلمات التى طرأت عليه ﴿ الى النور ﴾ الذى كان
 وصفا لروحه و فطرته الأولى السليمة .

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : جلاله (٣) ليس فى الأصل .

(٤) من ظ ، و فى الأصل : نقصان (٥) زيد فى ظ : له .

ولما كان التقدير: / فان الله به اللطيف خبير، عطف عليه قوله مؤكدا لأجل زوال من يطول به البلاء من المؤمنين وإنكار الكفار: ﴿وان الله﴾ أى الذى له صفات الكمال ﴿بكم﴾ قدم الجار لأن عظيم رحمته لهذه الامة موجب لعد نعمته^١ على غيرنا عدما بالنسبة إلى نعمته علينا ﴿لرؤف رحيم﴾ أى كنتم بالنظر إلى رحمته الخاصة التى هى لإتمام النعمة العامة صنفين: منكم من كان له به وصلة بما يفعل فى أيام جاهليته من الخيرات كالإتفاق^٢ فى سبيل المعروف، وعبر بالإتفاق لكونه [خيرا -^٣] لا رياء ونحوه [فيه] كالصديق^٤ رضى الله عنه فعاد عليه، بعد عموم^٥ رحمته بالبيان^٦، بخصوص رحمة عظيمة أوصلته إلى^٧ أعظم درجات^٨ ١٠ العرفان، ومنكم من كان بالغاً فى اتباع الهوى فابتدأه بعد عموم رحمة البيان بخصوص رحمة هداه بها إلى أعمال الجنان، وهى دون ما قبلها فى الميزان، وفوقها من حيث أنها بدون سبب من المحرم.

ولما أمرهم بالإيمان والإتفاق، وكان^٩ الإيمان مع كونه الأساس الذى لا يصح عمل بدونه ليس فيه^{١٠} شئ من خسران أو نقصان، فبدأ به ١٥ لذلك، ورغب بنحتم الآية بالإشارة بالرأفة^{١١} إلى أن [من -^{١٢}] توصل

(١) من ظ. وفى الأصل: رحمته (٢) من ظ. وفى الأصل: كاتفاق (٣) زيد من ظ (٤) زيد بعده فى الأصل: نحوه، ولم تكن ازياة فى ظ فخذناها (هـ) فى ظ: رحمة البيان (٦-٧) فى ظ: أعلى درجة (٧) من ظ. وفى الأصل: كون. (٨) من ظ. وفى الأصل: فيها (٩) من ظ. وفى الأصل: الى الراة.

إليه بشيء من الإيمان أو غيره زاده من فضله « من تقرب مني شبرا
تقربت منه ذراعا - إلى قوله : و من أتاني يمشي أتيته هرولة ، عطف
عليه الترغيب في التوصل إليه ' بالإئفاق منكرنا على من تركه موبخا لمن
حاد عنه ' و هو يعلم أنه فأن ، مفهما بزيادة " أن " المصدرية اللوم على
تركه في جميع الأزمنة الثلاثة فقال : ﴿ و ما ﴾ أى و أى شيء يحصل ه
﴿ لكم ﴾ في ﴿ الا تنفقوا ﴾ اى توجدوا الإخراج للال ﴿ في سبيل الله ﴾
أى في كل ما يرضى الملك الأعظم الذى له صفات الكمال لتكون لكم
به وصلة فينصكم بالرأفة التى هى أعظم الرحمة ، فانه ما بجمل [به - ١]
أحد عن وجه خير إلا ملط الله عليه غرامة في وجه شر ، و أظهر موضع
الإضمار في جملة حالة باعثا على الإئفاق بأبلغ بعث^٢ فقال : ﴿ و لله ﴾ ١٠
تأكيدا للعظمة بالنذب إلى ذلك باستحضار جميع صفات الكمال لاسيما
صفة الإرث المقتضية للزهد في الموروث ﴿ ميراث ﴾ [أى - ٢] الإرث
٤ الموروث^٣ و الموروث عنه و غير ذلك ﴿ السموات و الارض^٤ ﴾ جميعا
لا شيء فيهما أو منهما إلا هو كذلك يزول عن المنتفع به و يبقى لله بقاء
الإرث^٥ ، و من تأمل أنه زائل هو و كل ما في يده و الموت من ورائه ، ١٥
و يد طوارق الحوادث مطبقة به ، و عما قليل ينقل ما في يده إلى غيره

(١-١) نكرر ما بين الرقين في الأصل : قبل « بشيء من الإيمان » س ١ (٢) زيد
من ظ (٣) من ظ ، و في الأصل : نعت (٤-٤) سقط ما بين الرقين من ظ .
(٥) من ظ ، و في الأصل : الأرض .

هان عليه الجود بنفسه وماله .

ولما رغبتهم في الإنفاق على الإطلاق، رغبتهم في المبادرة إليه،
مادحا أهله خاصة منهم أهل السباق فقال: ﴿ لا يستوى ﴾ . ولما
كان المراد أهل الإسلام بين بقوله: ﴿ منكم من أنفق ﴾ أى أوجد
١٩٩ /
٥ الإنفاق فى ماله وجميع قواه وما يقدر عليه . / ولما كان المقصود الإنفاق
فى زمان الإيمان لا مطلق الزمان، خص بالجار فقال: ﴿ من قبل الفتح ﴾
أى الذى هو فتح جميع الدنيا فى الحقيقة وهو فتح مكة الذى كان سببا
لظهور الدين [على الدين - ٢] كله لما نال المنفق إذ ذاك بالإنفاق
من كثرة المشاق لضيق المال حينئذ، وذلك مستلزم لكون المنفق أنفذ
١٠ بصيرة ونفقتة أعظم غنا وأشد نفعا، وفيه دليل على فضل أبى بكر
رضى الله عنه فانه أول من أنفق ولم يسبقه فى ذلك أحد، وفيه نزلت
الآية - كما حكاه البغوى^٢ عن الكلبي .

ولما كان المراد بالإيمان خدمة الرحمن، وكان الإنفاق وإن كان
مصدقا للإيمان لا يكمل تصديقه إلا ببذل النفس قال: ﴿ وقتل ﴾ أى سعيها
١٥ فى إنفاق نفسه لمن آمن به، وحذف المنى للتسوية به وهو [من - ١]
لم ينفق مطلقا أو بقيد القبلية لدلالة ما بعده، وأعله أفرد الضمير إشارة
إلى قلة السابقين .

ولما كان نفي المساواة لا يعرف منه الفاضل من غيره، وقد كان

(١) من ظ : وفى الأصل : فى ظهور (٢) زيد من ظ (٣) راجع معالم التنزيل
بهامش الباب ٢٧ / ٧ .

حذف قسم من أتفق لوضوحه والتفكير منه ودلالة ما بعده عليه ، نفي
 اللبس بقوله : ﴿اولئك﴾ أى المنفقون المقاتلون وهم السابقون الأولون
 من المهاجرين والأنصار ، المقربون من أهل الرتبة العلية لمبادرتهم إلى
 الجود بالنفس والمال ﴿اعظم درجة﴾ وبمعظم الدرجة يكون عظم
 صاحبها ﴿من الذين انفقوا﴾ ولما كان المراد التفضيل على من أوجد ه
 الإنفاق والقتال [فى زمان بعد ذلك ، لا على من استغرق كل زمان بعده
 بالإنفاق والقتال - ٢] أدخل الجار فقال : ﴿من بعد وقتلوا﴾ ولما
 كان التفضيل مفهوما اشتراك الكل فى الفضل ، صرح به ترغيبا فى الإنفاق
 على كل حال فقال : ﴿و كلا﴾ أى من القسمين ﴿وعد الله﴾
 [أى - ٣] الذى له الجلال والكمال والإكرام ﴿الحسنى﴾ أى الدرجة ١٠
 التى هى غاية الحسن وإن كانت فى نفسها متفاوتة ، وقرأ ابن عامر
 "وكل" وهو أوفق لما عطف عليه .

ولما كان زكاه الأعمال إنما هو بالنيات ، وكان التفضيل مناط
 العلم ، قال ٤ مرغبا فى إحسان النيات مرهبا ٥ من التقصير فيها : ﴿والله﴾
 أى الذى له الإحاطة الشاملة بجميع صفات الكمال ، وقدم الجار إعلاما ١٥
 بمزيد اعتناء بالتمييز عند التفضيل فقال : ﴿بما تعملون﴾ أى يحددون
 عمله على مر الاوقات ﴿خير﴾ أى عالم ياطنه وظاهره علما لا مزيد

-
- (١) زيدت الواو فى الأصل : ولم تكن فى ظ فحذفناها (٢) زيد من ظ .
 (٣) راجع نثر المرجان ٢٠٥/٧ (٤-٥) من ظ ، وفى الأصل : ابن عباس (٤) من
 ظ ، وفى الأصل : فى (٦) من ظ ، وفى الأصل : ممر .

عليه بوجه ، فهو يجعل جزاء الأعمال على^١ قدر النيات التي هي أرواح صورها .

ولما فضل السابقين بالإتفاق ، و وعد^٢ بالحسنى اللاحقين^٣ بحسن الاتباع ، وأشار إلى^٤ أنه ربما ألحقهم ببعضهم بصفاء الإخلاص فتوفرت^٥ الدواعي على البذل ، أثمر^٦ ذلك قوله^٧ مسميا الصدقة التي صورتها [صورة -^٨] لإخراج من غير عوض باسم القرض الذي هو إخراج بعض ترغيبا فيها لما أعد عليها من الجزاء المحقق فكيف إذا كان مضاعفا : / (من) و أكد بالإشارة بقوله : ﴿ ذا ﴾ لأجل^٩ ما للنفوس من الشح ﴿ الذي يقرض الله ﴾ أى يعطى^{١٠} الذى له جميع صفات الجلال و الإكرام باعطاء المستحق لأجله عطاء من ماله هو على صورة القرض لرجائه الثواب ﴿ قرضا حسنا ﴾ أى طيبا خالصا فيه متحررا به أفضل الوجوه طيبة به النفس من غير من و لا كدر بتسويق و نحوه .

ولما كان ما يعطى الله المنفق من الجزاء مسيبا عن إنفاقه ، ربطه بالقاء فقال عطفا على ” يقرض “ : ﴿ فيضعفه له ﴾ مرغبا فيه بجعله

/ ٢٢٠

١٥ مبالغا فيه بالتضعيف أولا و جعله من باب المفاعلة ثانيا ، و كذا التفضيل

- (١) من ظ ، و فى الأصل : لا (٢-٢) من ظ ، و فى الأصل : اللاحقين بالحسنى .
 (٣) من ظ ، و فى الأصل : لهم (٤ - ٤) من ظ ، و فى الأصل : قوله ذلك .
 (٥) زيد فى الأصل : هى ، و لم تكن الزيادة فى ظ لحذفناها (٦) زيد من ظ .
 (٧) من ظ ، و فى الأصل : جل (٨) زيد فى الأصل : الله ، و لم تكن الزيادة فى ظ لحذفناها (٨) زيدت الواو فى الأصل ، و لم تكن فى ظ لحذفناها .

في قراءة ابن كثير وابن عامر ويعقوب^١ " فيضعفه " وقرأه ابن عامر
[ويعقوب - ٢] بالنصب جوابا للاستفهام تأكيدا للربط والتسيب .
ولما كانت المضاعفة^٢ منه سبحانه لا يعلم كنهها إلا هو قال : (وله)
أى المقرض من بعد ما تعقلونه من المضاعفة زيادة على ذلك (اجر)
لا يعلم قدره إلا الله ، وهو معنى وصفه بقوله : (كريم) أى حسن ه
طيب زاك نام .

ولما بين ما لهذا المقرض ، بين بعض وصفه بالكرم ببيان وقته
فقال : (يوم) أى لهم ذلك فى الوقت الذى (ترى) فيه [بالعين - ٢] ،
وأشار إلى أن المحبوب من المال لا يخرج عنه ولا سيما [مع - ٢]
الإقتار إلا من قر الدين فى قلبه بتعبيره بالوصف فقال : ١٠
(المؤمنين و المؤمنات) أى الذين صار الإيمان لهم صفة راسخة (يسعى)
شعارا لهم وأمانة على سعادتهم (نورهم) الذى يوجب إبصارهم لجميع
ما ينفعهم فيأخذونه^٣ وما يضرهم فيتركوه^٤ ، وذلك بقدر أعمالهم الصالحة
التي كانوا يعملونها بنور العلم الذى هو ممرة الإيمان كما أنهم قدموا المال
الذى إنما يقتنيه الإنسان لمثل^٥ ذلك جزاء وفاقا . ١٥

ولما كان من يراد تعظيمه يعطى ما يجب وما بعده شريفا (٩) فى
الآماكن التي يحبها قال : (بين أيديهم) أى حيث ما توجهوا ، ولذلك

(١) راجع ثر الرجان ٢٠٦/٧ (٢) زيد من ظ (٣) تكرر فى الأصل (٤) من
ظ ، وفى الأصل : فيأخذونه (٥) من ظ ، وفى الأصل : فيتركونه
(٦) من ظ ، وفى الأصل : بمثل .

حذف الجار ﴿ و بآيمانهم ﴾ [أى - '] و تلتصق بتلك الجهة لأن هاتين الجهتين أشرف جهاتهم ، وهم إما من السابقين ، وإما من أهل البين . و يعطون صحائفهم من هاتين الجهتين ، و الشقى بخلاف ذلك لانور له و يعطى صحيفته بشماله و من وراء ظهره ، فالأول نور الإيمان و المعرفة و الاحمال المقولة ، و الثانى نور الإتفاق لأنه بالإيمان^٢ - [نه - '] عليه الرازى .

و لما ذكر نفوذهم فيما يحبون من الجهات و تيسيره لهم ، أتبعه ما يقال لهم من المحبوب فى سلوكهم لذلك المحبوب فقال : ﴿ بشرنكم اليوم ﴾ أى بشارتكم العظيمة فى جميع ما يستقبلكم من الزمان . و لما تشوفوا لذلك أخبروا بالمبشر به بقوله مخبرا إشارة إلى أن الخبر به يحسد من البشرى لكونه معدن السرور ﴿ جنت ﴾ أى كائنة لكم تتصرفون فيها أعظم تصرف ، و الخبر فى الأصل دخول ، ولكنه عدل عنه لما ذكر من المبالغة ثم وصفها بما لا / تكمل اللذة إلا به فقال : ﴿ تجرى ﴾ و أفهم القرب باثبات الجار فقال : ﴿ من تحتها الانهر ﴾ و لما كان ذلك لا يتم مع خوف الانقطاع قال : ﴿ تخلدين فيها^٣ ﴾ خلودا لا آخر له لأن الله أورثكم ذلك ما لا يورث عنكم كما كان حكام الدنيا لأن الجنة لا موت فيها . و لما كان هذا أمرا سارا^٤ فى ذلك المقام الضنك^٥ عجا بأمر (٦) استأنف مدحه بقوله : ﴿ ذلك ﴾ أى هذا الأمر العظيم جدا ﴿ هو ﴾ أى وحده

(١) ريد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : الايمان (٣) من ظ ، و فى الأصل : اشار (٤) من ظ ، و فى الأصل : بالصنك .

{ الفوز العظيم ٤ } أى الذى ملا* بعظمته جميع الجهات من ذواتكم
و أبدانكم و نفوسكم و أرواحكم .

ولما عظم هذا الأجر الكريم بيان ما لآلهه فى الوقت الكائن
فيه ، عظمه بما لأضدادهم من النكال ، فقال مبدلاً من الظرف الأول :
{ يوم يقول } أى قولاً مجدداً لما^١ يلجىء إليه من الأمور العظيمة الشاقة ه
{ المنفقون و المنفقت } أى بالعراقة فى إظهار الإيمان و إبطان الكفران
{ للذين آمنوا } أى ظاهراً و باطناً ، و أما من علا من هذا السن من
المؤمنين و من فوقهم فالظاهر أنهم لا يرونهم ليطمعوا فى مناداتهم^٢ ، و أين
الثريا من يد المتناول ، { انظرونا } أى انظرونا بأن تمكثوا فى مكانكم
لنلحق بكم ، و كأن الفعل جرد فى قراءة الجماعة لاقتضاء الحال الإيجاز بغاية ١٠

[ما - ٢] توصل المقدرة إليه خوف الفوت ، لأن المسؤولين يسرعون إلى
الجنة كالبرق الخاطف ، و قد حققت المعنى قراءه حمزة^٣ بقطع الهمزة و كسر
الظاء أى أخرجونا فى المشى و تأنوا علينا و أمهلوا علينا ، لا نطلبوا منا السرعة
فيه بل امكثوا فى مكانكم لتنظر فى أمرنا كيف نلحق بكم ، و الحاصل^٤
أنهم عدوا تأنيهم فى المشى و تلبثهم ليلحقوا بهم إنظاراً لهم { نقتبس } ١٥
أى نأخذ و نصيب و نستصبح { من نوركم ٥ } أى هذا الذى نراه لكم
ولا يلحقنا منه بشىء كما كنا فى الدنيا نرى إيمانكم بما نرى من ظواهركم^٥

(١) من ظ : وفى الأصل : بما (٢) من ظ ، وفى الأصل : مادتهم (٣) زيد
من ظ (٤) راجع ثر الرجان ٢٠٨/٧ (٥) من ظ ، وفى الأصل : الحال (٦) من
ظ ، وفى الأصل : ظهوركم .

ولا تعلق من ذلك بشيء جزاء وفاقا، و سبب هذا القول أنهم يعطون
مع المؤمنين نورا^١ خديعة لهم بما خادعوا في الدنيا لتعظم عليهم المشقة
بفقدته لأنه لا يلبث أن يبعث الله عليهم ريحا و ظلة فتطفيء نورهم و يكون
في الظلة، و إلى ذلك ينظر قول المؤمنين "اتمم لنا نورنا" أى [لا -^٢]
م. تطفئة كما أطفأت نور المنافقين -

و لما كان المنكى لهم إنما هو الزد من^٣ أى قاتل. كان، بنى للمفعول
قوله: ﴿قيل﴾ أى لهم جوابا لسؤالهم قول رد و تويخ و تهكم و تنديم:
﴿ارجعوا و رآكم﴾ أى فى جميع جهات الراء التى هى أبعد الجهات
عن الخير كما كنتم فى الدنيا لا تزالون مرتدين على أعقابكم عما يستحق
١٠ أن يقبل عليه و يسعى إليه ﴿فالتمسوا﴾ بسبب ذلك الرجوع ﴿نورا﴾
و يصح أن يراد بالوراء الدنيا لأن هذا النور إنما هو منها بسبب ما عملوا
فيها من الأعمال الزاكية و المعارف الصافية، و لهذا قال الإمام الغزالي رحمه
الله تعالى فى كتاب المحبة من الإحياء: إن هذه الآية تدل على / أن الأنوار
لا بد أن يتجدد أصلها فى الدنيا ثم يزداد فى الآخرة إشراقا [فاما -^٤]
١٥ أن يتجدد ثم نور فلا .

/ ٢٢٢

و لما كان التقدير: فرجعوا أو فأقاموا فى الظلة، سبب عنه و عقب
قوله: ﴿فضرب﴾ مبنيًا للمفعول على نحو الأول، و لإفادة أن الضرب
كان فى غاية السرعة و السهولة، و يجوز أن تكون الفاء معقبة على ما
(١) من بطل و فم الأصل: نور (٢) زيد من ظ (٣) من ظ، و فى الأصل:
على .

قبله من غير تقدير (بينهم) أى فى [جميع - ١] المسافة التى بين
الذين آمنوا وأضدادهم فى وقت قولهم هذا . ولما كان المقصود أن
ضربه كان فى غاية السرعة ، لم يوقع الفعل وأنى بالقاء ليقيد أنه كان
كأنه عصى ضربت به الأرض ضربة واحدة ، فقال : (بسور) أى
جدار محيط بحبل بين الجنة والنار لا يشذ عنه أحد منهم ولا يقدر
أحد من سواهم أن يتجاوزهم إليهم (له باب ١) موكل به حجاب
لا يفتحون إلا لمن أذن الله له من المؤمنين بما يهديهم إليه من نورهم الذى
بين أيديهم لشفاة أو نحوها (باطنه) أى ذلك السور والباب وهو
الذى من جهة الذين آمنوا جزاء لإيمانهم الذى هو غيب (فيه الرحمة)
وهى ما لهم من الكرامة بالجنة التى هى ساترة بطن من فيها بأشجارها ١٠
وبأسبابها كما كانت بواطنهم ملاء رحمة ٢ (وظاهره) أى السور
أو الباب الذى يظهر لأهل النار ، مبتدئ (من قبله) أى تجاه ذلك
الظاهر وناحيته وجهته وعنده (العذاب ٣) من النار ومقدماتها لاقتصار
أهله على الظواهر من غير أن يكون لهم نفوذ إلى باطن وعكس ما أرادوا
من حفظ ظواهرهم فى الدنيا مع فساد بواطنهم ، ودل على ما أفهمه ١٥
التعبير بالمضارع فى " يقول " من التكرير بقوله استئنافا : (ينادونهم)
أى المناقون والمناقات ، يواصلون النداء وهم فى الظلمة للذين آمنوا
يرققون لهم فى مدة هذا القول والضرب : (الم نكن) أى بكليتنا
(١) زيدتمن ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل : ان (م) من ظ ، وفى الأصل :
الرحمة (ع) من ظ ، وفى الأصل : د وه (ه) من ظ ، وفى الأصل : العذاب .

﴿ معكم ﴾ أى فيما كنتم فيه من الدين فستحق المشاركة فيما صرتم إليه بسبب ذلك [الدين - ١] الذى كنا معكم فيه ﴿ قالوا ﴾ أى الذين آمنوا: ﴿ بلئى ﴾ قد كنتم معنا ﴿ ولكنكم فتنتم ﴾ أى كنتم بما كان لكم من الذبذبة تختبرون ﴿ انفسكم ﴾ فتخالطونها^٢ باختبار أحوال الدين^٣ مخالطة محيلة لها بميلة عما كانت عليه من أصل الفطرة من الاستقامة، تريدون بذلك أن تظهر لكم فيه أمور محسوسة لتخلصوا فيه من الشكوك فتخلصوا، فما آمنتم بالغيب فأهلكتموها، و تبعتم أيضا الأمور التى كنتم تفتنون بها [من - ١] الشهوات، فأرجبتم لكم الإعراض عن الممالى الباطنات ﴿ وتربصتم ﴾ أى كلفتم أنفسكم أن أخرجتموها عن الفطرة الأولى ١٠. فأمهلتهم وانتظرتهم لتروا الامر عيانا أو لم تفعلوا كما فعلنا من الإيمان بالغيب وترك التجربة ونسبة ما يحصل لنا بما فيه فتنة إلى أنفسنا بتقصيرنا، وكنا كلما حصل لنا ما يزلزل نقول: هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله ولا يزيدنا ذلك إلا ايمانا وتسليما، وانتظرتهم أيضا الدوائر بأهل الإيمان لتظهروا النفاق ﴿ وارتبتم ﴾ أى شككنتم بتكليف أنفسكم الشك بذلك التربص ﴿ وغرتكم الامانى ﴾ أى ما تتمنون / أى تريدون و تقدرتون ١٥ / ٢٢٣ من الإرادات التى معها شهوة عظيمة من الاطاع الفارغة التى لاسبب لها غير شهوة النفس لإياها بما كنتم تتوقعون لنا من دوائر السوء ﴿ حتى جاء امر الله ﴾ أى قضاء الملك المتصف بجميع صفات الكمال، فلا كفوء له ولا خلف لقوله من الموت. ومقدمات من الأمور الدهشة، (١) زيد من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل: فتخالطوهم (٣) من ظ ، وفى الأصل: الدنيا (٤) من ظ ، وفى الأصل: فانهكتموها .

فكما كنتم في الدنيا مقصرين كنتم في هذا الوطن ﴿ و غركم بالله ﴾ أى الملك الذى له جميع العظمة، فهو بحيث لا يخلف الميعاد وهو الولى الودود ﴿ الغروره ﴾ أى من [لا - ١] صنع له إلا الكذب وهو الشيطان وهو العدو الحسود، فانه ينوع لكم بفروره التسويف ويقول: إن الله غفور رحيم [و - ١] عفو كريم، وما ذا عسى أن تكون ذنوبكم عته وهو عظيم ومحسن وحليم ونحو هذا، فلا يزال حتى يوقع الإنسان، فإذا أوقع واصل عليه مثل ذلك حتى يتماهى، فإذا تماهى صار الباعث له حيثئذ من قبل نفسه فصار طوع يده .

ولما أقروا لهم بالكون الجامع . وذكروا ما حصل به والفرق المانع فظهر أن لا كون، سيوا عنه قولهم: ﴿ فاليوم ﴾ أى بسبب أفعالكم ١٠ تلك ﴿ لا يؤخذ ﴾ بناء للفعول لأن الضار عدم الأخذ لا كونه^٢ من آخذ معين وليفيد سد باب الأخذ مطلقا ﴿ منكم فدية ﴾ أى نوع من أنواع الفداء وهو البذل والعوض للنفس على أى حال من قلة أو كثرة أو حسن أو غيره لأن الإله غنى وقد فات محل العمل الذى شرعه لإنقاذ أنفسكم . ولما كانوا مكذبين أكد فقال: ﴿ ولا من الذين كفروا^٣ ﴾ أى أظهروا ١٥ كفرهم ولم يستروه كما سترتموه أتم لمساواتكم لهم فى الكفر . ولما كان كأنه قيل: فإن نكون؟ قال: ﴿ ما وكنكم ﴾ أى منزلكم ومسكنكم وجمعكم ﴿ النار^٤ ﴾ لا مقر لكم غيرها، تحرقكم كما كنتم تحرقون قلوب الأولياء بأقبالكم على الشهوات، وإضاعتكم حقوق ذوى الحاجات، وأكد ذلك

(١) زيد من ظ (٢-٢) من ظ ، وفى الأصل : لكونه .

بقوله : ﴿ هـ ﴾ اى لاغيرها ﴿ مولسكم ﴾ اى قرينتكم و موضع قريبكم و مصيركم و ناصركم على نحو " نحية بينهم " ضرب و جيع " فهى اولى لكم ، لا قرب لكم إلى غيرها ، و لا غيرها مولى و لا مصير [إلى - ٣] سواها و لا ناصر إلا هـ . و لما كان التقدير : فبئس المولى هـ ، عطف عليه قوله : ﴿ و بئس المصيره ﴾ اى هذه النار التى صرتم إليها .

و لما كان هذا و عظاما شافيا لسقام القلوب ، و كاشفا لغطاء الكروب ، اتج قوله حاثا على الإقبال على كتابه الذى رحم به عباده بانزاله على لسان نبيه صلى الله عليه و سلم على وجه معلم بأعجازه أنه كلام الله مستعظفا لهم إلى جنابه زاجرا لهم^٢ عما سألهم بعضهم فيه سلمان رضى الله عنه من أن يحدثهم عن التوراة و الانجيل ، فكانوا كلما سألوه عن شئ أنزل سبحانه ١٠ آية يجرهم بها و ينههم على أن هذا القرآن فيه [كل ما - ٢] يطلب إلى أن أنزل هذه الآية زاجرة هذا الزجر العظيم لثلايظن ظان أن القرآن غير كاف ، مخوفا لهم بما وقع لأهل الكتاب من الإعراض عن كتابهم . قال الكلبي : نزلت فى المنافقين بعد الهجرة بسنة ، و قال ابن عباس رضى الله عنهما : إن الله استبطأ قلوب المؤمنين على رأس / ثلاث عشرة سنة ١٥ / ٢٠٤

من نزول القرآن ، فقال : ﴿ الم يان ﴾ اى يحن و ينتهى و يدرك إلى الغاية ﴿ للدين امنوا ﴾ اى أقروا بالإيمان بأستهم صدقا أو كذبا ﴿ ان تخشع ﴾ اى أن يكون لهم رتبة عالية فى الإيمان بأن تلين و تسكن و تخضع و تذلل و تطمئن فتخبت فتمرض عن الفانى و تقبل على الباقي ﴿ قلوبهم لذكر الله ﴾

(١) من ظ ، و فى الأصل : بينكم (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) راجع .

أى الملك الأعظم الذى لاخير إلا منه فيصدق في إيمانه من كان كاذبا
 ويقوى في الدين من كان ضعيفا ، فلا يطلب لذلك دية دواء ولا لمرض قلبه
 شفاء في غير القرآن ، فان ذكر الله يجلو أصداء القلوب ويصقل مرآتها .
 ولما كان الذكر وحده كافيا في الخشوع والإتابة والخضوع لأنه
 يجمع لكل رغبة ومنبع لكل رهبة ، وكان من الناس من لا تقوذه فيما ه
 له سبحانه من الجلال والإكرام قال : ﴿ وما نزل ﴾ أى الله تعالى
 بالتدريج - على قراءة الجماعة بالتشديد ، وما وجد لإنزاله من عند الله على
 خاتم رسله صلى الله عليه وسلم على قراءة نافع وحفص عن عاصم ورويس
 بخلف عنه عن يعقوب بالتخفيف ﴿ من الحق لا ﴾ أى من الوعد والوعد
 والوعظ وغير ذلك على بنبيكم صلى الله عليه وسلم من القرآن إشارة ١٠
 إلى ان غير هذا الذكر دخله الدخيل ، واما هذا فتأيت ثباتا لا يقدر
 أحد على إزالته .

ولما كان للسابقة والمنافسة أمر عظيم في تحريك الهمم لأهل
 الأتفة وأولى المعالي قال : ﴿ ولا يكونوا كالذين ﴾ ولما كان العلم بمجرد
 كافيا في إعلاء الهمة فكيف [إذا - ٢] كان من عند الله فكيف إذا ١٥
 كان بكتاب ، إشارة إلى ذلك بالبناء للجهول فقال : ﴿ اوتوا الكتب ﴾
 أى لو كان الإتيان من عند غير الله لكان جديرا بالهداية فكيف وهو
 من عنده . ولما كان إنزال الكتب لم يكن إلا على بنى إسرائيل
 (١) راجع نثر المرحان ٢/٢١٤ (٢) من ظ ، وفي الأصل : انزله (٣) زيد من ظ .
 (٤) من ظ ، وفي الأصل : اشارة .

فلم يكن مستغرقا للزمان الماضي أدخل الجار فقال : (من قبل) أى قبل ما نزل إليكم وهم اليهود والنصارى . ولما كانوا^١ فى كل قليل يعبرون قال عاطفا على " اوتوا الكتاب " : (فطال عليهم الآمد) أى الزمان الذى ضربناه لشرفهم ومددناه لعلوم من أول إيتائهم^٢ الكتاب الذى من شأنه تريق القلوب ، والآمد الاجل ، وكل منهما يطلق على المدة كلها وعلى آخرها ، وكذا الغاية بقول النحاة : " من " لابتداء الغاية و " إلى " لانتهائها ، والمراد جميع المدة (فقصت) أى بسبب الطول (قلوبهم)^٣ أى صلبت واعوجت حتى كانت بحيث لا تفعل للطاعات والخير فكانوا^٤ كل القليل^٥ فى تعنت شديد على أنبيائهم عليهم الصلاة والسلام يسألونهم ١٠ المقترحات ، وأما بعد إيتائهم فابعدوا فى القساوة ، فقالوا إلى دار الكدر بكلياتهم وأعرضوا عن دار الصفا فأنجمروا إلى الهلاك باتباع الشهوات ، قال القشيري : وقسوة القلب إنما تحصل من اتباع الشهوة ، وأن الشهوة والصفوة لا يجتمعان .

ولما كان التقدير : فبعضهم ثبت على تزلزل ، عطف عليه قوله :

٢٠٥ / ١٥ (وكثير منهم) أخرجه قساوته عن الدين أصلا ورأساهم / (فسقون هـ) أى عريقون فى وصف الإقدام على الخروج من دائرة الحق التى عداها لهم الكتاب ، وعن عبد الله بن الزبير عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه انه قال : لم يكن بين إسلامهم وبين أن نزلت هذه الآية يعاتبهم الله

(١) من ظ ، وفى الأصل : كان (٢) من ظ ، وفى الأصل : إيتائهم .

(٣-٢) من ظ ، وفى الأصل : قلبا (٤) من ظ ، وفى الأصل : الهوى .

بها إلا أربع سنين - رواه الطبراني في الكبير^١، قال الهيثمي : وفيه موسى ابن يعقوب الربي وثقه ابن معين وغيره وضعفه ابن المديني وبقية رجاله رجال الصحيح - انتهى .

ولما كان الموجب الأعظم للقسوة إنكار البعث، وكان^٢ العرب يزيدون على أهل الكتاب من موجبات القسوة به، وكان عمل العامل بما يدل^٣ هـ على القسوة عمل من ينكره، قال مهددا لهم به مقررا لما ابتدأ به السورة من أمر الإحياء مشيرا إلى القدرة على إحياء القلوب ممثلا لإزالة القسوة عنها بصقل الذكر والتلاوة ترغيبا في إدامة ذلك : ﴿ اعلوآ ﴾ أى يا من آمن بلسانه ﴿ ان الله ﴾ أى الملك الأعظم الذى له الكمال كله فلا يحجزه شئ ﴿ يحيى ﴾ أى على سبيل التجديد والاستمرار كما تشاهدونه^{١٠} ﴿ الارض ﴾ اليابسة بالنبات . ولما كان هذا الوصف ثابتا دائما بالفعل وبالقوة أخرى، وكان الجار هنا مقتضيا للتعميم قال : ﴿ بعد موتها ﴾ من غير ذكر الجار وكما أنه يحياها فيخرج بها النبات بعد أن كان قد تفتت و صار ترابا فكذلك يحيى بجمع^{*} أجسامهم وإفاضة الأرواح عليها كما فعل بالنبات وكما فعل بالأجسام أول مرة سواء، لا فرق بوجه^{١٥} إلا بأن يقال : الابتداء أصعب في العادة، فاحذروا سطوته و اخشوا غضبه و ارجوا رحمته لإحياء القلوب، فانه قادر على إحيائها بروح الوحي كما

(١) راجع مجمع الزوائد ٧ / ١٢١ (٢) من ظ ، وفي الأصل : ان (٣) من ظ ، وفي الأصل : دل (٤) زيد في الأصل : فقال تعالى ، ولم تكن الزيادة في ظ فخذناها (هـ) من ظ ، وفي الأصل : لجميع .

أحيى الأرض بروح الماء لتصير باحيائها بالذكر خاشعة بعد قسوتها كما
صارت الأرض بالماء راية بعد خشوعها و موتها .

ولما انكشف الأمر بهذا غاية الانكشاف ، أتج قوله : (قد بينا)

أى على ما لنا من العظمة ، ولما كان العرب يفهمون من لسانهم ما
لا يفهم غيرهم فكانوا يعرفون - من إعجاز القرآن - بكثرة فوائده و جلالة

مقاصده ودقة مسالكه و عظمة مداركه ، و جزالة تراكيبه و متانة أساليبه
و غير ذلك من شؤنه و أنواعه و فنونه ، المنتج لتحقيق أنه كلام الله - ' ما

لا يعلمه غيرهم فكأنما كانوا مخصوصين بهذا البيان ، فقدم الجار فقال :

(لكم الإيت) أى العلامات المنيرات . ولما كان السياق للبعث ، وكان

١٠ من دعائم أصول الدين ، وكان العقل كافيا فى قياسه على النبات ، وكان

الفعل الذى لا يعود إلى سعادة الآخرة ناقصا ، و كان العقل الذى لا ينحى

صاحبه مساويا للمدم ، قال معبرا بأداة التراخي بخلاف ما سبق فى آل

عمران فانه من مصالح النفس التى اختفت ، و دواع تدعو إلى فهمها ،

و تبعث إلى إلتقان / عليها (لعلكم تعقلون) أى لتكونوا عند من يعلم / ٢٠٦

١٥ ذلك و يسمعه من الخلائق على رجاء من حصول العقل لكم بما يتجدد لكم

من فهمه على سبيل التواصل الدار بالاستمرار .

ولما كانت الصدقة كالبذر الذى تقدم أن الله تعالى يحياه و يضاعفه

أضعافا كثيرة على حسب زكاه الأرض ، قال منتجا بما مضى ما يعرف

(١-١) من ظ ، و فى الأصل . دالا (٢١) من ظ ، و فى الأصل : العقل .

أن

أن من أعظم ما دل على الخشوع المحث عليه و البعد عن حال^١ الذين
 أوتوا الكتاب فى القسوة الصدقة بالإنفاق الذى قرنه فى أولها بالإيمان ،
 وحث عليه فى كثير من آياتها تنفيها على أنه ثمرته التى لا تختلف عنه ،
 معبرا عنه بما يرشد إلى أنه المصدق لدعواه ، وأكده^٢ لمن يشك فى البعث
 من إنكار بركة الصدقة عاجلا أو آجلا تقيدا بالمحسوسات : ﴿ ان المصدقين ﴾ ه
 أى العريقين فى هذا الوصف من الرجال ﴿ و المصدقت ﴾ أى من
 النساء ، بأموالهم على الضعفاء الذين إعطاؤهم يدل على الصدق فى الإيمان
 لكون^٣ المعطى لا يرجى منه تقع دنيوى ، ولله أدغم إشارة إلى إخفاء
 الصدقات ، وقراءة [أبى - ٤] رضى الله عنه بالإظهار ترشد إلى الإكثار
 من الصدقة حتى تصير ظاهرة ، وقراءة ابن كثير و أبى بكر عن عاصم ١٠
 بالتخفيف^٥ تدل مع ذلك على التصديق بالإيمان ، فكل من القراءات يدل
 عليهما ، ومن التفصيل بذكر النوعين تعرف شدة الاعتناء .

ولما كانت صيغة التفعّل تدل على التكلف حثا على حمل النفس
 على التطبع بذلك حتى يهvir لها خلقا فى غاية الخفة عليها فقال عاطفا
 على صلة الموصول فى اسم الفاعل معبرا بالماضى بعد إفهام الوصف الثبات ١٥
 دلالة على الإيقاع بالفعل عطا على [ما - ٤] تقديره موقعا ضمير المذكر
 على الصنفين تغليا الذين صدقوا إيمانهم بالتصدق^٦ : ﴿ و اقرضوا الله ﴾

(١) من ظ ، وفى الأصل : الحال (٢) من ظ ، وفى الأصل : أكد كما (٣) من
 ظ ، وفى الأصل : لكونه (٤) زيد من ظ (٥) راجع نثر المرجان ٧ / ٢١٧
 (٦) من ظ ، وفى الأصل : بالصدق .

الذى له الكمال كله بتصديقهم سواء كانوا من الذكور أو الإناث ، و إنفاقهم في كل ما ندب [إلى الإنفاق -^١] فيه ، و أكد و وصف بقوله : ﴿ قرظا حسنا ﴾ أى بقاء ما يكون من طيب النفس و إخلاص النية في الصدقة و النفقة في سبيل الخير ، و حسنه أن يصرف 'بصره إلى النظر' إلى فعله ه و الامتياز به و طلب العوض عليه ، قاله الرازى . ﴿ يَضْف ﴾ أى ذاك القرض ﴿ لهم ﴾ و يثابون بحسب تلك المضاعفة لأن الذى كان القرض له سبحانه حلیم كريم و لا يرضى في الخير إلا بالفضل ، و ثقل في قراءة ابن كثير و ابن عامر و أبى جعفر [و يعقوب -^١] دلالة على المبالغة في التكثير ، و عبر بالمفاعلة^٢ في قراءة الجماعة لإفهام أن تلك الكثرة ١٠ مما لا بد من كونه ، وأنه عمل فيه عمل من يبارى آخر و يغالبه ، و بنى للفعول دلالة على باهر العظمة اللازم عنه كونه بقاءة السهولة ﴿ ولهم ﴾ أى مع المضاعفة ﴿ اجر كريم ه ﴾ أى لا كدر فيه بانقطاع و لافلة و لازيادة بوجه من الوجوه أصلا .

/ ٢٠٧

/ و لما بين سبحانه و تعالى أن الصدقة كالبذر الذى هو من أحسن ١٥ الأرباح و أبهجها ، بين الحامل عليها ترغيا فيها ، فقال عاطفا بالواو ، إشارة إلى التمكن في جميع هذه الصفات : ﴿ والذين آمنوا ﴾ أى أوجدوا هذه الحقيقة العظيمة في أنفسهم ﴿ بالله ﴾ أى الملك الأعلى الذى له الجلال و الإكرام ﴿ ورسلة ﴾ أى كلهم لما^٣ لهم من النسبة إليه ، فن

(١) زيد من ظ (٢-٢) من ظ ، و في الأصل : البصر بالنظر (٣) راجع

نثر المرجان ٧ / ٢١٧ (٤) في ظ : لأجل ما .

كذب بشيء على أحد منهم أو عمل عمل المكذب له لم يكن مؤمنا به
 ﴿أولئك﴾ أى الذين لهم الرتب العالية والمقامات السامية ﴿هم﴾ أى
 خاصة 'لا غيرهم' ﴿الصدّيقون صلّوا﴾ أى الذين هم فى غاية الصدق والتصدق
 لما ينحق له أن يصدقه من سمعة، وقال القشيري: الصدّيق من استوى
 ظاهره وباطنه، ويقال: هو الذى يحمل الأمر على الاثاق ولا ينزل^٥
 إلى الرخص، ولا يحتاج للتأويلات، ولما كان الصدّيق لا يكون غريبا
 فى الصديقية إلا بالتأهيل لرتبة الشهادة قال تعالى: ﴿والشهداء﴾ معبرا
 بما مفردة شهيد عاطفا بالواو إشارة إلى قوة التمكن فى كل من الوصفين،
 [قال القشيري - ٢]: هم الذين يشهدون بقلوبهم بواطن الوصلة ويعتقدون
 بأسرارهم فى أوطان القرية، وزاد الأمر عظميا بقوله: ﴿عند ربهم﴾ ١٠
 أى الذى أحسن إليهم بالقرية [بمثل تلك الرتبة - ٢] العالية من الشهادة لله
 بكل ما أرسل به رسله: الأنبياء الماضين على أئمتهم والحضور فى جميع
 الملاذ بالشهادة فى سبيل الله، قال مجاهد: كل مؤمن صدّيق وشهيد - وتلى
 هذه الآية ﴿لهم﴾ أى جميع من مضى من الموصوفين^٥ [بالخير - ٢]
 ﴿اجرم﴾ أى الذى جعله ربهم [لهم - ٢] ﴿ونورهم﴾ [أى - ٢] ١٥
 الذى زادهموه من فضله برحمته، أولئك أصحاب النعيم المقيم.

ولما ذكر أهل السعادة جامعا لأصنافهم، أتبعهم أهل الشقاوة لذلك
 قال: ﴿والذين كفروا﴾ أى ستروا ما دلت عليه أنوار عقولهم ومرائي

(١-١) سقط ما بين الرقين من ظ (٢) من ظ، وفى الأصل: لا يتزول (٣) زيد
 من ظ (٤) راجع البحر المحيط ٢٢٣/٨ (٥) من ظ، وفى الأصل: الموضعين.

فكرهم ﴿ و كذبوا بآياتنا ﴾ على ما لها من العظمة بنسبتها إلينا سواء كانوا في ذلك مسأرين أو مجاهرين أو عمل العالم بها عمل المكذب ﴿ أولئك ﴾ أى المبعدون 'من الخير' [خاصة - ٢] ﴿ اصحب الجحيم ﴾ أى النار التى هى 'غاية فى' توقدها ، خالدون فيها من بين العصاة ، وأما ٥ غيرهم فدخلوهم [لها - ٢] إذ دخلوها ليس على [وجه - ٢] الصفة الدالة على الملازمة ، وأولئك هم الكاذبون الذين لا تقبل 'لهم شهادة' عند ربهم ، لهم عقابهم و [عليهم - ٢] ظلامهم ، والآية من الاحتباك : ذكر الصديقة ° و ما معها أولا° دليلا على أضدادها ثانيا ، و الجحيم ثانيا دليلا على النعيم أولا ، و سره أن الأول أعظم فى الكرامة ، و الثانى أعظم ١٠ فى الإهانة .

ولما ذكر [سبحانه - ٢] حال الفريقين : الأشقياء و السعداء ، فقرر^٢ بذلك أمر الآخرة ، فعملوا أنها / الحيوان الذى لا انقضاء له من إكرام أو هوان ، وكان الموجب للهوان فيها إنما هو الإقبال على الدنيا لحضورها و نسيان الآخرة لغيابها^٤ ، قال منتجا مما^٥ مضى مبينا لحقيقة ما يرغب فيه ١٥ المكلف المركب على الشهوة من العاجلة بما نزهه فيه مصدرنا له بما يوجب

/ ٢٠٨

(١ - ١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) زيد من ظ (٣ - ٣) من ظ ، وفى الأصل : فى غاية (٤ - ٤) من ظ ، وفى الأصل : شهادتهم (٥ - ٥) من ظ ، وفى الأصل : أولا ومعها (٦) زيد فى الأصل : أهل ، ولم تكن الزيادة فى ظ لحذفها (٧) من ظ ، وفى الأصل : فقرر (٨) زيد فى الأصل : على ، ولم تكن الزيادة فى ظ لحذفها (٩) من ظ ، وفى الأصل : لما .

غاية اليقظة والحضور: ﴿اعلموا﴾ أى ايها العباد المبجلون، وأكد المعنى بزيادة "ما" [لما - ١] للناس من الغفلة عنه فقال قاصرا قصر قلب: ﴿انما الحيوة الدنيا﴾ أى الحاضرة التى رغبنا فى الزمى فيها والخروج عنها بالصدقة والقرض الحسن ﴿لعب﴾ أى تعب لائثرة له فهو باطل كلعب الصبيان ﴿ولهو﴾ أى شىء يفرح الإنسان به فيلهيه ويشغله عما بينه ثم ينقضى كلهو الفتان، ثم اتبع ذلك عظم ما يلهى فى الدنيا فقال: ﴿وزينة﴾ أى شىء يبهج العين ويسر النفس كزينة النسوان، واتبعها ثمرتها فقال: ﴿وتفاخر﴾ أى كتفاخر^٢ الاقران يفتخر بعضهم على بعض. ولما كان ذلك مخصوصا بأهل الشهوات قال: ﴿يتنكم﴾ أى يجر إلى الترفع الجار إلى الحسد والبغضاء، ثم أتبع ذلك ما يحصل به الفخر ١٠ فقال: ﴿وتكاثر﴾ أى من الجانبين ﴿فى الاموال﴾ أى التى لا يفتخر بها إلا أحق لكونها ماثلة ﴿والاولاد﴾ الذين لا يغتر بهم إلا سفيه لانهم الاعداء، وأن جميع ما ذكر زائل وأن الدنيا آفاتنا هائلة، وإنما هى فتنة وابتلاء يظهر بها الشاكر من غيره، ثم إلى ذلك كله 'قد يكون' ذهابه عن قرب فتكون على أصداد ما كان عليه، فيكون أشد فى ١٥ الحسرة، ومطابقة ذلك لما بعده أن الإنسان ينشأ فى حجر وليه فيشب ويقوى ويكسب المال والولد ويتغشاه الناس فيكون بينهم أمور معجبة وأحوال ملهية مطربة، فاذا تم شبابه وأطفأ مجيئه وذهابه

(١) زيد فى الأصل: فقال، ولم تكن الزيادة فى ظ لخذفناها (٢) إزبد من إظ
(٣) فى ظ: تفاخر (٤-٤) سقط ما بين الرقبن من ظ.

و أشكاله و أترابه، أخذ في الانقطاع و لا يزال حتى يشيب و يسقم
 و يضعف و يهرم و تصيبه النوائب و القوارع و المصائب في ماله رجسه
 و أولاده و أصحابه، ثم في آخر ذلك يموت، فإذا قد اضمحل أمره و نسي
 عما قليل ذكره، و صار ماله لغيره و زينته متمتعا بها سواء فالدنيا حقيرة
 ٥ و أحقر منها طالبها و أقل منها خطر المزاحم فيها، فما هي إلا جيفة،
 و طلاب الجيفة ليس لهم خطر، و أحسنهم من يخل بها، قال القشيري:
 وهذه الدنيا المذمومة هي ما يشغل العبد عن الآخرة [فكل ما يشغله
 عن الآخرة - '] فهو الدنيا - انتهى .

و لما قرر سبحانه أنها ظل زائل و عرض هائل، و كان بعض
 ١٠ الناس يتنبه فيشكر^٢ و بعضهم يعصى فيكفر، و كان القسم الثاني أكثر
 لأن وجودها و إقبالها يعصى أكثر القلوب عن حقارتها، ضرب لذلك
 مثلا مقررًا لما مضى من وصفها لأن للامثال^٣ في تقرير الأشياء و تصويرها
 ما ليس لغيرها فقال تعالى: ﴿ كمثل ﴾ أى هذا الذى ذكرته من أمرها
 يشبه مثل ﴿ غيث ﴾ أى مطر / حصل بعد جذب [و - '] سوء حال .

/ ٢٠٩

١٥ و لما كان المثل في سياق التحقير للدنيا و التفتير عنها، عبر عن الزراع
 بما ينفر فقال: ﴿ اعجب الكفار ﴾ أى الزراع الذين حصل منهم الحارث
 و البذر الذى يستره الحارث بحرثه كما يستر الكافر حقيقة أنوار الإيمان
 لما يحصل منه من الجحدو الطغيان و لا يتناهى إعجاب^٤ الزارع [إلى - ']

(١) زيد من ظ (٢) من ظ، و فى الأصل: و يشكر (٣) من ظ، و فى
 الأصل: الامثال (٤) من ظ، و فى الأصل: لهم (٥) من ظ، و فى
 الأصل: اعجب .

سعد بلهى عن الله إلا مع الكفر به سبحانه ، فان المؤمن وإن أعجبه ذلك
يتذكر به قدرة الله سبحانه و تعالى وعظمته و ما أهد لأهل طاعته في
الآخرة ، فيحمله ذلك على الطاعة ، فالتعبير بالكفار الذى هو بمعنى الزواح
دونه إشارة إلى عظمة ذلك النبات فأنه لا يعجب العارفين به الممارسين
له الذين لهم غاية الإقبال على تلك الحرفة فالمنافسة فيها إلا ما يكون ه
منها^١ نهاية في الإعجاب ، و إلى أنه لا يعجب أحداً شئ من الدنيا إعجاباً
يركن و يأنس به أنسا يؤدي إلى ما فى الآية من اللهو و ما معه
إلا لكفر فى نفسه أقله كفر النعمة التى من شأنها أن تدعو إلى تذكر
الخالق^٢ و تذكر الجليل على الشكر ، و ترك الشكر كفر (نباته) أى نبات
ذلك الغيث كما يعجب الكافر فى الكفر فى الغالب بسط الدنيا له ١٠
استدراجاً من الله تعالى .

ولما كان الزرع يشيخ بعد مُدَيِّدَةٍ فيضمحل كما هو شأن الدنيا
كلها قال^٣ : (ثم يهيج) أى يسرع تحركه فيتم جفافه فيحين حصاده
(فترنه مصفراً) أى عقب ذلك و بالقرب منه على حالة لا ثمر معها
[بل - °] و لانبات ، و لذلك قال معبراً بالكون لأن السياق للترديد ١٥
فى الدنيا و أنها ظل زائل لاحقيقه لها^٤ : (ثم) أى بعد تناهى جفافه^٥
و ايضاضه (يكون) أى كونا كأنه مطبوع عليه ، و أبلغ سبحانه فى
تقرير اضمحلاله بالإتيان مع فعل الكون هنا للبالغة لأن السياق لتقرير

(١) فى ظ : منه (٢) من ظ ، وفى الأصل : الخلق (٣) من ظ ، وفى الأصل :
نقال (٤) سقط من ظ (٥) زيد من ظ (٦) من ظ ، وفى الأصل : له .
(٧) فى الأصل : الجفافة ، وفى ظ : الجفاف ،

أن الدنيا عدم وإن كانت في غاية الكثرة والإقبال والمواتاة^١ بخلاف ما مضى في الزمر فقال : ﴿حطاما^٢﴾ كأن الحطامية^٣ كانت في جبلته وأصل طبعه .

ولما ذكر الظل الزائل ، ذكر أثره^٤ الثابت الدائم مقسما له على قسمين ، فقال عاطفا على ما تقديره هذا حال الدنيا في سرعة زوالها وتحقق فنائها [واضمحلها -^٥] : ﴿وفى﴾ أى هذا الذى غر من حال الدنيا وهو فى ﴿الأخرة﴾ على أحدهما ﴿عذاب شديد لا﴾ أى لمن أخذها بغير حقها معرضا عن ذكر الله لأن الاغترار بها سيئه ، فكان كأنه هو .

ولما قدم ما هو السبب الأغلب لأن أكثر الخلق هالك ، اتبعه ١٠ الصنف الناجى فقال : ﴿ومغفرة﴾ أى لأهل الدرجة الأولى فى الإيمان ﴿من الله﴾ أى الملك الأعظم لمن يذكر بما صنعه له فى الدنيا عظمته سبحانه وجلاله فتاب من ذنوبه ، ورجع إليه فى التطهير من عيوبه ﴿ورضوان^٦﴾ لأهل الدرجة العليا وهم من أقبل عليه سبحانه فشكره حق شكره ببذل وسعه^٧ فيما يرضيه ، فأخر الآية تقسيم للدنيا على الحقيقة ١٥ / ٢١٠ ثلثا يظن من حصرها فيما ذكر أول الآية أنها لاتسكون إلا / كذلك ،

فالمعنى أن الذى ذكره أولا هو الأغلب لأحوالها وعاقبه النار ، وما كان منها من إيمان وطاعة ونظر توحيد لله وتعظيم ومعرفة تؤدى إلى

(١) من ظ ، وفى الأصل : الموالاة (٢) من ظ ، وفى الأصل : الحاطمة .

(٣) من ظ ، وفى الأصل : أثر (٤) زيد من ظ .

أخذها تزوداً^١ ونظرها اعتباراً وتعبداً، فهو^٢ آخرة لا دنيا، وقد تحرر
 أن مثل الغيث المذكور الحطام وتارة يعقبه نكد لازم وأخرى سرور
 دائم، فمن عمل في ذلك عمل الحزمة لفرس الزرع مما يؤذيه وحصده
 في وقته وعمل فيه ما ينبغي ولم ينس حق الله فيه سره أثره وحدث
 عاقبته، ومن أهمل ذلك [أعقبه الأسف، وذلك هو مثل الدنيا: من ه
 عمل فيها بأمر الله أعقبته خطاميتها سروراً دائماً، ومن أهمل ذلك -^٣]
 أورثته حزناً لازماً، وكما كان التقدير: فما الآخرة لمن سعى لها سعيها
 وهو مؤمن إلا حق مشهور وسعى مشكور، عطف عليه قوله:
 ﴿ وما الحياة الدنيا ﴾ أى لكونها تشغل بزينتها مع أنها زائلة
 ﴿ الا متاع الغرور ﴾ أى هو فى نفسه [غرور -^٤] للاحقيقة له ١٠
 إلا ذلك، لأنه لا يجوز لمن أقبل على التمتع إلا ذلك لأنه لا يسر
 بقدر ما يضر .

ولما بين أن الدنيا خيال ومحال ليصرف الكلمة من العباد عنها
 لسفولها وحقارتها، وأن الآخرة بقاء وكال ليرغبوا غاية الرغبة فيها
 وليشتاقوا كل^٥ الاشتياق لكمالها وشرفها وجلالها، أتج ذلك قوله تعالى: ١٥
 ﴿ سابقوا ﴾ أى افعلوا فى السعى^٦ لها بالأعمال الصالحة حق السعى فعل

(١) من ظ، و، الأصل: من ردا (٢) من ظ، وفى الأصل: فلو (٣) زيد
 من ظ (٤) زيد فى الأصل: فكان تمام الجواب عنها وهى، ولم تكن
 الزيادة فى ظ نخذفناها (هـ-ه) من ظ، وفى الأصل: المتاع (٦) من ظ، وفى
 الأصل: عاته (٧-٧) من ظ، وفى الأصل: بالسعى .

من يسابق شخصا فهو يسعى و يجتهد غاية الاجتهاد في سبقه، ولكن
ربما كان قرينه بطيئا فصار هونا، و أما المسارعة فلا تكون إلا بجهد
النفس من الجانبين مع السرعة في العرف، فآية آل عمران الآمرة بالمسارعة
الأخص من المسابقة^١ أبلغ لأنها للحث على التجرد عن النفس و المال
٥ و جميع الحظوظ أصلا و رأسا، و لذلك كانت جنتها للتقين الموصوفين،
و أما هذه ففي سياق التصديق الذي هو تجرد عن فضول الأموال
و لذلك كانت [جنة - ٢] للذين آمنوا .

و لما كان المقام عظيما، و الإنسان - و إن بذل الجهد - ضعيفا،
لايسعه إلا العفو سواء كان سابقا أو لاحقا من الأبرار و المقربين، به
١٠ على ذلك بقوله في السابقين: ﴿ الى مغفرة ﴾ أى ستر^٢ لذنوبكم عينا و أثرا
﴿ من ربكم ﴾ أى المحسن إليكم بأن ربكم و طوركم بعد الإيجاد بأنواع
الاسباب بأن تفعلوا أسباب ذلك بامثال أوامره سبحانه و اجتناب
زواجه . و لما كان المقصود من المغفرة ما يترتب عليها من نتائجها
قال: ﴿ و جنة ﴾ أى و بستان هو من عظم أشجارها و إطراد أنهارها
١٥ بحيث يستر داخله . و لما كان ذلك لا يكمل إلا بالسعة قال: ﴿ عرضها ﴾
أى فاطنك بطولها . و لما كان السياق كما بين للتجرد عن فضول الأموال
فقط لأن الموعود به دين ما في آل عمران فأفرده و صرح بالعرض
فقال: ﴿ كعرض السماء و الأرض لا ﴾ أى لو وصل بعضها ببعض، فآية آل
عمران تحتل الطول و جميع السماوات و الأرض على هيئتها، و يحتمل أن
(١) من ظ ، و فى الأصل: المسافة (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، و فى
الأصل: سائر .

/ ٢١١

يكون ذلك على تقدير / أن تقد^١ كل واحدة منهما و يوصل [رأس -^٢]
كل قدة برأس الأخرى ، و تمتد جميع القدات إلى نهايتها على مثل
الشراك ، و هذه الآية ظاهرهما^٣ عرض واحد و أرض واحدة (أعدت)
أى هيئت هذه الجنة الموعود بها و فرغ من أمرها بأيسر أمر
(للذين آمنوا) أى أوقعوا هذه الحقيقة و هم من هذه الأمة إيقاعا ه
لاريب معه و لو أنه على أدنى الوجوه فكانوا من السابقين ، و هذا يدل
على أن الجنة موجودة الآن فى آيات كثيرة ، و أن الإيمان كاف فى
استحقاقها ، و أحاديث الشفاعة مؤيدة لذلك (بالله) أى الذى له جميع
العظمة لأجل ذاته^٤ مخلصين له بالإيمان (و رسله^٥) فلم يفرقوا بين أحد
منهم ، فهذه الجنة غير مذكورة فى آل عمران ، و إن قيل : إن السماء هنا ١٠
للجنس لكون السياق فيه الصديقون و الشهداء كانت أبلغته تلك بالتصریح
بالجمع و عدم التصریح بالعرض لكونها فى سياق صرح فيه بالجهاد ، و قد
جرت السنة الإلهية بأعظام المواعيد للجاهدين أشدة الخطر فى أمر النفس
و صعوبة الخروج عنها و عن جميع المألوفات .

و لما كان ما ذكر من الوعد بالمغفرة و الجنة عظيما لاسيما لمن آمن ١٥
و لو كان إيمانه على أعلى الدرجات و مع * التجرد من جميع الأعمال ،
عظمه بقوله ردا على من يوجب عليه سبحانه شيئا من ثواب أو عقاب :
(ذلك) أى الأمر العظيم جدا (فضل الله) أى الملك الذى لا كفوء له

(١) من ظ ، و فى الأصل : تقدير (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل :
ظاهره (٤) من ظ و فى الأصل : و أنه (٥) من ظ ، و فى الأصل : من .

فلا اعتراض عليه ﴿يؤتيه من يشاء﴾ ولعل التعبير بالمضارع للإشارة إلى أن هذا خاص بهذه الأمة التي هي أقل عملا وأكثر أجرا، فاذا حسدهم أهل الكتاب قال تعالى : [هل - ١] ظلمتكم من أمركم شيئا، فاذا قالوا : لا ، لأن المصروف من الأجر لجميع الطوائف على حسب الشرط، ه قال : ذلك فضلى أوتيته من أشاء . ﴿ والله ﴾ أى والحال أن الملك المختص بجميع صفات الكمال فله الأمر كله ﴿ ذو الفضل العظيم ه ﴾ أى الذى جل عن أن يحيط بوصفه العقول .

ولما كانت الدنيا مانعة عن العكوف إلى الآخرة بذاتها وآلائها، وكانت كما انها منزل رخاء هى دار [بلاء - ١] ، وكان قد اقتصر سبحانه ١٠ فى الآية السالفة على الأول لأن السياق للاتفاق والترغيب فى معالى الأخلاق وجعل المسابقة إلى السعادة نتيجة الزهد فيها، تحركت النفس ٢ إلى السؤال عما يعوق عن الخير من الضرب بسياط البلاء فقال مسلما عنه لأن النفوس أشد تأثرا بالمكروه وأسرع انفعالا بالمقلع ومحققا ومغريا بالإعلام بأنه لم يكن فيها خير ولا شر إلا بقضاء حتم فى الأزل ١٥ وقد أحكم ووجب حين لم يكن [غيره - ١] شىء عز وجل ، وذكر فعل المؤث الجائز التذكير لكون التأنيث غير حقيقى إشارة إلى عظم وقع الشر : ﴿ ما أصاب ﴾ وأكد التنبؤ فقال : ﴿ من مصيبة ﴾ / وهى فى الأصل لكل آت من خير أو شر إلا أن العرف خصها بالشر، وعم الساكن

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل : الامهات (٣-٢) من ظ ، وفى

الأصل : للسؤال (٤) من ظ ، وفى الأصل : لا .

و المتحرك بقوله : (في الارض) أى من منابتها و مياهها و نحو ذلك
 (و لا في انفسكم) [أى-١] موت و مرض و عين و عرض (الا) هى
 كاتبة (في كتب) أى مكتوب لانه مقدر^٢ مفروغ من القدم ، و بين
 أن الكتابة حدثت بعد أن كان هو سبحانه و لا شيء معه بادخال الجار
 فقال : (من قبل ان نراها^٣) أى نخلق و نوجد و تقدر المصيبة و الارض ه
 و الآتس ، و هذا دليل على أن اكتساب العباد بعمله سبحانه و تقديره .
 و لما كان ذلك متذرا على المخلوق فهو أشد شيء تكرها له و قوفا
 مع الوهم قال مؤكدا : (ان ذلك) أى الامر الجليل و هو عليه
 بالشيء و كتبه له على تفاصيله قبل كونه ، ثم سوفه النفوس و الاسباب
 إلى إخراجة بعد التكوين على مقدار ما سبق عليه به و كتبه له (على الله) ١٠
 أى على ما له من الإحاطة بالكمال (يسير^٤) لأن عليه محيط بكل شيء
 و قدرته شاملة لا يعجزها شيء .

و لما بين هذا الامر العظيم الدال على ما له سبحانه من الكبرياء
 و العظمة ، بين ثمرة أعماله بقوله : (لكيلا) أى أعلمناكم بأننا على ما لنا
 من العظمة قد فرغنا من التقدير ، فلا يتصور فيه تقديم و لا تأخير ١٥
 و لا تبديل و لا تغيير ، لأن الحزن لا يدفعه ، و لا السرور يعجله و يجمعه ،
 كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : يا معاذ ليقُلْ همك ما قدر يكن .
 لاجل أن لا (تأسوا) أى تحزنوا حزنا كبيرا زائدا (على) [ما - ١]
 في أصل الجبلية ، يوصل^٥ إلى المبلغ بتعاطى أسبابه و التهادى فيها ليتأثر عنها
 (١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و في الأصل : تقدر (٣) من ظ ، و في
 الأصل : يبلغ .

السخط وعدم الرضا بالقضاء ، فربما جر ذلك إلى أمر عظيم ﴿ ما فاتكم ﴾ من المحبوبات الدنيوية ﴿ ولا تفرحوا ﴾ أى تسروا سرورا يوصل إلى البطر بالتمادى مع [ما] فى أصل الجبلۃ ﴿ بما آتاكم ﴾ أى جاءكم منها على قراءة أبى عمرو^١ بالقصر ، وأعطاكم [الله -^٢] على قراءة الباقرين بالمد ، هـ وهى تدل على أن النعم لا بد فى إيجادها وإبقائها من حافظ ، ثم إنها لو خليت ونفسها فانت لأنه ليس من ذاته إلا العدم ، وقد بين سبحانه أن فى تقديره هذا وكتبه من السر أن من وطن نفسه على فقد ما لديه من أعيان ومعان^٣ قبل أن تأمره بالعدم والوجدان ، فلم يغيره ذلك عن المسابقة المذكورة ، فالتمهى عنه التمدادى مع الحزن حتى يخرج ١٠ عن الصبر ومع الفرح حتى يلهى عن الشكر ، لا أصل المعنى لأنه ليس من الأفعال الاختيارية ؛ قال جعفر الصادق : ما لك تأسف على مفقود ولا يرده إليك القوت ، وما لك تفرح بوجود ولا يتركه فى يدك الموت - انتهى ، ولقد عزى الله المؤمنين رحمة لهم فى مصائبهم وزهدهم فى رغائبهم بأن أسفهم على فوت المطلوب لا يبعده ، وفرحهم بحصول ١٥ المحبوب لا يفيدهم ، ولأن ذلك لامطمع فى بقاءه إلا بادخاره عند الله / ، و ذلك بأن يقول فى المصيبة : قدر الله وما شاء [الله -^٢] فعل / ٢١٣
و يصير وفى النعمة هكذا قضى ، وما أدرى ما مثاله " هذا من فضل (١) راجع نثر المرجان ٧ / سورة الحديد (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، وفى الأصل : معادن (٤) فى ظ : بديك .

ربى ليلوفى اشكر ام اكفر " فلا يزال [خائفا - ١] عند النعمة راجيا
أثر النعمة ، قائلا فى الحالين : ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، وأكل
من هذا أن يكون مسرورا بذكر ربه له فى كلئى الحالين كما قال
[القائل - ١] :

سقى لمجهودك الذى لو لم يكن ما كان قلبى للصبابة معهدا . ه
وهذه صفة المتحررين^٢ من رق النفس ، وقيمة الرجال إنما تعرف بالواردات
المغيرة . فمن لم تغيرة المضار ولم يتأثر بالمسار فهو سيد وقته ، أشار
إليه القشبرى .

ولما كان الإيمان فى استجلاب الآسى إنما هو من اليأس ونسيان
النعم وزيادة الفرح الموصل إلى المرح إنما يحمره الكبر والمرح ، وكان ١٠
فى أوصاف أهل الدنيا التفاخر ، قال تعالى مبينا أن المنهى عنه سابقا التماذى
مع الجبلة فى الحزن والفرح ، عاطفا على ما تقديره : " فإن الله لا يحب كل
يؤوس كفور " (والله لا يحب)^٣ أى لا يفعل فعل المحب بأن يكرم
(كل محتال) أى متكبر نظر إلى ما فى يده من الدنيا (غفور) قال
القشبرى : الاختيال من بقايا النفس ورويتها ، والفخر [من - ١] رؤية ١٥
خطر ما به يفتخر .

ولما كان من جملة صفات المحتال المكائر* بالمال البخل ، وكان
قد تقدم الحث على الإتيان ، وكان ما يوجه لذة الفخر والاختيال
(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل : المتجدين (٣) زيد فى الأصل :
كل محتال (٤) من ظ ، وفى الأصل : يكره (٥) من ظ ، وفى الأصل : التكائم ،

التي أوصل إليها المال حاملة على البخل خوفا من الإقتار الموجب عند أهل الدنيا للصغار ، قال تعالى واصفا للختال أو " لكل " : ﴿ الذين ييخلون ﴾ أى يوجدون هذه الحقيقة مع الاستمرار ﴿ و يامرون الناس ﴾ أى كل من يعرفونه ﴿ بالبخل ﴾ إرادة أن يكون لهم رفقاء يعملون بأعمالهم الخبيثة فيحامون عنهم أو أنهم يوجبون بأعمالهم من التكبر والبطر في الأموال التي حصلها لهم البخل استدراجا من الله لهم بخل غيرهم لانه إذا رآهم عظموا بالمال بخل ليكثر ماله و يعظم ، و ذلك كله نتيجة فرحهم بالموجود و بطرهم عند إصابته ، فكانوا آمرين بالبخل لكونهم أسبابا له و السبب كالآمر في إيجاد شيء .

١٠ و لما كان التقدير : فن أقبل على مائندب [إليه - ٢] من الإقراض الحسن و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر فان الله شكور حلیم ، عطف عليه [قوله - ٢] ذاما للبخل محذرا منه : ﴿ ومن يتول ﴾ أى يكافئ نفسه [من - ٢] الإعراض ضد ما في فطرته من محبة الخير و الإقبال على الله ﴿ فان الله ﴾ أى الذى له جميع صفات الكمال ﴿ هو ﴾ أى وحده ﴿ الغنى ﴾ ٢٥ أى عن ماله و إنفاقه و كل شيء إلى الله مقتدر ﴿ الحميد ﴾ أى المستحق للحمد و سواء حمده الحامدون أم لا ، و قراءة نافع و ابن عامر باسقاط [" هو - ٢ "] مفيدة المحصر المبتدأ في الخبر للتعريف و إن كانت قراءة الجماعة أكد .

(١-١) من ظ ، وفي الأصل : بالايحوا شيء (٢) زيد من ظ (٣) راجع نثر المرجان ٧ / سورة الحديد (٤-٤) من ظ ، وفي الأصل : للمحصر المبتدأ للخبر في التعريف .

ولما ظهرت الأدلة [حتى - ١] لم يبق لأحد علة ، و انتشر نورها
حتى ملأ الأكوان ، وعلا علوا تضاعل دون علياته كيوان ، وكان فيما تقدم
/ شرح مآل الدنيا و بيان حقيقتها ، و أن الادمي إذا خلى و نفسه ارتكب
٢١٤ / ما لا يلبق من التفاخر و ما شاكله ، و ترك ما يراد به بما دعى إليه من
الخير جهلا منه و انقيادا مع طبعه ، و كان ختم الآية السابقة ربما أوم
المشاركة ، قال تعالى نافيا ذلك في جواب من توقع الإخبار عن سائر
الأنبياء : هل أوتوا من البيان ما أزال اللبس ، مؤكدا لإزالة العذر بإقامة
الحجج بارسال الرسل بالمعجزات الحاضرة و الكتب الباقية ، معلما أن
من أعرض كلف الإقبال بالسيف ، فان الحكيم العظيم تأبى عظمته
و حكمته أن يخلى المعرض عن يفته ترده عما هو فيه . و قسر يكفه عما يطغيه : ١٠
(لقد ارسلنا) أى بما لنا من العظمة (رسلنا) أى الذين لهم نهاية
الإجلال بما لهم بنا من الاتصال من الملائكة إلى الأنبياء على جميعهم
أفضل الصلاة و السلام [و التحية - ١] و الإكرام ، و من الأنبياء إلى الأمم
(بالبينت) أى الموجبة للإقبال فى الحال لكونها لا لبس فيها أصلا ، و دل
على عظمة أنبيائه عليهم الصلاة و السلام بأنهم لعلو مقاماتهم بالإرسال ١٥
كأنهم أتوا إلى العباد من موضع عال جدا فقال : (و أنزلنا) بمظمتنا

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : ارتكبت (٣) من ظ ، و فى
الأصل : يشاكة (٤) زيد فى الأصل : قال تعالى ، و لم تكن الزيادة فى ظ
لحذفها (٥ - ٥) من ظ ، و فى الأصل : هم آية (٦ - ٦) من ظ ، و فى الأصل :
للأنبياء (٧) من ظ ، و فى الأصل : من (٨) فى ظ : مقالمهم (٩) من ظ ، و فى
الأصل : فانهم .

التي لاشيء أعلى منها (معهم الكتب) أى الحافظ في زمن الاستقبال في الأحكام والشرائع .

و لما كان فهم الكتاب ربما أشكل فانه يحتاج^١ إلى ذهن صقيل وفكر طويل، وصبر كبير وعلم كثير - قال الرازى: وبهذا [قيل -^٢]:
 ٥. لولا الكتاب لأصبح العقل [حائرا ولولا العقل -^٣] لم ينتفع بالكتاب، - عقبه بما يشترك في معرفته الكبير والصغير، والجاهل والنحرير، وهو أقرب الأشياء إلى الكتاب في العلم بمطابقة^٤ الواقع لما يراد فقال:
 (والميزان) أى العدل والحكمة، ولعله كل ما يقع به التقدير حسا أو معنى، وتعقيقه به إشارة إلى أن عدم زينه لعدم حظ ونحوه، ففى
 ١٠. حكم الكتاب خاليا عن حظ نفس وصل إلى المقصود (ليقوم الناس) أى الذين فيهم قابلية التحرك إلى المعالى كلهم (بالقسط) أى العدل الذى لا مزيد عليه لاتنظام جميع أحوالهم، [هذا -^٥] لمن أذن للنيات لذات من أقامها أو^٦ للرجبة فيما عنده .

و لما كان الإعراض بعد الإبلاغ فى الإيضاح موجبا للرد عن
 ١٥. الفساد بأنواع الجهاد، قال مهديا و تمتا ترغيبا و ترهيبا معبرا عن الخلق بالإنزال تشريفا و تعظيما: (و أزلنا) أى خلقنا خلقا عظيما بما لنا من القدرة* (الحديد) أى المعروف على وجه من القوة والصلابة

(١) من ظ، وفي الأصل: محتاج (٢) زيد من ظ (٣-٣) من ظ، وفي الأصل: مطابقته (٤) فى ظ «و» (٥) فى ظ: العزة .

و اللين و الحدة لقبول التأثير يعد به كالبائن لما فى الأرض ، فلذلك سعى
إيجاده إزالا ، و لأن الآدمر بالإيجاد و الإعدام تنزل من السماء على
أيدى الملائكة لأن السماء محل الحوادث الكبار ، و البدائع و الأسرار ،
لأن الماء^٢ الذى هو أصله [و أصل -^٢] كل نام ينزل من السماء و تكون
الأرض له بمنزلة الرحم للنطفة .

٥

و لما وقع التشوف إلى سبب إزاله ، قال : ﴿ فيه باس ﴾ أى قوة
و شدة و عذاب ﴿ شديد ﴾ لما فيه من الصلابة الملائمة للضاء و الحدة
﴿ و منافع للناس ﴾ بما يعمل منه من مراقبتهم و معاونتهم لتقوم / أحوالهم
بذلك ، قال البيضاوى : ما من صنعة إلا و الحديد آلتها . و لما كان التقدير :

٢١٥ /

ليعلم الله من يعصيه و يخذل أوليائه ، بوضع^١ باسه فى غير ما^١ أمر به ١٠
نصرة لشیطانه و هواه و اقتنائه ، عطف عليه قوله : ﴿ و يعلم الله ﴾
أى الذى له جميع العظمة علم شهادة لأجل إقامة الحجة بما يليق بمقول
الخلق فيكون الجزاء على العمل لا على العلم ، و أوقع ضمير الدين [عليه -^٢]
سبحانه تعظيما له لأنه شارعه فقال : ﴿ من ينصره ﴾ أى يقبل مجدا على
الاستمرار على نصر دينه ﴿ و رسله ﴾ بالذب عنهم و الدعاء إليهم ، كائنا ١٥
ذلك النصر ﴿ بالغيب ﴾ من الوعد و الوعيد ، [أى -^٢] بسبب تصديق

(١) من ظ ، و فى الأصل : يد (٢) زيد فى الأصل : و لما كان كذلك ،
و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٣) من ظ ، و فى الأصل : ان (٤) زيد من
ظ (هـ-هـ) من ظ ، و فى الأصل : شدة و باس (٦-٦) من ظ ، و فى
الأصل : اسمه فيما .

الناصر لما غاب عنه من ذلك ، أو غائبا عن كل ما أوجب له النصرة ،
 و روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : ينصرونه و لا يصرونه -
 انتهى . فلم يدع سبحانه فى هذه الآية لاحد عذرا بالرسل الذين هم
 الجنس مع تأييدهم بما ينفى عنهم اللبس ، و الكتاب العالى عن كلام الخلق ،
 ٥ و العقل الذى عرف العدل ، و السلاح الذى يرد أولى الجهل ، كما قال
 صلى الله عليه وسلم : « بعثت بين يدى الساعة بالسيف » ، فبيان الشرائع
 بالكتاب ، و تقويم أبواب العدل بالميزان ، و تنفيذ هذه المعانى بالسيف ،
 فان مصالح الدين من غير هية السلطان لا يمكن رعايتها ، فالملك و الدين
 توأمان ، فالدين بلا ملك ضائع ، و الملك من غير دين باطل ، و السلطان
 ١٠ ظل الله فى الأرض ، فظواهر الكتاب للعوام ، و وزن معارفه لأهل
 الحقائق بالميزان ، و من خرج عن الطائفتين فله الحديد و هو السيف ،
 لان تشويش الدين منه - به عليه الرازى .

و لما كان طلب النصرة مظنة لتوهم الضعف ، قال نافيا لذلك مؤكدا
 قطعا لتعنت المتعنتين مظهرها للاسم الأعظم إشارة إلى ان من له جميع
 ١٥ صفات الكمال لا يمكن أن تطرقه حاجة : (ان الله) أى الذى له العظمة
 كلها . و لما لم يكن هنا داع إلى أكثر من هذا التأكيد ، بخلاف ما أشير
 إليه من الإخراج من الديار المذكورة فى الحج و نحوه ، قال معلما بأنه
 غنى عن كل شئ معريا الخبر من اللام : (قوى) أى فهو قادر على

(١) من ظ ، و فى الأصل : له (٢) من ظ ، و فى الأصل : يشوش .

'إهلاك جميع' أعدائه وتأيد من ينصره من أوليائه (عزيزي) فهو غير مفتقر إلى نصر أحد، وإنما دعا عباده إلى نصر دينه ليقم الحجة عليهم فيرحم من أراد بامثال المأمور، ويعذب من يشاء بارتكاب المنهى، بيناته هذه الدار على حكمة ربط المسميات^٢ بالأسباب .

و لما عم الرسل جامعا لهم في الينات ، فكان السامع جديرا بأن ه يتوقع التعيين ، وخص من بينهم من أول العزم أبوين جامعين^٣ في الذرية و الرسالة ، لأن ذلك أنسب لمقصود السورة لتبيين فضل محمد صلى الله عليه وسلم الذي عم برسالته عموما لم يكن لاحد غيره ، فوح عليه السلام أرسل لاهل الأرض لكونهم كانوا على لسان واحد ، و عموم إبراهيم عليه السلام بأولاده عليهم السلام و نص^٤ بعدهما على عيسى ١٠

عليه السلام بما له من عموم الرسالة إلى / بنى إسرائيل بالنسخ ٢١٦/
و التشريع ، ثم من نزوله في هذه الأمة بالتقرير والتجديد فقال :
(ولقد أرسلنا) أى بما لنا من صفات الكمال والجمال والجلال (نوحا)
الأب الثانى ، و جعلنا^٥ الأغلب على رسالته مظهر الجلال (وإبراهيم)
أبا العرب و الروم و بنى إسرائيل الذى أكثر الأنبياء من نسله ، و جعلنا ١٥
الأغلب على رسالته مجلى الإكرام (و جعلنا) بما لنا من العظمة
(فى ذريتهما النبوة) المقتضية للوصلة بالملك الأعظم لتنفيذ الأوامر

(١-١) فى الأصل وظ : جميع اهلاك (٢) من ظ ، وفى الأصل : المسميات .
(٣) زيد فى الأصل فقط : فى أبوين جامعين (٤) من ظ ، وفى الأصل : نفر .
(٥) فى الأصل : فجعلناه ، وفى ظ : و جعلناه .

(و الكتب) الجامع للاحكام الضابط للشرائع بأن استباننا بعض
فريتها وأنزلنا إليهم الكتب^١ فلا يوجد نبى ولا كتاب إلا وهو مدل
إليها بأمتن الاسباب وأعظم الانساب .

ولما كان مظهر العظمة مقتضيا لإشقاء^٢ من أريد إشقاؤه مع
عدم المبالاة به ، كائنا من كان ، سواء اتصل بالاولياء أو الأعداء
ثلا يأمن أحد فيقع في الخسران أو يئأس أحد فيلزم الهوان [قال :
(فهم) أى ذرية هذين الصنفين (مهتدج) هو بعين الرضا منا -^٣
وهو من لزم طريق الاصفياء واستمسك بهدم ولم يزغ أصلا وإن
كان من أولاد الأعداء .

١٠ ولما كان من زاغ بعد تذكيره بالكتب و الرسل ، كان مستحقا
للبالغة في الذم و لو أنه واحد فكيف إذا كان كثيرا ، نبه بتغيير السياق
على ذلك و على أن الأغلب الضلال فقال : (وكثير منهم) أى الذرية
الموصوفين (فسقون) هم بعين السخط وإن كانوا أولاد الاصفياء
وهم من خالف الاولياء بمنازعة أو ابتداع أو زينغ عن سيلهم بما لم ينهجوه
١٥ 'من تفريط و إفراط' .

ولما كان من مقاصد هذه السورة العظمى الإعلام بنسخ الشرائع
كلها بشريعة هذا النبى الفاتح الخاتم العام الرسالة لجميع الخلائق صلى الله
عليه وسلم ، قال مشيرا إلى عظمة الإرسال و الرسل بأداة التراخي :

(١) فى ظ : الكتاب (٢-٢) فى ظ : أراد شقاوة (٣) زيد ما بين الحاجزين من
ظ (٤-٤) فى ظ : بافراط و تفريط .

(ثم قفينا) أى بما لنا من العظمة تقفية لها من العظمة ما يحل وصفه (على اثرهم) أى الآبوين المذكورين و من مضى قبلهما من الرسل ، ولا يعود الضمير على " الذرية " لأنها باقية مع الرسل وبعدهم (برسلنا) أى فأرسلناهم واحدا فى أثر واحد بين ما لا يحصى من الخلق من الكفرة محروسين منهم فى الأغلب بما تقتضيه العظمة ، لا ننشئ ٥ آثار الأول منهم حتى يرسل الذى بعده فى قفاه ، [فكل رسول بين يدى الذى بعده ، و الذى بعده فى قفاه - ١] فهو مقف له ٢ لأن الأول ذاهب إلى الله و الثانى تابع له ، فنينا ٣ صلى الله عليه وسلم أعرق الناس فى هذا الوصف لأنه لا نبى بعده ، ولهذا كان الوصف أحد أسمائه .

و لما كان عيسى عليه السلام أعظم من جاء بعد موسى عليه السلام ١٠ من نبى إسرائيل فهو الناسخ لشريعته و المؤيد به هذا النبى الخاتم صلى الله عليه وسلم فى تجديد دينه و تقرير شريعته ، و كان الزهد ٤ و الرأفة ٥ و الرحمة فى تابعيه فى غاية الظهور مع أن ذلك لم يمنعهم من القسوة المنبهة سابقا على أن الموجب لها طول الأمد الناشئ عنها الإعراض عن الآيات ٦ الحاضرة

معه و الكتاب الباقي بعده ، خصه بالذكر و أعاد العامل فقال : (وقفينا) ١٥ أى اتبعنا ٧ بما لنا من العظمة على آثارهم قبل أن تدرس (بعيسى ابن مريم) و هو آخر من قبل النبى الخاتم عليهم الصلاة و السلام ، فأتمته أول الأسم بالآسر باتباعه صلى الله عليه وسلم (و اتيناه) ٨ بما لنا من العظمة

(١) زيد من ط (٢) من ظ ، وفى الأصل : لها (٣) من ظ ، وفى الأصل : وليينا (٤) زيد فى ظ : به (٥) من ظ ، وفى الأصل : اتبعناه .

(الانجيل لا) كتابا ضابطا لما جاء به مفيها ملته ميينا للقيامه مبشرا بالنبي
العربي موضحا لأمره مكثرا من ذكره (وجعلنا) لعزتنا
(في قلوب الذين اتبعوه) أى بغاية جهدهم، فكانوا على منهاجه
(رافة) أى أشد رقة على من كان يتسبب إلى الاتصال بهم (ورحمة)
ه أى رقة و عطفًا على من لم يكن له سبب في الصلة بهم كما كان الصحابة
رضى الله تعالى عنهم رحماء بينهم حتى كانوا أدلة على المؤمنين مع أن
قلوبهم في غاية الصلابة فهم أعزة على الكافرين، وترتيب الوصفين هكذا
أدل دليل على أنهما لم يقصد بهما مراعاة الفواصل في "رؤف رحيم" كما
قاله^٢ بعض المفسرين و تقدم في آخر برائة أن^٢ ذلك قول لا يحل التصويب
١٠ إليه ولا التعويل عليه وإن قاله من قال (ورهبانية د) أى أمورا
حاملة على الرهبة والتزبي بزيتها والعمل على حسبها مبالغة في العبادة
و الرياضة و الانقطاع عن الناس .

ولما قدم المعمول لفعل غير مذكور ليدل عليه بما يفسره ليكون
مذكورا مرتين تأكيداً له لإفهاماً لزم نفس الابتداء، أتبعه المفسر لعامله
١٥ فقال: (ابتدعوها) أى حملوا أنفسهم على عملها و التطويق بها من
غير أن يكون لهم فيها سلف يعلونه أو يكون بما صرح به كتابه و إن
كانت مقاصده لا تأباه^١ فاعتزلوا لأجلها الناس، و انقطعوا في الجبال

(١) من ظ، و في الأصل: منها (٢) من ظ، و في الأصل: قال (٣) زيد في
الأصل و ظ: في (٤) من ظ، و في الأصل: أمور (٥) من ظ، و في
الأصل: إليها (٦) من ظ، و في الأصل: لاتأها .

عن الاستئناس ، وكانت لهم [بذلك - '] أخبار شائعة في النواحي
والأمصار ، وفي التقديم على العامل سر آخر وهو الصلاحية للعطف
على ما قبلها لثلاثتهم من لفظ الابتداء أن لا صنع الله فيها ﴿ ما كتبها ﴾
أى فرضناها [بعظمتنا - '] ﴿ عليهم ﴾ فى كتابهم ولا [على - '] لسان
رسولهم ﴿ الا ﴾ أى [لكن - '] ابتدعوها ﴿ ابتغاء ﴾ أى لأجل تكليفهم ٥
أنفسهم الوقوع بغاية الاجتهاد فى تصفية القلوب و تهذيب النفوس
و تزكية الأعمال على ﴿ رضوان الله ﴾ أى الرضا العظيم من الملك الأعظم ،
و ساق المتقطع مساق المتصل إشارة إلى أنه بما يرضى الله ، وأنه ما ترك
فرضاها عليهم إلا رحمة لهم لأجل صعوبتها ، وأنه صيرها بعد إلزامهم^٢ بها
كالمكتوبة ، فيكون التقدير حيثئذ : إلا لأجل أن يبتغوا رضوانه على ١٠
وجه الثبات و الدوام . قال^٣ الإمام أبو القاسم عبد الرحمن^٤ بن عبد الله
ابن [عبد - '] الحكم المصرى فى كتابه " فتوح مصر و المغرب " :
/ فلما أن أغرق الله عز وجل فرعون و جنوده كما حدثنا هانى^٥ بن المتوكل
عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب عن تبيع قال : استأذن الذين كانوا
آمنوا من السحرة لموسى عليه السلام فى^٦ الرجوع إلى أهله^٧ و ماله ١٥
بمصر فأذن لهم و دعا لهم قهرهوا فى رؤس الجبال ، فكانوا أول من

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل : الزامهم (٣) زيد فى الأصل ؛
الاصبهانى و ، ولم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٤) من ظ ، وفى الأصل :
عبد الله (٥) راجع ص : ٤٤ (٦) من ظ و الفتوح ، وفى الأصل : من (٧) زيد
فى الأصل الرجوع ، ولم تكن الزيادة فى ظ و الفتوح فحذفناها .

ترهب، وكان يقال لهم الشيعة، وبقيت^١ طائفة منهم مع موسى عليه السلام حتى توفاه الله عز وجل، ثم انقطعت الرهبانية بعدهم حتى ابتدعها بعد ذلك أصحاب المسيح عليه السلام .

و لما تسبب عن صعوبتها انهم أضعوا بالتقصير عن شؤنها
٥ و السفول عن عليائها قال : (فارعوها) أى حفظوها كلهم بحفظ

من هو مرتاع من خوف ضياعها (حق رعايتها ج) بصون العناية في رعاية الأعمال و الأحوال و الأقوال ، فصون الأعمال توفيرها لتحقيرها من غير إلتفات إليها ، و رعاية الأحوال عند الاجتهاد من أتاها و الحال دعوى ، و رعاية الوقت الوقوف مع حضور على بساط شهود الجلال -
١٠ ذكره الرازى . بل غلبت عليهم صفات البشر فقصر بعضهم عن على

مداها ، و انحطوا عن شامخ ذراها ، هذا تنفير عظيم عن البدع ، و حث شديد على لزوم ما سنه الله و شرع ، و تحذير^٢ من التشديد ، فانه لن يشاد^٣ الدين أحد إلا غلبه و هو الترحال إلى البدعة و لهذا أكثر في أهل الرهبانية المروق من الدين بالاتحاد و الحلول و غير ذلك من البلايا
١٥ و لو كان يظهر أن 'التشدد و التعمق' خير لأن الشارع الذى أحاط

علما بما لم يحيط به نهى عنه ، و قد أفادت التجربة أنه قد يغر لأن هؤلاء ابتدعوا ما أرادوا الخير ، فكان داعيا لكثير منهم إلى دار البوار ، و فيه أيضا حث عظيم على المداومة على ما اعتيد من الأعمال الصالحة خصوصا ما عمل النبي صلى الله عليه و سلم * عملا إلا* داوم عليه ، و كان ينهى

(١) في ظ : بقى (٢) في ظ : تحذيرا (م-م) من ظ ، و في الأصل : أحد الدين

(٤-٤) من ظ ، و في الأصل : التشديد و التعميق (ه-ه) من ظ ، و في

الأصل : من حمل .

عن التعمق في الدين ، و يأمر بالرفق^١ و القصد .

و لما كانت متابعة النفس في التقصير بالإفراط أو^٢ التفريط قد توصل
إلى المروق^٣ من الدين فيوجب^٤ الكفر فيحط على الهلاك كله ، أشار إلى
ذلك بقوله : ﴿ فأتينا ﴾ أى بما لنا من صفات الكمال ﴿ الذين آمنوا ﴾
أى استمروا على الإيمان الكامل ، ولعل في التعبير بالماضى بعد إرادة
التعميم للأدنى و الأعلى إشارة إلى أن المتعمق بين إيمان وكفر لا تجرد
معصيته كما أشار إليه ختم الآية فهو في غاية الذم للتعمق^٥ و المدح
للاقتصاد^٦ ﴿ منهم ﴾ أى من هؤلاء المبتدعين لأنهم رعوها حق رعايتها
و وصلوا لإيمانهم بعيسى و من قبله عليهم الصلاة و السلام بإيمانهم بمحمد
صلى الله عليه و سلم الذى دعا إليه الخروج عن النفس الذى هو روح ١٠
الرهانية^٧ بموافقتهم لما فى كتابهم من البشائر به ﴿ اجرهم ﴾ أى اللاتق
بهم و هو الرضوان المضاعف^٨ .

و لما كانت متابعة / الأهواء تكسب صفات ذميمة تصير ملكات
راسخة للأنفس ، أشار إلى ذلك بالعدول عن النهج الأول فقال :
﴿ و كثير منهم ﴾ أى هؤلاء الذين ابتدعوا فضيعوا ﴿ فسقون ﴾ أى ١٥
عريقون فى وصف الخروج عن الحدود التى حدها الله تعالى ، روى البغوى^٩

(١) من ظ ، و فى الأصل : بالروى (٢) من ظ ، و فى الأصل : « و » .

(٣) من ظ ، و فى الأصل : المعروف (٤) من ظ ، و فى الأصل : توجب .

(٥) من ظ ، و فى الأصل : للتعميق (٦) من ظ ، و فى الأصل : للاقتصاد .

(٧-٧) سقط ما بين الرقيين من ظ (٨) راجع معالم التنزيل بهامش الباب ٧/٣٣ .

من طريق الثعلبي عن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من آمن بي فقد رعاها [حق رعايتها - ^١]، ومن لم يؤمن بي فأولئك هم المالكون - انتهى . ومثل هذه الرهبانية في أنها لا تأبأها قواعد الدين ما يفهمه بعض العلماء من الكتاب والسنة فيذكره . فيكون أخذنا له من الأصول التي نه عليها لا منه ، كما أن الصحابة رضى الله تعالى عنهم [كانوا - ^٢] يفعلون أشياء فان قرره النبي صلى الله عليه وسلم عليها كانت شرعا لنا وكنا آخذين لها من تفسيره صلى الله عليه وسلم لا منهم ، فان من ملكه الله رتبة الاجتهاد في شيء وأمكنه فيه من القواعد فأداه اجتهاده إلى ^٣ أن هذا مندوب إليه مرغوب فيه مثلا ، ١٠ كان ذلك بما يشهد له من قواعد الدين بمنزلة ما قاله الصحابة رضى الله عنهم فأقرهم النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا فرق بين أن يقره النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه أو بقواعد شريعته ، ومهما كان مقررا بقواعد شرعه كان عليه أمره ، ومهما لم يكن مقررا بها كان مما ليس عليه أمره فهو رد على قائله ، فهذا فرق بين البدع الحسنة والبدع القبيحة - والله الموافق ، وذكر ابن برجان تنزيل هذا الحديث الذي فيه «لتبعن سنن من كان قبلكم» فذكر أن أصحاب عيسى عليه السلام عملوا بعده بالإنجيل حتى قام فيهم ملك بدل كتابهم ، وشايه على ذلك روم ويونان ، فضعف أهل الإيمان ، فاستذلوم حتى هربوا إلى البرارى ، وعملوا الصوامع

(١) زيد من ظ والمالم (٢) زيد من ظ (م) من ظ ، وفي الأصل : على .
(٤) في ظ : شرعية (ه) من ظ ، وفي الأصل : بما .

و ابتدعوا الرهبانية ، 'و كذلك كان' في هذه لتصديق الحديث الشريف فانه لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم تبعه خلفاؤه باحسان ، فلما مضت الخلافة الراشدة تراكت الفتن كما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتد البلاء على المتمسكين بصريح الإيمان ، و رجم البيت العتيق بحجارة المنجنيق و هدم ، و قتل عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما و استيحت هـ مدينة النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام ، و قتل^٢ خيار من فيها^٢ فرأى المسلمون العزلة واجبة ، فلزموا الزوايا^٢ و المساجد و ابتنوا الروابط على سواحل البحر و أخفوا في الجهاد للعدو و النفوس ، و عاجلوا تصفية أخلاقهم و لزموا الفقر أخذوا من أحوال أهل الصفة ، و تسموا بالصوفية و تكلموا على الورع 'و الصدق' و المنازل و 'الأحوال و المقامات' فهو لاء ١٠ و زان أولئك - و الله الموفق .

ذكر ما في الإنجيل من الحكم التي توجب الزهد في الدنيا و الإقبال على الله التي يصح تمسك أهل هذه الرهبانية بها : قال متى^١ و غيره و أغلب / السياق لمتى : إن أخطأ عليك أخوك فاذهب أعتبه و حدكما ، فان سمع منك فقد ربحت أخاك ، و إن لم يسمع منك [تخذ معك - ٢] واحدا ١٥ أو اثنين ، لأن من فم شاهدين أو ثلاثة تقوم كل كلمة ، و إن لم يسمع

(١-١) من ظ ، و في الأصل : كان كذلك (٢-٢) في ظ : فيها خيار المسلمين .
(٣) من ظ ، و في الأصل : الزوايا (٤-٤) من ظ ، و في الأصل : بالصدق .
(هـ-٥) من ظ ، و في الأصل : المقامات و أحوال (٦) راجع آية ١٥ فما بعدها من الأصحاب ١٨ (٧) زيد من ظ .

منهم قتل للبيعة ، فان لم يسمع من البيعة فيكون عندك كالوثقى والعشار ،
الحق أقول لكم ، وقال لوقا^١ : انظروا [الآن - ٢] ! إن أخطأ إليك
أخوك فاهه . فان تاب فاغفر له ، فان أخطأ^٢ إليك سبع دفعات^٣ في اليوم
ورجع إليك سبع دفعات يقول لك : أنا تائب ، فاغفر له ، وقال متى^٤ :
٥ حينئذ جاء إليه بطرس وقال له : إذا أخطأ إليّ أخى لم أغفر له سبع مرات ،
قال : ليس أقول لك إلى سبع مرات ، بل إلى سبعين مرة ، ولهذا
يشبه ملكوت السماوات ملكا أراد أن يحاسب عبيده ، فلما بدأ بحسابتهم
قدم إليه عبد مديون عليه جملة ووزنات ، ولم يكن معه ما يوفى ، فأمر سيده
أن تباع امرأته وبنوه وكل ما له حتى يوفى ، فخر ذلك العبد [له - ٢]
١٠ ساجدا قائلا : يارب ، ترأف علىّ تأن ، أوفك كل مالك ، فتحن عليه
سيده وترك له كل ما عليه ، فخرج ذلك العبد فوجد^٥ عبدا من أصدقائه
عليه مائة دينار فأمسكه وخنقه وقال : أعطنى ما عليك ، فخر ذلك
العبد على رجليه وطلب [إليه - ٢] قائلا : ترأف علىّ فأنا أعطيك
مالك ، فأبى ومضى وتركه في السجن حتى يوفى الدين ، فرأى العبد
١٥ أصحابه فحزنوا عليه [جدا - ٢] وأعلموا سيده بكل ما كان منه ، حينئذ
دعاه سيده وقال له : أيها العبد الشرير ! كل ما كان عليك تركت بذلك
لأنك سألتنى ، ما كان ينبغي لك أن ترحم ذلك العبد صاحبك كرحمى

(١) راجع آية ٤ فابعدا من الأصحاح ١٧ (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، وفي
الأصل : أخطأت (٤) من ظ ، وفي الأصل : مرات (٥) راجع آية ٢١ فلما
بعدها من الأصحاح ١٨ (٦) من ظ ، وفي الأصل : فوجدنا .

إياك ، و غضب سيده و دفعه إلى المعذبين حتى يوفى جميع ما عليه ، هكذا
 أبى السماوى يصنع بكم إن لم تغفروا لإخوانكم سيئاتهم من كل قلوبكم ،
 فلما أكل يسوع هذا الكلام انتقل من الجليل و جاء إلى تخوم يهود
 عبر الأردن فتبعه جمع كثير فأبرأهم^١ هناك ، قال لوقا^٢ : فلما أكل
 أيام صعوده أقبل بوجهه إلى يروشلیم ، و أرسل مخبرين قدام وجهه فوضوا^٣
 و دخلوا قرية السامرة ، لكيما يعدوا له فلم يقبلوه فقال تلميذاه^٤ يعقوب
 'و يوحنا' : يا رب تريد أن نقول فنزل عليهم نار^٥ من السماء فتهلكهم كما
 فعل إلیا ، فالتفت فنهروها قائلاً : لستما تعرفان أى روح أتما ، إن ابن البشر
 لم يأت ليهلك نفوس الناس بل يحيى ، و مضى إلى قرية أخرى ، و قال متى^٦ :
 حيثئذ قدم إليه صبيان ليضع يده عليهم و يباركهم فنهروهم التلاميذ فقال لهم^٧ ١٠
 يسوع : دعوا الصبيان و لاتمنعوه أن يأتوا إلى^٨ لأن ملكوت السماوات
 لمثل هؤلاء ، و وضع يده عليهم و بارك لهم ، و قال مرقس^٩ : الحق أقول
 لكم ، إن من لا يقبل ملكوت الله مثل صبي لا يدخلها ، و احتضنهم و وضع
 يده عليهم و باركهم ، و قال متى^{١٠} : و مضى من هناك و جاء إليه واحد
 و قال : يا معلم صالح - و قال مرقس^{١١} : أيها المعلم الصالح - ما أعمل من ١٥

- (١) في ظ : فابقاهم (٢) راجع آية ٥٢. فما بعدها من الأصحاح ٩ (٣) من ظ ،
 و في الأصل : تلميذه (٤ - ٤) من ظ ، و في الأصل : ريحنا - كذا .
 (٥) في ظ : فارا (٦) راجع آية ١٣ فما بعدها من الأصحاح ١٩ .
 (٧) من ظ ، و في الأصل : اليهم (٨) راجع آية ١٥ فما بعدها من الأصحاح ١٠ .
 (٩) راجع آية ١٦ فما بعدها من الأصحاح ١٩ (١٠) راجع آية ١٧ من
 الأصحاح ١٠ .

/ ٢٢١

الصلاح لأثر الحياة الدائمة، 'قال له: لماذا تقول: صالح، ولا صالح
إلا الله الواحد، إن كنت^١ / تريد أن تدخل الحياة احفظ الوصايا،
قال^٢ له: وما هي؟ قال يسوع: لا تقتل ولا تسرق ولا تزني ولا تشهد
الزور، وقال مرقس: لا تجر، أكرم أباك وأمك - حب قريبك مثلك،
٥ قال له الشاب: كل هذا قد حفظته^٣ من صغرى، قال له يسوع: إن
كنت تريد أن تكون كاملاً فاذهب، وقال مرقس: [فظر إليه يسوع
وأحبه، وقال: تريد أن تكون كاملاً -]، واحدة بقيت عليك: امض
وبع كل شيء لك وأعطه للساكنين ليكون لك كنز في السماء وتعال
اتبعني، فلما سمع الشاب الكلام مضى حزينا لأنه كان له مال كثير،
١٠ فقال يسوع لتلاميذه: الحق أقول [لكم -] ^٤ إنه يصعب على الغني الدخول
إلى ملكوت السماء، وأيضاً أقول لكم: إنه أسهل أن يدخل الجمل في
ثقب الإبرة من غنى يدخل ملكوت السموات، فلما سمع التلاميذ بهتوا
جدا وقالوا: من يقدر أن يخلص، فنظر يسوع وقال لهم: أما عند
الناس فلا يستطيع هذا، وأما عند الله فكل يستطيع، حينئذ أجاب
١٥ بطرس وقال له: هو ذا نحن قد تركنا كل شيء واتبعناك، فماذا عسى
أن يكون لنا، قال لهم يسوع: الحق والحق أقول [لكم -] ^٥ أنتم الذين
اتبعتموني في^٦ الجبل الآتي^٦ إذا جلس ابن الإنسان على كرسي مجده تجلسون

(١ - ١) تكرر ما بين الرقيين في الأصل (٢) من ظ، وفي الأصل: قيل .

(٣) من ظ، وفي الأصل: حقيقته (٤) زيد من ظ (٥ - ٥) في إنجيل متى:

التجديد .

أنتم على اثني عشر كرسيًا، تدينون اثني عشر سبط بني إسرائيل، كل من ترك بنين أو أخا أو أخوات أو أبا أو أما أو امرأة أو يتما أو حقلًا من^١ أجل اسمي يأخذ مائة ضعف ويرث حياة الأبد، وقال [لوقا]: ما من أحد ترك منزلاً أو والدين أو إخوة أو امرأة أو مالا من أجل ملكوت الله إلا وينال العوض أضعافاً كثيرة في هذا الزمان وفي الدهر^٥ الآتي حياة الأبد، وقال - [٢ - متى^٤ وغيره: كثيراً أولون يصيرون آخرين، وآخرون يصيرون أولين، يشبه ملكوت السماوات إنساناً رب بيت خرج الغداة ليستأجر فعلة لكرمه، فشارك الأكرة^٥ على دينار واحد في اليوم - إلى آخر ما مضى في الأعراف من البشارة بأمة محمد صلى الله عليه وسلم في مثل الفعلة في الكرم الذي فضل آخرهم وهو العامل^{١٠} قليلاً على من عمل أكثر النهار، وقد ساقه ابن برجان في آخر تفسير سورة الحديد عن الإنجيل بعبارة أخرى تفسيراً كثيراً من عبارة النسخة التي نقلت ذاك منها، فأحييت أن أذكر عبارة ابن برجان هنا تكميلاً للفائدة، قال: وفي الكتاب الذي [يذكر - ٣] أنه الإنجيل: وكثيراً يتقدم الآخرون الأولين ويكون [الأولون - ٧] ساقاً الآخرين، ولذلك يشبه^{١٥} ملكوت السماوات برجل ملى خرج في استئجار الأعراف لحفر كرم في

(١) من ظ، وفي الأصل: ما (٢) راجع آية ٢٩ فما بعدها من الأصحاح ١٨ .

(٣) زيد من ظ (٤) راجع آية ٣٠ فما بعدها من الأصحاح ١٩ و راجع آية ٣١

من الأصحاح ٣٠ من مرقس (٥) في الإنجيل متى: الفعلة (٦) من ظ، وفي

الأصل: كثير (٧) زيد من الإنجيل متى .

أول النهار، و عامل كل واحد في نهاره على درهم ثم أدخلهم كرمه،
فلما كان في الساعة الثالثة بصر لغيرهم في الرحاب لا شغل لهم فقال: اذهبوا
أنتم [أيضا - ١] إلى الكرم و سآمر لكم بحقوقكم، ففعلوا، ثم فعل مثل
ذلك في الساعة السادسة [و التاسعة - ٢]، فلما كان في^٣ الساعة الإحدى
عشرة^٥ وجد غيرهم وقوفا^٤ فقال لهم: لم وقفتم هنا طول نهاركم دون
عمل؟ فقالوا له: إنا لم يستأجرنا / أحد، فقال لهم: اذهبوا أنتم و سآمر لكم
بحقوقكم، فلما انقضى النهار قال لوكيله: ادع الاعوان و أعطهم أجرتهم
و ابدأ بالآخرين حتى تنتهي إلى الأولين، فبدأ بالذين دخلوا في الساعة
الإحدى عشرة و أعطى كل واحد [منهم - ٥] درهما، فأقبل الأولون
١٠ و هم الذين يرجون الزيادة، فأعطى كل واحد منهم درهما، فاستذكروا
ذلك على صاحب الكرم^٦ و قالوا: سويتنا بالذين لم يعملوا إلا ساعة من
النهار في شغورنا طول نهارنا و عذابنا بحرارة، فأجاب أحدهم و قال:
لست أظلمك يا صديق، أما عاملتي على درهم فخذ حقه و انطلق فانه
يوافقني ان أعطى^٧ الآخر كما أعطيتك، أفلا يحل لي^٨ ذلك؟ وإن
١٥ كنت حسودا فاني أنا رحيم، و من أجل ذلك يتقدم الآخرون
الأولين، و يكون الأولون ساقه الآخرين فالمدعوون كثير، و الخيرون
قليل، و ذكر ابن برجان أن الساعة السادسة لعيسى عليه السلام و أصحابه

(١) زيد من ظ (٢) زيد من انجيل متى (٣) من ظ، وفي الأصل: الى (٤-٥) من
ظ، وفي الأصل: و جدهم و توفي (٥) زيد من ظ (٦) في انجيل متى:
دينارا (٧) في ظ: الكرم (٨) من ظ، وفي الأصل: اعط (٩) في ظ: لك .

في أول الأمر و التاسعة^١ لمحمد صلى الله عليه و سلم و الحادية عشرة
 لآخر^٢ الزمان - كأنه يعنى ما بعد الدجال من أيام محمد صلى الله عليه
 و سلم التى يكون فيها عيسى عليه السلام مجددا ، و لهذا جعلهما النبي صلى الله
 عليه و سلم في حديثه الصحيح شيئا واحدا من العصر إلى غروب الشمس ،
 ثم قال متى^٣ في بقية ما مضى من الإنجيل في النسخة التى نقلت منها عقب ه
 ما تقدم أنه في الأعراف : فصعد يسوع إلى يروشلیم و أخذ الاثنى عشر ،
 جيتذ^٤ جاءت إليه أم ابني زبدى - هما يعقوب و يوحنا - مع ابنيها^٥
 و سجدت له ، فقال لها : ما ذا تريدین ؟ قالت : أن يجلس ابنائى^٦ أحدهما
 عن يمينك و الآخر عن يسارك في ملكوتك ، أجاب يسوع : أما جلوسهما
 عن يميني و يسارى فليس لى بل للذى أعده لهم ربى ، فلما سمع العشرة ١٠
 تقمقموا على الآخرين - و قال مرقس^٧ : على يعقوب و يوحنا - فدعاهم يسوع
 و قال لهم : أما علمتم [أن -^٨] رؤساء الأمم يسودونهم و عظامهم مسيطون^٩
 عليهم ، ايس هكذا يكون فيكم ، لكن من أراد أن يكون^{١٠} فيكم كبيرا^{١١}
 فيكون لكم خادما ، و من أراد أن يكون فيكم أولا فيكون لكم
 عبدا ، و قال مرقس : فيكون آخره للكل و خادما للجمع ، كذلك ابن ١٥

(١) من ظ ، و في الأصل : السادسة (٢) من ظ ، و في الأصل : في أول النهار .
 (٣) راجع آية ١٧ فما بعدها من الأحصاح ٢٠ (٤) راجع آية ٢٠ من الأحصاح
 ٢٠ (٥) من ظ ، و في الأصل : ابنيهما (٦) من ظ ، و في الأصل : ابني (٧) راجع
 آية ٤٢ من الأحصاح ١٠ (٨) زيد من ظ (٩) من ظ ، و في الأصل : يسون .
 (١٠-١١) من ظ ، و في الأصل : كبير منكم .

الإنسان لم يأت ليخدم بل ليعمل^١، و يبذل نفسه فداء عن كثير، فلما خرج من أريحا تبعه جمع كثير وإذا أعميان جالسان على الطريق فسمعا أن يسوع يجتاز فصرخا^٢ قائلين: ارحمنا يارب يا ابن داود، فوقف يسوع ودعاهما وقال لهما: ما تريدان أن أفعل لكما، قالا له: يارب، أن تفتح أعيننا، فتحن يسوع ولمس أعينهما وللوقت أبصرت أعينهما وتبعاه؛ و عبارة ه مرقس عن ذلك^٣: وجاء إلى أريحا و خرج من هناك و تبعه تلاميذه و جمع كثير و إذا طيماس بن طيماس الأعشى جالس يسأل عن الطريق - وقال لوقا: يتوسل - فسمع الجمع المجتاز فسأل: ما هذا . فأخبروه أن يسوع الناصري جاء، [و-^٤] قال^٥ مرقس: فلما سمع بأن يسوع مقبل بدأ يصيح ١٠ ويقول: يا يسوع الناصري ابن داود ارحمني، فانتهموه ليسكت، فازداد صياحا قائلا: يارب يا ابن داود، ارحمني، فوقف يسوع وقال: ادعوه، فدعى [الأعشى-^٦] وقالوا له: ثق وقم فانه يدعوك، و طرح ثوبه ونهض وجاء إلى يسوع فأجابته يسوع^٧ وقال له: ما تريد أن أصنع بك؟ فقال له الأعشى: يا معلم، وقال لوقا: يارب - أن أبصر، فقال له يسوع: اذهب، ١٥ إيمانك خلصك، وللوقت أبصر، و تبعه في الطريق - قال لوقا: يمجده الله - وكان جميع الشعب الذين رأوه يسبحون الله. وقال أيضا: وكان بينهما^٨ هو منطلق إلى يروشلیم اجتاز بين السامرة والجليل، وفيما هو داخل

(١) من ظ، وفي الأصل: ليعمل (٢) من ظ، وفي الأصل: نصه خوا . (٣) راجع آية ٤٦ فما بعدها من الأصحاح ١٠ (٤) زيد من ظ (ه) تكرر في الأصل (٦-٧) سقط ما بين الرقيين من ظ (٧) من ظ، وفي الأصل: بينهما . إلى

إلى إحدى القرى استقبله عشرة رجال برص^١ فوقفوا من بعيد ورفعوا أصواتهم قائلين: يا يسوع المعلم ارحمنا فنظر إليهم وقال لهم: اذهبوا^٢ وأروا أنفسكم^٣ للكهنة، وفيما هم منطلقون طهروا، فلما رأى أحدهم أنه قد طهر رجع^٤ بصوت عظيم بمجد^٥ الله وخر على وجهه عند رجله شاكرًا له، وكان^٦ سامريًا، أجاب يسوع وقال: أليس العشرة قد طهروا^٧ ه فأين التسعة، ألم يجدوا^٨ ليرجعوا^٩ ويمجدوا الله^{١٠} ما خلا / هذا الغريب، ثم قال له: قم فامض، إيمانك خلصك .

٢٢٣ /

قال متى: ولما قربوا من يروشلیم و جاؤا إلى بيت فاجى عند جبل الزيتون - و قال [مرقس -^١]: عند باب فاجى و بيت عنيا جانب طور الزيتون - قال متى^٢: حينئذ أرسل يسوع اثنين من تلاميذه: و قال ١٠ لهما: اذبا إلى القرية التى أمامكما فتجدان أتانة مربوطة و جحشا معها^٣ فخلاهما و اتيانى بهما^٤ فان قال لكما أحد شيئا فقولاه: إن الرب محتاج إليهما^٥ فهو يرسلهما للوقت، كان هذا ليتم^٦ ما قيل فى النبى القاتل قولوا "لابنة صهيون" هو ذاملك يا أتيك متواضعا راكبا على أتانة

(١) من ظ و الأصحاح السابع عشر - لوقا، وفي الأصل: مومن (٢-٢) في الأصل: فاروا و اتفوسكم - والتصحیح من ظ و الأصحاح (٣-٣) في الأصل: مجد (٤) من الأصحاح، وفي الأصل و ظ: قال (٥-٥) من ظ: وفي الأصل: بصوت عظيم لرجعوا و بمجد (٦) زيد من ظ و راجع آية ١ فما بعدها من الأصحاح ١١ (٧) راجع آية ١ من الأصحاح ٢١ (٨) من ظ و الأصحاح، وفي الأصل: أمامها (٩) من ظ و الأصحاح ٢١، وفي الأصل: معها (١٠) من ظ و الأصحاح، وفي الأصل: اليتم (١١-١١) وقع في الأصل: انه فعون - مصحفا .

و جش ابن أناة . فذهب التليذان و صنعا كما أمرها يسوع ، فأتيا
بالأناة و الجش^١ و تركوا ثيابهم عليهما ، و جلس معهما ، و جمع كثير فرشوا
ثيابهم في الطريق [و آخرون قطعوا أغصانا من الشجر و فرشوها في
الطريق -^٢] ، و عبارة مرقس^٣ عن ذلك : تعبدان ججشا مربوطا لم يركبه
أحد من الناس قط ، فخلاه و اتيأ به ، فان قال لكما أحد : ما تفعلان
بهذا ؟ بقولا : إن الرب محتاج إليه فن ساعة يرسله ، فذهبا و وجدا^٤
الجش^٥ مربوطا عند الباب خارجا على^٦ الطريق لخلاه فقال لهما قوم
من القيام هناك : ما تصنعان ؟ فقالا لهم كما قال يسوع فركبهما ، و جاءا
بالجش^٧ إلى يسوع^٨ فألقوا عليه ثيابهم و جلس عليه^٩ و كثير بسطوا
١٠ ثيابهم في الطريق و آخرون [قطعوا -^{١٠}] أغصانا من الحقل و فرشوها
في الطريق . قال متى^{١١} : و الجمع الذي تقدمه و الذي تبعوا صرخوا
قائلين : أوصنا يا ابن داود^{١٢} مبارك الآتى باسم الرب ، قال مرقس : و مبارك
المملكة الآتية باسم الرب لاينا داود اوصنا في العلام ، و قال لوقا :
و كان لما قرب من منحنى^{١٣} جبل الزيتون بدأ جمع الملا^{١٤} و التلاميذ

- (١) من الأصحاح ٢١ ، و في الأصل و ظ : الغفور ، مصحفا ، و هو اليعفور بمعنى
الجش (٢) زيد من ظ . و مثله في الأصحاح ٢١ (٣) راجع آية ٢ من الأصحاح ١١ .
(٤) زيد في الأصل : شيئا ، ولم تكن الزيادة في ظ فحذفناها (٥-٥) من ظ ، و في
الأصل : فوجدوا (٦) من الأصحاح الحادى عشر ، و في الأصل و ظ : بالغفور .
(٧) من ظ ، و في الأصل : عن (٨-٨) في الأصحاح : و القيا عليه ثيابهما (٩) زيد
من الأصحاح (١٠) راجع آية ٩ فما بعدها من الأصحاح ٢١ (١١-١١) سقط من ظ .
(١٢) من الأصحاح ١٩ ، و في الأصل : مسجود ، و في ظ : صخور .

[يفرحون و -^١] يسبحون الله ويمجدونه^٢ بجميع الأصوات^٣ من أجل
جميع القوات / التي نظروا قائلين : تبارك الملك الآتى باسم الرب والسلامة
في السماء والمجد في^٤ العلا ، وقوم من الفريسيين من بين الجمع قالوا
له : يا معلم انتهر تلاميذك ، فقال لهم : إن سكت التلاميذ^٥ نطقت الحجارة ،
فلما قرب نظر المدينة وبكى عليها وقال : لو علمت في هذا اليوم ما لك ه
فيه من السلامة ، فأما الآن فإنه قد خفي عن عينيك ، وسوف تأتى أيام
تلقى أعداؤك معلمك^٦ ويحيطون بك^٧ ويضيقون عليك من كل موضع
ويقتلونك وبنيك فيك ولا يتركون فيك حجرا ، وقال متى^٨ : فلما دخل
إلى يروشلیم ارتجت المدينة كلها قائلين : من هذا^٩ ؟ فقال^{١٠} الجمع : هذا
يسوع النبی الذي هو من ناصرة الجليل ، فدخل يسوع إلى الهيكل الله ١٠
وأخرج جميع الذين^{١١} يبيعون ويشترون في الهيكل وقلب موائد الصيارف
وكراسى باعة الحمام وقال لهم : مكتوب أن يبق بيت الصلاة يدعى ،
وأتمم جعلتموه مغارة للصوص . وقال يوحنا^{١٢} : فصعد يسوع إلى يروشلیم
فوجد في الهيكل باعة^{١٣} البقر والكباش والحمام وصيارف جلوسا ، فصنع^{١٤}

- (١) زيد من ظ ، ومثله في الاصحاح (٢-٢) في ظ والاصحاح : بصوت عظيم .
(٢) من ظ والاصحاح ، وفي الأصل : و (٤) في الاصحاح : هؤلاء (٥) كذا
من ظ ، وفي الأصل : معاللك (٦) من ظ ، وفي الأصل : به (٧) راجع
آية ١١ فما بعدها من الاصحاح ٢١ . (٨) من ظ ، وفي الأصل : هوذا (٩) من
ظ ، وفي الأصل : فاين (١٠) من انجيل متى ، وفي الأصل و ظ : الذي .
(١١) راجع آية ١٣ فما بعدها من الاصحاح ٢ (١٢) في الأصل و ظ : فباعه .
(١٣) من ظ ، وفي الأصل : بفعل .

محضرة^١ من جبل و أخرج جميعهم من الهيكل فطرد^٢ البقر و الخراف
وإبدد دراهم الصيارف و قلب موائدهم، [و - ٢] قال متى^٣ : و قدم [إليه - ٤]
عميان و عرج في الهيكل فشفاهم، فرأى رؤساء الكهنة العجائب التي
صنع^٥ و الصبيان يصيحون في الهيكل و يقولون : أوصنا يا ابن داود، مبارك
الآتي باسم الرب، فتقمقموها و قالوا : ما تسمع ما يقول هؤلاء، فقال لهم
يسوع : نعم، أما قرأتم قط أن من فم الأطفال و المرضعين أعدت
سبحا، و تركهم و خرج خارج المدينة و بات هناك في بيت عنيا و في
غد عبر إلى المدينة فجاع^٦ و نظر إلى شجرة تين على الطريق فجاء إليها فلم
يجد فيها شيئا إلا الورق، فقال لها^٧ : لا يخرج منك ثمرة إلى الأبد، فيست
١٠ تلك الشجرة للوقت^٨، فنظر التلاميذ و تعجبوا و قالوا : كيف يست
التيئة للوقت، أجاب يسوع و قال لهم : الحق أقول لكم ! إن كان لكم
إيمان^٩ و لا تشكون ليس مثل^{١٠} هذه الشجرة التين [قط - ٢] تصنعون
و لكن تقولون لهذا الجبل : تعال و اسقط في البحر، فيكون، و قال
مرقس^{١١} : إن كان لكم إيمان بالله، الحق أقول لكم : إن من قال لهذا

(١) في الإنجيل يوحنا : سوطا (٢) من ظ ، و في الأصل : فطردوا (٣) زيد
من ظ (٤) راجع آية ١٤، فما بعدها من الأصحاح ٢١ (٥) من ظ ، و في الأصل :
تصنع (٦) من ظ ، و في الأصل : بفاح (٧) من إنجيل متى ، و في الأصل و ظ :
لهم (٨) من ظ ، و في الأصل : إلى الوقت (٩ - ١٠) من ظ ، و في الأصل :
لا تسلبون - عن كذا (١٠) راجع آية ٢٢ فما بعدها من الأصحاح ١١ .

الجليل : انتقل واسقط في هذا البحر ، ولا يشك في قلبه بل يصدق^١ فيكون له الذى قال ، من [أجل -^٢] هذا أقول لكم : إن كل ما تسألونه في الصلاة بإيمان إنكم تأتون فيه فيكون لكم ، وقال متى^٣ : وكل ما تسألونه في الصلاة بإيمان تأتون فيه ، وقال مرقس^٤ : فقال له يوحنا ، يا معلم ! رأينا واحدا يخرج الشياطين باسمك فمنعناه لأنه لم يتبعنا ، قال لهم يسوع : لا تمنعوه .^٥ ليس يصنع أحد قوة باسمي ، و يقدر سريعا أن يقول^٦ على الشر ، كل من ليس [هو -^٧] عليكم فهو معكم^٨ ومن سقاكم كأس ماء باسم أياكم المسيح [الحق -^٩] أقول لكم : إن أجره لا يضيع . وفيه مما لا يجوز إطلاقه في شرعنا إطلاق الأب على الله و [إطلاق -^{١٠}] الرب على غيره [بلا قيد -^{١١}] ، وقد تقدم التنبيه على مثل ذلك غير مرة - والله ١٠ الهادى للصواب .

/ ولما قرر سبحانه أن الرسل دعاة للحق إلى سيدهم طوعا أو كرها ٢٢٥ /
بالكتاب والحديد ، وقرر أن السعادة كلها في اتباعهم ، وأن البدع لا تأتي بخير وإن زين الشيطان أمرها وخيل أنه خير ، وأن أصحاب الذى كان نسخ شريعة^١ من قبله ابتدعوا بدعة حسنة فوكلوا إليها ففسق ١٥ أكثرهم ، فاقضى ذلك إرسال من ينسخ كل شريعة^٢ تقدمته نسخا لا زوال
(١) من ظ ، وفي الأصل : يس - كذا (٢) زيد من ظ (٣) راجع آية ٢٢ من الأصحاح ٢١ (٤) راجع آية ٣٨ لما بعدها من الأصحاح ٩ (٥) من ظ ، وفي الأصل : يكون (٦ - ٧) في الإنجيل مرقس : علينا فهو معنا (٧) من ظ ، وفي الأصل : شريعته .

له لأنه لاني بعده ونهى عن البدع نهيا لم يتقدمه أحد إلى مثله، أتج ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أى أقرؤا بذلك إقرارا صحيحا بنبي مما تقدم أو بالنبي صلى الله عليه وسلم ﴿اتقوا الله﴾ أى خافوا عقابه فاجعلوا بينكم وبين سخطه - لأنه الملك الأعظم - وقاية بحفظ الآداب معه ولا تأمنوا مكره، فكونوا على حذر [من - ١] أن يسلبكم ما وهبكم، فاتبعوا الرسول تسلسوا، وحافظوا على اتباعه لئلا تهلكوا ﴿واؤمنوا برسوله﴾ أى الذى لا رسول له الآن غيره، إيماننا مضموما إلى إيمانكم بالله فانه^١ لا يصح الإيمان به إلا مع الإيمان برسوله، وبأن تثبتوا على الإيمان به، وتضموا الإيمان به إلى الإيمان بمن تقدمه يا أهل الكتاب. لأن رسالته عامة، لقد نسخ جميع ما تقدمه من الأديان^٢ فإياكم أن يميلكم عنه ميل من حسد أو غيره، فبادروا إلى إجابته والزمو^٣ جميعا حذره^٤ فلا تملوا إلى بدعة أصلا ﴿يؤتكم﴾ ثوابا على اتباعه^٥ ﴿كفلين﴾ أى نصيين ضخمين^٦ ﴿من رحمته﴾ تحصينا لكم من العذاب كما يحصن الكفل الراكب من الوقوع، وهو كساء يعقد على ظهر البعير فيلقى مقدمه على الكاهل ومؤخره على المعجز، وهذا التحصين^٧ لأجل إيمانكم به صلى الله عليه وسلم وإيمانكم بمن تقدمه مع خفة العمل ورفع الأصار^٨ وهو [أعلى - ١] بالأجر من الذى عمل الخير فى الجاهلية، وقال النبي

(١) زيد من ظ (٢) زيد فى الأصل و ظ : الأبا (٣) من ظ ، وفى الأصل : الإيمان (٤-٥) من ظ ، وفى الأصل : جميع عدده - كذا (٥) زيد فى الأصل : وهو ، ولم تكن الزيادة فى ظ لحذفها (٦) من ظ ، وفى الأصل : صحيحين . (٧) من ظ ، وفى الأصل : التحصيل (٨) من ظ ، وفى الأصل : الأصل .

صلى الله عليه وسلم لمن سأله^١ عنه : أسلمت على ما أسلفت من خير .
 ودل على أن الكفيلين برفع الدرجات وإفاضة خواص من الخيرات
 بقوله : ﴿ ويجعل لكم ﴾ أى مسح ذلك ﴿ نورا ﴾ مجازيا فى الأولى
 بالتوفيق للعمل من المعلوم والمعارف القلبية وحسبا فى الآخرة بسبب
 العمل ﴿ تمشون به ﴾ أى مجازا فى الأولى بالتوفيق للعمل ، و حقيقة فى هـ
 الآخرة بسبب العمل .

و لما كان الإنسان لا يخلو من نقصان ، فلا يبلغ جميع ما يحق للرحمن ،
 قال : ﴿ ويغفر لكم ﴾ أى [ما - ٢] فرط منكم من سهو و عمد و هزل
 وجد . و لما قرر سبحانه و ذلك ، أتبعه التعريف بأن الغفران و ما يتبعه
 صفة له شاملة لمن^٢ يريده فقال : ﴿ والله ﴾ أى المحيط بجميع صفات ١٠
 الكمال و العظمة و الكبرياء ؛ ﴿ غفور ﴾ أى بليغ المحو للذنوب عينا و أورا
 ﴿ رحيم لا يحصى ﴾ أى بليغ الإكرام لمن يغفرله و يوفقه / للعمل بما يرضيه . ٢٢٦ /
 و لما كان أهل الكتاب قد تابعوا أهويتهم على بغض الاميين^٣ ،
 و أشربت قلوبهم أن النبوة محتصة بهم لأنهم أولاد إبراهيم عليه السلام
 من ابنة عمه ، و العرب - و إن كانوا أولاده - فأنهم من الأمة و ما دروا ١٥
 [أن - ١] كونهم من أولاده مرشح لنبوة بعضهم و كونهم من الأمة ،
 مهئى لعموم الرسالة لأجل عموم النسب ، قال دالا على أنهم صاروا

(١) من ظ ، وفى الأصل : سال (٢) زيد من ظ (٣) من ظ وفى الأصل :
 ممن (٤-٥) سقط ما بين الرقين من ظ (٥) من ظ ، وفى الأصل :
 الاتيان - كذا .

كالهائم لا يصرون إلا المحسوسات معلقا الجار بـ "و آمنوا، و "يؤتكم"
 وما بعده: ﴿لئلا يعلم﴾ أى يعلم^١ علما عظيما [يثبت -^٢] مضمون خبره
 وينتفى ضده - بما أفاده زيادة النافي ﴿أهل الكتب﴾ أى من الفريقين
 الذين اقتصروا على كتابهم و أنبيائهم ولم يؤمنوا بالنبي الخاتم و ما أنزل
 عليه ﴿إلا﴾ أى أنهم لا ﴿يقدر﴾ أى فى زمن من الأزمان
 ﴿على شيء﴾ [أى وإن قل -^٢] ﴿من فضل الله﴾ أى الملك الأعلى
 الذى خصكم [بما خصكم -^٢] به لا يمنع ولا باعطائكم [حيث -^٢] نزع
 النبوة منهم و وضعها فى بنى عمهم إسماعيل عليه السلام الذين كانوا
 لا يقيمون لهم وزنا فيقولون: إنهم بنو الأمة، و إنهم أميون، و إنهم
 ١٠ ليس عليهم منهم سيل، و جعل النبوة التى خصكم بها عامة - كما أشار
 إليه ما فى ابن الأمة من شمول بنسبته و انشعابه^٢ و حيث عملوا كثيرا
 و أعطوا قليلا: اليهود من أول النهار على قيراط قيراط، و النصرى من
 الظهر على قيراط قيراط، و هذه الأمة من صلاة العصر على قيراطين
 قيراطين، فقال الفريقان: ما لنا أكثر عملا و أقل أجرا، قال: هل ظلمتكم
 ١٥ من حكم شيئا، قالوا: لا، قال: ذلك فضلى أوتيته من أشاء . و ذكر ابن
 برجان معنى هذا الحديث - كما تقدم عنه قريبا - من الإنجيل و طبقه
 عليه و ذكرته [أنا -^٢] فى الأعراف، روى الإمام [أحمد -^٢] فى
 (١) من ظ، و فى الأصل: يعلم (٢) زيد من ظ (٣) من ظ، و فى
 الأصل: اتساعه (٤ - ٤) - قط ما بين الرقنين من ظ (ه) من ظ، و فى
 الأصل: الفريقين .

مواضع^١ من المسند و البخارى فى سبعة مواضع^٢ فى الصلاة و الإجارة
و ذكر بنى إسرائيل و فضائل القرآن و التوحيد، و الترمذى فى الامثال^٣
- و قال: حسن صحيح - من وجوه شتى جمعت بين ألفاظها عن ابن عمر
رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم [قال-^٤]: "مثلكم - وفى هذه
الرواية: مثل هذه الامة، وفى رواية: مثل أمتى، وفى رواية: إنما مثلكم ه
و مثل اليهود و النصارى كرجل"^٥، وفى رواية: مثلكم و مثل أهل الكتابين
كمثل رجل استعمل عملاء، وفى رواية: استأجر أجراء^٦ فقال: من
يعمل لى من صلاة الصبح، [و-^٧] فى رواية [أخرى-^٧]: "من غدوة
إلى نصف النهار على قيراط"^٨، ألافعلت اليهود - وفى رواية: قالت
اليهود: نحن - فعملوا، ثم قال: من يعمل لى من نصف النهار إلى ١٠
صلاة العصر على قيراط، ألافعلته النصارى، وفى رواية: قالت النصارى:
نحن، فعملوا، ثم قال: من يعمل لى من صلاة العصر إلى غروب
الشمس - وفى رواية: إلى أن تغيب الشمس - على قيراطين قيراطين،
ألافاتم الذين^٩ عملتم، وفى رواية: "تعملون، وفى رواية^{١٠}: "و أتم المسلمون
تعملون من صلاة العصر إلى الليل، وفى رواية إلى مغارب، وفى رواية^{١١}: ١٥
مغرب الشمس على قيراطين قيراطين / ألا لكم الأجر مرتين، فغضبت^{١٢}

٢٢٧ /

(١) راجع مثلاً ٢ / ١١١ (٢) راجع مثلاً ١ / ٧٩ (٣) راجع ٢ / ١١٠ (٤) زيد
ولا بد منه (هـ) - سقط ما بين الرقيين من ظ (٦) من ظ، وفى الأصل: احيرا .
(٧) زيد من ظ (٨) زيد فى ظ: قيراط (٩) من ظ، وفى الأصل: الذى
(١٠) زيد فى الأصل: الى، ولم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (١١) من ظ،
وفى الأصل: فغضبت .

اليهود والنصارى وقالوا : نحن - وفي رواية : ما لنا^١ - أكثر عملا
 وأقل عطاء ، وفي رواية : أجرا ، قال الله تعالى : هل - وفي رواية :
 وهل - نقصتم - وفي رواية : هل ظلمتم - من حقكم شيئا - وفي
 رواية : أجركم شيئا ، قالوا : لا ، قال : فانه - وفي رواية : فانما - هو
 ٥ فضل ، وفي رواية : فذلك فضل أوتيته من أشاء ، وفي رواية : أعطيه
 من شئت . وفي رواية : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم وهو قائم
 على المنبر يقول : ألا إن بقاءكم^٢ ، وفي رواية : إنما بقاءكم^٣ ، وفي رواية :
 إنما أجلكم في أجل من خلا من الأمم - وفي رواية : فيما سلف من
 قبلكم من الأمم كما بين صلاة العصر والمغرب - وفي رواية : إلى
 ١٠ غروب الشمس ، وفي رواية : إلا إن مثل آجالكم في آجال الأمم
 قبلكم كما بين صلاة العصر إلى مغربان ، وفي رواية : إلى مغرب ،
 وفي رواية^٤ : إلى مغارب الشمس ، أعطى - وفي رواية : أوتي - أهل
 التوراة والتوراة ، فعملوا بها^٥ حتى انتصف النهار فعجزوا ، فأعطوا قيراطا
 [قيراطا -^٦] ، وأعطى - وفي رواية : ثم أوتي - أهل الإنجيل الإنجيل
 ١٥ فعملوا به حتى - وفي رواية : إلى - صلاة العصر ، وفي رواية : حتى
 صليت العصر ، ثم عجزوا فأعطوا قيراطا قيراطا ، ثم أعطيتهم القرآن
 فعملتم به حتى غربت الشمس ، وفي رواية : [حتى غروب الشمس -^٧]

(١) من ظ ، وفي الأصل : اه (٢) من ظ ، وفي الأصل : اتقاكم (٣) من
 ظ ، وفي الأصل : اتقياكم (٤ - ٤) سقط ما بين الرقنين من ظ (٥) زيد في
 الأصل و ظ : حتى انتصف النهار فعجزوا وفي رواية - كذا (٦) زيد
 من ظ .

فأعطينا قيراطين قيراطين، وفي رواية: ثم أوتينا القرآن فعملنا إلى
 غروب الشمس فأعطينا قيراطين قيراطين، فقال أهل الكتائب - وفي
 رواية: أهل التوراة والإنجيل - ربنا هؤلاء أقل منا عملا وأكثر أجرا،
 وفي رواية: جزاء، وفي رواية: أي ربنا أعطيت هؤلاء قيراطين قيراطين
 وأعطيتنا قيراطا قيراطا، ونحن أكثر عملا منهم، قال الله تبارك وتعالى: هـ
 [هل-] وفي رواية: فهل ظلمتكم من أجركم - وفي رواية: من أجوركم -
 من شيء؟ فقالوا: لا، فقال: فهو فضلي، وفي رواية: فذلك فضلي، أوتيه
 من أشاء. وقد أخذ بعض العلماء من هذا الحديث ما قبل هذه الأمم
 وترك على ذلك أحوالها فقال: إنه دال على قوم نوح وإبراهيم عليهما
 السلام، كان لهم الليل، فكان قوم نوح في أوله في ظلام صرف طويل ١٠
 لم يلح لهم شيء من تبشير الضياء ولا أمارات الصبح، ونوح عليه
 السلام يخبرهم به ويأمرهم بالتهتؤ له، فلذلك طال بلاؤه عليه السلام بهم،
 وما آمن معه إلا قليل، وأما قوم إبراهيم عليه السلام فكانوا كأنهم
 في أواخر الليل، قد لاحت لهم تبشير الصباح وأومضت لهم بوارق
 الفلاح، فلذلك آمن لوط عليه السلام وكذا سارة زوجته وأولاده ١٥
 منها ومن غيرها كلهم، واستمر الإسلام في أولاده والنبوة حتى جاء
 موسى عليه السلام، فكان وقته كما بين الصبح والظهر، فكان قومه
 تارة وتارة، تارة يحسبون أنهم في ضياء كيف كانوا، فيروغون يمينا وشمالا

(١) العبارة من هنا إلى «تبشير الضياء» مأخوذة من ظ (٢) زيد لاستقامة العبارة
 وإلا فلا وجه لزيادة «وفي رواية» (٣) من ظ، وفي الأصل: الأولاد.

فيكونون^١ كمن دخل غيراها و كهوفا و أسرابا ثم يخرجون منها فيرجعون
إلى الضياء فكانت غلطاتهم / تارة كباوا و تارة صفارا ، و أعلتهم عيسى
عليه السلام فكانوا كمن هو في الظهيرة في شدة الضياء فالغلط منه
لا يكون إلا عن عمن عظيم^٢ ، فلذلك كان غلطهم أظلم الغلط و أخشع
٥ - والله الموفق - (و ان) أى و لتعلموا أن (الفضل) [أى - ٢]
الذى لا يحتاج إليه من هو عبده (بيد الله) أى الذى له الأمر كله
(يؤتيه من يشاء) منهم أو من يخيرهم في نوبة كانت أو غيرها^٣ .

و لما كان ربما ظن ظان أنه لا يخص به إلا لأنه لا يسع جميع
الناس دفع ذلك بقوله : (والله) أى الذى أحاط بجميع صفات
١٠ الكمال (ذو الفضل العظيم) أى مالكة ملكا لا ينفك عنه ولا ملك
لأحد [فيه - ٢] معه ولا تصرف بوجه أصلا ، فلذلك يخص من يشاء بما
شاء ، فلا يقدر أحد على اعتراض بوجه ، فقد نزه له التنزيه الأعظم جميع
ما فى السماوات و الأرض فهو العزيز الحكيم الذى لا عزيز غيره ولا حكيم
سواه ، فقد انطبق كما ترى آخرها على أولها ، و رجع مفصلها على
١٥ موصولها - والله الهادى للصواب و إليه المرجع و المآب * .

(١) فى الأصل و ظ : فيكون (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ (٤) من ظ
و فى الأصل : بين (هـ-هـ) سقط ما بين الرقيين من ظ .

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة المجادلة^١

مقصودها الإعلام بإيقاع البأس الشديد، الذي^٢ أشارت إليه الحديد، بمن
حاد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم لمائة سبحة من تمام العلم، اللازم عنه
تمام القدرة، اللازم عنه الإحاطة بجميع صفات الكمال، وعلى ذلك^٣ ذلك
تسميتها بالمجادلة بأول قضيته وأخرها، وعلى تكرير الاسم الأعظم الجامع^٥
في القصة وجميع السورة تكريرا لم يكن في سواها بحيث لم تخل منه آية،
وأما الآيات التي تكرر في كل منها^٦ المرتين فأكثر فكلها كل ذلك
للدلالة على أن الأكثر منها المراد فيها بالخطاب^٧ من يصح أن ينظر
إليه تارة بالجلال، وتارة بالكمال، فيجمع له الوصفان، وهو من آمن
ووقع منه هفوة أو عصيان، ولهذا ضمتها أشياء شدد التكبير^٨ فيها حين^{١٠}
وقع فيها بعض أهل الإيمان، ولم يبجها لهم عند وقوعهم فيها ردا للشرع
إلى ما دعا إليه الطبع كما فعل في غيرها كالأكل والجماع في ليل رمضان
من غير تقييد بيقظة^٩ ولا منام، لمنابتها للحكمة، وبعدها عن موجبات الرحمة،

(١) الثامنة والخمسون من سور القرآن الكريم، مدنية، وعدد آياتها (٢٢)
عند غير المدنى الأخير والمكي، وعندهما (٢١) آية، ومن هنا تستألف والمجددة نسخة
م (٢) من ظ و م، وفي الأصل: الذين (٣) من م، وفي الأصل وظ: هذا (٤) من
م، وفي الأصل وظ: فصلها (٥ - ٥) من ظ و م، وفي الأصل: فيها كل
من (٦) من م، وفي الأصل وظ: الخطاب (٧) موضعه بياض في م، وفي
ظ: التكبير (٨) من ظ و م، وفي الأصل: يقظة.

وهذا مؤيد لما تقدم من سر إخلاء الواقعة و الرحمن و القمر من هذا الاسم الجامع - والله الموفق . (بسم الله) الذي أحاط عليه قمت قدرته فكلت جميع صفاته (الرحمن) الذي شمل الخلاق جودا بالإيجاد و إرسال هدايته (الرحيم) الذي خص أصفياه قمت عليهم نعمة مرضاته .

لما ختمت الحديد بعد إثبات عجز الخلق بعظيم الفضل له سبحانه، و كان سماع أصوات جميع الخلاق من غير أن يشغل صوت عن صوت و كلام عن كلام من الفضل العظيم ، و كان قد تقدم ابتداء بعض المتعبدين من الرهبانية بما لم يصرح لهم بالإذن فيه ، فكان سببا للتضييع، ١٠ و كان الظهار على نوعين : موقت و مطلق ، و كان الموقت بما يدخل في الرهبانية لانه من التبتل و تحريم ما أحل الله من الطيبات ، و كان بعض الصحابة رضى الله عنهم قد منع نفسه بالموقت منه من مرغوبها بما لم يأت عن الله ، فظاهر من امرأته محافظة على كمال التعبد خوفا

(١) في الأصل و ظ : هداية ، و في م : هدايته (٢) من م ، و في الأصل و ظ : العجز (٣) من ظ و م ، و في الأصل : يشغله (٤) زيد بعده في الأصل : الا لكم الأجر مرتين فنقضت اليهود والنصارى وقالوا نحن ، و في رواية : ما لم أكثر عملا و اقل عطاء ، و في رواية : اجرا قال الله تعالى : هل ، و في رواية : وهل نقضتم . و في رواية : هل ظلمتم من حكم شيئا ، و في رواية : اجركم شيئا قالوا : لا ، قال فانه و في رواية فانما ، و لم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها ، و هي تكرار على ما سبق (٥) من ظ و م ، و في الأصل : لقنه - كذا .

من الجماع في نهار رمضان ، وكان ذلك مما لم يأذن به بل نهى عنه كما
 روى أبو داود^١ عن أنس رضى الله عنه والطبراني في الاوسط عن سهل
 ابن حنيف رضى الله عنه أن النبی صلی الله عليه وسلم قال : لا تشددوا
 على أنفسكم ، فانما هلك من كان قبلکم بتشديدهم على أنفسهم ، و يستجدون
 بقاياهم في الصوامع و الدیارات . و كان بعض الصحابة - رضى الله عنهم ٥
 أجمعين - قد ظاهر مطلقا فشكت امرأته ما لحقها من الضرر إلى رسول الله
 صلی الله عليه وسلم و هتفت^٢ باسم الله ، و كان عليه سبحانه بخصوص
 شكایة هذه المرأة المسکينة^٣ و إزالة ضررها [بحکم -^٤] عام لها و اغیرها
 من عياده حتى صارت و اقعتها رخصة عامة للسليين إلى يوم القيامة معلما
 بأنه ذو الفضل العظيم ، و أنه الظاهر الباطن ، ذو الملك كله ، و كان قد أمر ١٥
 بالإيمان به و برسوله و وعد على ذلك بالنور ، [كان -^٥] السامع لذلك
 جديرا^٦ بتوقع البيان الذي هو النور في هذه الرهبانية التي ابتدعت [في -^٧]
 هذه الامة ، و تخفيف الشدید الذي وقع عن بعضهم ليعلم أهل الكتاب
 ما لهذه الامة من الكرامة^٨ على ربها^٩ و أنه يختص برحمته من يشاء
 فقال : ﴿ قد سمع الله ﴾ أى أجاب^{١٠} بعظيم فضله الذي أحاط بجميع صفات ١٥
 الكمال فوسع^{١١} سمعه الأصوات ﴿ قول ﴾ و عبر بالوصف دون الاسم

(١) راجع السنن ٢/ ٣٢٤ (٢) م س ظ و م : و في الأصل : عتقت (٣) من ظ
 و م ، و في الأصل : الشکية (٤) ريد م س م و مد (٥) من ظ و م ، و في
 الأصل : حدير (٦-٧) م س م ، و في الأصل و ظ : لربها (٧) في ظ : اجاز .
 (٨) من ظ . و في الأصل و م : سمع .

تعريفا برحمته الشاملة فقال : ﴿ التي تجادلك ﴾ أى تبالغ فى أن تقبلك
إلى مرادها ﴿ فى زوجها ﴾ أى فى الأمر المخلص له من ظهاره رحمة
لها^١ ﴿ وتشتكى ﴾ أى تعتمد بتلك المجادلة الشكوى ، منتهية ﴿ الى الله ﴾
أى الملك العظيم الرحيم الذى أحاط بكل شئ علما ، ولصدقها فى
هـ شكواها و قطع رجائها فى كشف ما بها من غير الله كانت هى والى
صلى الله عليه وسلم متوقعين أن الله يكشف ضررها ﴿ والله ﴾ أى والحال
أن الذى وسعت رحمته كل شئ لأن له الأمر كله ﴿ يسمع تحاوركما ﴾
أى مراجعتكما التى يحور - أى يرجع - [فيها -^٢] إلى كل منكما جواب
كلامه من الآخر كأنها لثقل ما قدح فى أمرها ونزل من ضررها ناشئة
١٠ عن^٣ حيرة

ولما كان ذلك فى غاية ما يكون من خرق العادة بحيث أن الصديقة
عائشة رضى الله عنها قالت عند نزول الآية : « الحمد لله الذى وسع سمعه
الاصوات ، لقد كلمت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا فى جانب
البيت ما أسمع كثيرا عما تقول ، أكده تنبيها على شدة غرابته
١٥ [ولأنه -^٤] ربما استبعده من اشتد جهله لعراقته فى التقيد^{*} بالعادات
فقال : ﴿ ان الله ﴾ أى الذى أحاط بجميع صفات الكمال فلا كفوء له
﴿ سميع بصير ﴾ أى بالغ السمع لكل مسموع ، والبصر لكل ما يبصر
والعلم لكل / ما يصح أن يعلم أزلا وأبدا ، وقد مضى نحو هذا التناسب

/ ٢٣٠

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : بها (٢) زيد من ظ (٣) من ظ و م ، وفى
الأصل : من (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : التقيد .

في المائدة حين أتبع تعالى آية القيسيين والرهبان قوله تعالى "يا أيها الذين [امنوا -] لا تحرموا طيات ما أحل الله لكم" غير أن هذا خاص وذاك^٢ عام، فهذا فرد منه، فالمناسبة واحدة لأن الاخص في ضمن الأعم، والحاصل أنه سبحانه امتن عليهم بما جعل في قلوبهم من الرهبانية وغيرها، وأخبر أنهم لم يوفوها حقها، وأنه آتى مؤمنهم الأجر،^٥ وأمر المسلمين بالتقوى وإتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ليحصل لهم من فضله العظيم ضعف ما حصل لأهل الكتاب، ونهاهم عن التشديد على أنفسهم بالرهبانية، فصاروا مفضلين من وجهين: كثرة الأجر وخفة العمل، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء - والله أعلم، روى البزار^٢ من طريق خفيف عن عطاء ومن غيرها أيضا عن ابن عباس رضي الله عنهما^{١٠} أن رجلا قال: يا رسول الله! إني ظاهرت من امرأتى ورأيت ساقها في القمر فواقعتها قبل أن أكفر، قال: كفر ولا تعد - وروى أبو داود^٩ عن عكرمة أن رجلا ظاهر من امرأته ثم واقعها قبل أن يكفر، فأنى صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال: ما حملك على ما صنعت؟ قال: رأيت ياض ساقها في القمر، قال: فاعتزلها حتى تكفر عنك. قال المنذرى: ١٥ وأخرجه أيضا عن عكرمة عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن عكرمة عن [ابن -^٦] عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم بمعناه،

(١) راجع آية ٨٧ (٢) من ظ و م، وفي الأصل: هذا (٣) ما وجدناها في مجمع الزوائد في مضانها (٤) من ظ و م، وفي الأصل: فواقعتها (٥) راجع السنن ١ / ٣١٠ (٦) زيد من ظ و م .

و أخرجه النسائي^١ وابن ماجه^٢ و الترمذى^٣ - وقال : [حديث -^٤] حسن غريب صحيح - وقال النسائي : المرسل أولى بالضواب من المستند ، وقال أبو بكر المعافى^٥ : ليس في الظهار حديث صحيح يعول^٦ عليه ، قال المنذرى : وفيما قاله نظر ، فقد صححه^٧ الترمذى كما ترى ، و رجال إسناده ثقات ، و سماع بعضهم من بعض مشهور ، و ترجمة عكرمة^٨ عن ابن عباس رضى الله عنهما احتج بها البخارى في غير موضع - انتهى . و للترمذى^٩ - وقال : حسن غريب - عن سلمة بن صحر رضى الله عنه في المظاهر يواقع قبل أن يكفر قال : كفارة واحدة . و روى أحمد^{١٠} و الحاكم^{١١} و أصحاب السنن^{١٢} إلا النسائي و حسنه الترمذى ، قال ابن الملقن : و صححه ابن حبان و الحاكم - من طريق سليمان بن يسار عن سلمة بن صحر البياضى رضى الله عنه قال : كنت امرأ أصيب من النساء ما لا يهيب غيرى ، فلما دخل شهر رمضان خفت أن أصيب من امرأتى شيئاً [يتابع بى -^{١٣}] حتى أصبح^{١٤} فظاهرت منها حتى ينسلخ شهر رمضان ، فيتناهى تخدمنى ذات ليلة تكشف^{١٥} لى منها شيء فالبثت أن نزوت عليها^{١٦} ، فلما أصبحت

(١) راجع السنن ٢ / ٨٨ (٢) راجع السنن ص : ١٥٠ (٣) راجع الجامع ١ / ١٤٤ (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : العامرى ، و راجع ترجمته معجم المؤلفين ١١ / ٦١ (٦) من ظ و م ، وفي الأصل : يقول (٧-٧) سقط ما بين الرقيين من ظ (٨) راجع الجامع ١ / ١٤٣ (٩) راجع المستند ٤ / ٣٧ (١٠) راجع المستدرك ٢ / ٢٠٣ (١١) راجع سنن ابن ماجه ص ١٥٠ و سنن أبى داود ١ / ٣٠٨ و سنن الدارمى ص ٢١٥ و جامع الترمذى ١ / ١٤٤ (١٢) من ظ و م ، وفي الأصل : يصبح (١٣) من م ، وفي الأصل و ظ : تكشفت (١٤) من ظ و مد ، وفي الأصل : عنها .

خرجت إلى قومي فأخبرتهم الخبر وقلت : امشوا معي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالوا : لا والله : فانطلقت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته ، فقال : أنت بذاك^١ يا سلمة ؟ قلت : أنا بذاك^٢ يا رسول الله - مرتين ، وأنا صابر لأمر الله ، فاحكم في بما أراك الله ، وفي رواية : فأما في حكم الله فاني صابر لذلك ، قال : حرر رقبة ، قلت : والذي بعثك ه بالحق ما أملك غيرها - وضربت / صفحة رقبتي^٣ ، قال : فصم شهرين متتابعين ، قلت : وهل أصبت الذي أصبت إلا من الصيام ، قال : فأطعم وسقا من تمر بين ستين مسكينا ، قال : والذي بعثك بالحق ، لقد بتنا وحشين ما لنا طعام ، قال : فانطلق إلى صاحب صدقة بني زريق فليدفعها إليك فأطعم ستين مسكينا وسقا من تمر وكل أنت وعيالك بقيتها ، فرجعت ١٠ إلى قومي فقلت : وجدت عندكم الضيق وسوء الرأي ، ووجدت عند النبي صلى الله عليه وسلم السعة وحسن الرأي ، وفي رواية : والبركة ، وقد أمرني - أو أمر لي^٤ - بصدقكم ، وفي رواية : فادفعوها إلي ، فدفعوها إلي . وأعله عبد الحق بالانقطاع ، وأن سليمان لم يدرك سلمة ، حكى ذلك الترمذي عن البخاري ، وقال الترمذي : إن سلمة بن صخر يقال له سلمان ١٥ أيضا ، ورواه الإمام أحمد [أيضا -^٥] من طريق أخرى^٦ قال حدثنا عبد الله بن إدريس - هو الأودي - عن محمد بن إسحاق عن محمد بن

(١) من ظ ، وفي الأصل و م : قال (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : ذاك .

(٣) من م ، وفي الأصل و ظ : بذلك (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : عنقي .

(٥ - ٥) من ظ و م ، وفي الأصل : امرني (٦) زيد من ظ و م (٧) راجع

عمرو بن عطاء عن [سليمان بن يسار عن -^١] سلة بن صخر الياضى رضى الله عنه قال : كنت امرءاً أصيب من النساء ما لا يصيب غيرى ، فلما دخل شهر رمضان خفت فظاهرت من امرأتى فى الشهر فينأ^٢ هى تخدمنى ذات ليلة إذ تكشف لى منها شيء فلم البث^٣ أن وقعت عليها ، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال : حرر رقبة ، قلت : و الذى بعثك بالحق ، ما أملك غير رقبتي ، قال : صم شهرين متتابعين ، قلت : و هل أصابنى ما أصابنى إلا فى الصيام ؟ قال : فأطعم ستين مسكيناً^٤ . وهذا سند حسن متصل إن شاء الله إن سلم من تدليس ابن إسحاق ، و روى [الحاكم و -^٥] البيهقي^٥ من طريق محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان و أبى سلة بن عبد الرحمن ١٠ أن سلة بن صخر الياضى رضى الله عنه جعل امرأته عليه كظهر أمه إن غشيها حتى يمضى رمضان ، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أعتق^٦ رقبة . وقصة سلة هذه أصل الظهار الموقت ، و قد دلت على أنه لا عود فيه فلا كفارة عليه [إلا -^٧] بوطئها فى مدة الظهار ، و روى أبو داود^٨ عن خويلة بنت مالك بن ثعلبة رضى الله عنها قالت : ١٥ ظاهر منى زوجى أوس بن الصامت رضى الله عنه فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم أشكو إليه و رسول الله صلى الله عليه وسلم يجادلنى فيه

(١) زيد من المسند (٢) من م ، وفى الأصل و ظ : فينأ (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : فلم ائلت - كذا (٤) زيد من ظ ، و راجع المستدرک ٢/ ٣٠٤ (٥) راجع السنن الكبرى ٧/ ٣٩٠ (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : اعتقت . (٧) زيد من ظ (٨) راجع السنن ١/ ٣٠٩ .

ويقول: اتق الله فإنه ابن عمك، فابرحت حتى نزل [القرآن - ٢]
 "قد سمع الله" إلى القرض، فقال: يعتق رقبة، قالت: لا يجد، قال:
 بصوم شهرين متتابعين، قالت: يا رسول الله، إنه شيخ كبير ما به من
 صيام، قال: فليطعم ستين مسكينا، قالت: ما عنده من شيء يتصدق
 به، قالت: فأني ساعثذ بعرق من تمر، قلت: يا رسول الله، فاني أعينه ه
 بعرق آخر، قال: قد أحسنت اذهبي فأطعمي بها عنه / ستين مسكينا،
 وارجعي إلى ابن عمك، قال: والعرق ستون صاعا، وفي رواية: والعرق
 مكمل يسع ثلاثين صاعا، وروى الدارقطني أن أنس بن مالك رضى الله
 عنه قال: إن أوس بن الصامت رضى الله عنه ظاهر من امرأته خويلة
 بنت ثعلبة رضى الله عنها فشكت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: ١٠
 ظاهر مني [حين - ٢] كبر سني ورق عظمي، فأنزل الله آية الظهار، فقال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم لأوس: أعتق رقبة، قال: ما لي بذلك
 يدان، قال: فسم شهرين متتابعين، قال: أما أني إذا أخطأتني أن آكل في
 اليوم مرتين يكل بصري، قال: فأطعم ستين مسكينا، قال: ما أجد إلا
 [أن - ١] تعني "منك بعون" وصلة، فأعانه رسول الله صلى الله عليه وسلم ١٥

(١) زيد بعده في الأصل: لي، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفناها (٢) من
 ظ و م، وفي الأصل: اتق (٣) زيد من م و مد (٤) من ظ و م، وفي
 الأصل: قال (٥-٥) من م، وفي الأصل و ظ: فيه (٦) من م، وفي الأصل
 و ظ: مكمل (٧) راجع السنن ص: ٤٢٢ (٨) من ظ و م، وفي الأصل:
 صم (٩) من ظ و م، وفي الأصل: بصر (١٠) زيد من م (١١-١١) من ظ
 و م وفي الأصل: بعون منك.

بخمسة عشر صاعا 'حتى جمع' الله له، و الله 'رحيم، قال: وكانوا يرون أن
عنده مثلها، و'ذلك لستين' مسكينا، و للدارقطني [أيضا-] و البيهقي أن
خولة^٥ بنت ثعلبة رضى الله عنها رآها زوجها و هو أوس بن الصامت
أخو عبادة^٦ رضى الله عنهما و هى تصلى فراودها فأبت فغضب، وكان به^٧ لم
و خفة فظاهر منها، فأنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: إن
أوسا تزوجنى و أنا شابة مرغوب فى^٨، فلما خلا سنى و نثرت له بطنى جعلنى
عليه كأمه . و للطبرانى^٩ من طريق أبى معشر عن^{١٠} محمد بن كعب القرظى
قال^{١١}: كانت خولة بنت ثعلبة تحت أوس بن الصامت وكان به^{١٢} لم،
فقال فى بعض هجراته: أنت على^{١٣} كظهر أمى، قال: ما أظنك إلا قد
حرمت على^{١٤}،^{١٥} فجاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله
إن أوس بن الصامت أبو ولدى و أحب الناس إلى^{١٦}، و الذى أنزل
عليك الكتاب ما ذكر طلاقا، قال: ما أراك إلا قد حرمت عليه، فقالت:
يا رسول الله لا تقل كذلك و الله ما ذكر طلاقا، فرأدت النبي صلى الله

(١-١) من ظ و م، و فى الأصل: مجمع (٢) زيد فى الأصل: غفور، ولم تكن
الزيادة فى ظ و م و السنن لحذفها (٣-٣) من م، و فى الأصل و ظ: لذلك
ستين (٤) ما وجدنا فى نطائنها (٥) زيد من م (٦) راجع السنن الكبرى ٣٩٢/٧
(٧) فى ظ: خويلة (٨) من ظ و م، و فى الأصل، ابو عبيدة (٩) من ظ و م،
و فى الأصل: بهم (١٠) لم يذكر فى مجمع الزوائد من هذا الطريق (١١) زيد
فى الأصل: الى، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (١٢) من ظ، و فى
الأصل و م: قالت (١٣) زيد فى الأصل: قال، و لم تكن الزيادة فى ظ و م
لحذفها .

عليه وسلم مرارا، ثم قالت : اللهم إني أشكو إليك فاقى و وحدى وما يشق عليّ من فراقه - الحديث ، و من طريق أبي العالية قال : فجعل كلما قال لها " حرمت عليه " هتفت وقالت : أشكو إلى الله ، فلم ترم مكانها حتى نزلت الآية ، و روى أبو داود^١ عن هشام بن عروة أن جميلة كانت تحت أوس بن الصامت و كان رجلا^٢ به لم فكان إذا اشتد به هلمه ظاهر من امرأته فأنزل الله عز وجل فيه كفارة الظهار ، و أخرجه من حديث عروة عن عائشة رضی الله عنها مثله . [و - ٢] قال القشيري : و في الخبر أنها قالت : يا رسول الله ! إن أوسا تزوجني شابة غنية ذات أهل و مال كثير ، فلما كبر عنده سنى ، و ذهب مالى و تفرق أهلى ، جعلنى عليه كظهر أمه ، و قد ندم و ندمت ، و إن لى صبية صغارا إن ضممتهم ١٠ إليه ضاعوا ، و إن ضممتهم إلى جاعوا ، يعنى ففرج الله عنها ، و قد حصل من هذا مسألة ، و هو أن كثيرا من الأشياء ظاهر / العلم يحكم فيه بشئ .

ثم الضرورة تغير ذلك الحكم لصاحبها ، قال البغوى^٣ : و كان هذا أول ظهار^٤ في الإسلام ، و قال أبو حيان^٥ : و كان عمر رضى الله عنه يكرم خولة رضى الله عنها إذا دخلت [عليه و يقول - ٩] : سمع الله لها ، فالمظاهرة ١٥ في حديث سبله رضى الله عنه موقته ، و في حديث خولة رضى الله عنها

٢٣٣ /

(١) راجع السنن ١/ ٢٠٩ (٢) من م ، و في الأصل وظ : رجل (٣) زيد من م .
 (٤) سقط من ظ و م (هـ) في معالم التنزيل بهامش الباب ٧ / ٢٦ (٦-٦) من ظ و م و المعالم ، و في الأصل : هو (٧) من ظ و م و المعالم ، و في الأصل : الظهار (٨) في البحر المحيط ٨ / ٢٣٢ (٩) زيد من ظ و البحر .

مطلقة، وهي في قضية سلمة رضى الله عنه ومن لحا نحوه رهبانية مبتدعة لم ترغ حق رعايتها كرهانية النصارى، ولم يتبع النبي صلى الله عليه وسلم في ابتداعها حق الاتباع^١، وأما في قضية نحوه رضى الله عنها فهي مصيبة كان ينبغي فيها التسليم وعدم الحزن كما في آية "لكيلا تأسوا لله" الآية على أن امتناعها من زوجها حين راودها فيه إلام بالرهبانية^٢، وإزالة شكائتها مع أنها امرأة ضعيفة من عظيم الفضل، وزاده عظام جعله [حكما - ٢] عاما لمن وقع فيه من جميع الأمة.

ولما أتم تعالى الخبر عن إحاطة العلم، استأنف الإخبار عن حكم الأمر المجادل بسببه، فقال ذاما للظاهر، وكاسيا له ثوب العار: ﴿الذين﴾ ١٠. ولما كان الظاهر منكرا لكونه كذبا، عبر بصيغة التفعّل الدالة عليه فقال: ﴿يظهرون﴾ أى يوجدون الظاهر في أى رمضان [كان - ٣] وكانه أدغم تاء التفعّل والمفاعلة لأن حقيقته أنه يذهب ما أحل الله له من مجامعة زوجته. ولما كان الظاهر خاصا بالعرب دون سائر الأمم، نبه على ذلك تهجينا^٤ له عليهم وتقييحا لعادتهم فيه، تنبيها على أن اللاتق ١٥ بهم أن يكونوا أبعد الناس من^٥ هذا الكلام لأن الكذب لم يزل

(١) من ظ و م، وفي الأصل: الانتداع (٢) من ظ و م، وفي الأصل: من الرهبانية (٣) زيد من ظ و م (٤) من م، وفي الأصل و ظ: الحكم. (٥) من م، وفي الأصل و ظ: تهيج (٦) زيد في الأصل: ذلك، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها.

مستهجنا عدم في الجاهلية ، ثم [ما - '] زاده الإسلام [إلا - ']
استهجانا فقال : (منكم) أى أيها العرب المسلمون الذين يستقبلون
الكذب ما لا يستقبلونه غيرهم وكذا من دان دينهم (من نسائهم) أى
يحرمون نسائهم على أنفسهم تحريم الله عليهم ظهور أمهاتهم بأن^١ يقول
أحدهم^٢ لزوجته شيئا من صرائحه مثل : أنت على كظهر^٣ أى أو كنياته^٤ كانت ه
أى ، وكل زوج صبح طلاقه صبح ظهاره من حر أو عبد مسلم أو ذمى
دخل بالزوجة أو لا قاهرا كات على الجماع أو عاجزا^٥ ، صغيرة كانت
الزوجة أو كبيرة ، عاقلة كانت^٦ أو مجنونة ، سليمة كانت أو رتقاء ، مسلمة
كانت أو ذمية ، ولو كانت رجعية .

ولما كان^٨ وجه الشبه التحريم ، وكان للتحريم رتبتان^٩ : عليا موصوفة^{١٠}
بالتأييد والاخترام ، ودنيا خالية عن كل من الوصفين ، وكان التقدير
خبرا للبتدأ : مخطئون في ذلك لأنه كذب ، لأن التشبيه إن أسقطت أذاته^{١١}
لم يكن حمله على الحقيقة ليكون من الرتبة العليا ولو على أدنى أحوالها
من أنه طلاق لا رجعة فيه ، كما كانوا يعتقدونه ، وإن أثبتت ليكون^{١٢} من

- (١) زيد من م (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : أن (٣) من م ، وفي الأصل
و ظ : أحد (٤-٤) من م ، وفي الأصل : ظهر (٥) من ظ و م ، وفي الأصل :
كناية (٦) من م ، وفي الأصل و ظ : لا (٧) زيد في الأصل : الزوجة ،
ولم تكن الزيادة في ظ و م فحذفنا (٨) من ظ و م ، وفي الأصل : كانت .
(٩) من ظ و م ، وفي الأصل : رتبتين (١٠) من ظ و م ، وفي الأصل : أن
اشتبه (١١) من ظ و م ، وفي الأصل : أن يكون .

٢٣٤ / الدنيا لم يكن صحيحا لانه ممنوع منه لان التشريع إنما هو لله ، والله لم يكن يشرع ذلك ، وكان تعليل شق التشية يفيد معنى الخبر بزيادة^١ / التعليل ، حذف الخبر ، واكتفى بالتعليل فقال معللا له مهجنا للظهار الذى تعودته العرب من غير أن يشاركهم فيه أحد من الامم : ﴿ ما من ﴾ أى نساؤهم^٢ ﴿ امهتهم^٣ ﴾ على تقدير إرادة أحدهم [أعلى -^٢] رتبى التحريم ، والحاصل أنهم لما كانوا يعتقدون أنه طلاق لا رجعة فيه جعلوا معتقدين أن المرأة أم لان الحرمة المؤبدة^٤ من خصائص الام فخطبوا بذلك تقريرا لهم لانه أردع ، وفى سورة الاحزاب ما يوضح هذا .

ولما كانوا قد مروا على هذا الحكم فى الجاهلية ، واستقر^٥ فى أنفسهم استقرارا لا يزول إلا بغاية التأكيد ، ساق الكلام كذلك فى الشقين ١٠ فقال : ﴿ ان ﴾ أى ما ﴿ امهتهم^٦ ﴾ [أى -^٦] حقيقة ﴿ الا إلى ولدتهم^٧ ﴾ ونساؤهم لم تلدهم ، فلا يحرم عليهم حرمة مؤبدة للإكرام والاحترام ، ولاهر من ألحق بالأمهات بوجه يصح وكأزواج النى صلى الله عليه وسلم فانهن أمهات لما^٨ هن من حق الإكرام والاحترام والإعظام ١٥ ما لم يكن لغيرهن^٩ لان النى صلى الله عليه وسلم أعظم فى أبوة الدين من أب النسب [و -^{١٠}] كذلك المرضعات لما هن من الإرضاع

(١) فى م : زيادة (٢) من م ، وفى الأصل و ظ : نساؤهن (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : مؤبدة (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : استقروا (٦) زيد من م (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : لأنهن (٨-٨) سقط ما بين الرقنين من م .

الذى هو وظيفة الأم بالأصالة، وأما الزوجة فبإينة^١ لجميع ذلك .
ولما فرغ من تعليل الشق الأول على أتم وجه، أتبعه بتلليل
الآخر كذلك، فقال عاطفا عليه مؤكدا لأنهم كانوا قد ألفوا قوله
فأشربت قلوبهم: (وانهم) أى المظهرون^٢ (ليقولون) أى فى هذا
التظهر على كل حالة (منكرا من القول) ينكره^٣ الحقيقة^٤ والاحكام،^٥
قال ابن الملقن فى عمدة المحتاج: وهو حرام اتفاقا كما ذكره الرافعى فى
الشهادات. (وزورا^٦) أى قولاً مائلا عن السداد، منحرفا عن القصد،
لأن الزوجة معدة للاستمتاع الذى هو فى الغاية من الامتحان، والأم
فى غاية البعد عن ذلك لأنها أهل لكل احترام، فلا هى أم حقيقة
ولا شبيهة بها بأمر نصبه الشارع للاحترام كالإرضاع، وكونها فراشا^{١٠}
لعظيم كالتبى أو اللأب أو للحرمة كاللعان،^{*} فقد علم^{*} أن ذلك الكلام
ليس بصدق ولا جاء به مسوغ، فهو زور محض، وأخصر من هذا أن
يقال: ولما كان ظهارهم هذا يشتمل على فعل وقول^٦، وكان الفعل
هو التحريم الذى هو موضع وجه الشبه، [وكانت العادة فى وجه الشبه -^٧] أن
يقنع منه بأدنى ما ينطلق عليه الاسم، وكانوا قد خالفوا ذلك فجعلوه فى أعلى^{١٥}

(١) من ظ و م، وفى الأصل: فبإينة (٢) من م، وفى الأصل و ظ:
المظاهرين (٣-٢) من م، وفى الأصل و ظ: القول من (٤) زيد فى الأصل:
الاحكام، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥-٥) من ظ و م، وفى
الأصل: فعلم (٦-٦) من ظ، وفى الأصل و م: قول وفعل (٧) زيد من
ظ و م.

طبقاته وهو الحزمة المؤبقة التي^١ يلزم منها أن تكون المشابهة من كل وجه
 في الحرمة منع أن ذلك بغير مستند من الله تعالى الذي لا حكم لغيره، ألزمهم
 أن يكون الشبه من كل وجه^٢ مطلقا فيكونوا جاعلين الزوجة إما حقيقة
 لا دعوى كما جعلوا الحرمتين [كذلك من غير فرق بل أولى لأنه
 الشبه إنما وقع بين الحيتيتين لا بين الحرمتين -^٣] ثم وقفهم على جهلهم
 فيه فقال " ما هن " إلى آخره، ولما وقفهم على جهلهم في الفعل وقفهم على
 جهلهم في القول : فقال : (و-^٤) أنهم إلى آخره، قال النووي في الروضة : قال
 الأصحاب : الظهار حرام، وله حكايان : أحدهما تحريم الوطئ إذا وجبت
 الكفارة / إلى أن يكفر، والثاني وجوب الكفارة بالعود - انتهى ،

/ ٢٣٥

١٠. وهذا القول وإن أفاد التحريم فإنه يفيد لكونه ممنوعا منه على وجه
 ضيق^١ حرج المورد عسر المخرج ليكون عسره زاجرا عن الوقوع فيه، قال
 أبو عبد الله القزاز في ديوانه الجامع : و ظاهر الرجل امرأته^٢ و ظاهر من
 امرأته^٣ إذا قال : أنت عليّ كظهر أمي أو كذات محرم، وإنما استنصوا
 الظاهر في الظهار لأن الظاهر موضع الركوب، والمرأة^٤ مركب الرجل^٥
 ١٥ في النكاح فكفى به عن ذلك، فكأنه قال : ركوبك عليّ للنكاح كركوب
 أمي، وكان الظهار في الجاهلية طلاقا، ولذلك أشكل معنى قوله تعالى
 "ثم يعودون لما قالوا" وقال ابن الأثير في النهاية^٦ : ظاهر الرجل [من-^٧]

(١) من م، وفي الأصل و ظ : الذم (٢-٢) سقط ما بين الرقيين من ظ
 (٣) زيد من ظ و م (٤) زيد من م (٥) من م، وفي الأصل و ظ : كأنه -
 (٦) سقط من ظ (٧) راجع ٦٥/٣ (٨) زيد من ظ و م والنهاية .

امراته ظاهرا و تظهر و تظاهر [إذا قال لها : أبت على كيظهر أمي ،
وكان في الجاهلية طلاقا - ^١] ، و قيل : إنهم إرادوا أنت على كيطن أمي
أي كيجاعها ، فكنوا بالظهر عن البطن للجاورة ، و قيل إن إتيان المرأة
و ظهرها ^٢ إلى السماء ^٣ كان حراما عندهم ، وكان أهل المدينة يقولون :
إذا أبت المرأة و وجهها إلى الأرض جاء الولد أحول ، فلقصد ه
الرجل المطلق منهم إلى التغليظ في تحريم امرأته عليه شبهها بالظهر
ثم لم ينع بذلك حتى جعلها كظهر أمه ، وإنما عدى الظهار بـ "من" لأنهم
كانوا إذا ظاهروا المرأة تجنبوها كما يتجنبون المطلقة و يحترزون منها ،
فكان قوله : ظاهر من امرأته ، أي بعد و احترز منها كما قيل : آلى من
امرأته ، لما ضمن معنى التباعد عدى بـ "من" - [انتهى - ^٤] ، قال : و قال ابن ١٠
الملقن في العمدة شرح المنهاج : و كان طلاقا في الجاهلية ، و نقل عن
صاحب الحاوي أنه عندهم لا رجعة فيه ، قال : فنقل الشارع حكمه
إلى التحريم بعد العود و وجوب الكفارة - انتهى . و قال أبو حيان : قال
أبو قلابة [وغيره - ^٥] : كان الظهار في الجاهلية يوجب عندهم فرقة
مؤبدة .

١٥

و لما كان التقدير : فإن الله حرمه ، عطف عليه مرغبا في التوبة و داعيا
إليها قوله مؤكدا لأجل ما يعتقدون من غلظه و أنه لا مشوية فيه

-
- (١) زيد من ظ و م و النهاية (٢ - ٢) من ظ و م و النهاية ، و في الأصل :
للسماء (٣) من ظ و م ، و النهاية ، و في الأصل : ذلك (٤) زيد من م (٥) في
النهر اللاد من البحر المحيط ٢٣٠/٨ (٦) زيد من ظ و م و النهر (٧) من ظ و م ،
و في الأصل : به .

{ وان الله } أى الملك الأعظم [الذى - ١] لا أمر لاحد معه فى شرع ولا غيره { لعفو } من صفاته أن يترك عقاب من شاء { غفور } من صفاته أن يمحو عين الذنب و أثره حتى أنه كما لا يعاقب عليه لا يعاتب^٢، فهل من تائب طلبا للعفو عن زلله، والإصلاح لما كان من خلله .

ولما هجن^٣ سبحانه الظهار، وأثبت تحريمه على أبلغ وجه وآ كده، وكان ما مضت عليه العوائد لا بد أن يبقى منه بقايا، أتبع ذلك بيان حكم هذه الواقعة وما لعله يقع من نظارها فقال : { والذين يظهرون } ولما كان فى بيان الحكم، أسقط التقييد [علاما بعمومه الكافر كعمومه^٤ ١٠ المسلم ليفيد تغليظ العقاب [عليه - ١] لثلاث يوم أنه يخص العرب الذين قصد تهجينه^٥ عليهم بأنهم^٦ افردوا به عن سائر الناس فقال : { من نسأهم } بدون "منكم" .

ولما كان مقتضى اللفظ المباعدة من قيل ذلك فيها، فكان إمساكها بعده ينبغى أن يكون فى غاية البعد، / قال مشيرا إلى ذلك [بأداة - ١]
 (١) زيد من ظ و م (٢) زيد بعده فى الأصل : انه، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٣) من م، وفى الأصل : لا يعاقب، و « عليه لا يعاتب » ساقطة من م (٤) من ظ و م، وفى الأصل : هجا (ه) من م، وفى الأصل و ظ : قال (٦) زيد فى الأصل : فى، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٧-٧) من ظ و م، وفى الأصل : قصدت هجينة (٨) من م، وفى الأصل و ظ : انهم .
 البعد (٨٧) ٣٤٨

البعد (ثم يعودون) أى بعد هذا القول (لما قالوا) بالفعل بأن يعاد هذا القول مرة أخرى أو بالقوة بأن يمسكوا المقول ذلك لها^١ زمنا يمكن أن يعاد فيه هذا القول مرة ثانية من غير مفارقة بلفظ مما ناط الله^٢ الفرقه به^٣ من طلاق [أو -^٢] سراح^٤ أو نحوهما، فيكون المظاهر عائدا إلى هذا القول بالقوة لإمكان [هذا -^٢] القول فى ذلك الزمن، هـ
وذلك لأن العادة قاضية بأن من قال قولاً [ولم يته -^٢] وينجزه ويمضه بأن يعود إلى قوله مرة أخرى ولم جراً، أو يكون التقدير لنقض ما قالوا: فيحلوا ما حرموا على أنفسهم بعدم البت بالطلاق، فإن كان الظاهر معلقاً لم يلزم حكمه إلا بالحنث، فإن طلق فى الحال^٥ وإلا لزمته [الكفارة -^٢]، وحق العبارة التعبير باللام لدلالاتها على ١٠
الاتصال كما يقتضيه الحال بخلاف " إلى " فإنها تدل على مهلة و تراخ، هذا فى الظاهر المطلق، وأما الوقت يوم أو شهر أو نحو ذلك فلا يكون عائدا فيه إلا بالوطى^٦ فى الوقت المظاهر فيه، وأما مجرد إمساكها فليس يعود لأنه إنما أمسكها لما [له -^٧] فيها من الحل بعد وقت الظاهر .

١٥

ولما كان المبتدأ الموصول مضمناً معنى الشرط، أدخل الفاء فى

خبره ليفيد السببية فيتكرر الوجوب بتكرر سببه فقال: (فتحرير)

(١-١) من ظ وم ، وفى الأصل : لها ذلك (٢-٢) من ظ وم ، وفى الأصل :
به الفرقه (٣) زيد من ظ وم (٤) من ظ ، وفى الأصل وم : سراحا (٥) من
ظ وم ، وفى الأصل : الحلال (٦) من ظ وم ، وفى الأصل : للالة - كذا .
(٧) زيد من ظ .

أى فعلهم بسبب هذا الظهار و العود تحرير ﴿ رقة ﴾ اى سليمة عن عيب يخل بالعمل كاملة الرق مقيدة [أيضا - '] بمؤنة لأنها قيدت [بذلك - '] فى كفارة القتل ، فيحمل هذا على ذاك ، ولأن معاوية ابن الحكم رضى الله عنه كانت له جارية فقال للنبي صلى الله عليه وسلم :
 ٥ على رقة أفأعتقها ، فسألها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله^٢ فأخبرته بما دل على توحيدها^٣ فقال : من أنا ؟ فقالت : أنت رسول الله ، قال : أعتقها فانها مؤمنة - رواه^٤ مالك^٥ و مسلم^٦ ، فعمل الإجزاء بالإيمان ولم يسأله عن سبب الوجوب ، فدل على أنه لا فرق بين واجب و واجب ، و الموجب للكفارة [الظهار - '] و العود جميعا كما أن الموجب فى اليمين [اليمين - ']
 ١٠ و الحنث معا .

ولما كان التحرير لا يستغرق زمن القبل بل يكون فى بعضه ، أدخل الجار فقال : ﴿ من قبل ﴾ و لما كان المراد المس بعد المظاهرة لا مطلقا قال : ﴿ ان يتماسا ﴾ أى يتجدد منهما مس وهو الجماع سواء كان ابتداء المباشرة منه أو منها بما أفادته صيغة التفاعل ، وهو حرام
 ١٥ قبل التكفير ولو كان على أدنى وجوه^٨ التماس و أخفاها بما أشار إليه الإدغام و لو كان بإبلاج الحشفة فقط مع الإنزال أو بدونه ، وأما

(١) زيد من ظ و م (٢ - ٢) سقط ما بين الرقين من ظ (٣) من ظ و م ،
 وفى الأصل : توحيد (٤) فى ظ : رواها (٥) راجع الموطن - العتق (٦) راجع صحيح مسلم - المساجد (٧) زيد من م (٨) من م ، وفى الأصل وظ : الوجوه .

مقدمات الجماع فهي^١ فيها كالحائض لا تحرم على الأظهر ، فان جامع عصى ولم يجب كفارة أخرى ، لما روى الترمذى عن سلمة بن صخر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في المظاهر يواقع قبل أن يكفر ، قال : كفارة واحدة^٢ .

ولما كان الوعظ هو الزجر عن الفعل الموعوظ لأجله ، قال هـ
مستأنفا : ﴿ ذلكم ﴾ أى الزجر العظيم جد الذى هو عام لكم من غير شبهة
﴿ توعظون به^٣ ﴾ أى يكون / بمشقة زاجرا لكم عن العود إلى مقاربة
مثل ذلك فضلا عن مقارفته لأن من حرم من أحلها الله تحريرا
متأبدا^٤ على زعمه [كان -^٥] كأنه قد قتلها ، ولكون [ذلك -^٦] بلفظ
اخترعه و انتهك فيه حرمة^٧ أمه كان^٨ كأنه قد عصى معصية أو بقى بها نفسه ١٠
كلها إياها أخرجه إلى [أن -^٩] يقتلها عضوا عضوا باعتاق [رقبة -^{١٠}]
تماثل رقبته ورقبة^{١١} من كان قتلها .

ولما كان التقدير : فانه بما يردعكم بصير ، عطف عليه قوله : ﴿ والله ﴾ أى
الذى له الإحاطة بالكمال ، وقدم الجار إشارة إلى إرادة المبالغة للتنبيه على
الاهتمام بالزام الانتهاء عن ذلك فقال : ﴿ بما تعلمون ﴾ أى تجددون فعله ١٥
﴿ خبيره ﴾ أى عالم بظاهره و باطنه ، فهو عالم بما يكفره ، فافعلوا ما أمر الله^{١٢} به
وقفوا عند حدوده ، قال القشيري : [والظهار -^{١٣}] وإن لم يكن له فى

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : فهو (٢) مضى الحديث قبل صفحات .

(٣) من ظ و م ، وفى الأصل : مويدا (٤) زيد من ظ و م (هـ-هـ) من ظ

وم ، وفى الأصل : انه (٦) من ظ ، وفى الأصل : رغبة (٧) سقط

من م .

الحقيقة أصل ولا بتصحيحه نطق ولا له شرع ، بعد ما رفع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره ولوح بشئ ما وقال : إنه حكمه لم يخل الله من بيان ساق إليه شرعه ففضى فيه بما انتظم فيه الجواب ارتفاع شكواها .

٥ ولما كانت الكفارة مرتبة ، وكان المظاهر كأنه قد قتل نفسه بقتل المظاهر عنها كما مضى ، فكان مفتقرا إلى ما يحيى نفسه فشرع له العتق الذى هو كالإحياء ، شرع له عند العجز عنه ما يميت نفسه التى إمامتها له إحيائها ، وكان الشهران نصف المدة التى ينفخ فيها الروح ، فكان صومها كنصف قتل النفس التى قتلها إحياء الروح وإنعاش العقل ، فكان كأنه ١٠ إمامتها^٢ فجعله سبحانه بدلا عن القتل الذى هو كالإحياء فقال : ﴿فن لم يجد﴾ أى الرقة المأمورها بأن كان فقيرا ، فان كان غنيا وماله غائب فهو واجد ﴿فصيام﴾ أى فعلية صيام ﴿شهرين﴾ . ولما كان المراد كسر النفس كما مضى ، وكانت المتابعة أنكا ولذلك سمي رمضان شهر الصبر ، قيد بقوله : ﴿متتابعين﴾ أى على أكمل وجوه التابع على حسب ١٥ الإمكان بما أشار إليه الإظهار ، فلو قطع التابع بشئ ما ولو كان بنفسان النية وجب عليه الاستئناف والإغماء لا يقطع التابع لأنه ليس فى الوسع وكذا الإفطار ببيض أو نفاس أو جنون بخلاف الإفطار بسفر أو مرض^٣ أو خوف^٤

(١) زيد فى الأصل : به ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لخذفناها (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : الذى (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : إمامتها (٤) من م ، وفى الأصل و ط : ان (٥) زيد فى الأصل : شهر رمضان (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : كذلك (٧-٧) من ظ و م ، وفى الأصل : خوف أو مرض أو خوف .

على حمل أو رضيع لأن الحيض معلوم فهو مستثنى شرعاً، وغيره مغيب
[المقل - ١] مزيل للتكليف، وأما المرهن ونحوه ففيه تعمد الإنظار
مع وجود العقل.

• ولما كان الإمساك من المسيس قد يكون أوسع من الشهرين،

أدخل الجار فقال: (من قبل) وحل المصدر إفادة^٢ لمن يكون ه
بعد المظاهرة فقال: (ان يتأما) فان جامع ليلا عصى ولم يقطع
التابع. ولما كان إطعام نفس قوت نصف يوم كاماتة نفسه بالصيام

يوماً قال تعالى: (فمن لم يستطع) أى يقدر على الصيام قدرة تامة -

٢٣٨ /

بما أشير إليه إظهار التاء لهرم أو مرض أو شقي مفرط يهيج^٣ الصوم
(فاطعام) أى فعله إطعام (ستين مسكيناً) لكل مسكين ما يقوته ١٠
نصف يوم، وهو مد بمد النبي صلى الله عليه وسلم وذلك نحو نصف
قدح بالمصرى، وهو ملء حفتين بكفى معتدل الخلق من غالب قوت
البلد، وهو كما فى الفطرة سواء، وحذف قيد المهاسة لذكره فى الأولين،
ولعل الحكمة فى تخصيص هذا به أن ذكره فى أول الخصال لا بد منه،
وإعادته فى الثانى لطول مدته فالصبر عنه فيها مشقة، وهذا يمكن أن ١٥
يفعل فى لحظة لطيفة لا مشقة للصبر فيها عن المهاسة، هذا إذا عاد، فان
وصل الظهار بالطلاق أو مات أحدهما فى الحال قبل إمكان الطلاق فلا

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، وفى الأصل: إعادة (٣) من م. وفى
الأصل و ظ : وجهه (٤) من م، وفى الأصل و ظ : الحلقة (٥) من ظ و م،
وفى الأصل : اعتاقه (٦) فى ظ : فيه.

كفارة، قاله البغوي^١؛ لأن العود^٢ فيه القول^٣ هو المخالفة، وفسر ابن عباس رضي الله عنهما العود بالندم فقال: يندمون و يرجعون إلى الآلة، وهذا يدل على ما قال الشافعي رضي الله عنه: فان ظاهر [عن -^٢] الرحمة ان يعقد ظهاره^٤ فان راجعها لزمته الكفارة لأن الرحمة يعود.

٥ ولما ذكر الحكم، بين علته ترغيبا فيه فقال: ﴿ذلك﴾ أي الترخيص العظيم لكم و الرفق بكم و البيان الشافي^٥ من أمر^٦ الله الذي هو موافق للحقيقة السمحة ملة إبراهيم عليه الصلاة و السلام كان ﴿لتؤمنوا﴾ [أي -^٦] وهذا الفعل العظيم الشاق ليتجدد إيمانكم و يتحقق وجوده ﴿بالله﴾ أي الملك الذي لا أمر لاحد معه قطيعوه بالانسلاخ من فعل الجاهلية ﴿ورسوله﴾ الذي تعظيمه من تعظيمه و قد بعث بملة [أي -^٦] إبراهيم عليهما الصلاة و السلام، فلو ترك هذا الحكم الشديد على ما كان عليه في الجاهلية لكان مشككا في البعث بتلك الملة السمحة.

ولما رغب في هذا الحكم، رهب من التهاون به فقال: ﴿وتلك﴾ أي^٧ هذه الأفعال المزيكية و كل ما سلف من أمثالها في هذا الكتاب ١٥ الاعظم ﴿حدود الله﴾ أي أوامر الملك الاعظم و نواهيه و أحكامه التي يجب امتثالها و التقيد بها لترعى حق رعايتها فالتزموها^٨ و تقوا

(١) راجع العالم بهامش الباب ٧ / ٣٨ (٢ - ٢) في العالم: لقول (٣) زيد من العالم (٤) من ظ و م، وفي الأصل: ظاهرة (٥ - ٥) من ظ و م، وفي الأصل: لأمر (٦) زيد من ظ و م (٧) وبيت الواو في الأصل ولم تكن في ظ و م فحذفناها (٨) من ظ و م، وفي الأصل: احكامها (٩) من ظ و م، وفي الأصل: قالتموها.

عندها ولا تعدوها^١ فإنه لا يطاق انتقامه إذا تعدى نقضه لو^٢ إرادته .
 ولا كانت التقدير^٣ ظالمين بها جنات للغير عطف عليه قوله
 (والكافرين) أي للعريقين في الكفر [بها -]^٤ أو بشئ من شرائع
 (عذابهم) بما آلموا المؤمنين به من الاعتداء .

ولما ذكر حدوده ، و لوح بالعطف على غير معطوف عليه إلى هـ
 بشارة حافظها ، و صرح بتهديد متجاوزها : أتبع ذلك تفصيل عذابهم
 الذي منه بشارة المؤمنين بالضر عليهم ، فقال مؤكدا لأجل إنكارهم لأن
 يغلبوا على كثرتهم وقوتهم و ضعف حزبه^٥ : (إن الذين يحاذون الله)
 أي يغالبون الملك الأعلى على حدوده ليجعلوا حدودا غيرها ، وذلك
 صورته صورة العداوة ، يحدد ذلك مستمرين عليه بأي محادة [كانت -]^٦
 ولو كانت / خفية^٧ - بما أشار إليه الإدغام كمحادة أهل الاتحاد الذين
 يتبعون المتشابه فيجروته^٨ على ظاهره فيخلون^٩ به المحكم لتخل الشريعة
 بأسرها ، فإن كثيرا من السورة^{١٠} نزل في المناهقين و اليهود و المهادين
 كما يأتي في النجوى وغيرها (ورسوله) الذي عزه من عزة^{١١} (كتبوا)
 أي صرعوا و كبوا لوجوههم و كسروا و أذلوا^{١٢} و أخزوا فلم يظفروا^{١٣}

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : ولا تعدوها (٢) من ظ و م ، وفي الأصل
 « و » (٣) زيد من م (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : حزبهم به (هـ) من ظ
 و م ، وفي الأصل : حقيقة (٦) من ظ و م ، وفي الأصل : بمحادة (٧) من
 ظ و م ، وفي الأصل : فيجرون (٨) من ظ و م ، وفي الأصل : فيجعلون .
 (٩) من م ، وفي الأصل و ظ : السور (١٠) من ظ و م ، وفي الأصل ،
 عزه (١١) من ظ و م ، وفي الأصل : أزلوا كذا .

ورموا بنظهم في [كل - ١] أمر يروونه من أي كلمت^١ كان بليسر
 أمر^٢ وأسهل^٣، و عبر بالماضي إشارة إلى تحقق وقوعه والفرغ من قضائه
 كما فرغ مما مضى، فلذا قال لتكون الدعوى مقرونة بدليلها^٤
 (كما كتبت الذين) ولما كان المحادون لم يستغرقوا جميع^٥ الأزمان
 الماضية^٦ والإماكن، أدخل الجارية فقال: (من قبلهم) أي المحادين
 كقوم نوح ومن بعدهم ممن أصر على العصيان، ولم ينقد لدليل
 ولا برهان، قال القشيري: ومن ضيع لرسول الله صلى الله عليه وسلم
 سنة وأحدث في دينه بدعة انحطت في هذا السلك، ووقع في
 هذا الذل.

١٠ ولما استوفى المقام حظه بيانا وترغيا وترهيبا، عطف على أول
 السورة أو^١ على ما يقدر من نحو: فقد كان لكم فيما مضى من أوله
 الإسلام إلى هذا الأوان بما يدل على كونه سبحانه بالنصر والموتة مع
 نبيه صلى الله عليه وسلم وأتباعه رضى الله عنهم معتبر، قوله: (وقد أنزلنا)
 [أى - ١] بما لنا من العظمة عليكم وعلى من قبلكم (أنت بينت)
 ٥ أى دلالات عظيمة هي في غاية البيان لذلك ولكل ما يتوقف عليه
 الإيمان بترك المحادة ويحصل الإذعان. ولما كان التقدير: فلبثتم بها
 نعيم مقيم في مقام أمين^٢، عطف عليه قوله: (وللكافرين) [أى - ١]

(١) زيد من ظ وم (٢) من ظ وم، وفي الأصل: أمر (٣ - ٣) من ظ
 وم، وفي الأصل: بأمره بأسهل (٤ - ٤) من م، وفي الأصل: الزمان الذي
 مضى، وفي ظ: الأزمان الذي مضى (٥) زيد في ظ وم: من (٦) من ظ
 وم، وفي الأصل: «و» (٧) من ظ وم، وفي الأصل: أمين.

الراشقين في الكفر بها وتغيرها من أمر الله ﴿عذاب مهين﴾ بما تكبروا
واغتروا على أولياء الله وشرائعه ، يهينهم^١ ذلك العذاب و يذهب عزهم
وشماختهم و يتركون به محادثهم .

و لما ذكر عذابهم ، [ذكر -^٢] وقته على وجه مقرر لما مضى من
شمول علمه و كماله قدرته فقال : ﴿ يوم يبعثهم الله ﴾ أى يكون ذلك في م
وقت إعادة الملك الأعظم للكافرين المصرح بهم و المؤمنين المشار إليهم
أحياء كما كانوا ﴿ جميعا ﴾^٣ في حال كونهم مجتمعين في البعث . و لما
كان لا أوجع من التبكيت بحضرة بمض^٤ الناس فكيف إذا كان بحضرتهم
كلهم فكيف إذا كان بمرأى من جميع الخلائق و مسمع . سبب عن
ذلك و عقب قوله : ﴿ فينبئهم ﴾ [أى -^٥] يخبرهم إخبارا عظيما مستقصى ١٠
﴿ بما عملوا^٦ ﴾ إخبارا لهم و إقامة للحجة عليهم .

و لما كان ضبط ذلك أمرا عظيما ، استأنف قوله بيانا لهوائه عليه :
﴿ احصنه الله ﴾ أى أحاط به عددا كما وكيفا و زمانا و مكانا بما له من
صفات الجلال و الجمال . و لما ذكر إحصاءه له ، فكان ربما ظن أنه^٧
ما يمكن في العادة إحصاؤه ، نفى ذلك بقوله : ﴿ ونسوه ﴾^٨ أى كلهم مجتمعين ١٥
لخروجه عن الحد في الكثرة فكيف بكل واحد على انفراده و نسوا
ما فيه من المعاصي تهاونا بها . و ذلك عين التهاون بالله و الاجترار عليه ،

(١) من ظوم ، و فى الأصل : لهم - كذا (٢) زيد من م (٣) زيد فى الأصل
أى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٤) سقط من م (٥) زيد من ظ
و م (٦-٧) من ظ و م ، و فى الأصل : يظن أنما .

قال القشيري: إذا حوسب احد^١ في / القيامة على عمل عمله تصور^٢ له ما فعله ثم يذكر حتى كأنه في تلك الحالة قام من بساط الزلة فيقع عليه من الخجل و الندم ما ينسى في جنبه كل عقوبة ، فسيل المسلم أن^٣ لا يخالف أمر مولاه^٤ ولا يحوم حول مخالفة أمره^٥ ، فان جرى المقدور ه . وقع في هجنة التقصير فليكن من زلته على بال ، وليتضرع إلى الله بحسن الابتغال .

ولما كان التقدير بما أرشد إليه العطف على غير مذكور: فأنه بكل شيء من ذلك و غيره عليم ، عطف عليه قوله: ﴿ والله ﴾ أى بما له من القدرة الشاملة و العلم المحيط ﴿ على كل شيء ﴾ على الإطلاق ١٠ من غير شئوية اصلا ﴿ شهيد ﴾ أى حفيظ حاضر لا يغيب ، و رقيب لا يغفل ، حفظه له و ربه و حضوره إياه مستعل عليه قاهر له باحاطة قهره بكل شيء ليتمكن حفظه له على آتم وجهه يريده .

و قال الإمام أبو جعفر [ابن - ١] الزبير: لما نزه سبحانه نفسه عن تقول الملحدين ، و اعلم ان العالم بأسره ينزهه عن ذلك بالسنة أحوالهم ١٥ لشهادة العوالم^٦ على أنفسها^٧ بافتقارها لحكيم أوجدها ، لا يمكن [أن - ٨] يشبه شيئا منها بل ينزه^٩ من أوصافها و يتقدس^{١٠} عن سماتها ، فقال

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : اخذ (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : نور - كذا (٣-٣) - قط ما بين الرقین من م (٤) م : امر مولاه (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : مستقل (٦) زيد من م (٧-٧) من ظ و م ، و فى الأصل : بانفسها (٨) زيد من ظ و م (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : تنزل . (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : قدس .

”سبح لله ما في السموات والارض“ ومضت اى تعرف بعظيم سلطانه
وعلى ملكه، ثم انصرف الخطاب إلى عبادته في قوله ”امنوا بالله ورسوله“
إلى ما بعد ذلك من الآى، وكان ذلك ضرب من الالتفات، والواقع
[هنا - ١] منه أشبه بقوله سبحانه في سورة البقرة ”واذ قال ربك للشيكة“
فانه بعد تفصيل حال المتقين وحال من جعل^٢ في طرف منهم وحال ه
من يشبه بظاهره بالمتقين وهو معدود في شرار الكافرين، فلما تم هذا
النمط عدل بعده إلى دعاء الخلق إلى عادة الله وتوحيده ”يأياها الناس
اعبدوا ربكم“ ثم عدل بالكلام جملة و صرف الخطاب إلى تعريف نبيه
عليه الصلاة والسلام بين أيدي الخلق ”واذ قال ربك للشيكة إني جاعل
في الارض خليفة“ فجاء ضربا من الالتفات فكذا^٣ الواقع هنا بين ١٠
سبحانه حال مشركى العرب وقبح عنادهم^٤ وقرعهم ووبخهم في عدة
سور غالب آيها جار على ذلك^٥ ومجدد له أولها^٦ سورة «ص»، كما نبه عليه
في سورة القمر، وإلى الغاية التى ذكرت فيها إلى أن وردت سورة
القمر منبهة بقطع دابرهم، وأنجز فيها^٧ الإعداد المنبهة^٨ عليه وكذا في سورة
الرحمن بعدها، ثم أعقب ذلك بالتعريف بحال النزل الأخر اوى في سورة ١٥
الواقعة مع زيادة تقريع وتوبيخ على مرتكبات استدعت تسديحه
تعالى وتقديسه عن شنيع قرائتهم فأتبع بسورة^٩ الحديد، ثم صرف فيها

(١) زيد من م (٢) من ظ و م، وفى الأصل: حصل (٣) من ظ و م، وفى
الأصل: فكذا (٤) من ظ و م، وفى الأصل: عتاده (٥ - ٥) من ظ و م،
وفى الأصل: بحمد الله اوله - كذا (٦ - ٦) من م، وفى الأصل و ظ :
الاعداد المنبهة (٧) من م، وفى الأصل و ظ : سورة .

الخطاب إلى المؤمنين، واستمر ذلك إلى آخر السورة، جرت سورة
المجادلة على هذا القصد مصروفاً خطابها إلى نازلة تشوفه المؤمنين
إلى تعرف حكمها، وهو الظهار المبين أمره فيها، فلم يعد في الكلام
بعد كما كان قد صرف إليه في قوله "امنوا بالله ورسوله" بأكثر من
٥. التعرض لبيان حكم يقع منهم، ثم أن السور الواردة بعد إلى آخر
الكتاب استمر معظمها على هذا الغرض لانقضاء ما قصد من التعريف
بأخبار القرون / السالفة و الأمم الماضية، و تقرير من عائد و توييحه،
و ذكر مثال الخلق و استقرارهم الآخراوى، و ذكر تفاصيل التكليف
و الجزاء عليها من الثواب و العقاب، و ما به استقامة من استجاب
١٠. و آمن^٢ و ما يجب أن يلتزمه على درجات التكليف و تأكيدها، فلما كمل
ذلك صرف الكلام إلى ما يخص المؤمنين في أحكامهم و تعريفهم بما
فيه من خلاصهم، فمعظم آى سورة بعد هذا شأنها، وإن اتجر غيرها
فلا استدعاء موجب وهو الأقل كما بينا - انتهى .

و لما كان هذا الإخبار عن إحاطة علمه و شمول قدرته مع أنه
١٥. بديهي التصور - يحتاج عند من جره الهوى إلى الشرك المقتضى للنقص
إلى دليل [معه -^١] فقد كان العرب يشكرون أن يسع الناس كلهم إله

(١) من ظ و م، و فى الأصل : مصروف (٢) زيد فى الأصل : معظم،
و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٣ - ٢) من ظ و م، و فى الأصل :
الحبات - كذا (٤) من ظ و م، و فى الأصل : و لما (٥) من ظ و م، و فى
الأصل : تقريرهم (٦) زيد من ظ .

واحد، قال تعالى دالا على ذلك بدليل شهيدى ليعيد الإنسان بما يراه
 من المحسوسات، قاصرا الخطاب على أعلى الخلق إشارة إلى أنه لا يفهم
 ذلك حق فهمه^١ غيره: (الم تر) أى تعلم علما هو فى وضوحه
 كالرقية بالعين (إن الله) أى الذى له صفات الكمال كلها
 (يعلم ما فى السموات) كلها، ولما كان الخطاب لأعلى الخلق، وكان
 المقام لإحاطة العلم، وكان خطابه صلى الله عليه وسلم بذلك إشارة للسامعين
 إلى وعورة هذا المقام وأنه بحيث لا يكاد يتصوره ولا يفهمه حق فهمه
 إلا هو صلى الله عليه وسلم ومن ألحق به ممن صفا فهمه وسوى ذهنه
 واتخلى من الهوى والعوائق، جمع وأكد بإعادة الموصول، فأفراده
 صلى الله عليه وسلم بالخطاب بعد أن كان مع المظاهرين ثم المجادين ١٠
 إشارة إلى التعظيم وتأكيده تنبيه على صعوبة المقام بالتعميم ليرعى حق
 الرعى توفية بحق التعليم^٢ كما رعت الصديقة أم المؤمنين عائشة رضى الله
 عنها فى قولها "سبحان من وسع^٣ سمعه الأصوات"^٤ "يعنى فى سمائه"^٥
 بمجادلة المرأة وهو فى غاية الخفاء فقال تعالى: (وما فى الأرض) أى
 كليات ذلك وجزئياته، لا يغيب عنه شيء منه، بدليل أن تدبيره محيط ١٥
 بذلك على أتم ما يكون، وهو يخبر من يشاء من أنبيائه وأصفيائه
 بما يشاء من أخبار ذلك، القاصية والدانية، الحاضرة والغائبة، الماضية
 (١) من م، وفى الأصل وظ: علمه (٢) من م، وفى الأصل وظ: التعظيم،
 (٣) من م، وفى الأصل وظ: سمع (٤) مضى فى أوائل هذه السورة.
 (٥) من ظ وم، وفى الأصل وظ: سمعه.

و الآتية - فيكون كما أخبر .

و لما كان ذلك وإن كان معلوماً يتعذر إحاطة الإنسان بكل جزئ^١
 منه - دل عليه بما هو أقرب [منه - ١] فقال : ﴿ ما تكون ﴾ بالفوقاية
 فتح قراءة أبي جعفر^٢ لتأنيث النجوى إشارته إلى العلم به ولو ضمنت^٣
 ة إلى أعظم حد ، وقرأ الباقون بالتحتانية للحائل ، ولأن التأنيث غير
 حقيق ، وهى على كل حال من - كان ، التامة ، وعمم التثنية بقوله :
 ﴿ من نجوى ﴾ أى تناجى متناجين ، جعلوا نجوى مبالغة ، و النجوى :
 السر والمسارون ، اسم و مصدر - قاله فى القاموس ، وقال عبد الحق فى
 الواعى : النجوى / الكلام بين الاثنين كالسر والتشاور - انتهى . [و - ٢]
 ١٠ أصله من النجوى - للارتفاع^٤ من الأرض ، و النجو : الخلو والقطع
 وكشط الجلد والحدث والكشف ، لأن المسار يرفع ما كان فى ضميره
 إلى صاحبه ويخلصه بمساررته له ويقطعه من ضميره ويكشطه منه
 ويحدثه ويكشفه .

و لما كانت النجوى لاتكمل إلا بثالث^٥ يحفظ الأناش بادامة الاجتماع
 ١٥ لأن الاثنين ينفردان عند عروض حاجة لأحدهما و يكونان [فى - ٢]
 التناجى والتشاور كالمتنازعين ، والثالث^٦ وسط بينهما^٧ مع أنه سبحانه

(١) من م ، وفى الأصل و ظ : جزء (٢) زيد من ظ و م (٣) راجع نثر
 المرجان ٢٤٤/٧ زيد فى الأصل و ظ : بها ، ولم تكن الزيادة فى م لحذفها .
 (٥) من م ، وفى الأصل و ظ : الارتفاع (٦) فى ظ : بثلاث (٧-٧) من ظ و م ،
 وفى الأصل : بينهما و - ط .

وثر يجب الوفاء والثلاثة أول أوتار الغدق، كما كان حافظاً لها في أول
الازل قال: (ثلاثة) أى في حلال من الأحوال (لا هو رابعهم)
إلى مضيرهم أربعة، فهو اسم فاعل والمغنى يعلبه وقدرته كما يكون كل
مغنى المتناجين عالماً بنجوى البيض، فروح النجوى العلم بالسري.

ولما كان الثلاثة قد يريد أحدهم أن يفرد بآخر منهم، فيضير
الثالث وحده، فإذا كانوا أربعة دام الأيسر بينهم ثم لا يكمل إلا بخامس
يحفظ الاجتماع إذا عرضت لأحد الاثنين حاجة قال: (ولا خمسة)
أى من نجواهم (لا هو سادسهم) كذلك، فالحاصل أنه ما يكون
من وز إلا كان هو سبحانه شافع وترته، وأما وترته [هو - ٩]
سبحانه فقد كانت ولا شيء معها أصلاً، وستكون ولا حى معها، فلا وتر ١٠
في الوجود على الحقيقة غيره.

ولما علم بالتكرير أن ما ذكر على سبيل المثال لا لمغنى يخصه من
جهة العلم، عم بقوله: (ولا أدنى) فبدأ بالقليل لأنه قبل الكثير
و[هو - ٩] أخفى منه (من ذلك) أى الذى ذكر وهو الواحد
والاثنان والأربعة الذى بعيد عن رتبته وإن كان قد شرفه سبحانه ١٥
باطلاق معيته بعد أن لانسبة له منها.

ولما كان العلم بالكثير أعسر من أجل انتشاره [قال - ٦]:

(١) من ظ و م، وفي الأصل: جماعة (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م،
وفي الأصل: على (٤) زيد في الأصل: النفى، ولم تكن الزيادة في ظ و م
لخذلها (٥) من ظ و م، وفي الأصل: التكثير (٦) زيد ولا بد منه.

(وَلَا) أى يكون من نجوى (أكثر) أى من ذلك كالسنة فما فوقها لا إلى نهاية - هذا التقدير على قراءة الجماعة بالجور بفتحة الواو ورفع يعقوب^١ على محل من «نجوى» (ألا هو معهم) أى يعلم ما يجرى منهم و بينهم، ويلزم من إحاطة عليه إحاطة قدرته كما تقدم في طه ٥ لتكمل شهادته .

ولما كان الغموم في المكان يستلزم [العموم - ٢] في الزمان، وكان المكان أظهر في الخس قال: (أين ما) أى في مكان (كأنوا) فانه لا مسافة بينه وبين شيء من الأشياء لانه الذى خلق المسافة، وعليه بالأشياء ليس لقرب مكان حتى يتفاوت باختلاف الامكنة ولا بسبب ١٠ من الأسباب غير وجوده على ما هو عليه من صفات الكمال، قال الرازى: ما فارق الاكوان الحق ولا قارنها، كيف يفارقها وهو موجودها وحافظها ومظهرها، وكيف يقارن؛ الحدث القدم وهو به قوام الكل، وهو القيوم على الكل - انتهى . والحاصل أنه سبحانه لا يخفى عليه شيء من العالم وإن بلغ في دقته إلى ما لا ينقسم . وهو شاهد ١٥ لذلك كله حفظا وعلمًا وإحاطة وحضورًا، وآية ذلك في خلقه أن

جمله الجسم^٢ يحى / بالروح، فلا يبقى جزء منه إلا وهو محفوظ بالروح / ٢٤٣

(١) من ظ و م، وفي الأصل: بفتح (٢) راجع نثر المرجان ٧ / ٢٤٥ (٣) زيد ولا بد منه (٤) م، وفي الأصل و ظ: يفارق (٥) من ظ و م. وفي الأصل: ليس (٦) في الأصل: الا - كذا (٧) من ظ و م، وفي الأصل: الاسم .

يحنس بسببها^١ وهو سبحانه لا يحجب عنه ولا شيئاً من صفاته حجاب .
 قد صحت المعبية وهو بحيث لا يحويه المكان ولا يحصره^٢ العدد ، يقبض
 المخلوق ويسطه ، لا يصعد المخلوق ولا صفته ولا فعله ولا معنى من معانيه
 إلى صفة من صفاته ، إنما له من المكان المكاة ، ومن العلم العلا ، ومن
 الأسماء والصفات متقاضها - أشار إلى ذلك ابن برجان وقال : ومن ه
 تدبر ما قرأه وتفهم ما تعلمه أدرك من التحقيق ما يحسن بسبيل تبيانه
 ما قدر له ، ألا ترى إلى الجن أين مكانهم وإن كانوا موصوفين به ثم
 الملائكة^٣ أرفع قدرا ومكانة ، بل إن الروح من جميع الجملة التي تحملها ،
 به حيث وبه تديرها وبه قيامها بأذن الله خالقه ، قال عليه الصلاة
 والسلام في خطبته الكبرى وهي آخر خطبة خطبها أخرجها الحارث ١٠
 ابن أبي أسامة : رقى المنبر وقال : أيها الناس ادنوا وأوسعوا لمن خلفكم
 - ثلاث مرات ، فدنى الناس وانضم بعضهم إلى بعض ، والتفتوا فلم يروا
 أحدا ، فقال رجل منهم بعد الثالثة : لمن نوسع^٤ يا رسول الله للملائكة ؟
 فقال^٥ : لا إنهم إذ كانوا معكم لم يكونوا بين أيديكم [ولا من خلفكم -^٦]
 ولكن عن أيمنكم وعن شمائلكم ، [وعلى ذلك -^٧] فليسوا في مكان ١٥

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : نشيها (٢) من ظ و م ، وفي الأصل :
 لا يحصر (٣) من م ، وفي الأصل و ظ : ملائكة (٤) من ظ و م : وفي
 الأصل : وفي (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : أوسع (٦) ومن هنا انقطعت
 نسخة م إلى ما سنبه عليه (٧) زيد في الأصل : الا ، ولم تكن الزيادة في ظ
 فحذفنا (٨) زيد من ظ .

الآيمان^١ هنا و الشئانل بل فى المكان^٢ من ذلك، فآله جل جلاله أعلل
و أعلل و أنزه مكانة و أكرم استواء - آتهى .

و لما كان الإنسان نساء و لاسىما إنرآمدى [به -^٢] الزمان، قال
عاطفا على ما تقدره: فىضبط^١ عليهم حركاتهم و سكناتهم من أقوالهم
٥ و أفعالهم و أحوالهم، و فىضبطها على طول الزمان كما كان حافظا لها
قبل خلقها ثم أزل الأزل (ثم ينبتهم) أى فىضبط أصحابها لإخبارا عظىما
(بما عملوا) دقىقة و جليلة (يوم القىمة^١) الذى هو المراد الأعظم
من الوجود لإظهار الصفات العلى فىه^٢ آثم إظهار . و لما أخبر تعالى بهذا
الامر العظيم، عله بما هو دلىل على الشهادة فقال مؤكدا لما لهم [من
١٠ الإنكار -^٢] قولا أو فعلا بالاشتراك الذى [بلزم -^٢] منه النقص
(أن الله) أى الذى له الكمال كله . و لما كان المقام للابلاغ فى
إحاطة العلم، قدم الجار كما مضت الإشارة إله غير مرة قال: (بكل شىء)
بما ذكر و غيره (عليمه) أى بالغ العلم فهو على كل شىء قدير، فهو
على كل شىء شهيد، لأن نسبة ذاته الأقدس إلى الأشياء كلها على حد
١٥ سواء لا فرق أصلا بين شىء و آخر، قال القشبرى: معىة الحق سبحانه
و إن كانت على العموم بالعلم و الرؤىة^١ و على الخصوص بالفضل و النصرة،
فلهذا الخطاب فى قلوب أهل المعرفة أثر عظمى إلى أن ينتهى الامر بهم
١ (تكرر فى الأصل فقط (٢) من ظ ، و فى الأصل: المكانة (٣) زىد من
ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل: فىفضه (٥) من ظ ، و فى الأصل: حافظ
(٦) من ظ ، و فى الأصل: فىها (٧) من ظ ، و فى الأصل: التروىة .

إلى التأويل ، فلوله والهيان في خمار سماع هذا عين رعد .

ولما كان هذا الدليل [أيضا - ١] تعذر الإحاطة^٢ به ، قال دالا

عليه بامر^٣ جزئي واقع بعلم المحدث عنه حقيقة ، فان عاند بعده سقط عنه^٤

الكلام إلا بحد الحسام : (الم تر) أي تعلم علما هو كالرؤية ، ودل

على سفول رتبة المرتى بإبعاده عن أعلى الناس قدرا بحرف الغاية فقال : هـ

(الى الذين) ولما كان العاقل من إذا زجر عن شيء انزجر حتى يتبين

له أنه لا ضرر عليه في فعل ما زجر عنه ، [عبر - ١] / بالبناء للفعول فقال : ٢٤٤ /

(نهوا) أي من ناه ما^٥ لا ينبغي للنهي مخالفته حتى يعلم أنه مأمون الغائلة

(عن النجوى) أي^٦ الإسرار لإحلال أنفسهم بذلك في محل التهمة

بما لا يرضى [من - ١] رسول الله صلى الله عليه وسلم - كما قال ١٠

أبو العلاء المعرى :

والخل كلامه يبدى لي ضمائره^٧ مع الصفاء ويخفيها من الكدر^٨

ولما كان الناهي هو الله ، فكان هذا للنهي أهلا لأن يبعد منه غاية

البعد ، عبر بأداة التراخي فقال : (ثم يعودون) أي على سبيل الاستمرار

لأنه إذا وقعت مرة بادروا إلى التوبة منها أو فلتة وقعت معفوا عنها ١٥

(لما نهوا عنه) أي من غير أن يعدوا لما يتوقع من جهة الناهي من

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، وفي الأصل : لاحاطة (٣) من ظ ، وفي الأصل :

بامر (٤) في ظ : عند (٥) في الأصل و ظ : بما (٦) في الأصل و ظ : عن .

(٧) من ظ ، وفي الأصل : ضمائر (٨) من ظ ، وفي الأصل : الكدر .

(٩) سقط من ظ .

الضرر عدة ﴿ ويتنجون ﴾ أى يقبل جميعهم على المناجاة إقبالا واحداً ،
 فيفعل كل منهم ما يفعله الآخر مرة بعد أخرى على سبيل الاستمرار ،
 وقراءة حمزة^١ « ويتنجون » بصيغة الاقتعال يدل على التعمد والمعادنة
 ﴿ بالاثم ﴾ [أى - ٢] بالشيء الذى يكتب عليهم به الإثم بالذنب
 ٥ وبالكذب وبما لا يحل^٢ . ولما ذكر المطلق أتبعه المقيد بالشدة فقال :
 ﴿ والعدوان ﴾ أى العدو الذى هو نهاية فى قصد الشر بالإفراط فى
 مجاوزة الحدود . ولما كان ذلك شراً فى نفسه أتبعه الإشارة إلى أن
 الشيء يتغير وصفه بالنسبة إلى من يفعل معه فيكبر بكبر المعصى فقال :
 ﴿ ومعصيت الرسول ﴾ أى الذى جاء إليهم من الملك الأعلى ، وهو
 ١٠ كامل الرسلية ، لكونه مرسلًا إلى جميع الخلق وفى كل الأزمان ، فلا نبى
 بعده ، فهو لذلك يستحق غاية الإكرام .

ولما أنهى تعظيم الذنب إلى غايته آذن بالغضب بأن لفت الكلام
 إلى الخطاب فقال : ﴿ واذا جاؤك ﴾ أيها الرسول^٣ الاعظم الذى يأتيه
 الوحي من أرسله ولم يغب أصلا عنه لأنه المحيط علما وقدره ﴿ حيوك ﴾
 ١٥ أى واجهوك بما يعدونه تحية من قولهم : السام^٤ عليك ونحوه ، وعم
 كل لفظ بقوله : ﴿ بما لم يحيك به الله ﴾ أى الملك الأعلى الذى لا أمر

(١) راجع نثر المرجان ٧ / ٢٤٦ (٢) زيد من ظ (٣) زيد فى الأصل : انتهى ،
 ولم تكن الزيادة فى ظ لغذناها (٤) من ظ ، وفى الأصل : محاوز .
 (٥-هـ) من ظ ، وفى الأصل : التعظيم (٦) زيد فى الأصل : العظيم ، ولم تكن
 الزيادة فى ظ لغذناها (٧) من ظ ، وفى الأصل : السلام .

لأحد معه فمن تجاوز ما شرعه فقد عرض نفسه لسخطه ، وما دخل فيه قول بعض الناس لبعض « صباح الخير » ونحوه معرضا عن السلام . ولما كان المشهور عنهم أنهم ' يخفون ذلك جهدهم ويعلنون بأملاء الله لهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يطلع عليه ، وإن اطلع عليه لم يقدر على أن ينتقم منهم ، عبر عن ذلك بقوله : ﴿ ويقولون ﴾ أى عند الاستدراج بالإملاء مجددين قولهم مواظبين عليه ﴿ فى انفسهم ﴾ من غير أن يطمعوا عليه أحدا : ﴿ لولا ﴾ أى هلا ولم لا ﴿ يعذبنا الله ﴾ أى الذى له الإحاطة بكل شئ على زعم من باهانا ﴿ بما نقول ﴾ مجددين مع المواظبة إن كان يكرهه - كما يقول محمد صلى الله عليه وسلم .

ولما تضمن هذا عليه سبحانه وتعالى بهذه الجزئية من هؤلاء القوم ١٠

٢٤٥ / ثبت بذلك عليه سبحانه بجميع ما فى الكون ، / لأن نسبة الكل إليه على حد سواء ، فإذا ثبت عليه بالبعض ثبت عليه بالكل [فثبت قدرته على الكل - ٢] فكان على كل شئ شهيدا ، [قال - ٢] مهددا لهم مشيرا إلى أنه لا ينبغي لأحد أن يقول مثل هذا إلا إن كان قاطعا بأنه لا يحصل له عذاب ، أو يحصل له منه ما لا يبالى به ثم يرد به قوته : ﴿ حسبهم ﴾ ١٥ أى كفايتهم فى الانتقام منهم وفى عذابهم ورشقهم بسهام لحيها ومنكبي شررها وتصويب صواعقها ﴿ جهنم ج ﴾ أى الطبقة التى تلقاهم بالتجهم والعبوسة والتكره والفضاظة . فان حصل لهم فى الدنيا عذاب كان

(١ - ١) فى ظ : كانوا (٢) من ظ ، وفى الأصل : لا يقدر (٣) زيد من ظ .

(٤) ومن هنا تستأنف نسخة م (٥) - سقط من ظ .

زيادة على الكفاية ، فاستعجلهم بالعذاب محض رغبة (يصلونها) أى
يقامون عذابها دائما فاني قد أعددتها لهم . ولما كان التثنية فانهم
[يصيرون - ١] إليهم لا يذ ، حسب عنه قوله : (فبئس المصيرة) أى
مصيرهم ، ويسبب ذلك أن اليهود والمنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم
و ينظرون إلى المؤمنين و يتغامرون^١ يوهمونهم أنهم يتناجون فيما بينهم
فيظنون أنه بلغهم شيء من إخوانهم الذين خرجوا في السرايا غزاة في
سبيل الله من قتل أو هزيمة فيحزنهم ذلك ، فشكوا [ذلك - ٢] إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم عن التناجى في هذه الحالة فلم
ينتهوا . [و - ٣] روى أحمد^٢ و البزار و الطبراني بإسناد - قال الهيثمي في
المجمع^٣ إنه جيد لأن حمادا سمع من عطاء بن السائب في حالة الصحة -
عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما أن اليهود كانوا يقولون لرسول الله
صلى الله عليه وسلم : سام عليك . ثم يقولون في أنفسهم : لو لا يعذبنا الله
بما نقول ، فزلت . و روى أبو يعلى عن أنس رضى الله عنه أن النبي
صلى الله عليه وسلم قال عند ذلك : إذا سلم عليكم أحد من أهل الكتاب
١٥ فقولوا ” و عليك “ .

ولما نهى عن التجوى و ذم على فعلها و توعده عليه فكان ذلك

(١) زيد من م (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : ثم انهم (٣) زيد في الأصل :
حتى ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٤) زيد من ظ و م (٥) في ظ :
على (٦) راجع المسند ١٧٠/٢ (٧) راجع ١٢٢/٧ (٨) - قط من ظ و م (٩) من
ظ و م والمجمع ، وفي الأصل : حال .

موضع انديظن أن النهى عام لكل مجوى وإن كانت بالخير، استأثفت قوله^١ مناديا بالأداة التي لا يكون ما بعدها له وقع عظيم، معبراً بأول أسنان^٢ الإيمان باقتضاء الحال له؛ ﴿بنايها الذين آمنوا﴾ أى ادعوا أتهم أوجدوا هذه الحقيقة ﴿إذا تاجيتم﴾ أى قلع كل منكم الكلام من نفسه فرغه^٣، وكشفه لصاحبه سرا ﴿فلا تناجوا﴾ أى توجدوا هذه الحقيقة ظاهرة كتناجى المنافقين ﴿بالأسم﴾ أى الذنب وكل فعل يكتب بسببه عقوبة. ولما عم خص فقال: ﴿والعدوان﴾ أى الذى هو العدو الشديد بما يؤذى وإن كان العادى يظن أنه لا يكتب عليه به إثم. ولما كان السياق لإجلال^٤ النبي صلى الله عليه وسلم مع أنه لا تعرف حقيقة الإثم إلا منه قال تعالى: ﴿ومعصيت الرسول﴾ أى الكامل فى ١٠ الرسالة^٥ فإن ذلك يشوش فكره فلا يدعه يبلغ رسالات ربه / وهو منشرح^٦ / ٢٤٦ / الصدر طيب النفس.

ولما علم أن نهيهم إنما هو عن شر يفسد ذات البين وهو ما لا يريدون إطلاع النبي صلى الله عليه وسلم [عليه -^٧]، صرح بقوله حثا على إصلاح ذات البين لأن خير الأمور ما عاد [بإصلاحها، وشر الأمور ما عاد -^٨] ١٥ بافسادها: ﴿وتناجوا بالبر﴾ أى بالخير الواسع الذى فيه [حسن -^٩]

- (١-١) سقط ما بين الرهين من ظ (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : فرغوا .
 (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : لاجل (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : الرسالة .
 (٥) فى ظ : مفتوح (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : يفيد (٧) زيد من م .
 (٨) زيد من ظ و م .

الترية . ولما كان ذلك قد يعمل طبعا، حث على القصد الصالح بقوله :
 ﴿ والتقوى ﴾ وهى ' ما يكون فى نفسه ظاهرا أنه يكون ستره تقى من
 عذاب الله بأن يكون مرضيا لله ولرسوله .

ولما كانت التقوى أم المحاسن ، أكسدها ونه عليها بقوله :
 هـ ﴿ واتقوا الله ﴾ أى اقصدوا قصدا يتبعه العمل أن تجعلوا بينكم وبين
 سخط الملك الأعظم وقاية . ولما كانت ذكرى ' الآخرة هى مجمع المخاوف
 ولا سيما فضائح الأسرار على رؤس الأشهاد قال : ﴿ الذى إليه ﴾ أى
 خاصة ﴿ تحشرون هـ ﴾ أى تجمعون بأيسر أمر وأسهل بقهر وكره ، وهو
 يوم القيامة ، فيتجلى فيه سبحانه للحكم بين الخلق والإنصاف بينهم بالعدل
 ١٠ و محاسبهم على التقير والقطمير^٢ لا يخفى عليه خافية ولا تفى منه واقية
 تنكشف فيه سرادقات^٤ العظمة ، و يظهر [ظهورا - °] تاما نفوذ
 الكلمة ، و يتجلى فى مجالى العز سطوات القهر ، و تنبث^١ لوامع الكبر ،
 فاذا فعلتم ذلك مستحضرين لذلك لم تقدموا على شئ تريدون إخفاءه من
 النبى صلى الله عليه و سلم ، فيكون ذلك أقر لعينه وأظهر لكم .

١٥ ولما شدد سبحانه فى^٧ أمر النجوى^٥ و كان لا يفعلها إلا أهل النفاق ،

فكان ربما ظن ظان أنه يحدث عنها ضرر لأهل الدين ، قال سارا للخلصين

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : هو (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : ذكر .
 (٣) زيد فى الأصل : الفتيل ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٤) من
 ظ و م ، وفى الأصل : مرادفات (٥) زيد من ظ و م (٦) من م ، وفى
 الأصل و ظ : تثبت (٧-٧) من ظ و م ، وفى الأصل : امرا .

[و-١] غاما للناقين، ومينا أن ضررها إنما يعود عليهم: ﴿انما النجوى﴾
 أى المعهودة وهى المهى عنها، وهى ما كرهه^٢ صاحبه أن يطلع^٣ بقلبه
 رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقيل: ما خيله الشيطان من الأحكام
 المكرومة للانسان ﴿من الشيطان﴾ أى مبتدئة^٤ من المحترق بطرده عن
 رحمة الله تعالى فانه الحامل عليها بتزيينها ففاعلها تابع لأعدى أعدائه ه
 مخالف لأوليائه .

ولما بين أنها منه، بين الحامل له على تزيينها فقال: ﴿ليحزن﴾
 أى الشيطان^٥ ليوقع الحزن فى قلوب^٦ ﴿الذين آمنوا﴾ أى يتوهمهم أنها
 بسبب شىء وقع مما يؤذيه، والحزن: هم غليظ وتوجع يرق له القلب،
 حزنه وأحزنه بمعنى، وقال فى القاموس: أ. أحزنه: جعله حزينا، وحزنه: ١٠
 جعل فيه حزنا، فعلى هذا قراءة نافع^٧ من أحزن أشد فى المعنى من
 قراءة الجماعة .

ولما كان ربما خيل هذا من فى قلبه مرض أن فى يد الشيطان
 شيئا [من الأشيد-١]، سلب^٨ ذلك بقوله: ﴿و ليس﴾ أى الشيطان
 وما حمل^٩ عليه من التاجى، / وأكده التنى بالجار فقال: ﴿بضآرهم﴾ أى ١٥ / ٢٤٧

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، وفى الأصل: ذكره (٣) من ظ
 و م، وفى الأصل: يتطلع (٤) فى ظ و م: ممتدة (٥) سقط ما بين
 الرفين منهم (٦) راجع نثر المرجان ٢٥١ / ٧ (٧) من ظ و م، وفى الأصل:
 سبب عن (٧) من ظ و م، وفى الأصل: هو .

الذين آمنوا ﴿ شيئا ﴾ من الضرر وإن قل وإن حنى - بما أفهمه الإدغام
 ﴿ إلا بأذن الله ﴾ أى تمكين الملك المحيط 'بكل شيء' علما وقدره ، روى
 الشيخان^١ عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:
 إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث إلا بأذنه فإن ذلك يحزنه .
 هـ ولما كان التقدير: فقد علم أنه لا يخشى أحد غير الله لأنه لا ينفذ إلا ما
 أراده ، فإياه فليخش المرءيون ، عطف عليه قوله: ﴿ وعلى الله ﴾ أى
 الملك الذى لا كفوء له ، لا على أحد غيره ﴿ فليتوكل المؤمنون هـ ﴾ أى
 الراسخون فى الإيمان فى جميع أمورهم . فانه القادر وحده على إصلاحها
 وإفسادها ، ولا يحزنوا من أحد أن يكيدهم بسره ولا بجهره ، فانهم إذا
 ١٠. توكلوا عليه وفوضوا أمورهم^٢ إليه . لم يأذن فى حزنهم ، وإن لم يفعلوا
 أحزنهم ، وخص الراسخين لإمكان ذلك منهم فى العادة ، وأما أصحاب
 البدايات فلا يكون ذلك منهم إلا خرق عادة .

ولما ذكر ما يحزن من السر لكونه اختصاصا عن الجليس^٣ بالمقال
 فينشأ عنه ظن الكدر وتباعد القلوب ، أتبعه الاختصاص بالمجلس^٤ الذى
 ١٥ هو مباعدة الأجسام اللازم لها من الظن ما لزم من الاختصاص بالسر
 فى الكلام فينشأ عنه الحزن ، معلما لهم بكال رحمته وتماام رأفته بمراعاة

(١ - ١) سقط ما بين الرقنين من ظ و م (٢) راجع صحيح البخارى ٢ / ٩٣١
 وصحيح مسلم ٢ / ٢١٩ (٣) من م . وفى الأصل وظ : اسره م (٤) من ظ و م ،
 وفى الأصل : الحس بالكلام و (هـ) من ظ و م ، وفى الأصل : بالجن .

حسن الأدب^١ بينهم وإن كان من أمور العادة دون أحكام العبادة،
 فقل مخاطبا لأهل الدرجة الدنيا في الإيمان لأنهم المحتاجون مثل هذا
 الأدب: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ حدام بهذا الوصف على الامتثال
 ﴿إِذَا قِيلَ لَكُمْ﴾ أى من أى قائل كان فإن الخير يرغب فيه لذاته:
 ﴿تَفْسَحُوا﴾ أى توسعوا^٢ أى كفوا أنفسكم في إيساع المواضع^٣
 ﴿فِي الْمَجْلِسِ﴾ أى الجلوس أو مكانه لأجل من يأتي فلا يجد مجلسا
 يجلس فيه، والمراد بالمجلس جنس المكان الذى هم ما تشون به بجلوس^٤
 أو قيام في صلاة أو غيرها لأنه أهل لأن يجلس فيه، وذلك في كل
 عصر، ومجلس النبي صلى الله عليه وسلم أولى بذلك، وقراءة عاصم^٥
 بالجمع موضحة لإرادة الجنس ﴿فَانسَحُوا﴾ أى وسعوا فيه عن سعة^٦
 صدر ﴿يَفْسَحُ اللَّهُ﴾ أى الذى له الأمر كله والعظمة الكاملة ﴿لَكُمْ﴾
 في كل ما تكرهون ضيقه من الدارين.

ولما كانت^٧ التوسعة يكتفى فيها التزحزح مع دوام الجلوس تارة
 وأخرى تدعو الحاجة فيها إلى القيام للتحويل^٨ من مكان إلى آخر قال:
 ﴿وَإِذَا قِيلَ﴾ أى من قائل كان - كما مضى - إذا كان يريد الإصلاح^٩

(١) في ظ: الآداب (٢) من ظ و م، وفي الأصل: اتسعوا (٣) من ظ و م،
 وفي الأصل: جلس (٤) من ظ و م، وفي الأصل: في جلوس (٥) راجع
 نثر المروجان ٧ / ٢٥٣ (٦) من م، وفي الأصل و ظ: ضفة (٧) من ظ، وفي
 الأصل و م: كان (٨) من ظ و م، وفي الأصل: التحول (٩) من م، وفي
 الأصل و ظ: ان.

والخير ﴿أَنْشُرُوا﴾ أى ارتفعوا : انهضوا / إلى الموضع الذى تؤمرون به أو يقتضيه الحال للتوسعة أو غيرها من الأوامر كالصلاة أو الجهاد وغيرهما ﴿فَانْشُرُوا﴾ [أى - ٢] فارتفعوا و انهضوا ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ﴾ الذى له جميع صفات الكمال ، عز بالجلالة و أعاد^١ إظهارها موضع الضمير ٥ ترغيبا فى الامتثال لما للنفس من الشغ بما يخالف المألوف ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وإن كانوا غير علماء ﴿مَنْكُمْ﴾ أيها المأمورون بالنفسح^٢ السامعون للأوامر ، المبادرون إليها^٣ فى الدنيا و الآخرة بالنصر و حسن الذكر بالتسكن فى وصف الإيمان الموجب لعلو الشأن بطاعتهم لرسوله صلى الله عليه وسلم فى سعة صدورهم بتوسعتهم لإخوانهم .

١٠ ولما كان المؤمن قد لا يكون^١ من المشهورين^٢ بالعلم قال : ﴿وَالَّذِينَ﴾ ولما كان العلم فى نفسه كافيا فى الإعلاء من غير نظر إلى مؤت معين ، بنى للفعول قوله : ﴿اوتوا العلم﴾ أى و هم مؤمنون ﴿درجت^٣﴾ درجة بامتثال الأمر و أخرى بالإيمان ، و درجة بفضل علمهم و سابقتهم^٤ - روى الطبرانى^٥ و أبو نعيم فى كتاب العلم عن ابن عباس رضى الله عنهما أن ١٥ النبى صلى الله عليه وسلم قال : من جاءه أجله^٦ و هو يطلب العلم ليحيى

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : او (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : أراد (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : بالتوسع (٥) زيد فى الأصل : بالامتثال ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م (٦ - ٦) من ظ ، وفى الأصل و م : مشهورا (٧) زيد فى الأصل : انتهى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فخذناها (٨) راجع مجمع الزوائد ١ / ١٢٣ (٩) من ظ و م ، وفى الأصل : اخوه - كذا .

به الإسلام لم يفضلته الفتيون إلا بدرجة واحدة، رواه البخاري^١ وابن السني
 في رياضة المتعلمين عن الحسن غير منسوب، قال شيخنا: فقيل: هو البصري
 فيكون مرسلًا، وعن الوثير: العلم ذكر فلا يخبه^٢ إلا ذكور^٣ الرجال.
 وكلما كان الإنسان أعظم كان أذكرا^٤، ولعله ترك التقييد به من في هذا
 وإن كانت مرادة^٥ ليفهم أن العلم يعلى صاحبه مطلقا، فإن كان مؤمنا
 عاملا بعلمه كان النهاية، وإن كان عاصيا كان أرفع من مؤمن غاص
 وعار عن العلم، وإن كان كافرا كانت رفعة دينية بالنسبة إلى كافر
 لا يعلم، ودل على ذلك بحتم الآية بقوله مرغبًا مرهبا: ﴿والله آى والحال
 أن المحيط بكل شىء قدرة وعلما﴾ ﴿بما تعملون﴾ أى حال الامر وغيره
 ﴿خيره﴾ أى عالم بظاهره و باطنه، فإن كان العلم مزيينا بالعمل بامثال ١٠
 الأوامر واجتناب النواهي وتصفيه الباطن^٦ كانت الرفعة على حسبه،
 وإن كان^٧ على غير ذلك فكذلك،^٨ وقدم الجار ومدخوله وإن كان
 عليه سبحانه بالأشياء كلها على حد سواء تنبها على مزيد الاعتناء بالأعمال^٩،
 لاسيما الباطنة من الإيمان والعلم اللذين هما الروح الأعظم، لأن المقام
 لنزول الإنسان عن مكانه^{١٠} بالتفسح والانخفاض والارتفاع، ولا يخفى ١٥

- (١) راجع السنن ص: ٤٠٠ (٢) من ظ وم، وفي الأصل: فلا يخبه (م) من ظ،
 وفي الأصل وم: ذكورة (٤) في ظ: أشك الرجال في الذكورة وانضلم
 (٥) من ظ وم، وفي الأصل: موافقة (٦) من ظ وم، وفي الأصل: البواطن.
 (٧) من ظ وم، وفي الأصل: كانت (٨ - ٨) تنقط ما بين الرقین من ظ
 (٩) زيد بعده في الأصل: ومقامه، ولم تكن الزيادة في ظ وم لحذفها.

ما في ذلك من حظ النفس الحامل على الجرى مع الدسائس ، فكان جديرا
 بمزيد الترهيب ، و سبب الآية أن أهل العلم لما كانوا أحق بصدر المجلس
 لأنهم أوعى لما يقول صاحب المجلس . كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول:
 ليبنى أولو الاحلام منكم و النهي^١ . وكان صلى الله عليه وسلم يكرم أهل
 بدر^٢ / من المهاجرين والانصار فجاء أناس من أهل بدر منهم ثابت بن
 قيس بن شماس وقد سبق غيرهم إلى المجلس فقاموا حيال النبي صلى الله
 عليه وسلم فقالوا: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، فرد
 عليهم النبي صلى الله عليه وسلم ثم سلموا على القوم فردوا عليهم فقاموا
 على أرجلهم ينتظرون أن يوسع^٣ لهم فلم يفعلوا فقال لمن حوله من
 ١٠ [غير -^٤] أهل بدر: قم يا فلان و أنت يا فلان ، فأقام من المجلس
 بقدر القادمين من أهل بدر ، فشق ذلك على من أقيم ، وعرف النبي
 صلى الله عليه وسلم الكراهية في وجوههم ، فقال المنافقون: أستم تزعمون
 أن صاحبكم يعدل ، فوالله ما عدل على هؤلاء ، إن قوما أخذوا مجالسهم
 و أحبوا القرب من نبيهم فأقامهم و أجلس من أبطأ عنه مكانهم ، فأنزله الله
 ١٥ هذه الآية ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : لا يقيم الرجل
 [الرجل -^٥] من مجلسه ثم يجلس فيه ، ولكن افسحوا يفسح الله لكم .
 رواه مسلم^٦ عن ابن عمر رضي الله عنهما ، وقال الحسن^٧ : بلغني أن

(١) والحديث من الشهرة بحيث يغنينا عن التعليق عليه (٢) راجع معالم التنزيل
 بهامش الباب ٧ / ٤٢ (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : يوسعوا (٤) زيد من
 ظ و م (٥) في الصحيح ٢ / ٢١٧ (٦) ذكره البغوي عن الحسن وغيره في المعالم
 بهامش الباب ٧ / ٤٣ .

رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا قاتل المشركين فصف^١ أصحابه
رضى الله عنهم للقتال تشاحوا^٢ على الصف الأول فيقول الرجل لإخوته:
توسعوا لنلقى العدو فنصيب الشهادة، فلا يوسعون له رغبة منهم في الجهاد
والشهادة، فأنزل الله هذه الآية، وهي دالة على^٣ أن الصالح^٤ إن كره
مجاورة فاسق منع من مجاورته لأنه يؤذيه ويشغله عن كثير من مهماته، هـ
وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: لا ضرر ولا ضرار، وقال: أعوذ
بك من جار السوء في دار المقامة فإن جار البادية يتحول. وقال: شر
الناس من لا يأمن جاره بوائقه، فقال^٥ تعالى معظما لرسوله صلى الله عليه
وسلم وناهيا عن إبراهيم صلى الله عليه وسلم بالسؤال والمناجاة، ونافعا
للفقراء والتميز^٦ بين المخلص والمنافق ومحبة الآخرة ومحبة الدنيا، ١٠
ولما نهى عما يحزن من^٧ المقال والمقام^٨، وكان المنهى عنه من التناجى
إنما هو لحفظ قلب الرسول صلى الله عليه وسلم عما يكدره فهو منصرف
إلى مناجاتهم غيره، وكان ذلك مفهوما أن مناجاتهم له صلى الله عليه وسلم
لا حرج فيها، وكان كثير منهم يتاجبه ولا قصد له إلا الترفع بمناجاته
فأكثرُوا في ذلك حتى شق عليه صلى الله عليه وسلم، وكان النافع للإنسان ١٥
إنما هو كلام من يلامه في الصفات ويشاكله في الأخلاق، وكان

(١) من، وفي الأصل وظ: يصف (٢) من م، وفي الأصل وظ: قساحوا
- كذا (هـ) من ظ وم، وفي الأصل: الصلح (٤) من م، وفي الأصل
وظ: وقال (هـ) من ظ وم، وفي الأصل: تميزا (٦-٦) من م، وفي
الأصل وظ: المقام والمقال.

رسول الله صلى الله عليه وسلم أبعد الناس من الدنيا تقذرا لها لأجل
بعض الله لها، أمر من أراد أن ينجيه بالتصدق ليكون ذلك^١ طارة
على^٢ الاجتهاد^٣ في التخلق^٤ بأخلاقه الطاهرة من الصروف عن^٥ الدنيا
والإقبال على الله، ومظهرها له عطا سلف من الإقبال [عليها -^٦] فان
الهدية برهان على الصديق في الإيمان، وليخفف عنه صلى الله عليه وسلم
/ ٢٥٠ / ما كانوا قد أكثروا عليه من المناجاة، فلا ينجيه إلا من قد خلص^٧
إيمانه فيصدق، فيكون ذلك مقدمة لانتفاع بتلك المناجاة [كما أن الهدية
تكون مهية للقبول كما ورد: نعم الهدية أمام الحاجة -^٨] فقال
تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي ادعوا أنهم أوجدوا هذه الحقيقة
١٠. أغنياء كانوا أو فقراء ﴿إذا ناجيت﴾ أي أردتم أن تناجوا ﴿الرسول﴾
صلى الله عليه وسلم أي الذي لا أكمل منه في الرسالة فهو أكمل الخلق
ووظيفته تقتضي أن يكون منه الكلام بما أرسله به الملك وتكون هيئته
مأمنة من ابتدائه بالكلام، فلا يكون من المبلغين إلا الفعل بالامتثال
لا غير ﴿فقدموا﴾ أي بسبب هذه الإرادة العالية^٩ على سبيل الوجوب
١٥. ومثل النجوى كشخص^{١٠} له يدان يحتاج أن يطهر نفسه ليتأهل للقرب
من الرسول صلى الله عليه وسلم [فقال -^{١١}] : ﴿بين يدي نجوكم﴾ أي
(١ - ١) من ظ و م ، وفي الأصل : إشارة الى (٢ - ٢) من ظ و م ، وفي
الأصل : بالتخلق (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : الى (٤) زيد من ظ و م
(٥) سقط من ظ و م (٦) من ظ و م ، وفي الأصل : الرسالة (٧) من ظ
و م ، وفي الأصل : الغالبة (٨) في ظ : شخص .

قبل سرکم الذی تريدون أن ترتفعوا به ﴿ صدقة ﴾ تكون لكم^١ رهانا
 قاطعا على إخلاصكم كما ورد أن الصدقة زهان، فهي مصدقة لكم في
 دعوى الإيمان التي هي التصديق بالله تعالى ورسوله^٢ صلى الله عليه وسلم
 وبكل ما جاء به عن الله تعالى، ومعظمه الإعراض عن الدنيا والإقبال
 على الآخرة، ولذلك استأنف^٣ قوله: ﴿ ذلك ﴾ أى الخلق العالى جدا من
 تقديم التصديق قبل المناجاة يا خير الخلق، ولعله أفرد به بالخطاب لآله
 لا يعلم كل ما فيه من الأسرار غيره. وعاد إلى الأول فقال: ﴿ خير لكم ﴾
 أى في دينكم من الإمساك عن الصدقة ﴿ واطهر ﴾ لأن الصدقة طهرة
 ونماء وزيادة في كل خير، ولذلك سميت زكاة "خذ من أموالهم صدقة
 تطهرهم وتزكهم بها"^٤ والتعبير بأفعل لأنهم مطهرون [قبله -^٥] بالإيمان . ١٠
 ولما أمر بذلك، وكانت عادته أن لا يكلف بما فوق الوسع
 للتخفيف على عباده لاسيما هذه الأمة قال: ﴿ فان لم تجدوا ﴾ أى ما
 تقدمونه .

ولما كان المعنى الكافي في التخفيف: فليس عليكم شيء، دل عليه
 بأحسن منه فقال: ﴿ فان الله ﴾ أى الذى له جميع صفات الكمال، وأكده ١٥
 لاستبعاد مثله فان اليهود من الملك إذا ألزم رعيته^٦ بشيء أنه لا يسقطه^٧

(١) من م، وفي الأصل و ظ: له (٢) من ظ و م، وفي الأصل: برسول
 الله (٣) من ظ و م، وفي الأصل: شبه ذلك (٤) زيد في الأصل: ذلك،
 ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٥) من ظ و م، وفي الأصل: كذلك.
 (٦) زيد من ظ و م (٧) من ظ و م، وفي الأصل: رغبته (٨) من ظ
 و م، وفي الأصل: لا يسقط .

أصلاً ورأساً، ولا سيما إن كان يسيراً، ودل على أنه سبحانه لن يكلف
بما فوق الطاقة بقوله: ﴿ غفور رحيم ٥ ﴾ أى له صفتا^١ الاستر للساوى
والإكرام باظهار المحاسن ثابتان^٢ على الدوام فهو يفر و يرحم تارة
بعدم العقاب للعاصي^٣ و تارة للتوسعة للضيق بأن ينسخ ما يشق [إلى ما
يحف - ^٤]، وهذه الآية قيل: إنها نسخت قبل العمل بها، وقال على
رضى الله عنه^٥: ما عمل بها أحد غيرى، أردت المناجاة ولى دينار
فصرفه بعشرة دراهم و ناجيته عشر مرات أتصدق فى كل مرة بدرهم،
ثم ظهرت مشقة ذلك على الناس، فنزلت الرخصة فى ترك الصدقة،
وروى النسائي فى الكبرى و الترمذى^٦ و قال: حسن غريب و ابن حبان
١٠ و أبو يعلى و البزار^٧ عن^٨ على رضى الله عنه أنه قال: لما نزلت قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم: مرهم أن يتصدقوا، قلت: بكم/ يا رسول الله؟
قال: بدينار، قلت: لا يطيقون. قال: فنصف دينار، قلت: لا يطيقون، قال:
فبكم؟ قلت^٩: بشعيرة: قال^{١٠} رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنك لزهيد،
فأنزل الله تعالى " اشفقتم " الآية. و كان على رضى الله عنه يقول: بى
١٥ خفف الله عن هذه الأمة. و عدم عمل غيره لا يقدح فيه لاحتمال أن
يكون لم يجد عند^{١١} المناجاة شيئاً أو أن [لا - ^{١٢}] يكون احتاج

/ ٢٥١

(١) من ظ و م. و فى الأصل: صفات (٢) من ظ و م، و فى الأصل:
ثابتان (٣) من ظ و م، و فى الأصل: للعاصي (٤) زيد من ظ و م (٥) راجع
معالم التنزيل بهامش الباب ٤٤/٧ (٦) راجع الجامع ١٦٣/٢ (٧) راجع مجمع
الزوائد ١٢٢/٧ (٨) فى ظ و م: قال (٩) زيد فى ظ و م: له (١٠) من ظ و م،
و فى الأصل: عنه (١١) زيد من م.

إلى المناجاة .

ولما دل ختم الآية على التخييف، وكان قد يدعى مدعوقاً عدم
الوجدان كذباً فيحصل لهم حرج، وكان تعالى شديد العناية بنجاة هذه
الأمم دل على لطفه بهم بنسخه بعد فرضه، فقال موبخاً لمن يشح على
المال نادياً إلى الخروج عنه من غير إيجاب: ﴿ اشفقتم ﴾ أى خفتم .
من العيلة لما يعدكم به الشيطان من الفقر خوفاً كاد أن يفطر قلوبكم
﴿ ان تقدموا ﴾ [أى - ٢] باعطاء الفقراء وهم إخوانكم ﴿ بين يدي نبحواكم ﴾
أى للرسول صلى الله عليه وسلم، وجمع لأنه أكثر توبيخاً من حيث
أنه يدل على أن النجوى تتكرر، وذلك يدل على عدم خوفهم
من مشقة النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك ووجود خوفهم من فعل ١٠
التصدق فقال: ﴿ صدقت ﴾ وكان بعضهم ترك وهو واجد فين
سبحانه رحمة لهم بنسخها عنهم لذلك في موضع العقاب لغيرهم عند الترك .
ولما كان من قبلنا [إذا - ٢] كلفوا الأمر الشاق وحملوا على
التزامه بمثل رفع الجبل فوقهم، فإذا خالفوا عوقبوا، بين فضل هذه الأمة
بأنه خفف عنهم، فقال معبراً بما قد يشعر بأن بعضهم ترك عن قدرة: ١٥
﴿ فاذ ﴾ أى فحين ﴿ لم تفعلوا ﴾ أى ما أمرتم به من الصدقة للنجوى
بسبب هذا الإشفاق ﴿ و تاب الله ﴾ أى الملك الأعلى الذى كان من
شأن ما هو عليه من العظمة أن يعاقب من ترك أمره ﴿ عليكم ﴾ أى رجع
(١) من ظ و م، وفي الأصل: كذب (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد في
الأصل: أى، ولم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها .

بمن ترك الصدقة عن وجدان ، و بمن تصدق و بمن لم يجد إلى مثل حاله قبل ذلك من سعة الإباحة و العفو و التجاوز و المعذرة و الرخصة و التخفيف قبل الإيجاب و لم يعاقبكم على الترك و لا على ظهور اشتغال ذلك منكم ، قال مقاتل بن حيان : كان ذلك عشريال "ثم نسخ" ، و قال الكلبي :
 ٥ ما كانت إلا ساعة من نهار . و على كل منهما ' فهي لم تتصل بما قبلها نزولا و إن اتصلت بها تلاوة و حلولا (فاقبموا) بسبب العفو عنكم شكروا على هذا الكرم و الحلم (الصلوة) التي هي طهارة لأرواحكم و وصلة لكم بربكم (و اتوا الزكاة) التي هي نزاهة لأبدانكم و تطهير و نماء لأموالكم و صلة باخوانكم ، و لا تفرطوا في شيء من ذلك فتهملوه ،
 ١٠ فالصلاة نور تهدي إلى المقاصد الدنيوية و الآخروية ، و تعين على نوائب الدارين ، و الصدقة برهان على صحة القصد في الصلاة .

و لما خص أشرف العبادات البدنية و أعلى المتأسك المالية ، عم فقال حاثا على زيادة النور و البرهان اللذين بهما تقع المشكلة في الأخلاق فتكون المناجاة عن أعظم إقبال و إفاق قال : (و اطيعوا الله)
 ٢٥٢ / ١٥ / أي الذي له الكمال كله فلم يشركه في إبداعه لكم على ما أتم عليه أحد

(١) من ظ و م ، و في الأصل : من (٢) راجع معالم التنزيل بهامش القباب ٤٥ / ٧ (٣-٤) سقط ما بين الرقيين من ظ (٤) من ظ و م ، و في الأصل : منها (٥) من ظ و م ، و في الأصل : ظهر (٦) من ظ و م ، و في الأصل : تطهيرا (٧) من ظ و م ، و في الأصل : اشراف (٨) من م ، و في الأصل و ظ : من (٩-١٠) من ظ و م ، و في الأصل : الاقبال

(ورسوله ^١) الذى عظمت من عظمته فى سائر ما يأمر ^٢ به فانه ما أمركم لأجل إكرام رسولكم صلى الله عليه وسلم إلا بالحنيفية السمحة ، وجعل المحافظة على ذلك قائمة مقام ما أمركم به ، ثم نسخه عنكم من تقديم الصدقة على التجوى .

و لما كان قد عفا عن أمر أشعر السياق بأنه وقع فيه تفریط ، فكان هـ ذلك ربما جرى على انتهاك الحرمات ، رهب من جنبه باحاطة العلم ، وعبر بالخبر لأن أول الآية ونج على أمر باطن ولم يبالغ بتقديم الجار لما فيها من الأمور الظاهرة . فقال عاطفا على ما تقديره : فإله يحب الذين يطيعون : (والله) أى الذى أحاط بكل شئ قدرة وعلما (خير بما تعملون ^٣) أى تجدون عمله ، يعلم بواطنه كما يعلم ظواهره . ١٠

و لما أخبر باحاطة علمه ردعا ^٤ لمن يفتتر بطول حلمه ، دل على ذلك باطلاعه على نفاق المنافقين الذى هو أبطن الأشياء ، فقال معجبا مرهبا معظما لل مقام بتخصيص الخطاب بأعلى الخلق صلى الله عليه وسلم تنبيها على أنه لا يفهم ذلك حق فهمه غيره : (الم ز) ودل على بعدهم عن الخير بحرف الغاية فقال : (الى الذين تولوا) أى تكلفوا بغاية جهدهم ١٥ أن جعلوا أوليائهم الذين يزولون بهم أمورهم (قوما) ابتغوا عندهم العزة اغترارا بما يظهر لهم منهم من القوة (غضب الله) أى الملك

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : يأمركم (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : امر بما - كذا (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : ودعا (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : هر - كذا (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : عنده .

الاعلى الذى لا ند^١ له ﴿ عليهم^٢ ﴾ أى على المتولين والمتولين^٣ لأنهم
 قطعوا ما بينهم وبينه ، و الأدلون هم المنافقون تولوا اليهود ، وزاد فى
 الشناعة عليهم بقوله مستانفا : ﴿ ما هم ﴾ أى اليهود المغضوب عليهم ﴿ منكم ﴾
 أيها المؤمنون لتوالوهم خوفا من السيف ورغبة فى السلم ﴿ ولا منهم^٤ ﴾ أى
 المنافقين ، فتكون موالاتهم لهم^٥ لمحبة سابقة و قرابة شائكة ، ليكون ذلك
 لهم عذرا ، بل هم مذبذبون . فهم مع المؤمنين بأقوالهم ، ومع الكفار
 بقلوبهم ، فما تولوهم إلا عشقا فى النفاق لمقاربة^٦ ما بينهم فيه ، أو يكون
 المعنى : ما المنافقون المتولون من المسلمين ولا من اليهود المتولين ، وزاد
 فى الشناعة عليهم بأقبح الأشياء الحامل على كل رذيلة ، فقال ذاكر^٧ الحالم
 ١٠ فى هذا الاتحاد : ﴿ ويخلفون ﴾ أى المنافقون يحددون الحلف على
 الاستمرار ، ودل بأداة الاستعلاء على أنهم^٨ فى غاية الجرأة على استمرارهم^٩
 على الإيمان الكاذبة بأن التقدير : مجترئين ﴿ على الكذب ﴾ فى دعوى
 الإسلام وغير ذلك مما يقعون فيه من عظام الآثام ، فإذا عوتبوا عليه
 بادروا إلى الإيمان .

١٥ ولما كان الكذب قد يطلق فى اللغة على ما يخالف الواقع وإن
 كان عن غير تعمد بأن يكون^{١٠} الخالف يحهل عدم مطابقته للواقع ، قال

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : مذل (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : المولين .
 (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : لتقارب (٥) من م ، وفى الأصل و ظ : انه .
 (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : الاستمرار (٧) من ظ و م ، وفى الأصل :
 كان - كذا .

نافيا لذلك مينا انهم جراوا على اليمين القموس : ﴿ وهم يعلمون ٥ ﴾
 أى أنهم كاذبون فهم متعمدون^١، وذلك^٢ أن النبي صلى الله عليه وسلم
 قال لأصحابه : يدخل عليكم رجل قلبه قلب جبار و ينظر بعيني شيطان ،
 فدخل عبد الله بن نبتل وكان أزرق أسمر قصيرا^٣ خفيف^٤ / اللحية ، فقال
 ٢٥٣ / النبي صلى الله عليه وسلم : علام تشتمنى أنت وأصحابك ، خلف بالله ما ه
 فعل ، فقال له : فعلت . فجاء بأصحابه خلفوا بالله ما سبوه ، فنزلت .
 ولما أخبر عن حالهم ، أتبعه الإخبار عن مآلهم ، فقال دالا - كما^٥
 قال القشيري - [على أن - ٥] من وافق مغضوبا عليه أشرك نفسه في
 استحقاق غضب من هو غضبان عليه ، فمن تولى مغضوبا عليه من قبل الله
 استوجب غضب الله^٦ وكفى بذلك هوانا [و - ٧] حزنا و حرمانا ، معبرا^٧ .
 بما دل على أنه أمر قد فرغ منه : ﴿ اعد الله ﴾ أى الذى له العظمة
 الباهرة فلا كفوء له ، وعبر بما دل على التهم بهم فقال : ﴿ لهم عذابا ﴾
 أى امرا قاطعا^٨ لكل عذوبة ﴿ شديدا^٩ ﴾ يعلم من^٩ رآه و رآهم^٩ أن
 ذواتهم متداعية إليه ضعيفة عنه .

(١) من م ، وفي الأصل و ظ : يتعمدون (٢) الحديث ذكره الجوى في المعالم
 بهامش الباب ٧ / ٤٥ (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : قصير (٤) من ظ
 و م ، وفي الأصل : ولذلك (٥) زيد من ظ (٦) زيد في الأصل : عليه ،
 ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٧) زيد من م (٨) من ظ و م ، وفي
 الأصل : قال عاطفا (٩-٩) من ظ و م ، وفي الأصل : يراه ويراهم .

و لما اخبر بعذابهم ، علله^١ بما دل على^٢ انه واقع في أم مواقفه فقال
مؤكدًا تقييحا على من كان يستحسن افعالهم^٣ : ﴿انهم ساء﴾ أى بلغ الغاية
بما يسوء ، و دل على أن ذلك كان لهم كالجبله بقوله : ﴿ما كانوا يعملون هـ﴾
أى يحددون عمله مستمرين عليه لا ينفكون عنه من غشهم المؤمنين
هـ و نصحهم الكافرين و عيبتهم للاسلام و أهله ، و اجترانهم على الايمان
الكاذبة ، و أصروا على ذلك حتى زادهم التمرد عليه جرأة على^٤
جميع المعاصي .

و لما دلت هذه الجملة على سوء أعمالهم^٣ و مداومتهم عليها ، اكد
ذلك بقوله : ﴿اتخذوا﴾ أى كلفوا فظرم الاولى المستقيمة لما لهم من
١٠ العرافة في اعوجاج الطبع و المحبة للأذى^٥ ﴿ايمانهم﴾ الكاذبة التى لانهون
على من فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان ﴿جنة﴾ أى وقاية
و ستره من كل ما يفضحهم من النفاق كائنا ما كان ، أو يوجب قتلهم
بما يقع منهم من الكفران .

و لما كان عليهم بأنه برضى منهم بالظاهر و يصدق أيمانهم^٦ هو الذى^٧
١٥ جراهم على العظام ، فكانوا يرغبون الناس فى النفاق بعاجل الشهوات

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : علل (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : عليه .
(٣) من ظ و م ، و فى الأصل : حالهم (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : عليها .
(٥) من ظ و م ، و فى الأصل : فى الأذى (٦-٧) من ظ و م ، و فى الأصل :
الذى هو .

و يثبطونهم^١ عن الدين بما فيه من عاجل الكلف^٢ و آجل الثواب ، سبب
 عن^٣ قبول إيمانهم قوله مظهرا بزيادة التويخ [لهم -^٤] : ﴿ فصدوا ﴾
 أى كانت قبول ذلك منهم و تأخير عقابهم سببا لإيقاعهم الصد
 ﴿ عن سبيل الله ﴾ أى شرع الملك^٥ الأعلى الذى هو الطريق إلى رضوانه
 الذى هو سبب الفوز الأعظم ، فأنهم كانوا يثبطون من لقوا عن الدخول ه
 فى الإسلام و يوهون أمره و يحقرونه ، و من رام قد خلصوا من^٦ المكارة
 بآيمانهم الحاشية [و -^٧] ردت عليهم الأرزاق استدراجا و حصلت لهم
 الرفعة عند الناس بما رضونهم من أقوالهم المؤكدة بالآيمان غره ذلك
 فاتبع سنتهم فى أقوالهم و أفعالهم . و نسج على منوالهم ، غرورا بظاهر
 أمرهم ، معرضا عما توعدهم الله سبحانه عليه من جزاء خداعهم و مكرم ، ١٠
 و أجرى الأمر على أسلوب التهمك باللام التى تكون فى المحبوب فقال :
 ﴿ فلهم ﴾ / أى قتسب عن صدم أنهم كان لهم ﴿ عذاب مهين ه ﴾ جزاء ٢٥٤ /
 بما طلبوا بذلك^٨ الصد ' إعزاز أنفسهم ' و إهانة أهل ' الإسلام .

و لما كان لهم أموال و أولاد يتعززون بها ، قال مستأنفا [دالا -^٩]

على أن من استتر بحجة دون طاعته لتسلم دنياه و رماه تكشف لسبام ١٥

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : يثبطون (٢) فى ظ : الكلفة (٣) من م ، و فى
 الأصل و ظ : عنه (٤) زيد من ظ و م (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : ملك .
 (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : عن (٧) زيد من م (٨) من ظ و م ، و فى
 الأصل : ذلك (٩-٩) من ظ و م ، و فى الأصل : إعزازا لانفسهم (١٠) من
 ظ و م ، و فى الأصل : لاهل .

التقدير من حيث لا يشعر ، ثم لادينه يبقى ولا دنياه تسلم : ﴿لن تغنى﴾
 أى بوجه من الوجوه ﴿عنهم﴾ أى فى الدنيا ولا فى الآخرة بالافتداء
 ولا بغيره ﴿أموالهم﴾ وأكد النفي باعادة النافي للتصيص على كل
 منهما فقال : ﴿ولا أولادهم﴾ أى بالنصرة والمدافعة ﴿من الله﴾ أى
 ٥ إغناء مبتدئا من الملك الأعلى الذى لا كفوء له ﴿شيئاً﴾ أى من إغناء
 ولوقل جدا ، فهما أراد بهن سبحانه كان ونقد ومضى ، لا يدفعه شيء
 تكذيباً لمن قال منهم : لئن كان يوم القيامة لتكون أسعد فيه منكم كما
 نحن الآن ولنتصرن بأنفسنا وأموالنا وأولادنا . ولما اتقى الإغناء
 المبتدئ من الله [فانتفى - ٢] باتفائه كل إغناء سواه ، أنتج ذلك قوله :
 ١٠ ﴿اولئكَ﴾ أى البعداء من كل خير [(صاحب النار) - ٢] ولما
 أنهمت الصحة الملازمة ، أكدها بقوله : ﴿هم﴾ أى خاصة لاضمحلال
 عذاب غيرهم - لكونهم فى الهاوية - فى جنب عذابهم ﴿فيها﴾ أى
 خاصة دون شيء يقصر عنها ﴿تخلدون﴾ أى مقيمون باقون دأبون
 لازمون إلى غير نهاية .

١٥ ولما كان إفسادهم لذات البين سرا ، وحلفهم على نفي ذلك جهرا

مع الإلزام^٢ بقبول ما ظهر من ذلك منهم مع علمه سبحانه وتعالى
 بأنه كذب غائظا موجعا ، وكان ربما توهم متوهم أنه تعالى كما ألزم بقبولنا
 لما ظهر منهم فى دار العمل يأمر بقبولهم فى دار الجزاء ، قال نافيا لذلك

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : غناء (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م .

وفى الأصل : اللازم .

معزياً للمؤمنين بأنهم يفعلون ذلك معه سبحانه بعد^١ كشف الغطاء و تحقيق
الأمور ، لأن الإنسان يبعث على ما مات عليه ، لأن ذلك جلته التي
لا ينفك عنها . ولا ينفكهم ذلك ، ذاكراً ظرف الخلود وإظهار التعذيب^٢ :
﴿ يوم يبعثهم الله ﴾ أى الملك الذى له جميع صفات الكمال بأحياتهم عما
كانوا فيه من الموت^٣ و ردهم إلى ما كانوا قبله ﴿ جميعاً ﴾ لا يترك أحداً ه
منهم و لا من غيرهم إلا أعاده إلى ما كان [عليه] قبل موته ﴿ فيحلفون ﴾
أى فيتسبب عن ظهور القدرة التامة لهم و معاينة ما كانوا يكذبون به
من البعث و النار أنهم يحلفون ﴿ له ﴾ أى الله فى الآخرة أنهم مسلمون
فيقولون : و الله ربنا ما كنا مشركين . ونحوه من الأكذوبات التي
تزيدهم ضرراً . و لا تغنى عنهم شيئاً بوجه من الوجوه ، جرياً على ما طبعوا ١٠
عليه من إثارة الهوى و القصور على النظر فى المحسوسات التي ألفوها
﴿ كما يحلفون ﴾ فى الدنيا ﴿ لكم ﴾ لكونكم لا تعلمون الغيب مع توقعهم
أن الله يفضحهم كما فعل لهم ذلك مراراً ، وحلفهم ناشئ عن اعتقاد بعدم
من القبول فانه لا يحلف لك^٤ إلا من يظن^٥ أنك تكذبه ؛ / قال القشيري : ٢٥٥ /
عقوبتهم الكبرى ظنهم الأجنبية ، و غاية الجهد كبهم على مناخرهم فى ١٥
وهذه ندمهم^٦ .

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : مع (٢) فى ظ : التعريف (٣) ليس فى ظ و م .
(٤-٥) من ظ و م ، وفى الأصل : عليه (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : إياز
- كذا (٦) سقط من ظ (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : ذلك (٨) فى م :
ظن (٩) من م ، وفى الأصل و ظ : ندمهم .

ولما كان^١ الذى يحملهم على الإقدام على ذلك ضعف عقولهم
وتوغلهم فى النفاق و مرودهم عليه حتى بعثوا على مثل ذلك مع علمهم
بأن ذلك لا ينجيهم لإحاطة علمه سبحانه ، عبر بالحسبان ، فقال دالا على
أنهم فى الغاية من الجهل وقلة العقل : ﴿ ويحسبون ﴾ أى فى القيامة
هـ بأيمانهم الكاذبة ﴿ انهم على شيء^٢ ﴾ أى يحصل لهم به نفع لتخليهم أن
أيمانهم تروج على الله فتنجيهم كما كانت^٣ فى الدنيا تنجيهم^٤ .

ولما أفهم ذلك أن أمورهم لاحقائق لها لا فى إخباراتهم ولا فى
أيمانهم ولا فى حساباتهم ، [قال مناديا عليهم مؤكدا لتكذيب حسابهم -^٥] :
﴿ الآ انهم ﴾ أى خاصة ﴿ هم الكاذبون هـ ﴾ أى المحكوم بكذبهم فى
١٠ حساباتهم وفى أخبارهم فى الدارين لعراقتهم فى وصف الكذب حيث
لا يستحيون من الكذب عند الله .

• ولما كان هذا الانهالك فيما لا يغنى عما يحصل لسامعه غاية العجب
من وقوع عاقل فيه مرة من الدهر ، فضلا عن ملازمته ، أخبر عن
الحامل لهم عليه ، فقال مستأنفا : ﴿ استحوذ ﴾ أى طلب ان يغلب
١٥ ويسوق ويسرع ويضرب الحوطة ويحث ويقهر ويستولى
﴿ عليهم الشيطان ﴾ مع [أنه] طريد ومحترق ، ووجد منه جميع ذلك ،
ووصل منهم إلى ما يريد ، وملكهم ملكا لم يبق لهم معه اختيار فصاروا

(١) زيد فى الأصل : وكان ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فخذناها (٢-٢) من
ظ و م ، وفى الأصل : تنجيهم فى الدنيا (٣) زيد من ظ و م .

رعبته وأقطاعه ، و صار هو محيطا بهم من كل جهة ، غالبا عليهم ظاهرا
و باطنا ، من قولهم : حذت الإبل أى استوليت عليها ، و حاذ^١ الحمار العانة^٢
- إذا جمعها و ساقها غالبا لها ، و الحوذ : السوق السريع^٣ ، و منه الاحوذى :
الخفيف فى المشى لحدقه ، و جاء على الأصل على حكم الصحيح لأنه لم ين
على حاذ كافقر^٤ فانه لا مجرد له ، لم يقولوا : قفر . (فانسهم) أى ٥
قتل عن استحواذه عليهم أنه أنسام (ذكر الله^٥) أى الذى له الأسماء
الحسنى و الصفات العلى بعد أن كان ذكره مركزا فى فطرهم الأولى ،
فصاروا لا يذكرونه أصلا بقلب : لا لسان .

و لما كان ذلك ، أنتج^٦ و لا بد^٧ قوله : (أولئك) أى الذين^٨
أحلوا أنفسهم^٩ أبعد منزل (حزب الشيطان^{١٠}) أى اتباعه و جنده ١٠
و جماعته و طائفته و أصحابه^{١١} و المحدثون به^{١٢} و المتحيزون إليه لدفع [ما -^{١٣}]
حزبه أى نابه و اشتد عليه ، المبعدون المحترقون^{١٤} لأنهم تبعوه و لم يخافوا
[فى -^{١٥}] مجازيته و إنفاذ ما يريد لومة لائم مع أنه كله نقائص
و معائب ، و هم مطبوعون على بغضه ، و تركوا من [له -^{١٦}] الكمال كله ،
و ذكره و حبه مركزا فى فطرهم ، فلذلك كانت ترجمة هذا و نتيجه قوله : ١٥

(١ - ١) من ظ و م ، و فى الأصل : الجمار انفاية (٢) من ظ و م ، و فى
الأصل : الربع (٣) من م ، و فى الأصل و ظ : قفر - كذا (٤) زيد فى
الأصل : لا ، و لم تكن الزيادة و ظ و م لخدفاها (ه - ه) من ظ ، و فى الأصل
و م : و لا بد أنتج (٦) من م ، و فى الأصل و ظ : الذى (٧) فى م : نفو - هم .
(٨ - ٨) سقط ما بين الرقعين من ظ و م (٩) زيد من ظ و م (١٠) من م ،
و فى الأصل و ظ : المتحرقون .

﴿ الآ ﴾ و أكد لظنهم الرج بما لهم في الدنيا من الكثرة و ظهور
 التعاوض و الاستدراج بالبسط و السعة فقال : ﴿ ان / حزب الفيطن ﴾ / ٢٥٦
 أى الطريد المحترق ﴿ هم ﴾ أى خاصة ﴿ الخسرون ٥ ﴾ أى العريقون
 فى هذا الوصف لأنهم لم يظفروا بغير الطرد و الاحتراق .

٥ و لما بين ما أوصلهم إليه نسيان الذكر من الخسار ، بين أنه أو قعهم
 فى العداوة ، فقال معللا الخسار 'و النسيان و التحزب' ، و أكد تكذيباً
 لحالفهم على نفي ذلك مظهراً موضع الإضممار للتنبيه على الوصف الموقوع
 فى الهلاك : ﴿ ان الذين يحآدون ﴾ و لعل الإدغام لسترهم ذلك بالآيمان ،
 و يفهم منه الحكم [على - °] من جاهر بطريق الأولى ﴿ الله ﴾ أى
 ١٥ يفعلون مع الملك الأعظم الذى لا كفوء له فعل من ينازع آخر فى أرض
 فيغلب على طائفة منها^١ فيجمر لها حدا لا يتعداه خصمه ﴿ ورسوله ﴾
 الذى عظمت من عظمتة .

و لما كانوا لا يفعلون ذلك إلا لكثرة اعوانهم^٢ و أتباعهم ، فيظن
 من رآهم أنهم الاعزاء الذين لا أحد^٣ أعز منهم ، قال تعالى نفياً لهذا
 ١٥ الغرور الظاهر : ﴿ اولئك ﴾ أى الأبعد الأسافل ﴿ فى الاذلين ٥ ﴾ [أى - °]

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : اصلهم (٢ - ٣) من ظ و م ، و فى الأصل :
 العداوة و التخويف (٣) من ظ ، و فى الأصل و م : تأكيداً (٤) من ظ و م ،
 و فى الأصل : مظهر (٥) ريد من م (٦) من م ، و فى الأصل و ظ : منهم .
 (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : أنواعهم (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : احدا .

الذين يعرفون أنهم اذل' الخلق بحيث يوصف كل منهم بأنه^٢ الأذل مطلقا من غير مفضل عليه ليعم^٣ كل من^٤ يمكن منه ذل، وذلك في الدنيا والآخرة سواء كانوا فارس والروم أو أعظم منهم سواء كانوا ملوكا كفرة كانوا أو فسقة، كما قال الحسن: إن للعصية في قلوبهم لذلا، وإن طقطقت بهم اللجم . ولما أنزلهم بالحضيض الأسفل، علل ذلك هـ [بما يدل على -^٥] أنه^٦ سبحانه لا شريك له بآتمام كلماته بنصر أوليائه على ضعفهم وخذلان أعدائه على قوتهم لأنه سبحانه [غيب -^٦] محض لا دلالة^٧ عليه إلا بأفعاله فقال: ﴿كتب﴾ أى فعل فعل من أرم أمرا^٨ ففرغ منه وكتبه فأوجب وحم وفضى وبت ﴿الله﴾ [أى الملك -^٩] الذى لا كفوء له ﴿لاغلن﴾^{١٠} أكد لما لهم^{١١} من ظن الغلب بالكثرة والقوة ﴿انا ورسلى^{١٢}﴾ أى بقوة الجدال و شدة الجلال، فهو صادق بالنسبة إلى من بعث بالحرب، وإلى من بعث بالحجة، و علل هذا القهر بقوله مؤكدا لأن أفعالهم "مع أوليائه" أفعال من يظن ضعفه: ﴿ان الله﴾ [أى -^{١٣}] الذى له الأمر كله ﴿قوى﴾ فهو يفيض من^{١٤} باطن قوته

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : اولى (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : انه .
 (٣-٣) من ظ و م ، وفى الأصل : لمن (٤) زيد من ظ (هـ) من ظ ، وفى الأصل و م : بانه (٦) زيد من ظ و م (٧) من ط و م ، وفى الأصل : دلة .
 (٨) من م ، وفى الأصل : امر (٩ - ٩) من ظ و م ، وفى الأصل : واكد ضلالهم (١٠ - ١٠) من ظ و م ، وفى الأصل : بأوليائه (١١) من ظ و م ، وفى الأصل : على .

ما يظهر به ظاهر قدرة أوليائه ، فان القوى من له استقلال-باطن بما يحمله القائم في الأمر ولو ضعف عليه ما عسى أن يضاعف و حمايته مما يتطرق إلى الإجلال بشدة و بطش منبعث عن ذلك الاستقلال الباطن ، و ما ظهر من أثر ذلك فهو قدرة ، فلا اقتدار يظهر من الخلق إلا بالاستناد إلى القوة بالله ، و لا قيام بالحقيقة لباطن إلا بالله الذي بيده ملكوت كل شيء ، فلذلك كان بالحقيقة لا قوى إلا هو .

و لما كان القوى 'من المخلوقات' قد يكون غيره^٢ [أقوى من غيره -^٢] و لو في وقت ، [نق -^٢] ذلك بقوله : ﴿عزيزه﴾ أى غالب غلبة لا يحد معها المغلوب نوع / مدافعة و انقلات^٣ ، ثابت له هذا الوصف دائماً .

/ ٢٥٧

١٠ و لما ظهر بهذا كالشمس أن من والاه سبحانه كان فائزاً ، و من عاداه كان خاسراً ، كانت نتيجته قطعاً التحذير من موالاته أعداء الله في سياق التثني المفيد للبالغة في النهى عنه و الزجر عن قربانه فقال^٤ : ﴿لا نجد﴾ أى بعد هذا البيان ﴿قوما﴾ أى ناسا لهم قوة على^٥ ما يريدون محاولته ﴿يؤمنون﴾ أى يحددون الإيمان و يديمونه ﴿بالله﴾ أى الذى له الاسماء الحسنى و الصفات العلى^٦ ﴿و اليوم الآخر﴾ الذى هو موضع الجزاء لكل عامل [بكل ما -^٢] عمل ، الذى هو محط الحكمة ﴿يؤادون﴾

(١-١) -قط ما بين الرتين من ظ و م (٣) من ظ و م ، و في الأصل : عبر .
(٢) زيد من ظ و م (٤) زيد في الأصل : بينه ، و لم تكن الزيادة في ظ و م
لحذفها (٥) من م ، و في الأصل و ظ : انقلاب (٦) من ظ و م ، و في الأصل : لاذ به (٧) من ظ و م ، و في الأصل : قال (٨-٨) من ظ و م ، و في الأصل : محاولة ما يريدونه

أى يحصل منهم ود [لا - ١] ظاهرا و^٢ لا باطنا - بما أشار إليه الإدغام وأقله الموافقة في المظاهرة^٣ ﴿ من حاد الله ﴾ أى عادى^٤ بالمناسبة في الحدود الملك^٥ الأعلى لذلك فالمحادة^٦ لا تخفى وإن كانت باطنة يستتر بها صاحبها، لأن الظاهر عنوان الباطن، والأفعال دليل [على - ١] الأقوال، وهذا حامل على زيادة^٧ النفرة منهم ﴿ ورسوله ﴾ فإن من حاده فقد حاد^٨ الذى أرسله، بل لا تجدم إلا يحادونهم، لا أنهم يوادونهم، وزاد ذلك تأكيداً بقوله: ﴿ ولو كانوا أباءهم ﴾ الذين أوجب الله على الأبناء طاعتهم بالمعروف، وذلك كما فعل أبو عبيدة عامر^٩ بن الجراح رضى الله عنه، قتل أباه عبد الله بن الجراح يوم أحد ﴿ أو أبناءهم ﴾ الذين جبلوا على محبتهم ورحمتهم كما فعل أبو بكر رضى الله عنه فإنه دعا ابنه يوم بدر ١٠ إلى المبارزة، وقال: دعنى يا رسول الله اكن في الرعدة الأولى. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: متعنا بنفسك يا أبا بكر، أما تعلم أنك بمنزلة سمى وبصرى^{١١}. ﴿ أو اخوانهم ﴾ [الذين - ١] هم أعضادهم^{١٢}

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : أو (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : (الظاهر ٤) من ظ و م ، ، وفى الأصل : عاداه (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : لللك (٦) فى ظ و م : المحادة (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : ارادة (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : انبائهم (٩) الكلمة ساكنة من ظ و م . (١٠) وكل هذا ، مم ما يأتى ، ذكره البغوى من طريق ديد الله بن مسعود - راجع معالم التنزيل بهامش الباب ٤٦/٧ (١١) زيد من ظ (١٢) من ظ ، وفى الأصل و م : أعضاده .

كما فعل مصعب بن عمير رضى الله عنه ، قتل أخاه عبيد بن عمير يوم أحد
 و خرق سعد بن أنى وقاص رضى الله عنه الصفوف يومئذ على أخيه عتبة
 ابن أنى وقاص غير مرة ليقته فراع عنه روعان^٢ الثعلب ، فنهاه رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وقال : أتريد أن تقتل نفسك ، وقتل [محمد - ٢]
 ٥ ابن مسلمة الأنصارى رضى الله عنه أخاه من الرضاع كعب بن الأشرف
 اليهودى رأس بنى النضير ﴿ او عشيرتهم ﴾ الذين هم أنصارهم وأمدادهم^٣
 كما فعل عمر رضى الله عنه ، قتل خاله العاصى بن هشام بن المغيرة يوم
 بدر و على و حمزة و عبيدة بن الحارث رضى الله عنهم قتلوا يوم بدر
 بنى عنهم عتبة و شيبة ابنى ربيعة و الوليد بن عتبة ، و عن الثورى^٤ أن
 ١٠ السلف كانوا يرون أن الآية نزلت فيمن يصحب السلطان - انتهى .
 و مدار ذلك على أن الإنسان يقطع رجاءه من غير الله ، و إن لم يكن
 كذلك لم يكن مخلصا فى إيمانه .

و لما كان لا يحمل على البراءة بمن^٥ هذا شأنه إلا صريح الإيمان ،
 أنتج قوله : ﴿ اولئك ﴾ أى الأعظمون شأننا الأعلون هما ﴿ كتب ﴾

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : سعيد (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : رواع .
 (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : اندادهم (هـ - هـ) من
 ظ و م ، وفى الأصل : و على ديره - كذا (٦) من ظ و م ، وفى الأصل :
 ابنا (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : النووى (٨-٨) من ظ و م ، وفى الأصل :
 عن - مع يسير من البياض (٩) من ظ و م ، وفى الأصل : دون (١٠) من
 ظ و م ، وفى الأصل : من .

أى / وصل و اثبت وصلا هو فى لحته كالخرز فى الاديـم ، وكالطراز^١
 فى الثوب الرقيم ، فلا انفكاك له (فى قلوبهم الإيمان) فجعلها^٢ أوعية
 له فأثمر ذلك نور الباطن و استقامة الاعمال فى الظاهر (و ايدهم)
 أى و ايم و شددهم و اعانهم و شجعهم و عظمهم و شرفهم (بروح)
 أى نور شريف جدا يفهمون به ما أودع فى كتابه و سنة رسوله صلى الله
 عليه وسلم من كنوز العلم والعمل^٣ فهو لقلوبهم كالروح للأبدان ، فلا
 يفعلون شيئا من أحوال [اهل -^٤] الجاملية كالظاهرة ، و زاد هذا
 التأيد شرفا بقوله : (منه^٥) أى أحيام به فلا انفكاك لذلك عنهم فى
 وقت من الأوقات فأثمر لهم استقامة المناهج ظاهرا^٦ و باطنا ، فقهروا
 بالدلائل و الحجج ، و ظهروا بالسيف المبنى للهج ، و عملوا الأعمال الصالحة ١٠
 فكانوا للدنيا كالسرج ، فلا تجد شيئا أدخل^٧ فى الإخلاص^٨ من موالاة
 أولياء الله و معاداة أعدائه ، بل هو عين الإخلاص ، و من جنح إلى
 منحرف عن دينه أو داهى مبتدعا فى نقده نزع الله نور التوحيد
 من قلبه .

ولما أخبر بما اتام فى الدنيا و هو غير معارق لهم فى الآخرة ، ١٥
 أخبر بما يؤتيهم^٩ فى الآخرة فقال : (و يدخلهم جنت) أى بساتين
 (١) من م ، و فى الأصل و ظ : الطراز (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : جعلها .
 (٣) العبارة من هنا الى « فلا انفكاك » ساقطة من ظ (٤) زيد من م (٥) من
 ظ و م ، و فى الأصل : ظاهر (٦-٧) من ظ و م ، و فى الأصل : للإخلاص .
 (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : يتوهم .

يستر داخلها من كثرة أشجارها ، وأخبر عن ريبها بقوله : ﴿ تجري ﴾ و لما
 كانت المياه لوغمت الأرض لم يكن بها مستقر ، أثبت الجار فقال - ' :
 ﴿ من تحتها الانهر ﴾ أى فهى لذلك كثيرة الرياض والأشجار والساحات
 والديار . و لما كان ذلك لايلد إلا بالدوام قال : ﴿ خلدن فيها ﴾ .
 ٥ و لما كان ذلك لايتم الا برضا مالكها قال : ﴿ رضى الله ﴾ أى
 الملك الأعظم الذى له الأمر كله فلا التفات إلى غيره ﴿ عنهم ﴾ و لما
 كان ذلك لا يكمل سروره إلا برضاهم ليطمحن المجاورة قال :
 ﴿ ورضوا عنه ﴾ أى لأنه أعطاهم فوق ما يؤملون . و لما أخبر عنهم
 بما يسر كل سامع فيشتاق إلى مصاحبتهم ومعاشرتهم ومرافقتهم ومقاربتهم ،
 ١٠ و مدحهم و عرفهم بقوله : ﴿ أولئك ﴾ أى الذين هم فى الدرجة العليا
 من العظمة لكونهم قصرُوا و دهم على الله علما بهم بأنه ليس النفع
 [والضر - '] إلا بيده ﴿ حزب الله ﴾ أى جند الملك الأعلى الذى
 [أحاط - '] بجميع صفات الكمال وأولياءه ، فانهم هم يفضون له ولا يخافون
 فيه لومة لائم . و لما تبين مما أعد لهم و أعد لأضدادهم أنهم المختصون بكل
 ١٥ خير ، قال على طريق الإنتاج مما مضى مؤثدا لما لأضدادهم من الإنكاد :
 ﴿ إلا ان حزب الله ﴾ أى جند الملك الأعلى وهم هؤلاء الموصوفون ومن

- (١) زيد ما بين الحاجرين من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : ملك .
 (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : مشتاق (٤) من م ، وفى الأصل : مراقبتهم .
 (٥) زيد من م (٦) سقط من م (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : الذين هم .
 (٨) من ظ ، وفى الأصل : ما (٩) من ظ و م ، وفى الأصل : بما .

والامم (م) أى خاصة 'اللاغيرم' (المفلحون ع) أى الذين حازوا
الظفر بكل ما يؤملون فى الدارين ، وقد علم من الرضى من الجانبين
والحزبية والإفلاح عدم الانفكاك عن السعادة فأغنى ذلك عن تقييد
الخلود بالتأييد ، خصهم بذلك لأن له / العزة والقوة والعلم والحكمة ،
فلذلك علم أمر المجادلة ورحم شكواها لأنها من حزبه وسمع لها ، ومن هـ
سمع له فهو مرضى عنه ، وحرّم الظهار بسبب شكواها إكراما لها بحكمته
لأنه منابذ للحكمة 'لأنه تشبيه' خارج عن قاعدة التشبيهات^٢ ، وفيه امتهان
للآم التى لها فى دينه غاية الإكرام بالتسوية بالزوجة التى هى محل الاقتراح ،
وختم آيها^٣ بأن من تعدى حدوده فعاد^٤ أحوال الجاهلية فهو مجادله
سبحانه فهو من حزب الشيطان ، فقد عاد^٥ آخرها إلى أولها بأدل دليل ١٠
على أحسن سبيل ، لأن هذا القرآن العظيم أشرف حديث ، أقوم قبل
وهذا مقصود التى بعدها ، ولاشك أنه موجب للتنزيه مبعد عن التشريك
والتشبيه ، فسبحان من أنزله آية دائمة البيان ، موجبة للإيمان ، قامعة للطغيان ،
على مدى الدهور وتطاول الأزمان^٦ .

- (١ - ١) سقط ما بين الرقيين من ظ و م (٢ - ٢) من ظ و م ، وفى الأصل :
سبيه - كذا (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : الشبهات (٤) ف م : أيتها .
(٥) من م ، وفى الأصل و ظ : فعادوا (٦ - ٦) من ظ و م ، وفى الأصل :
أولها إلى آخرها (٧) ف م : الزمان .

سورة الحشر^١ وتسمى سورة النضير^٢

مقصودها بيان ما دل عليه آخر المجادلة من التنزه عن شوائب النقص
بإثبات القدرة الشاملة بدليل^٣ شهودى على أنه يغلب هو ورسله،
ومن حاده فى الأذلين. لأنه قوى عزيز، المستلزمة للعلم التام المستلزم
ه [للحكمة البالغة المستلزمة - ٤] للحشر المظهر لفلاح المفلح وخسار الخاسر
على وجه الثبات الكاشف آتم كشف لجميع صفات الكمال، وأدل^٥ ما فيها
على ذلك تأمل قصة [بنى - ٦] النضير المعلم بأول الحشر المؤذن بالحشر
الحقيقى بالقدرة عليه بعد إطباق الولى والعدو على ظن أنه لا يكون، فلذا^٦
سميت بالحشر وبنى النضير لأنه سبحانه وتعالى حشرهم بقدرته من المدينة
١٠ الشريفة إلى خيبر والشام والحيرة ثم حشرهم [وغيرهم - ٦] من اليهود
الحشر الثانى من خيبر إلى الشام الذى هو آية الحشر الأعظم إلى أرض
الحشر لقهر هذا النبى الكريم أهل الكتاب المدعين لأنهم^٧ أفضل الناس

- (١) التاسعة والخمسون من سور القرآن الكريم، مدنية وعدد آياتها (٢٤)
بالاتفاق - راجع نثر المرجان ٧ / ٢٦٦ (٢) من ظ و م ومعالم التنزيل بهامش
الكتاب ٧ / ٤٦، وفى الأصل: النصر (٣) من ظ و م، وفى الأصل: بدل .
(٤) زيد من م (٥) من ظ و م، وفى الأصل: الى (٦) زيد من ظ و م .
(٧) من ظ و م، وفى الأصل: فكذا (٨) من م، وفى الأصل: الحشر.
(٩) من م، وفى الأصل و ظ: انهم .

و أنهم مؤيدون بما^١ لهم من الدين الذى أصله قويم^٢ بما لوحث إليه الحديد
كما قهر أهل الأوثان الذين هم عالمون بأنهم بدلوا الدين الصحيح فثبت
- بظهور دينه على كل دين على حد سواء كما وعد به سبحانه صدقه فى
كل ما جاء به بعد التوحيد^٣ - الإيمان بالبعث الآخر لأنه محط الحكمة
و موضع إظهار النعمة و الرحمة^٤ ﴿ بسم الله ﴾ الملك الأعظم الذى لا راد^٥
لأمره^٥ فلا خلف لعباده ﴿ الرحمن ﴾ الذى عمت نعمة إجماده فلا يحصى
عن معاده ﴿ الرحيم ﴾ الذى خص أهل وداده بالتوفيق لما يرضيه عنهم
فيوجب لهم الفوز باسعاده^٦ .

/ لما^٧ ختمت المجادلة بأنه معز أهل طاعته ، و مذل أهل معصيته ٢٦٠ /
و محادثه ، علله بتنزيهه^٨ عن النقائص تأييدا للوعد بنصرهم فقال : ﴿ سبح ﴾ ١٠
أى أوقع التنزيه^٩ الأعظم عن كل شائبة نقص ﴿ الله ﴾ الذى أحاط بجميع
[صفات - ١٠] الكمال .

و لما كان الكفار من جميع بنى آدم قد عبد بعضهم الشمس

- (١) من م ، و فى الأصل و ظ : لا (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : قوم .
(٣) زبدت الواو بعده فى الأصل و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٤) زيد فى
الأصل : انتهى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) من ظ و م ، و فى
الأصل : لحكمه (٦) من ظ ، و فى الأصل و م : باسعاده ، و زيد بعده فى
الأصل : فى الدنيا و الآخرة ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧) من
م ، و فى الأصل و ظ : ولا (٨) من م ، و فى الأصل و ظ : بتنزيهه (٩) من
م ، و فى الأصل و ظ : للشبه (١٠) زيد من ظ .

و بعضهم القمر و بعضهم [غيرهما من -] الكواكب ، و كانت الكواكب
 مبثوثة في السماوات كلها لا تخص سماء بعينها و كذا الملائكة ، جمع دلالة
 على أن الكل عبيد فقال : ﴿ ما في السموات ﴾ أى كلها . و لما كان
 الكلام في النهى عن موادة الذين يجادون الله ، و كان ذلك لمن دون
 ه الخالص ، أكد باعادة النافي لاحتياجهم للتأكيد فقال : ﴿ و ما ﴾ و لما
 كان جميع ما عبده مما أشركوا به من الارضيات من شجر و صنم و بقرة
 و غير ما لا يعد و الارض التى هم عليها ، أفرد فقال : ﴿ في الارض ﴾ .
 و لما شمل هذا جميع العالم ، أشار إلى أن عظمته لا تنتهى فقال :
 ﴿ و هو ﴾ أى و الحال أنه وحده ﴿ العزيز ﴾ الذى يغلب كل شئ .
 ١٠ و لا يمتنع عليه شئ . ﴿ الحكيم ﴾ الذى نفذ عليه^٢ في الظواهر و البواطن
 و أحاط بكل شئ . فأتقن^٣ ما أراد ، فكل ما خلقه جعله على وحدانيته
 دليلا ، و إلى بيان ما له من العزة و الحكمة سيلا .

و قال الإمام أبو جعفر بن الزبير : لا خفاء باتصال آيها بما تأخر
 من أى سورة المجادلة ، ألا ترى أن قوله تعالى ” يا ايها الذين امنوا لا تتولوا
 ١٥ قوما غضب الله عليهم “ إنما يراد به يهود فذكر سبحانه سوء سريرتهم
 و عظيم جرأتهم ثم قال في آخر السورة ” لا تجدد قوما يؤمنون بالله
 و اليوم الآخر يوادون من حاد الله و رسوله “ فحصل من هذا كله

(١) زيد من ظ و م (٢) سقط من ظ (٣) من ظ و م ، و في الأصل : حكمة .
 (٤) زيد في الأصل : كل ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (هـ) تكرور
 ما بين الرقيين في الأصل فقط (٦) من ظ و م ، و في الأصل : ما .

تفجير المؤمنين عنهم و إعلامهم بأن بغضهم من الإيمان و زدهم من النفاق
 لقيح ما انطووا عليه و شنيع ما ارتكبه، فلما أشارت هذه الآتى إلى
 ما ذكر أتبع بالإعلام فى أول سورة الحشر بما عجل لهم من هوائهم^١
 و إخراجهم من ديارهم و أمواهم و تمكين المسلمين منهم، جريا على ما
 تقدم الإيمان إليه من سوء مرتكبتهم، و التخت الآى باتحاد المعنى^٥
 و تناسبه، و تناسب الكلام، و افتتحت السورة بالتنزيه لبنائها على ما أشار
 إليه غضبه تعالى عليهم إذ لا يكون إلا على أعظم جريمة و أسوأ مرتكب
 وهو اعتدؤهم و عصيانهم الفصل فى مواضع من الكتاب و قد قال
 تعالى فيهم بعد ذكر غضبه عليهم "أولئك شر مكانا و أضل عن سواء السبيل"
 و قال تعالى "لئن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود و عيسى
 ابن مريم ذلك بما عصوا و كانوا يمتدون" فين تعالى أن لعنة إياهم
 إنما زببت على عصيانهم و اعتدائهم، و قد فصل اعتدائهم أيضا فى مواضع،
 فلما كان الغضب مشيرا إلى ما ذكر من عظيم الشرك، أتبعه سبحانه
 و تعالى / تنزيه نفسه جل و تعالى فقال "سبح لله ما فى السموات و ما
 فى الارض" و إنما يرد مثله من التنزيه أثر جريمة تقع من العباد و عظيمة^{١٥}
 يرتكبونها و تأمل ذلك حيث وقع، ثم عاد الكلام إلى الإخبار بما فعل
 تعالى بأهل الكتاب فلما يتصل* بما تقدم، ثم تناسجت الآى - انتهى .

(١) من ظ و م، وفى الأصل : تشيع (٢) من ظ و م، وفى الأصل :

هوائهم (٣) زيد فى الأصل : أيضا، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها :

(٤) من ظ و م، وفى الأصل : يسره (٥) من م، وفى الأصل وظ : يتوصل .

ولما نزه نفسه الأقدس دل على ذلك التنزه [و - ١] على العزة
 والحكمة بدليل شهودى من أنه أنقذ ما كتب من أنه يغلب [هو - ٢]
 ورسله و من ^٢ أنه كتب الذين حادوه و خيب ظن الذين نافقوا، فتولوا
 اليهود من ^٣ أهل الكتاب ليعتزوا بهم، فأذل اليهود و طردهم من مهبط
 الوحى و أخزى المنافقين الذين جعلوهم محط^٤ اعتمادهم و موضع ولايتهم
 و ودادهم، فقال : (هو) أى وحده من غير إيجاف^٥ خيل و لاركاب
 (الذى أخرج) على وجه القهر (الذين كفروا) أى ستروا ما فى
 كتبهم من الشواهد ^٦ التى تشهد^٧ لمحمد صلى الله عليه و سلم بأنه النبى الخاتم
 و ما فى فطرم الأولى من أن اتباع الحق أحق، و قبح عليهم كفرهم
 ١٠ بقوله موضع " من بنى النصير " أو " اليهود " مثلا : (من أهل الكتب)
 أى الذى أنزله الله على رسوله موسى صلى الله على نبينا و عليه و سلم،
 و فى التعبير بـ " كفروا " إشعار بأنهم الذين أزالوا بالتبديل أو الإخفاء ما
 قدروا عليه مما بقى من التوراة دالاعلى نبوة محمد صلى الله عليه و سلم .
 و لما كان الوطن عدل الروح لأنه للبدن كالبदन للروح، فكان
 ١٥ الخروج منه فى غاية العسر، دل على مزيد قهرهم به بأن قال :
 (من ديارهم) و لما كان منهم من جلى من المدينة الشريفة إلى خيبر،
 و هم آل أبى الحقيق و آل حى بن أخطب و لحق سائرهم بأريحا من

- (١) زيد من م (٢) زيد من م (٣) زيد من م (٤) زيد من م (٥) زيد من م (٦) زيد من م (٧) زيد من م (٨) زيد من م (٩) زيد من م (١٠) زيد من م

أرض الشام أرض المحشر، و لحق بعضهم بالحيرة، لوح إلى فتح خير
و حشرهم منها حشرا ثانيا بقوله معللا أو 'موقتا: ((لاول)) أى لاجل
أول أو عند أول ((الحشر)) و فى ذلك إشارة إلى أن كل بلد حشروا
إليه سيفتح، و يزلزلون [منه - ٢] زلزلة أخرى، لا تزال مصائبهم بأهل
الإسلام قائمة حتى يكون الحشر الأعظم بالقيامة، و الحشر ٢: الجمع من ٥
مكان و السوق إلى غيره بكره، و سمي أولا لأنهم أول من أجلى من
اليهود من جزيرة العرب، و الحشر الثانى لهم من خير على زمن عمر
رضى الله عنه، و عند ابن إسحاق* أن إجلالهم فى مرجع النبي صلى الله
عليه و سلم من أحد و فتح قريظة فى مرجعه من الأحزاب و بينهما
سنتان، قال لهم النبي صلى الله عليه و سلم: اخرجوا، قالوا: إلى أين، ١٠
قال: إلى أرض المحشر، و قال ابن عباس* رضى الله عنهما: من شك أن
المحشر بأرض الشام فليقرأ هذه الآية . انتهى، ٧ و هذا الحشر* يدل على
المحشر الأعظم و بينه [على قوله - ٨] صلى الله عليه و سلم: بعثت
أنا و الساعة كهاتين .

-
- (١) من ظ و م ، و فى الأصل : و (٢) زيد من ظ (٣) زيد فى الأصل : من ،
و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٤) هذا قول الكلبي - كما فى العالم
بهامش الباب ٧ / ٤٨ (٥) و قول ابن إسحاق ذكره البغوى فى العالم بهامش
اللباب ٧ / ٤٧ (٦) و قول ابن عباس ذكره البغوى فى العالم بهامش اللباب
٧ / ٤٨ (٧ - ٧) من ظ و م ، و فى الأصل : هذه الآية (٨) زيد من ظ و م .
(٩) زيد بعده فى الأصل : بقوله ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها .

و لما كان قد أخبر أن حشرهم لم يكن بسبب غير محض قدرته ،
 / استأنفت شرح ذلك بقوله : ﴿ مَا ظَنَنْتُمْ ﴾ أى أيها المؤمنون ﴿ ان يخرجوا ﴾
 أى يوقعوا الخروج من أئمة أدرئموه منهم لما كان لكم من الضعف
 ولهم من القوة لكثرتهم وشدة بأسهم وشكيمتهم وقرب بنى قريظة
 ٥ [منهم - ٢] فكانوا يصدد مظاهرهم ، وأهل خير أيضا غير بعيد عنهم
 وكلهم أهل ملتهم ، والمناقون من أصارهم وأسرتهم ، غابت ظنونهم
 فى جميع ذلك وقالت أراؤهم وسلط عليهم المؤمنون على قلتهم وضعفهم ،
 وإذا أراد الله نصره عبد استأسد أربته وإذا أراد قهر عدو
 استنوق أسده .

١٠ و لما كانت الحصون تمنع إلى إتيان الأمداد قال : ﴿ وظنوا أنهم ﴾
 ودل على قوة ظنهم وثباته بالجملة الاسمية فقال : ﴿ مانعهم حصونهم ﴾
 أى ثابت لها المنع ولهم الامتناع ، قالوا : وفى تقديم الخبر على المبتدأ
 دليل على فرط وثوقهم بحصانتها ومعها إياهم ، وفى جعل ضميرهم اسم
 "ان" [و - ١] إساد الجملة إليه دليل على اعتقادهم فى أنفسهم أنهم فى عز

(١) من ظ و م ، ١ فى الأصل : فى (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : اريئموه .
 (٣) زيد من م (٤) زيد فى الأصل : الله ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م
 لحذفها (٥) من م ، وفى الأصل وظ : استنوق (٦) من ظ و م ، وفى
 الأصل : من (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : ضمير اسم (٨) زيد من ظ و م .
 (٩) من ظ و م ، وفى الأصل : غير .

و منعة لا مطمع معها في معازتهم^٩، و دل على ضعف عقولهم بأن^٨ عبر عن^٧ جنده باسمه و باسمه الأعظم فقال: ﴿ من الله ﴾ أى الملك الأعظم الذى لا عون إلا له و أتم جنده، لا تقاتلون إلا فيه و به، بأسكم من بأسه، قد اجتمع الظن على شيء واحد . و لما كان إسناد ما للضاف إلى المضاف إليه شائعا في لسان العرب و كثيرا جدا^٦ لأنه لا يلتبس على من^٥ له إمام ه بكلامهم، و بليغا جدا لما له من العظمة، قال: ﴿ فاتهم الله ﴾ أى جاءهم الملك الأعظم الذى لا يهتملون بجهته بما صور لهم من حقارة^٤ أنفسهم التى اضطرتهم إلى الجلاء ﴿ من حيث لم يحتسبوا ﴾ أى من الجهة التى لم يحملوا أنفسهم على حبسها^٣ و هى خذلان المنافقين لهم رعبا^٢ كرعهم و استضعافا كاستضعاف أنفسهم^١ عن مقاومة جند الله بعد أن كان الشيطان ١٠ زين لهم غير ذلك، و ملأ قلوبهم من الإطماع الفارغة حتى قطعوا بما^{١١} مناهم و قربه لهم و أغواهم .

و لما كاذ التقدير : فإوهمهم الله^{١٢} بذلك، عطف عليه قوله : ﴿ وقذف ﴾ أى أنزل إنزالا كأنه قذفه بحجارة، قثبت و ارتكز ﴿ فى قلوبهم الرعب ﴾

- (١) من ظ و م ، و فى الأصل : معادهم (٢-٣) من ظ و م ، و فى الأصل : عين (٣-٣) من ظ و م ، و فى الأصل : الأعز (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : كثير (٥) زيد فى الأصل : ما ألفوه ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها . (٦) زيد فى الأصل : كان ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : بليغ (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : حقيقة (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من ظ (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : بها (١١) سقط من ظ

أى الخوف الذى سكنها فَرَضَها ومَلَأَها وعبر منها إلى جميع قواهم
فاجتثها من أصلها، ثم بين حالهم عند ذلك أو فر قذف الرعب
بقوله: (يخربون بيوتهم) أى يبالغون - على قراءة أبى عمرو - بالتشديد -
فى إخراجها، أى إفسادها، فإن الخربة الفساد، وقراءة غيره يفهم
الفعل المطلق الذى لا ينافى المقيد (بأيديهم) ضعفاً منهم - بما أشار
إليه جمع القلة، وبأسا من قوتهم ليأخذوا ما استحسنوا من آلاتها، فكان
الرجل منهم [لما:-] يحملوا للرحيل يهدم بيته عن نجاف بابه وما
استحسن من خشيه فيضعه على ظهر بعيره فيأخذه / وينقب الجدار
ويهدم السقف حسداً للسلبين أن يسكنوها بعدهم لأن النبى صلى الله عليه
و سلم أمرهم أن يخلوا له عن البلد ولهم ما حملت إبلهم .

٢٦٣ /

ولما كان السبب فى تخريب الصحابة رضى الله عنهم لبيوتهم ما
أحرقهم به من المكر والغدر كانوا كأنهم أروهم بذلك، فتأبوا عنهم فيه،
فقال " أيضاً بجمع القلة للدلالة على أن الفعل له سبحانه وحده:
(وايدى المؤمنين) أى الراسخين فى الإيمان استيلاء وغلبة عليهم وقد
كان المؤمنون يخربون ما ضيق عليهم المجال منها " لأجل القتال، وقدم

- (١-١) من ظ و م، وفى الأصل: أصلاها و (٢) من ظ و م، وفى الأصل
و و (٣) راجع نثر المرجان ٢٦٨/٧ (٤) فى ظ و م: فسادها (٥) زيد من م .
(٦) من ظ و م، وفى الأصل: يحمل (٧) من م، وفى الأصل: بما (٨) من
م، وفى الأصل وظ: لهم (٩) من ظ و م، وفى الأصل: بيوتهم (١٠) من
ظ و م، وفى الأصل: الغز (١١) من ظ و م، وفى الأصل: فقالوا .
(١٢) من م، وفى الأصل وظ: منهم .

تخريبهم

نخريهم لأنه أعجب .

ولما كان في غاية الغرابة أن يفعل^١ الإنسان في نفسه كما يفعل فيه^٢ عبده ، سبب عن ذلك قوله : ﴿ فاعتبروا ﴾ أي احملوا أنفسكم بالإيمان في التأمل في عظيم قدرة الله تعالى على أن تعبروا^٣ من ظواهر العلم في هذه القضية بما دبر الله في إخراجهم إلى بواطن الحكمة بأن ه لا تعدوا لكم ناصرا من الخلق ولا تعتمدوا على غير الله ، فان الاعتبار - كما قال القشيري - أحد قوانين الشرع ، ومن لم يعتد بغيره اعتبر به غيره - انتهى . وقد احتج بالآية مثبتو القياس فانه مجاوزة من الأصل إلى الفرع ، والمجاوزة اعتبار ، وهو مأمور به في هذه الآية فهو واجب .

ولما كان الاعتبار عظيم النفع ، لا يحصل إلا للكل ، زاده تعظيما ١٠ بقوله تعالى : ﴿ يا أيها البصائر ﴾ بالنظر بأبصاركم وبصائركم في غريب هذا الصنع لتحقيقوا به ما وعدكم على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم من إظهار دينه و إعزاز فيه^٤ ولا تعتمدوا على غير الله كما اعتمد هؤلاء على المناقين ، فان من^٥ اعتمد على مخلوق أسله ذلك إلى صفاره ومذله ، ولا تلوا بغدر كما أرادوا أن يغدروا برسول الله صلى الله عليه وسلم ١٥ فيطرحوا عليه وهو قاعد بفناء دار من دورهم رحي من السطح ليقتلوه [بها -^٦] - زعموا ، ولا تفعلوا شيئا من قبيح أفعالهم لئلا يحصل لكم مثل

(١) في م : يعمل (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : في (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : يصبروا (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : هو (هـ) من ظ و م ، وفي الأصل : اعتزاز دينه (٦-٦) من م ، وفي الأصل وظ : وان (٧) زيد من ظ و م .

دكاهم كما أحكمه قوله صلى الله عليه وسلم "اتبعن سنن من كان قبلكم"
 الحديث، وذلك الغدر منهم بعد أن حرضوا فريشا على غزوة أحد
 ودلوه على بعض العورات، وقال البغوى^١: إن كعب بن الأشرف
 أتى فريشا بعد أحد في أربعين راكبا فخانهم على النى صلى الله عليه
 ٥ وسلم فنزل جبريل عليه السلام عليه يخبره بذلك، وقال^٢: إنه لما فصد^٣
 عليه السلام أرسلوا إليه أن يخرج في ثلاثين ويخرج منهم ثلاثون^٤
 ليسمعوا منه، فإن آمنوا به آمن الكل. فأجابهم فأرسلوا أن الجمع كثير
 فأخرج في ثلاثة ليخرج ثلاثة منا^٥، فأرسلت امرأة منهم إلى أخيها
 وكان مسلما أنهم اشتملوا على الخناجر يريدون الفك برسول الله صلى الله عليه
 ١٠ وسلم فكف صلى الله عليه وسلم عن ذلك، وكل ما ذكر من أسباب
 قصتهم / [كما ترى^٦] دأب على المكر بل هو عين المكر -

/ ٢٦٤

ولما دل هذا على غاية لوهم منهم^٧ فكان موضع التعجب من
 الكف^٨ عن قتلهم^٩، بين أن السبب في ذلك أمره الباهر وعزه القاهر
 حثا على ما ختم به الآية السابقة^{١٠} من الاعتبار والتدبر والاستبصار
 ١٥ فقال: ﴿ولولا أن كتب الله﴾ أى فرض فرضا حتما الملك الذى له

(١) راجع معالم التنزيل بهامش الباب ٥٦ / ٧ (٢) راجع العالم بهامش الباب
 ٥٧ / ٧ (٣) من ظ و م، وفى الأصل: قدسه (٤) من ظ و م والعالم، وفى
 الأصل: ثلاثين (٥) من م، وفى الأصل و ظ: منها، وفى المعالم: من علمائنا.
 (٦) زيد من ظ و م (٧) فى ظ: فيهم (٨-٨) من ظ و م، وفى الأصل: من
 قبلهم (٩) من ظ و م. وفى الأصل: السامة.

الامر كله ، ودل على أنه كتب إذلالا وإخزاء بقوله : ﴿ عليهم ﴾
 أى بخصوصهم فيما كتب على بنى إسرائيل فى الأزل كما كتب على بنى
 قينقاع ﴿ الجلاء ﴾ أى الخروج من ديارهم والجولان فى الأرض ،
 فاما معظمهم فأجلاهم بخت نصر من بلاد الشام إلى العراق ، و أما هؤلاء فحرام
 الله بمهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك الجلاء وجعله على ه
 يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأجلاهم فذهب بعضهم إلى خير
 وبعضهم إلى الشام مرة بعد مرة ﴿ لعذبهم فى الدنيا ﴾ أى بالسيف كما
 سيفعل^٢ بأخوانهم من بنى قريظة الذين كتب عليهم العذاب دون الجلاء
 من قتل المقاتلة وسبى الذرية ، فانه تعالى قد قضى قضاء حتما أنه يظهر
 المدينة بلد الوحي منهم .

١٠

ولما كان التقدير : ولكنه كتب عليهم ذلك فهو عذابهم الآن فى
 الدنيا لا محالة وإن اجتمع أهل الأرض على نصرهم ، عطف عليه قوله
 على طريق التهمك بالتعير بأداة النفع : ﴿ ولهم ﴾ أى^٣ على كل حال أجلوا
 أو تركوا ﴿ فى الآخرة ﴾ التى هى دار البقاء ﴿ عذاب النار ﴾ وهو
 العذاب الأكبر .

١٥

ولما أخبر بما نالهم فى الدنيا وبنالهم فى الآخرة ، علله^٤ بقوله :
 ﴿ ذلك ﴾ أى الامر [العظيم -^٥] الذى فعله بهم من الجلاء ومقدماته

- (١) من ظ و م ، وفى الأصل : يد (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : فعل .
 (٣) سقط من م (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : عليه (٥) زيد من م .

[فى الدنيا -^١] و يفعله بهم فى الآخرة ﴿ بانهم ﴾ ولما كانوا قد ضموا فى هذه القضية^٢ إلى ما كانوا عليه من الكفر الظاهر ككفر^٣ باطنا بما أرادوا من إلقاء الرعى وغيره من الأذى مكرا منهم ، أدغم^٤ فى قوله : ﴿ شاقوا الله ﴾ أى الملك الأعلى الذى له الإحاطة التامة ، فكانوا فى شق غير شقه بأن صاروا فى شق الأعداء المحاربين بعد ما كانوا فى شق الموادعين .

ولما جازى^٥ رسول الله صلى الله عليه وسلم إخفاءهم لما أرادوا [أن -^٦] يفعلوا به بالإخفاء^٧ لخلاصه منهم بأن رجع إلى المدينة الشريفة وترك أصحابه رضى الله عنهم عندهم^٨ قال : ﴿ ورسوله ج ﴾ الذى لإجلاله ١٠ من إجلاله . ولما أخبر بفعله وبسببه ، عطف عليه تأكيداً لمضمونه وإفادة لأنه يفعل فى غيرهم ممن كان على أمرهم أعظم من فعلهم فقال : ﴿ من يشاق الله ﴾ أى يوقع فى الباطن مشاققة الملك الأعلى الذى لا كفوء له فى الحال أو الماضى أو المستقبل سواء أبطن^٩ معها مشاققة أخرى أو لا ، وترك الإدغام على حاله لأنهم ما اظهروا معاداة^{١٠} وإنما كان ما ١٥ فعلوا مكرا ومساترة ، وذلك أخف من المجاهرة ، و اظهر^{١١} فى الإنفال

(١) زيد من ظ و م (٢) من م ، وفى الأصل و ظ : القصة (٣) زيدت الواو فى الأصل ولم تكن فى ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : اعم (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : حاذى (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : بالاعطاء (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : عنهم (٨) ليس فى الأصل (٩) فى ظ : المعاداة (١٠) من ظ و م ، وفى الأصل : ظهر .

٢٦٥ /

لقوة [أمر - ١] المجاهرين^٢ كما مضى ، ولم يعد ذكر الرسول تفخيماً له
 ٣ «بأنهم أن^٢ مشاققته مشاققة / لله من غير مثوية أصلاً ، وإشارة إلى أنهم
 بالغوا في إخفاء مشاققتهم ، فلم يظهر عليها غير الله ، فلم يحصل منهم في
 ذلك مفاعلة بينهم وبين الرسول صلى الله عليه وسلم فانه لم يمكر بهم ،
 وإنما جاهرهم^٣ حين أعلمه الله بمكرهم بخلاف ما تقدم في الانتقال ، فان ه
 المقام اقتضى هناك الذكر لأنهم مكروا به كما قال تعالى " واذ يمكر بك
 الذين كفروا " الآية وهو صلى الله عليه وسلم أخفى أمر هجرته وأعمل
 الحيلة في الخلاص من مكرم على حسب ما أمره الله به فحصلت^٤ المفاعلة
 في تحيز كل من الفريقين إلى شق غير شق الآخر خفية ﴿ فان الله ﴾
 أى المحيط بجميع العظمة يشدد عقابه له لانه ﴿ شديد العقاب ه ﴾ وذلك ١٠
 كما فعل بنى قريظة بعد هذا حيث نقضوا عهدهم^٥ وأظهروا المشاققة في
 غزوة الأحزاب و كما فعل أهل خيبر ، وكانوا يماكرون ويساترون في
 الأولى^٦ عند فتحها وفي الثانية^٧ عند إجلائهم منها ، فقد سوى بين المساترين
 والمجاهرين^٨ في العذاب وهو للمجاهرين^٩ أشد عذاباً كما هو واضح .

ولما دل سبحانه على عزته وحكمته بما فعل بنى النضير الذين يقولون ١٥

-
- (١) زيد من ظ (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : المجاهدين (٣-٣) من ظ
 و م ، وفي الأصل : بان (٤) في ظ : جاهدتهم (٥) من ظ و م ، وفي الأصل :
 فحصل (٦) من م ، وفي الأصل و ظ : عهده (٧) من ظ و م ، وفي الأصل :
 الأول (٨) من ظ و م ، وفي الأصل : اثنى (٩) من م ، وفي الأصل و ظ :
 المهاجرين (١٠) من م ، وفي الأصل و ظ : للمجاهرين .

إنهم أجمع الناس و أشدهم شكيمة بما لهم من الأصالة و الاصطفاء على العالمين ، مع التأييد بالكتاب و الحكمة ، و ختم بأن من شاق رسوله فقد شاقه . و من شاقه فقد شدد عقابه ، أتبعه يان ما عاقبهم به من قطع الصحابة رضى الله عنهم بأمر النبي صلى الله عليه و سلم لنخلهم الذى ه هو أعز عليهم من أبقارهم و هم ينظرون إليه لا يغنون شيئا و لامنعة لديهم فقال : ﴿ ما ﴾ و هى شرطية و أتبعها بشرطها الناصب لها فقال : ﴿ قطعتم ﴾ أى كل ما قطعتموه ، و بين ما [فى د م - ٢] من الإيهام بقوله معبرا عن النخل بما يفيد نوعه وأنه هان عليهم الفطخ و لان : ﴿ من أية ﴾ و هى ضرب من النخل ، قال ابن إسحاق : هو ما خالف ١٠ العجوة من النخل ، [و - ٤] قال ابن هشام : اللبة من الألوان ، و هى ما لم يكن برنية و لالعجوة من النخل فيما حدثنى أبو عبيدة - انتهى . و قال صاحب القاموس : اللون : الدقل من النخل ، و هى جماعة واحدها لون و لينة ، قال المهدوى : ٦ و روى عن ابن عباس رضى الله عنهما و مجاهد [و غيرهما - ٢] أنها النخل كله . و عن ابن عباس رضى الله عنهما ١٥ أيضا أنها لون من النخل ، و قال البغوى ٤ : و رواية زاذان ١ عن

(١) من م ، و فى الأصل و ظ : صفة - كذا (٢) زيد من م (٣) من م ، و فى الأصل و ظ . لأنه (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م و القاموس ، و فى الأصل : واحد منها (٦) العبارة من هنا إلى « عنها أيضا » سائطة من ظ . (٧) من م ، و فى الأصل و ظ : انه (٨) راجع المعالم بهامش الباب ٧ / ٤٩ . (٩) من المعالم ، و فى الأصول : باذان .

ابن عباس رضى الله عنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم [يقطع - ١]
 نخلهم إلا العجوة . و أهل المدينة يسمون ما خلا العجوة من التمر الألوان
 واخذوها لون و لينة ، و قال عطية و الحسن و مجاهد و ابن زيد و عمرو
 ابن ميمون : اللينة : النخلة ، اسمان بمعنى واحد ، و جمعها لين و ليان ، و قال
 سفيان الثوري : اللينة ما تمرها لون و هو نوع من التمر شديد الصفرة ه
 يشف / عن نواة فيرى من خارج ، قال البغوي : يغيب فيها الضرس ،
 و كان من أجود تمر و أعجبها إليهم ، و كانت [النخلة - ١] الواحدة
 ثمنها ثمن و صيف احب إليهم من و صيف ، فلما رأوه يقطعونها شق
 عليهم و قالوا للؤمنين : إنكم تكرهون الفساد و أتم تفسدون ، دعوا
 هذه النخلة ، فانما هي لمن غلب عليها ، و قال الرازي في اللوامع : ١٠
 و اختلاف الألوان فيها ظاهر^١ لأنها أول حالها [بيضاء - ٨] كصدف
 ملئ درا منضدا ، ثم غبراء ثم خضراء كأنها قطع زبرجد خلق فيها
 الماء [ثم - ٩] حمراء كأنها ياقوت رص بعضه ببعض ثم صفراء^٢ كأنها
 شذر عقيان ، و لذلك إذا بلغ الإرتطاب نصفها [سميت - ٩] مجزعة
 لاختلاف ألوانها كأنها الجزع الظفاري . ١٤

ولما كان ما فسر بمؤنث هو اللينة ، أعاد الضمير مؤنثا فقال :

- (١) زيد من ظ و م و المعالم (٢) من ظ و م و المعالم ، و في الأصل : ماعدا .
 (٣) سقط من م (٤) من ظ و م ، و في الأصل : من (٥) راجع المعالم بهامش
 الباب ٧ / ٤٩ (٦) من ظ و المعالم ، و في الأصل و م : الفرس (٧) من ظ
 و م ، و في الأصل : ظاهرة (٨) زيد من م (٩) زيد من ظ و م (١٠) من ظ
 و م ، و في الأصل : صفي .

﴿ او تركتموها ﴾ و لما كان الترك يصدق ببقائها مفروسة أو مقطوعة قال :
 ﴿ قائمة ﴾ : و لما كان المراد نخيلا كثيرة لإرادة الجنس قال : ﴿ على اصولها ﴾
 بجمع الكثرة ﴿ فإذن الله ﴾ أى فقطعها بتمكين الملك الأعظم ورضاه ،
 قال القشيري : و فى هذا دليل على [أن - '] الشريعة غير معلة و إذا^٥
 ٥ جاء الأمر الشرعى بطل طلب^٢ التعليل و سكنت الألسنة عن التفاضل
 بـ « لِمَ » ، و حضور الاعتراض و الاستقباح بالبال خروج عن حد العرفان .
 و لما فطم عن طلب العلل خطابا للكمل ، طيب قلوب من دونهم
 بعلّة معطوفة على ما تقديره : فليس ذلك بفساد ولكنه صلاح أذن
 لكم فيه ليشفى به صدور المؤمنين و يذهب غيظ قلوبهم ، فقال واضعا
 ١٠ موضع ضميرهم ظاهرا يدل على ما أوجب خزيمهم : ﴿ وليخزي الفاسقين ٥ ﴾
 الذين هم أصلاء فى المروق^٤ من دائرة الحق بأن يذلم و يفضحهم ببيان
 كذبهم فى دعواهم العز و الشجاعة و التأيد من الله لأنهم على الدين الحق
 و أنه لا يتطرق إليه نسخ^٥ ، و روى أبو يعلى^٦ عن جابر رضى الله عنه أنه
 قال : رخص لهم فى قطع النخل ثم شدد [عليهم - '] فأتوا النبي صلى الله
 ١٥ عليهم و سلم فقالوا : يا رسول الله ! علينا إثم فيما قطعنا أو علينا فيما
 تركنا ، فأزل الله الآية - انتهى . و كان ناس من المؤمنين مالوا إلى

(١) زيد من ظ و م (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : انما (٣) من م ، و فى
 الأصل و ظ : بطلب (٤) من م . و فى الأصل و ظ : الرقة (٥) زيد فى الأصل :
 انتهى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٦) راجع الدر المنثور ٦ / ١٨٨ .

الكف عن القطع لما سموه اليهود فسادا و طائفة أشاروا بالاستمرار على القطع لأنه يغنيهم ، فصوب سبحانه في الآية من أمر بالكف و حل [من أشاروا بالاستمرار بالقطع -^١] من الإثم ، فدلّت الآية على جواز لإفساد^٢ [أموال -^٣] أهل الحرب^٤ على أى حال كان مشرأ^٥ كان أو لا بالتحريق و التفريق و الهدم و غيره لإخزائهم بذلك .

هـ

و لما كانت الغنائم التى تقسم بين الجيش^٦ إنما هى ما قاتلوا عليه ، و أما ما أتى منها بغير قتال فهو فى^٧ يأخذه الإمام فيقسمه^٨ خمسة أخماس ، ثم يقسم خمسا عنها^٩ خمسة أقسام^{١٠} ، أحدها و هو كان للنبي صلى الله عليه و سلم يكون بعده لمصالح المسلمين ، و الأقسام الأربعة [الأخرى -^{١١}]

من هذا الخمس لمن ذكر فى الآية بعدها ، / و الأربعة الأخماس الكائنة ١٠ / ٢٦٧ من أصل القسمة^{١٢} و هى التى كانت لرسول الله صلى الله عليه و سلم لأنها حصلت بكفايته و إرعايه للعدو ، تفرق بين المرتزقة من جميع النواحي ، فكانت الأموال كلها لله^{١٣} إنعاما على من يعبد به بما شرعه على ألسنة رسله عليهم الصلاة و السلام ، كانت أموال الكفار فى أيديهم غصبا غصبوه

- (١) زيد من م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : فساد (٣) زيد من ظ و م .
(٤) من ظ و م ، و فى الأصل : العرب (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : مستمر^{١٤} (٦) زيد فى الأصل : و غيره ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها .
(٧) من ظ و م ، و فى الأصل : ويقسمه (٨) من ظ ، و فى الأصل و م : منه .
(٩) من ظ و م ، و فى الأصل : انحاس (١٠) من م ، و فى الأصل و ظ : القنينة (١١) زيد فى الأصل : انواعا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها .

من أوليائه، يخص سبحانه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأموال بي
التنصير يصنعها حيث يشاء لأنها في* فقال: ﴿وما آتاه الله﴾ أى رد
الملك الذى له الامر كله ردا سهلا بعد أن كان فيما يظهر فى غاية
الكسر والصعوبة ﴿على رثولته﴾ فصيره فى يده بعد أن كان خروجها
عنها بوضع أيدي الكفار عليه ظلما وعدوانا كما دل عليه التعبير بالتي*
الذى هو عود الظل إلى الناحية التى كان ابتداء منها ﴿منهم﴾ أى ردا
مبتدئا من الفاسقين، فيبين أن هذا فى* لا غنية، ويدخل فى الفى أموال
من مات منهم عن غير وارث وكذا الجزية، وأما الغنيمة فهى ما
كان* بقتال وإيجاف خيل وركاب .

١٠ ولما كان الحرب إنما هو كروفر فى إسراع وخفة ورشاقة بمخاتلة*
الفرسان ومراوغة الشجعان ومغاورة أهل الضرب والطعان*، قال معللا
لكونه فيثا: ﴿فأوجفتم﴾ أى أسرعتم، وقال ابن إسحاق: حرثتم واتبعتم
فى السير - انتهى . وذلك الإيجاف للغلبة ﴿عليه﴾ وأعرق فى النفى
بالجار فقال: ﴿من خيل﴾ وأكد بإعادة النافى لظن من ظن انه غنيمة
١٥ لإحاطتهم بهم فقال: ﴿ولا ركاب﴾ أى إبل، غلب ذلك عليها من بين
المركوبات، ولا قطعتم من أجله مسافة، فلم تحصل لكم كبير مشقة فى
حوز أموالهم لأن* فريتهم كانت فى حكم المدينة الشريفة ليس بينها

(١) من ظ و م . وفى الأصل: فى النفى (٢) من م، وفى الأصل وظ: كانت.
(٣) من ظ و م، وفى الأصل: لمخاللة (٤) من م، وفى الأصل وظ:
الطغيان (ه) من ظ و م، وفى الأصل: لا .

و بين ما يلي منها مسافة بل هي ملاصقة لإحدى قرى الانصار التي المدينة
اسم لها كلها، وهي قرية بنى عمرو بن عوف في قباء بينها وبين القرية
[التي - ٢] كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نازلا بها نحو ميلين،
فشي الكل مشيا ولم يركب إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقاتلوا
بها قتالا بعد، فلذلك جعلها الله فينا ولم يجعلها غنيمة، فهي تقسم قسمة
الفء لا قسمة الغنيمة، فخمسة لاهل خمس الغنيمة وهم الاصناف الخمسة
المذكورون في الآية التي بعدها، وما فضل فهو الاربعة الاخماس له
صلى الله عليه وسلم مضمومة إلى ما حازه من خمس الخمس .

ولما كان معنى هذا: فما كان التسليط بكم، استدرك بقوله:

(ولكن الله) أى الذى له العز كله فلا كفوء له (يسلط رسله) أى ١٠

له هذه السنة فى كل زمن (على من يشاء) يجعل ما آتاهم سبحانه من

الهيبة رعبا فى قلوب أعدائه، فهو الذى سلط رسوله صلى الله عليه وسلم

على هؤلاء / بأن ألقى فى روعه الشريف أن يذهب إليهم فيسألهم الإعانة

فى دية العامرين اللذين قتلها عمرو بن أمية الضمرى رضى الله عنه خطأ،

فلما جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جانب بيت من بيوتهم، ١٥

وكانوا مواعدين له صلى الله عليه وسلم نقضوا عهدهم خفية مكرا منهم

بعد أن رحبوا به و وعدوه الإعانة وأمرؤا أحدهم أن يرمى عليه من

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : بين (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : بينهما .

(٣) زيد من ظ و م (٣) زيد بعده فى الأصل وظ : فيها ، ولم تكن الزيادة

فى م لحذفها (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : هى (٥) من م ، وفى الأصل

و ظ : قبله .

فوق السطح صخرة لتقتله ، فأعله [الله - ١] بهذا فذهب وترك أصحابه^٢
 هناك حتى لحقوا به ، وهذا بعد ما كان حي فعل من قدومه مكة وندمه
 لقريش إلى حرب النبي صلى الله عليه وسلم^٣ و معاقبته لهم^٤ على أن يكون
 معهم^٥ عليه الصلاة والسلام ، وإعلام الله بذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم
 ٥ فأرسل إليهم بعد^٦ ما أصبح أنكم [قد - ١] ختم الله ورسوله ، فأردتم أن
 تفعلوا كذا ، وأن الأرض لله ورسوله ، فاخرجوا منها وقد أجلكم
 عشرا ، فمكثوا على ذلك أياما يتجهزون و دس إليهم ابن أبي ومن معه^٧
 من المنافقين أنهم معهم في الشدة والرخاء لايسلمونهم ، وقال ابن أبي :
 معي ألفان من قومي وغيرهم من العرب يدخلون حصنكم فيموتون من عند
 ١٠ آخرهم ، وتمدكم قريظة و - لفاؤكم^٨ من غطفان فطمع حي بن أخطب في
 ذلك فأرسل أبا لانخرج من ديارنا فاصنع^٩ ما بدا لك ، فقصدهم رسول
 الله صلى الله عليه وسلم في المؤمنين يحمل رأيته على بن أبي طالب رضى
 الله عنه فصلى العصر بفنائهم بعد أن استعمل على المدينة ابن [أم - ١]
 مكتوم رضى الله عنه وأقام عليهم ست ليال وهم متحصنون ، فقطع من
 ١٥ نخلهم [و حرق - ١] فنادوه أن قد كنت تنهى عن الفساد وتعييه على
 من صنعه فما بالك تقطع النخل ، و تربصوا نصر ابن أبي ومن معه على

(١) زيد من م (٢) زيد في م من (٣-٢) في ظ : معاقبتهم له (٤-٤) من ظ
 وم ، وفي الأصل : يكونوا معه (٥) في م : عند (٦) زيد من ظ وم (٧) من
 ظ وم ، وفي الأصل : معهم (٨) من ظ وم ، وفي الأصل : خلفاؤهم .
 (٩) من ظ وم ، وفي الأصل : فافعل .

ما قالوا فلم يفوا لهم ، فالتقى الله الرعب في قلوبهم فأرسلوا بالإجابة ، فقال :
 لا إلا أن يكون [لى - ١] سلاحكم و ما لم تقدروا على حمله على إبلكم
 من أموالكم ، فتوقفوا ثم أجابوا فحملوا من أموالهم ما استقلت به الإبل
 إلا الحلقة ، و ذهبوا على ستمائة بعير ، و أظهروا الحلى و^١الحلل و أبدى نساءهم
 زينتهن فلحق بعضهم بخيبر و بعضهم الشام و خلوا الأموال و الحلقة ٥
 لرسول الله صلى الله عليه و سلم و لم يسلم منهم إلا رجلان يامين^٢ بن عمرو
 و أبو سعد بن وهب ، أسلما على أموالهما فأحرزاهما فجعل الله أموال من
 لم يسلم منهم فينا لرسول الله صلى الله عليه و سلم خاصة به يضمها حيث
 يشاء كما روى ذلك في الصحيح عن عمر رضى الله عنه في قصة مخاصمة
 على و العباس رضى الله عنهما ، و فيه أنه من خصائصه صلى الله عليه و سلم ١٠
 فانه قال : إن الله قد خص رسوله صلى الله عليه و سلم في هذا الفى
 بشئ لم يعطه أحدا غيره ، ثم قرأ ” ما أفاء الله على رسوله منهم “ إلى
 قوله تعالى : قدره ، فكانت خالصة لرسول الله صلى الله عليه و سلم و الله
 / ما احتازها دونكم و لا استأثر بها عليكم قد أعطاكموها و بثها^٣ فيكم حتى
 بقى^٤ منها هذا المال - يعنى الذى وقع خصامهما فيه ، فكان ينفق رسول الله ١٥

(١) زيد من م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : من (٣) من م ، و فى الأصل
 و ظ : باس - كذا (٤) من م ، و فى الأصل و ظ : ابوسعيد (هـ) من ظ
 و م ، و فى الأصل : فاختارها (٦) زيد فى الأصل : فقال ، و لم تكن الزيادة
 فى ظ و م فحذفنا (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : منها (٨) من ظ و م ،
 و فى الأصل : ببقى .

صلى الله عليه وسلم على أهله نفقة سنتهم من هذا المال ثم يأخذ ما بقي فيجعله يجعل ما لله ، و في الصحيح^١ أيضا عن مالك بن أوس بن الحدثان عن عمر رضى الله عنه قال : كانت أموال بنى النضير بما أفاء الله على رسوله صلى الله عليه وسلم مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب ، ه فكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ينفق [على أهله - ^٢] منها نفقة سنة^٣ ثم يجعل ما بقي في السلاح والكراع عدة^٤ في سبيل الله - انتهى ، و قد قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم أموالهم بعد ما تركه لنفسه^٥ بين المهاجرين ، لم يعط الأنصار منه شيئا إلا ثلاثة نفر كانت بهم حاجة شديدة : أبو دجاجة سماك بن خرشة وسهل بن حنيف والحارث بن الصمة رضى الله عنهم ، [وكان لسيف ابن أبي الحقيق عندهم ذكر ففله سعد بن معاذ رضى الله عنه - ^٦] وقال الأصهباني : إن النبي كان يقسم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على خمسة وعشرين سهما أربعة أحماسها وهي عشرون سهما لرسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل بها^٧ ما يشاء ويحكم فيها ما أراد ، والخمس الباقي على ما يقسم^٨ عليه ه خمس^٩ الغنيمة - يعنى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وذوى القربى ومن بعدهم ، هكذا كان عمله صلى الله عليه وسلم [في صفايه ،

(١) راجع ٧٢٥/٢ (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ، و في الأصل : ساعة .

(٤) من ظ و م ، و في الأصل : هذه (٥) من ظ و م ، و في الأصل : لنصبه .

(٦) من ظ و م ، و في الأصل : فيها (٧) من ظ و م ، و في الأصل : يحكم .

(٨) من ظ و م ، و في الأصل : خمسة .

فلما توفي كانت إلى إمام المسلمين وكذا جميع ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم -^١] لأنه قال : لا توثر^٢، ما تركناه صدقة ، فولى ذلك أبو بكر رضى الله عنه ثم عمر رضى الله عنه ، فكانا يفعلان [فيها -^٣] ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم : و قال الأصهباني رضى الله عنه أيضا عن مالك بن أوس بن الحذثان رضى الله عنه : قرأ عمر بن الخطاب رضى الله عنه " إنما الصدقات للفقراء " حتى بلغ " عليم حكيم " ثم قال : هذه لهؤلاء ثم قرأ [" واعلموا إنما غنمتم من شيء فإن لله خمسة " الآية . ثم قال هذه لهؤلاء ، ثم قرأ -^٤] " ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى " الآية حتى بلغ " الفقراء المهاجرين و الذين تبؤوا الدار و الإيمان و الذين جاؤا من بعدهم " ثم قال : استوعبت هذه المسلمين عامة فليس أحد إلا له فيها ١٠ حق ، ثم قال : لئن عشت لياتين الراعى نصيبه منها لم يعرق جبينه فيه - انتهى . و قال ابن عطية : ما أخذ النبي صلى الله عليه وسلم لبنى النصير و من فدك فهو خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم ، و ليس على حكم الغنمة التي يوجف عليها و يقاتل فيها . و مذهب الشافعى رضى الله عنه أن هذه الأموال التي هي في كفية الفئ يقسم على [خمسة -^٥] أسهم : خمس^٦ ١٥ منها للأصناف المذكورة أولها النبي صلى الله عليه وسلم و أربعة أخماسها له صلى الله عليه وسلم وحده ، و أجاب الشافعى عن قول عمر رضى الله عنه ،

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : يورث (٣) زيد من ظ .
 (٤-٥) من ظ و م ، وفى الأصل : حكيم عليم (٥) ليس فى ظ و م (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : خمسة .

/ ٢٧٠

”فكانت هذه لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة“ بانه عام
 أريد به الخاص، ومعناه: فكان ما بقي منها في يد رسول الله صلى الله
 عليه وسلم بعد إعطاء الخمس لأربابه خاصا به صلى الله عليه وسلم، لا يشك
 أحد في خصوصيته به، ثم أنه مع ذلك ما احتازه دونهم بل كان
 ٥ يفعل ما ذكر في الحديث من الإيثار، قال الشافعي رضى الله عنه: لانا
 لا^٢ شك أن النبي صلى الله عليه وسلم أعطى الأوصاف المذكورين في
 الآية منها حقهم وقد عهدنا أن حق هؤلاء الأوصاف من مال المشركين
 الخمس كما هو صريح في سورة الأنفال،^٣ واستفيد من قول عمر رضى الله
 عنه ”انها كانت للنبي صلى الله عليه وسلم“ أنه كان له ما كان يشترك^٤
 ١٠ فيه المسلمون [من الخمس من الغنيمة التي حصلت بما حصل للكفار من
 الرعب منهم، والذي كان يشترك فيه المسلمون -^٥] بعد الخمس هو
 أربعة الأخماس^٦ والنبي صلى الله عليه وسلم قام مقام المسلمين فيه إذ هم^٧
 لم يوجفوا عليه بخيل ولا ركاب، وإنما حصل ذلك بالرعب الذي
 القاه الله لرسوله صلى الله عليه وسلم في قلوب المشركين. فكانت الأربعة
 ١٥ الأخماس تخص من كان السبب في حصول الجميع [كما في الغنيمة، فعلى
 هذا النظم الغنيمة لا يختلفان في أن الأربعة الأخماس تختص لمن كان السبب

(١) من ظ و م، وفي الأصل: اختاره (٢) في الأصل بياص ملأناه من ظ
 وم (٣-٢) من م، وفي الأصل و ظ: فاستفيد (٤) من ظ: وفي الأصل
 وم: شرك (٥) زيد من ظ وم (٦-٦) من ظ وم، وفي الأصل: الأربعة
 انماس (٧) من ظ وم، وفي الأصل: هو (٨) زيد من ظ.

في حصول الجميع - ١] و أن خمس المالين يكون للأصناف المذكورة ، والذي كان له صلى الله عليه وسلم من الفى من الأربعة الأخماس يكون بعد موته صلى الله عليه وسلم للمقاتلة لانه حصل بالرعب الحاصل للكفار منهم كأربعة أخماس الغنيمة التى حصلت بقتالهم .

ولما كانت قدرته سبحانه عامة بالتسليط وغيره ، أظهر ولم يضره فقال : (والله) أى الملك الذى له الكمال كله (على كل شيء) أى [أى شيء - ١] يصح أن تتعلق المشيئة به وهو كل ممكن من التسليط وغيره (قديره) أى بالغ القدرة إلى أقصى الغايات ، والآية تدل على أن إجماف الخيل والركاب وقصد العدو إلى الأماكن الشاسعة له وقع كبير فى النفوس ورعب عظيم .

١٠

ولما نزع سبحانه أموالهم من أيدي الجيش ، بين مصرف غيرها بما كان مثلها بأن فتح له صلى الله عليه وسلم بغير قتال فقال مستأنفا جوابا لمن كأنه قال : هل يعم هذا الحكم كل فى يكون بعد بنى النصير : (ما آفاه الله) أى الذى اختص بالعزة والحكمة والقدرة (على رسوله)

ولما كان سبحانه محيط العلم بأنه يسلط على أهل وادى القرى وغيرهم ١٥

(١) زيد من ظ (٢) من م ، وفى الأصل و ظ : المذكورين (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : بالرعب (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : وقع . (٦) زيدت الواو بعده فى الأصل ولم تكن فى ظ و م فحذفناها (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : ذلك (٨ - ٨) من ظ و م ، وفى الأصل : فى كل تكون معيد النصير - كذا (٩) من ظ و م ، وفى الأصل : بالعز .

أعظم من هذا التسليط، قال ليكون علما من أعلام النبوة: ﴿من أهل القرى﴾
 أى قرية بنى النضير وغيرها من وادى القرى والصغراء وينبع وما
 هنالك من قرى العرب التى تسمى قرى^١ عربية ﴿فتة﴾ أى الملك
 الأعلى الذى الأمر كله بيده ﴿وللرسول﴾ لأنه أعظم خلقه، فرتبه
 ٥ تلى رتبته، وهذان يترا آى أنهما^٢ قسمان وليس كذلك، هما قسم واحد،
 ولكنه ذكر سبحانه نفسه المقدس تبركا، فان كل أمر لا يبدأ به فهو
 أجزم، وتعظيما لرسوله صلى الله عليه وسلم إعلاما بأنه لا هوى له أصلا
 فى شيء من الدنيا. وإما رضاه^٣ رضا مولاه، خلقه القرآن الذى هو
 صفة الله [فهو -^٤] مظهره ومجلاه، وسهمه^٥ صلى الله عليه وسلم يصرف
 ٢٧١ / ١٠ بعده لمصالح المسلمين كالسلاح والثغور والعلماء والقضاة / والأئمة .

ولما أبان هذا الكلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الفضل
 والعظمة ما لا يدخل تحت الوصف، أتبعه تعظيما آخر بتعظيم أقاربه
 لأجله، ولذلك أعاد العامل فقال: ﴿ولذى القربى﴾ أى منه^٦ لأن
 رتبته من بعد رتبته وهم بنو هاشم وبنو المطلب رهط إمامنا الشافعى
 ١٥ رضى الله عنه سواء فيه غنيهم وفقيرهم: لأن أخذهم لذلك بالقرابة لا بالحاجة
 كما هو مذهب الإمام الشافعى رضى الله عنه . ولما ذكر أهل الشرف،
 أتبعه أهل الضعف جبرا لوهمهم فقال مقدما أضعفهم: ﴿واليتيم﴾

(١) من ظ و م، وفى الأصل: قرية (٢) من ظ و م، وفى الأصل: أنهم .
 (٣) من م، وفى الأصل و ظ: أرضاها (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م،
 وفى الأصل: قسمه (٦) من ظ و م، وفى الأصل: منهم .

[أى - ١] الذين هم^٢ أحق الناس بالعطف لأن مسمى الدين على التخلق بأخلاق الله التي من أجلها تقوية الضعيف وجبر الكسير^٣ (والمسكين) فانهم^٤ في الضعف [على أترهم - ١] ودخل فيهم الفقراء فانه^٥ إذا انقرد لفظ الفقير أو المساكين دخل كل منهما في الآخر^٦، وإنما يفرق إذا جمع بينهما، وكذا النوى والغنيمة إذا أفردا^٧ جاز أن يدخل كل في ه الآخر، وإذا جمعا فالنوى ما حصل بغير قتال وإيجاف خيل وركاب، والغنيمة ما حصل بذلك (وابن السيل لا) وهم الغرباء لانقطاعهم عن أوطانهم وعشائرهم، وقسمة النوى على هذه الأصناف كما مضى أن يقسم خمسة أقسام: خمس منها^٨ لرسول الله صلى الله عليه وسلم [و - ١] من ذكر معه من المخلوقين وذكر الله فيهم للتبرك، لأن الأصناف ١٠ المذكورة هي التي يعبر عنها باسمه سبحانه، والأربعة الأخماس خاصة له صلى الله عليه وسلم ينفق منها نفقة سنة وما فضل عنه أنفق في مصالح المسكين السلاح و [الكراع و - ١] نحوه، وما كان له صلى الله عليه وسلم في حياته فهو للأصلح بعد وفاته، كما كان يفعل بعد ما يفضل عن حاجته، قال الشافعي رضي الله عنه [في الأم - ٩] : وما أخذ من مشرك ١٥

- (١) زيد من ظ و م (٢) من م . وفي الأصل وظ : هو (٣) زيد في الأصل : ثم قال ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لخذلناها (٤) زيد من م (٥) من م ، وفي الأصل وظ : فانهم (٦) من ظ و م ، وفي الأصل : الآخرة (٧) من م ، وفي الأصل : أفرد ، وفي ظ : أفردا (٨) من ظ و م ، وفي الأصل : منه . (٩) زيد من ظ ، و راجع كتاب الأم ٤ / ٦٤ .

بوجه من الوجوه غير ضيافة من 'مر بهم' من المسلمين فهو على وجهين
لا يخرج منهما، كلاهما مبين في كتاب الله تعالى و [على - ٢] سنة رسوله
صلى الله عليه وسلم وفي فعله فأحدهما الغنيمة، قال الله تعالى في سورة
الأنفال "واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسة وللرسول" الآية،
هـ والوجه الثاني الفاء، وهو مقسوم في كتاب الله في سورة الحشر، قال
الله تبارك وتعالى "وما أفاء الله على رسوله منهم - إلى قوله : رؤف
رحيم" فهذان المالان اللذان خولها الله من جعلها له من أهل دينه،
وهذه أموال يقوم بها الولاية لا يسمهم تركها . فالغنيمة والفيء تجتمعان
في أن فيهما معا الخمس من جميعها لمن سماه الله تعالى، ومن سماه الله
١٠ تعالى في الآيتين [معا - ٧] سواء مجتمعين غير مفترقين، ثم يفترق الحكم
في الأربعة الأخماس بما بين الله عز وجل على لسان نبيه صلى الله عليه
وسلم وفي فعله فانه ٩ قسم أربعة أخماس الغنيمة، والغنيمة هي الموجف
عليها بالخيول والركاب لمن حضر / من غنى وفقير، والفيء وهو ما
لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب، فكانت سنة النبي صلى الله عليه وسلم
١٥ في "قرى عريضة" التي أفاءها الله عليه أن أربعة أخماسها لرسول الله صلى الله

/ ٢٧٢

- (١-١) من ظ و م و الأم، وفي الأصل : قريبهم (٢) من ظ و م و الأم،
وفي الأصل : عنهما (٣) زيد من ظ و م و الأم (٤) زيد في الأصل وظ : انتهى،
ولم تكن الزيادة في م والأم لحدفناها (هـ) من ظ و م، وفي الأصل : بما .
(٦) من ظ و م و الأم، وفي الأصل : هذا (٧) زيد من م و الأم (٨) من
ظ و م و الأم، وفي الأصل : أخماس (٩) من م و الأم، وفي الأصل وظ : انه .
(١٠-١٠) من ظ و م و الأم، وفي الأصل : القرى العريضة .

عليه وسلم خاصة دون المسلمين يضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث أراه^١ الله عز وجل ، ثم ذكر حديث عمر رضى الله عنه من رواية [مالك بن] أوس بن الحدثان رضى الله عنه فى خصام على والعباس رضى الله عنهما ، قال الشافعى^٢ : فأموال بنى النضير التى آفاه الله على رسوله صلى الله عليه وسلم التى ذكر عمر رضى الله عنه فيها ما بقى منها فى يد النبى صلى الله عليه وسلم^٣ بعد الخمس وبعد أشياء فرقها النبى صلى الله عليه وسلم منها بين رجال من المهاجرين لم يعط منها أنصاريا [إلا رجلين-^٤] فذكر أقرأ وهذا مبين فى موضعه ، وفى هذا الحديث دلالة على^٥ أن عمر رضى الله عنه إنما حكى أن أبا بكر رضى الله عنه وهو أمضيا ما بقى من هذه الأموال التى كانت بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجه ما رآيا رسول الله^٦ صلى الله عليه وسلم يعمل به فيها ، وانهما^٧ لم يكن لهما بما [لم-^٨] يوجب عليه المسلمون من النية ما كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم وانهما^٩ إنما كانا فيه أسوة للمسلمين ، وذلك سيرتهما وسيرة من بعدهما ، والأمر الذى لم يختلف فيه أحد من أهل العلم عندنا عليه^{١٠} ولم يزل يحفظ^{١١} من

(١) من ظ و م والآم ، وفى الأصل : اراد (٢) راجع الأم ٤ / ٦٤ (٣) زيد فى الأصل وظ : ما بقى ، ولم تكن الزيادة فى م والآم لحذفها (٤) زيد من ظ و م والآم (٥) من ظ و م والآم ، وفى الأصل : عن (٦) من ظ و م والآم ، وفى الأصل : وإنما (٧) زيد من م والآم (٨) من ظ و م والآم ، وفى الأصل : انها . (٩) من ظ و م والآم ، وفى الأصل : عليه (١٠) من ظ و م والآم ، وفى الأصل : يحفظه .

قولهم أنه ليس لأحد ما كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم من صفى
 الغنيمة و لا من أربعة أخماس ما لم يوجف عليه منها، وقد مضى من
 كان [ينفق -^١] عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من أزواجه
 و غيرهن إن كان معهن، فلم أعلم أحدا من أهل [العلم -^١] قال لورثتهم
 ه تلك [النفقة التي كانت لهم، و لا خلاف أن تجعل تلك النفقات حيث
 كان النبي صلى الله عليه وسلم يحمل فضول غلات تلك -^١] الأموال
 فيما فيه صلاح الإسلام و أهله، قال الشافعي^٢ : و الجزية من الفى و سيلها
 سيل جميع ما أخذ بما أوجف من مال مشرك أن بخمس فيكون لمن^٣
 سمي الله عز و جل الخمس و أربعة أخماسه على ما سألته إن شاء الله تعالى،
 ١٠ وكذلك كل ما أخذ من مشرك من [مال] غير إيجاب، و ذلك مثل ما أخذ
 منه إذا اختلف في بلاد المسلمين و مثل ما أخذ منه إذا مات و لا وارث
 له، و غير ذلك بما أخذ من ماله، و قد كان في زمن النبي صلى الله
 عليه وسلم في من غير قرى عريضة، و ذلك مثل جزية أهل البحرين
 و هجر و غير ذلك فكان له أربعة أخماسها يمشيها حيث أراد الله عز و جل
 ١٥ و أوفى^٤ خمسة من جعله الله له - انتهى .

و لما حكم^٥ سبحانه هذا الحكم في الفى المخالف لما كانوا عليه في

(١) زيد من ظ و م و بالام (٢) راجع الأم ٦٥/٤ (٣) من ظ و م و الأم، و في
 الأصل : من مال من (٤) زيد في الأصل : من، و لم تكن الزيادة في ظ و م
 و الأم لحدفاها (٥) من ظ و م و الأم، و في الأصل : أراد (٦) من ظ و م
 و الأم، و في الأصل : زاد في (٧) من ظ و م، و في الأصل : احكم .

الجاهلية من [اختصاص -^١] الأغنياء به^٢. بين علته المظهرة لعظمته سبحانه وحسن تدبيره ورحمته فقال معلقا بما علق به الجار : ﴿ كى لا يكون ﴾ أى النىء الذى سيره الله سبحانه بقوته و ما خص به نبيه صلى الله عليه وسلم من قذف الرعب فى قلوب أعدائه / و من حقه أن يعطاه الفقراء ﴿ دولة ﴾ ٣٧٣ /

أى شيئا يتناوله أهل الغنى والشرف على وجه القهر و الغلبة إثره^٣ جاهلية - هـ
 هذا على قراءة الجماعة ، وقرأ أبو جعفر و هشام عن ابن عامر بالتأنيث من^٤ "كان" التامة و "دولة" بالرفع على أنها فاعل ﴿ بين الاغنياء منكم ﴾ يتداولونه بينهم فانهم كانوا يقولون : من عزيز ، و منه قال الحسن : اتخذوا عباد الله خولاً و مال الله دولاً - يريد من غلب منهم اخذه^٥ و استأثر به ، و قيل : الضم اسم للتداول كالفرقة اسم لما يغترف ، و الفتح التداول . ١٠
 و لما كان التقدير : فافعلوا^٦ ما أمرتكم من قسمته لمن أمرت بهم ، عطف عليه قوله : ﴿ و ما ﴾ أى و كل شىء ﴿ اتاكم ﴾ أى أحضر إليكم و أمكنكم منه ﴿ الرسول ﴾ أى الكامل فى الوصية من هذا وغيره ﴿ نخذه ق ﴾ أى و قبلوه تقبل من حازه ﴿ و ما نهكم عنه ﴾ من جميع الأشياء ﴿ فأتوها ج ﴾ لأنه لا ينطق عن الهوى و لا يقول و لا يفعل إلا ما ١٥ أمره به الله ربه ، فنى قيل ذلك هانت عليه الأمور كما ورد " القرآن صعب مستصعب على من تركه ميسر على من طلبه و تبعه " روى أن الآية

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ ، و فى الأصل و م : نيم (٣) من م ، و فى الأصل و ظ : اشده (٤) راجع نثر المرجان ٢٧٤/ ٧ (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : ما (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : احد (٧) من ظ ، و فى الأصل و م : ما . (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : افعلوا (٩-١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : هذه الأمور عليه وغيرها .

نزلت في ناس من الأنصار قالوا: لنا من هذه القرى سهمنا^١.

ولما كان الكف عما ألقته النفوس صعبا، ولا سيما ما كان مع

كونه تمتعا^٢ بمال على وجه الرئاسة، رهب من المخالفة فيه بقوله:

﴿ واتقوا الله^٣ ﴾ أى اجعلوا لكم بطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقاية من عذاب الملك الأعظم المحيط علما وقدره، وعلل ذلك بقوله،

معظمها له باعادة الجلالة مؤكدا لأن فعل^٤ المخالف فعل المنكر: ﴿ ان الله ﴾

أى الذى له وحده الجلال والإكرام على الإطلاق ﴿ شديد العقاب^٥ ﴾

أى العذاب الواقع بعد الذنب، ومن زعم ان شيئا مما في هذه السورة

نسخ بشيء مما في سورة الأنفال فقد اخطأ، لأن الأنفال نزلت في بدر

١٠ و [هى -^٦] قبل هذه بمدة .

ولما نزع سبحانه أموال النىء وما كانت عليه في الجاهلية، وبين

مصرف النىء من القرى، وتهدد في المخالفة في ذلك لصعوبته على النفوس،

فكان ذلك جديرا بالتقبل بعد أن أفهم أن أموال بنى النضير لمن سلطه

عليهم وهو رسوله صلى الله عليه وسلم، و كان من المعلوم من حاله صلى الله

١٥ عليه وسلم الإيثار على نفسه والقناعة بما دون الكفاف، بين المصرف فيها

بعد كفايته صلى الله عليه وسلم لأن بيان ذلك هو المقصود الأعظم لكونه

حاصلا حاضرا، الموطأ له بأموال أهل القرى، فقال مبدلا [من -^٧] "لله

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : هذا (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : منها .

(٣) من ظ و م ، وفى الأصل : متمتعا (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : الفعل .

(٥) ريد من ط و م .

والرسول " و ما عطف عليهما لأن من أعطى المهاجرين لهجرتهم وتجردهم من أموالهم و ديارهم فانما أعطاهم لوجه الله و وجه رسوله صلى الله عليه وسلم ، و لا يكون بدلا من " ذى القربى " لئلا يختص بفقيرهم ، أو يكون جوابا لمن كأنه قال : قد سمعنا و أطعنا فلين^٢ / يكون ما سطر الله و رسوله صلى الله عليه وسلم من أموالهم ؟ فقيل له : ﴿ للفقراء ﴾ أى الذين كان ه الإنسان منهم يعصب الحجر على بطنه من الجوع و يتخذ الحفرة فى الشتاء لتقيه الرد ، ما له دثار^٣ غيرها بعد أن كان له من الأموال ما يسمعه و يفضل منه ما يصل به غيره ، وإنما وصفهم بالفقر لأنهم كانوا عند زولها^٤ كذلك ، ثم خصص بالوصف فقال : ﴿ المهاجرين ﴾ ولما كانت الهجرة قد تطلق على من هجر أهل الكفر^٥ من غير مفارقة^٦ ١٠ الوطن فقال : ﴿ الذين اخرجوا ﴾ و بناء للفعول لأن المنكئ الإخراج ، لا كونه من مخرج معين ﴿ من ديارهم ﴾ ولما كان الإخراج هنا مضمنا معنى المنع ، واختير التعبير به [إشارة - ٩] إلى أن المال السترة للإنسان لأنه ظرف له ، قال : ﴿ وأموالهم ﴾ .

- (١) من ظ ، وفى الأصل و م : لا (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : كان .
 (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : فلن (٤) زيد فى الأصل : من ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحدوثها (٥) من م ، وفى الأصل و ظ : زناد (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : نزول القرآن (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : يسره .
 (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : مصادفة (٩) زيد من ظ و م .

و لما كان علم الدنيا من النقص . بين أنه إذا كان 'من الله'
لم يكن كذلك ، وأنه لا يكون قادحا في الإخلاص ، وأن أمر بنى النصير
إنما يسر 'تحقيقا لرجائهم فقال : ﴿ يبتغون ﴾ أى [أخرجوا - ٣] حال
كونهم يطلبون 'على وجه الاجتهاد . و بين أنه لا يجب عليه شئ لأحد
٥ بقوله تعالى : ﴿ فضلا من الله ﴾ أى الملك الأعظم الذى لا كفوء له لأنه
المختص بجميع صفات الكمال من الدنيا والدين والآخرة فيغنيهم بفضله
عن سواه ﴿ ورضوانا ﴾ يوقعهم لما 'يرضيه عنهم ولا يحمل' رغبتهم
في العوض منه قادحا في الإخلاص فيوصلهم إلى دار كرامته .

ولما وصفهم بتعليق بواطنهم به سبحانه وقطعها بالرضا بالإخراج
١٠ عن [و عما - ٢] سواه ، [وصفهم - ٧] يذل ظواهرهم له فقال : ﴿ وينصرون ﴾
[أى - ٦] على سبيل التجديد في كل وقت والاستمرار ﴿ الله ﴾ أى
الملك الأعظم المجيد ﴿ ورسوله ﴾ الذى عظمت عن عظمتهم بأنفسهم وأموالهم
ليضمحل حزب الشيطان . ولما بان ما له بهم سبحانه من العناية 'رقب
السامع من مدحهم ما يليق بهذا الإخبار . فقال مستأنفا ما هو كالعلة
١٥ لتخصيصهم : ﴿ أولئك ﴾ أى العالو الرتبة في الأخلاق الفاضلة ﴿ هم ﴾

(١ - ١) من م ، وفى الأصل وظ : لله (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : يستر .
(٣) زيد من ظ و م (٤) زيد فى الأصل : من النقص ، بين أنه إذا كان
من - وهو تكرار لحذفها (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : بما (٦) من
ظ و م ، وفى الأصل : لا يحمل (٧) زيد من م (٨) سقط من ظ و م (٩) من
م ، وفى الأصل وظ : الغاية .

أى خاصة 'لا غيرهم' (الصدقون ج) العريقون فى هذا الوصف لأن مهاجرتهم لما^٢ ذكر وتركهم لما وصف دل على كمال^٣ صدقهم فيما ادعوه من الإيمان بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم حيث نابذوا من عاداهما وهو القريب الصافى نسبا ودارا وأرلوا أولياءهما من كانوا وإن بعدت دارهم وشط مزارهم، وهذا يدل على أن مبنى الدين على إقامة البيئات^٤ بالثبات عند الابتلاءات^٥ على أن العون قد^٦ يأتى على قدر البلاء لأن الله تعالى قد^٧ خص المهاجرين بما أذن فيه من أموال بنى النضير . ولما مدح المهاجرين وأعطاهم قطابت نفوس الانصار بذلك وكانوا

فى كل حال معه صلى الله عليه وسلم / كالميت بين يدى الغاسل، مهما / ٢٧٥
شاء فعل، ومهما أراد منهم صار إليه ووصل، أتبعه مدحهم جبراهم ١٠
وشكرا لصنيعهم فقال عاطفا على مجموع القصة : (والذين تبوءوا) أى جعلوا بغاية جهدهم (الدار) الكاملة فى الدور وهى التى أعدها الله فى الأزل للهجرة وهى لها للنصرة وجعلها دائرة على جميع البلدان محيطة بها غالبية عليها محل إقامتهم وملابستهم وصحبتهم وملازمتهم لكونها أهلا لأن يعود إليها من خرج منها فلا يهجرها^{١١} أصلا، فهى محل مناه وليست ١٥

(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) من م، وفى الأصل و ظ : لم (٣) من ظ و م، وفى الأصل : كما (٤) من ظ و م، وفى الأصل : عادا الله ورسوله صلى الله عليه وسلم (٥) من ظ و م، وفى الأصل : أوليائها (٦) من م، وفى الأصل و ظ : البيان (٧) من ظ و م، وفى الأصل : الابتلاء (٨) سقط من م (٩) سقط من ظ (١٠) من ظ و م، وفى الأصل : فلا يهجر .

موضعا^١ بهاجر منه^٢ لبركتها أو خيرها .

ولما كان المراد الإبلاغ في مدحهم، قال مضمنا "تبوءا" معنى لازم:
 ﴿وَالْإِيمَانُ﴾ أى [و-^٣] لابسوه وصحبوه وخصوه بالصحة ولزموه
 لزوما هو كلزوم المنزل الذى لاغنى لنازله عنه، ويجوز أن يكون [الإيمان-^٤]
 ٥ وصفا للدار باعادة العاطف للإشارة إلى^٥ التمكن فى كل من الوصفين
 فيكون كآله قيل: تبوءا المدينة التى هى الدار وهى الإيمان لأنها محل تمكن
 الإيمان وانتشاره وظهوره فى سائر البلدان، فلشدة ملابستها^٦ [له-^٧]
 سميت به، ويجوز أن يكون المعنى: و محل الإيمان إشارة إلى أنهم ما
 أقاموا بها لأجل أن أموالهم بها بل محبة فى الإيمان علما منهم بأنه لا يتم
 ١٠ بدره، ويكمل شرفه وقدره، وتشر أعلامه ويقوى ذكره إلا بها، ولولا
 ذلك لهجروها^٨ وهاجروا إلى التى صلى الله عليه وسلم فى أى مكان حله،
 فهو مدح لهم بأنهم متصفون بالهجرة بالقوة مع اتصافهم بالنصرة
 بالفعل^٩ .

ولما كانت أفرادهم باقامة الإيمان فى الدار المذكورة قبل قدوم
 ١٥ المهاجرين عليهم مدحا تاما، قال مادحا لهم بذلك دالا بآيات الجار
 على أنهم لم يستغرقوا زمان القبل من حين إرسال الرسول صلى الله

(١) من ظ و م، وفى الأصل: مواضعا (٢) من ظ و م، وفى الأصل: منها.
 (٣) زيد من ظ و م (٤) زيد من م (٥) زيد فى الأصل: ان، ولم تكن
 الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) من ظ و م، وفى الأصل: لهجروا (٧) من
 ظ و م، وفى الأصل: والفعل .

عليه وسلم بالأميرين: ﴿من قبلهم﴾ أى قبل هجرة المهاجرين لأن وصفهم بالهجرة لم يكن إلا بعد إيجادها فالأنصار جمعوا التمكن فى الإيمان إلى التمكن فى الدار من قبل أن يجمع المهاجرون بينهما بالهجرة .

ولما ابتداء ذكرهم هذا الابتداء الجليل ، أخبر عنهم بقوله : ﴿يحبون﴾ أى على سبيل التجديد والاستمرار ، وقيل : العطف على المهاجرين ، هـ وهذه ' حال فيكون هذا حكما بالمشاركة ﴿من هاجر﴾ وزادهم محبة فيهم وعطفا عليهم بقوله : ﴿إيهم﴾ لأن القصد إلى الإنسان يوجب حقه عليه لأنه لولا كمال محبته له ما خصه بالقصد إليه ، والدليل اشهودى على ما أخبر الله عنهم به من المحبة أنهم شاطروا المهاجرين فى أموالهم وعرضوا عليهم أن يشاطروهم نساءهم على شدة غيرتهم ، فأبى المهاجرون ١٠ المشاطرة فى النساء وقبلوا منهم الأموال .

ولما أخبرهم بالمحبة ورغبتهم فى إدامتها ، عطف على هذا الخبر ما هو من ثمراته فقال : ﴿ولا يجدون﴾ [أى- ' : أصلا] (فى صدورهم) التى هى مساكن / قلوبهم فصدر منها أوامر القلوب فضلا عن [أن- ' : ٢٧٦ / تنطق ألسنتهم . ولما كان المراد نفى الطلب منهم لما خص به المهاجرين ، ١٥ وكان الحامل على طلب ذلك الحاجة ، وكان كل أحد يكره أن ينسب

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : بالامرهم (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : هذا (٣-٤) من ظ و م ، وفى الأصل : به عنهم (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : او من (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : واحد .

إلى الحاجة وإن أخبر بها عن نفسه في وقت ما لغرض قال : ﴿حاجة﴾
 موقعا اسم السبب على المسبب ﴿مما أوتوا﴾ أى المهاجرون من النبی
 و غيره من أموال بنی النضير و غیرهم من ای مؤت كان فكيف إذا
 كان المۆتى هو الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، و إذا لم يجدوا حاجة
 ٥ تدعوم إلى الطلب فلاّن لا يجدوا حسدا ولا غيظا من باب الأولى ، فهذه
 الآية من أعظم حاث على حسن الإخاء محذر من الحسد والاستياء .
 و لما أخبر عن تخليهم عن الرذائل أتبعه الأخبار بتحليلهم بالفضائل فقال :
 ﴿و يؤثرون﴾ عظم ذلك بقصر الفعل فصار المعنى : يقعون الإثرة
 وهى اختيار الأشياء الحسنة لغيرهم تخصيصا لهم بها لا على أجبائهم مثلا
 ١٠ بل ﴿على أنفسهم﴾ فيذلون لغيرهم [كانوا - ٢] من كان ما فى أيديهم ،
 و ذكر النفس دليل على [أنهم فى - ٢] غاية النزاهة من الرذائل لأن
 النفس إذا ظهرت كان القلب أظهر ، وأكد ذلك بقوله : ﴿ولو كان﴾
 أى كونا هو فى غاية المكنة ﴿بهم﴾ أى خاصة لا بالموثر ؛ ﴿خاصة بهم﴾
 أى فقر و خلل فى الأحوال و حاجة شديدة تعيط بهم من كل جانب ،
 ١٥ من خصائص البناء و [هى - ٢] فرجه .

و لما كان التقدير : فمن كان كذلك فهو من الصادقين ، عطف
 [عليه - ٢] قوله : ﴿ومن﴾ و لما كان المقصود النزاهة عن الرذيلة من
 أى جهة كانت . و كان علاج الرذائل صعبا جدا ، لا يطيقه الإنسان

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : على الفضائل (٢) من ظ و م ، و فى الأصل :
 الاختيار (٣) زيد من ظ و م (٤-٤) سقط ما بين الرقيين من ظ .

إلا بمعونة من الله شديدة، بنى للفعول^١ قوله: (يوق شح نفسه) أى يحصل بينه وبين أخلاقه الذميمة المشار إليها بالنفس وقاية تحول بينه وبينها، فلا يكون مانعا لما عنده، حريصا على ما^٢ عند غيره^٣ حسدا، قال ابن عمر رضى الله عنه: الشح أن تطمح عين الرجل فيما^٤ ليس له، قال صلى الله عليه وسلم: اتقوا الشح فإنه أهلك من كان قبلكم، حملهم^٥ على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم .

ولما كان النظر [إلى -^١] التطهير من سفاسف الأخلاق عظيما، سبب عنه إفهاما لأنه^٢ لا يحصل ما سببه عنه بدونه قوله (فاوْلَتْكَ) : أى العالو المنزلة (هم) أى خاصة لا غيرهم (المفلحون ع) [أى -^٣] الكاملون

في الفوز بكل مراد، [قال القشيري: وتجرد القلب من الاعراض ١٠ والأملأك صفة السادة -^١] والآكار، ومن أسرته^٢ الأخطار وبقى فى شح نفسه فهو فى مصارفة معاملته ومطالبة الناس فى استيفاء حظه، فليس له من مذاقات هذه الطريقة شئ . و شرح الآية [أن -^١] الانصار كانوا لما قدم عليهم المهاجرون قسموا دورهم وأموالهم بينهم وبينهم، فلما أفاء الله على رسوله صلى الله عليه وسلم أموال بنى النضير خطب ١٥

النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ما صنعوا / بالمهاجرين من إزاهم إياهم ٢٧٤ /

- (١) من ظ، وفى الأصل وم: المفعول (٢-٢) من ظ وم، وفى الأصل: عنده.
- (٢) من ظ وم، وفى الأصل: بلا (٤) أخرجه مسلم فى الصحيح: أبواب البر.
- (٥) من ظ وم، وفى الأصل: حملوا (٦) زيد من ظ وم (٧) من ظ وم، وفى الأصل: بانه (٨) زيد من ظ (٩) من ظ وم، وفى الأصل: سرتة.

وإزتهم على أنفسهم، ثم قال : ان أحببتهم^١ قسمت بينكم وبين المهاجرين ما آفاه الله على من بنى النصير، وكان المهاجرون^٢ على ما هم عليه من السكنى في منازلكم وأموالكم، وإن أحببتهم أعطيتهم وخرجوا من دياركم، فقال السعدان رضي الله عنهما : بل يقسم بين المهاجرين خاصة ويكونون ه في دورنا^٣ كما كانوا، وقالت الأنصار : رضينا ولسنا، وفي رواية [أنهم -^٤] قالوا : اقسم فيهم^٥ هذه خاصة واقسم لهم^٦ من أموالنا ما شئت، فبزلت^٧، ويؤثرون على أنفسهم - الآية، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار، وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : جزاكم الله خيرا يا مشر الأنصار، فوالله ما مثلنا ومثلكم ١٠ إلا كما قال العنزي :

جزى الله عنا جعفرا حين أزلقت بنا نعلنا في الواطئين فولت
أبوا أن يملونا ولو أن أمتنا تلاقى الذي يلقون منا ملكت^٨
فهم لعمري الحقيقون باسم إخوان الصفا، وخلان المروءة والوفاء،
والكرامة والاصطفاء،^٩ ورضى الله عنهم وعن تابعيهم من الكرام الخلفاء
١٥ والسادة الخلفاء .

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : جيتم (٢) من ظ و م ، وفي الأصل :
المهاجرين (٣) من ظ ، وفي الأصل و م : دونها (٤) زيد من ظ و م .
(٥) من ظ و م ، وفي الأصل : منهم (٦) من ظ و م ، وفي الأصل : بهم .
(٧) من ظ و م ، وفي الأصل : فبزل (٨) زيد في ظ : انتهى (٩-٩) سقط ما
بين الرقين من ظ و م .

ولما أننى الله سبحانه وتعالى على المهاجرين والأنصار رضى الله عنهم بما هم أهل، عقب^١ التابعين لهم بإحسان ما يوجب لهم الثناء فقال عاطفا على المهاجرين فيقتضى التشريك^٢ معهم، أو على أصل القصة من عطفه الجمل : ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا﴾ أى من أى طائفة كانوا^٣، [ولما كان المراد^٤] المجيء ولو فى زمن يسير، أثبت الجار فقال : ﴿من بعدهم﴾^٥ أى بعد المهاجرين والأنصار وهم من آمن بعد انقطاع الهجرة بالفتح وبعد إيمان الأنصار الذين أسلموا بعد^٦ النبى صلى الله عليه وسلم إلى يوم القيامة، ثم ذكر الخبر أو الحال على [نحو^٧] ما مضى فى الذى قبله فقال تعالى : ﴿يَقُولُونَ﴾ أى على سبيل التجديد والاستمرار تصديقا لإيمانهم بدعائهم لمن سبهم لهم : ﴿رَبَّنَا﴾ أى [أيها -^٨] المحسن إلينا^٩ بإيجاد من مهد الدين قبلنا . ولما كان الإنسان وإن اجتهد موضعا للنقصان قال ملقنا لنا : ﴿اغفر﴾ أى أوقع الستر [على -^{١٠}] النقائص أعيانها وآثارها ﴿لَنَا﴾ ولما بدأوا بأنفسهم، ثنوا بمن كان السبب فى إيمانهم فقالوا : ﴿وَلَاخَوَانًا﴾ أى فى الدين فإنه أعظم أخوة^{١١}، وبينوا^{١٢} العلة بقولهم : ﴿الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ ولما لقنهم^{١٣} سبحانه حسن الخلافة^{١٤} لمن مهد لهم ما هم فيه، أتبعه تلقين ما يعاشرهم به أعضادهم الذين هم

- (١) من ظ ، وفى الأصل : من ، والكلمة ساقطة من م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : التشديد (م) من ظ و م ، وفى الأصل : كان (٤) زيد من ظ . (٥) فى ظ : مع (٦) زيد من ظ و م (٧-٧) من ظ و م ، وفى الأصل : ثم بنوا . (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : لقبهم .

معهم على وجه يعم من قبلهم ، فقال معلما بأن الأمر كله بيده حثا على
الالتجاء إليه من أخطار النفس التي هي أعدى الأعداء^١ : ﴿ ولا تجعل ﴾
وأفهم قوله : ﴿ في قلوبنا ﴾ أن^٢ رذائل النفس قل^٣ أن تنفك و أنها
إن كانت مع صحة القلب أو شك أن [لا -^٤] تؤثر ﴿ غلا ﴾ أى
ضغنا^٥ / وحدا وحقدا^٦ وهو [حرارة و -^٧] غليان يوجب الانتقام^٨
﴿ للذين آمنوا ﴾ أى أقروا بالإيمان وإن كانوا فى أدنى درجاته .

ولما كان هذا دعاء جامعا للخير ، لقنهم ما يحبيهم فى لزومه والتخلق
به مع ما فيه من التلقى للاله والتعريض له بقوة الرجاء فقال : ﴿ ربنا ﴾
أى أيها المحسن إلينا بتعليم ما لم نكن نعلم ، وأكدوا إعلاما بأنهم يعتقدون
١٠ ما يقولونه وإن ظهر من أفعالهم ما يقدر فى اعتقادهم ولو فى بعض الأوقات
فقالوا : ﴿ انك رؤوف ﴾ أى راحم أشد الرحمة لمن كانت له بك وصلة
بفعل من أفعال الخير ﴿ رحيم ﴾ مكرم غاية الإكرام لمن أردته ولو
لم يكن له وصلة ، فأنت جدير بأن نجيبنا لأننا بين أن يكون لنا وصلة
فنكون من أهل الرأفة ، أولا فنكون من أهل الرحمة ، فقد أفادت
١٥ هذه الآية أن من كان فى قلبه غل على أحد من الصحابة رضى الله عنهم

(١) زيد فى الأصل و ظ : فقال ، ولم تكن الزيادة فى م لحذفها (٢) من ظ
وم ، وفى الأصل : اى (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : قبل (٤) زيد من
ظ و م (٥) فى ظ : بغضا (٦-٦) من ظ و م ، وفى الأصل : حقا وحدا .
(٧) زيد فى الأصل : تقدير ولا تجعل شيئا من هذا الغل فى قلوبنا ، ولم تكن
الزيادة فى ظ و م لحذفها .

فليس ممن عني الله بهذه الآية .

ولما دل على [ا١ -] هذا الثناء^٢ للصادقين في الإيمان باقامة^٣ السنة بالهجرة والإيثار والاجتهاد في الدغام^٤ ثبين الإيمان فسهل به طريق الأمان ، فأخرج ذلك المناققين وأنهم أنهم لا يقبلون ذلك لأنهم لارسوخ لهم في الإيمان الحامل على ذلك ، دل على ثقافتهم الموجب^٥ هـ .
لكذبهم بقوله متممها للقصة مخاطبا لأعلى الخلق إشارة إلى أنه لا يطلع على ثقافتهم لما لهم فيه من دقة المكر حق الأطـلاع غيره صلى الله عليه وسلم معجبا من حالهم^٦ في عدم رسوخهم مع ما يرون من المعجزات والآيات البينات ويرون من حال المؤمنين من إسباغ الرحمة عليهم بتسهيل الأمور والنصرة على الجبارة والإعراض^٧ عن الدنيا مع الإقبال^٨ على الآخرة والاجتهاد في الدين [الذي - ٩] هو وحده داع إلى الإيمان وحررق للقلوب ومبين للحقائق^{١٠} غاية البيان : (الم تر) أى تعلم علما هو في قوة^{١١} الجزم [به - ١٢] كالشاهد^{١٣} يا أعلى الخلق ، وبين بعدهم عن جنانة العالی ومنصبه الشريف الغالی بأداة الانتهاء^{١٤} فقال تعالى :

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : النداء (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : في اقامة (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : لمن (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : حللهم (٦) من ظ و م ، وفي الأصل : إلا - كذا (٧) زيد من ظ (٨) من م ، وفي الأصل وظ : لتحقيق (٩) من ظ و م ، وفي الأصل : غلبة (١٠) زيد من م (١١) من ظ و م ، وفي الأصل : كالشاهدة (١٢) من ظ و م ، وفي الأصل : الاستفهام .

﴿ الى الذين نافقوا ﴾ أى أظهروا غير ما أضمرُوا، أظهرُوا الخير و بالنعوا
 فى إخفاء عقائدهم بالشّر مبالغة من ساجل^١ غيره، وهم عبد الله بن أبى
 وأصحابه، قالوا: والنفاق لفظ إسلامى لم تكن العرب تعرفه قبله، وهو
 استعارة من^٢ فعل الضب^٣ فى نافقائه وقاصعائه، و صور حالهم بقوله:
 ٥ ﴿ يقولون لاخوانهم ﴾ أى فى الموالاة بالضلالة.

ولما جمعهم فى الكفر وإن افترقوا فى المسارة والمجاهرة، وصف
 المجاهرين بنوع مسارة توجب النفرة منهم وتقضى بهلاك من صادقهم
 فقال: ﴿ الذين كفروا ﴾ أى غطوا أنوار المعارف التى دلتهم^٤ على الحق،
 وعينهم بما أبلغ فى ذمهم^٥ من حيث^٦ أنهم ضلوا على علم فقال:
 ١٠ ﴿ من اهل الكتيب ﴾ وهم بنو^٧ النضير هؤلاء، وبكنهم بكذبهم فيما
 أكدوا الموعد به / لأنه فى حيز ما ينكر من جهة أنهم لا يقدرّون على
 المجاهرة بكفرهم فكيف بالمبارزة بالخلاف لقومهم الإنصار والنبي صلى الله
 عليه وسلم فيهم فى قولهم: ﴿ لئن اخرجتم ﴾ [أى -^٨] من مخرج
 ما من بلد لهم الذى فى المدينة الشريفة فخرجتم من غير أن تقاتلوا
 ١٥ ﴿ لنخرجن معكم ﴾ فكان ما قضى به على إخوانهم من الإخراج قالوا
 وكل بمنطقهم.

/ ٢٧٩

(١) زيدت الواو فى الأصل و ظ ولم تكن فى م لحذفناها (٢) من ظ و م ،
 وفى الأصل : سجل (٣-٢) من ظ و م ، وفى الأصل : لفظ (٤) من ظ و م ،
 وفى الأصل : الضلال (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : دلت (٦-٦) من
 ظ و م ، وفى الأصل : بحيث (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : بنى (٨) زيد
 من ظ و م .

ولما كان من المعلوم [أن للنافقين أقارب من أكابر المؤمنين ،
وكان من المعلوم - ١] أنهم يقومون عليهم في منعمهم من القيام معهم نصيحة لهم
وإحسانا إليهم ، وكان تجويز بنى النصير موهنا لذلك^٢ ، قالوا مؤكدين للكون
معهم : ﴿ ولا نطيع فيكم ﴾ أى فى خذلانكم ، والمعنى أنه لو فرض أنه
صار أحد فى القرب منكم مثل قرب المظروف من الظرف ما أطعناه فى ه
التقصير فيما يسركم ﴿ احدا ﴾ أى يسألنا خذلانكم من الرسول والمؤمنين ،
وأكدوا بقولهم : ﴿ ابدالا ﴾ أى ما دمنا نعيش ، وبمثل هذا العزم
استحق الكافر الخلود الأبدى فى العذاب .

ولما قدموا فى معوتهم ما كان فالأ قاضيا عليهم ، أتبعوه قولهم :
﴿ وان قوتلتم ﴾ أى من أى مقاتل^٣ كان ققاتلتم ولم تخرجوا ﴿ لننصرنكم^٤ ﴾ ١٠
فآلية من الاحتباك : ذكر الإخراج أولا دليلا على ضده ثانيا ، والقتال
ثانيا دليلا على حذف ضده أولا ، ومعنى الآية أن النبى صلى الله عليه
وسلم أرسل إلى بنى النصير : اخرجوا من بلدى ولا تساكنونى ، قد هممت
بالغدر بى وقد أجلتكم عشرا ، فمن رئى بعد ذلك منكم ضربت عنقه ،
فأرسل^٥ إليهم ابن أبى بما تقدم . ١٥

ولما كان قولهم هذا كلاما يقضى عليه سامعه بالصدق من حيث

- (١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : فضيحة (م) فى ظ : لهم .
(٣) من ظ و م ، وفى الأصل : مثل (ه) من ظ و م ، وفى الأصل : قاتل .
(٤) زيد فى الأصل : لهم ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لخذلانها .

كونه مؤكدا مع كونه متبداً من غير سؤال فيه ، بين حاله^١ سبحانه بقوله :
 ﴿ والله ﴾ أى يقولون ذلك^٢ والحال^٣ أن المحيط بكل شيء قدرة وعلماً
 ﴿ يشهد ﴾ بما يظلم من بواطنهم في عالم الغيب . ولما كان بعض من
 يسمع قولهم هذا ينكر أن لا يطابقه الواقع ، وكان إخلاصهم^٤ فيه متحققاً
 ه في علم الله ، أطلق عليه ما لا يطلق إلا على ما كشف الواقع عن أنه
 غير مطابق ، فقال تشجيعاً للمؤمنين على قتالهم مؤكداً : ﴿ انهم ﴾ أى
 المناقون ﴿ لكذبون ه ﴾ وهذا من أعظم دلائل النبوة لأنه إخبار بمغيب
 بعيد عن العادة بشهادة ما ظننتم أن يخرجوا لحققة الله على قريب^٥ .
 ولما كان الكذب في قولهم هذا كونه إخباراً بما [لا] يكون ،

١٠ شرحه بقوله مؤكداً بأعظم من تأكيدهم : ﴿ لئن أخرجوا ﴾ أى بنو
 النضير من أى مخرج كان ﴿ لا يخرجون ﴾ أى المناقون ﴿ معهم ﴾
 أى حية [لهم - ٦] لأسباب يعلمها الله ﴿ ولئن قوتلوا ﴾ أى اليهود
 من أى مقاتل كان فكيف بأشجع الخلق وأعلمهم صلى الله عليه وسلم
 ﴿ لا ينصرونهم ج ﴾ أى المناقون ولقد صدق الله وكذبوا في الأمرين
 ١٥ / ٢٨٠ معا : القتال و الإخراج ، لا نصروهم ولا أخرجوا / معهم ، فكان ذلك

من أعلام النبوة ، وعلم به من كان شاكاً فضلاً عن الموقنين ، صدق

(١) من م ، وفي الأصل و ظ : حالهم (٢ - ٢) من ظ و م ، وفي الأصل :
 فالحال (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : من إخلاصهم (٤) من ظ ، وفي الأصل
 و م : قرب (٥) نويد من م (٦) زيد من ظ و م .

الكلام على ما لم يكن ولا ليكون لو كان كيف ' كان يكون! بصدق
الكلام على ما لم يكن ويكون كيف يكون إذا كان في ' قوله تعالى:
(ولئن نصرهم) أى المناقون فى وقت من الأوقات (ليولن) أى
المناقون ومن ينصرونه^٢، وحرم بقوله: (لا ادبار لله) ، ولما كان
من عادة العرب الكر بعد الفر، بين أنهم لا كرة لهم بعد هذه الفرة^٣ وإن
طال المدى فقال: (ثم لا ينصرون) أى لا يتجدد لفريقهم^٤ أو لا لواحد
منها نصرة فى وقت من الأوقات، وقد صدق سبحانه لم يزل المناقون
واليهود فى الذل ولا يزالون .

ولما كان ربما قيل: إن تركهم لنصرهم إنما هو لخوف الله أو غير
ذلك مما يحسن وقعه^٥، علل بما ينبنى ذلك ويظهر أن محط نظرم المحسوسات ١٠
كالبهايم فقال مؤكدا له لأجل أن أهل النفاق ينكرون ذلك وكذا من
قرب حاله منهم: (لا أنتم) أيها المؤمنون (أشد رهبة) أى من جهة
الرهبة وهو تمييز محول عن المبتدأ أى لرهبتكم الكائنة فيهم^٦ أشد وأعظم^٧
(فى صدورهم) أى اليهود ومن ينصرهم^٨ بما أفاض^٩ إليها من قلوبهم
(١-١) من ظ و م ، وفى الأصل: يكون كان (٢) من ظ و م ، وفى الأصل:
قلنا (٣) من م ، وفى الأصل و ظ : ينصرونهم (٤) من ظ و م ، وفى
الأصل: كثرة (٥) من ظ و م ، وفى الأصل: الفرقة (٦) من ظ و م ،
وفى الأصل: لفريقهم (٧) من ظ و م ، وفى الأصل: وقفة (٨) من ظ و م ،
وفى الأصل: فيكم (٩) فى ظ و م : أعظمها (١٠) فى ظ : ينصرونهم (١١) من
م ، وفى الأصل و ظ : أقص .

(من الله^١) أى من رهبتهم التى يظهرونها لكم منه وإن ذكروه بكل صفة من صفاته فرهبتهم منكم سبب لإظهارهم أنهم يرهون الله رياء لكم .
ولما كان هذا مما يتعجب منه المؤمن علله بقوله: (ذلك) أى الأمر الغريب وهو خوفهم الثابت اللازم من مخلوق مثلهم ضعيف يزينهم له وعدم خوفهم من الخالق على ما له من العظمة فى ذاته .
ولكونه غنيا عنهم (بانهم قوم) [أى - ١] على ما لهم من القوة (لا يفقهون^٢) أى لا يتجدد لهم بسبب كفرهم واعتمادهم على مكرهم فى وقت من الأوقات فهم يشرح صدورهم ليدركوا به أن الله هو الذى ينبغى أن يخشى لا غيره، بل هم كالحیوانات لا نظر لهم إلى الغيب إنما هم مع المحسوسات، والفقه هو العلم بمفهوم الكلام ظاهره الجلى وغامضه الخفى بسرعة فطنة وجودة قريحة .

ولما أخبر برهبتهم دل عليها بقوله: (لا يقاتلونكم) أى كل من الفريقين اليهود والمنافقين أو أحدهما . ولما كان الشيء قد يطلق ويراد بعضه، حقق الأمر بقوله: (جميعا) أى قتالا يقصدونه مجاهرة و [م - ١] مجتمعون كلهم فى وقت من الأوقات ومكان من الأماكن (إلا فى قرى محصنة) أى بمنعة^٣ بحفظ الدروب وهى السكك الواسعة بالآبواب والخنادق ونحوها (أو من وراء جدر^٤) أى محيط بهم سواء كان بقرية أو غيرها لشدة خوفهم، وقد أخرج بهذا ما حصل من بعضهم^٥

(١) زيد من م (٢) زيدت الواو بعده فى الأصل ولم تكن فى ظ وم فخذناها .

(٣) من ظ ، وفى الأصل وم : من ظ وم ، وفى الأصل : لبعضهم .

عى ضرورة كالسير، ومن كان ينزل^١ من أهل خير من الحصن يبارز
ونحو ذلك، فانه لم يكن عن اجتماع، أو يكون هذا خاصا بيني النصير
في هذه الكرة^٢.

ولما كان ربما ظن أن هذا عن عجز منهم لازم لهم دفعه^٣ بقوله
إعلاما بأنه إنما هو من معجزات هذا الدين^٤: ﴿باسهم﴾ أى قوتهم^٥.
ما فيهم من الصفات التى يتأثر عنها العذاب ﴿بينهم شديد﴾ أى إذا
أداروا^٦ رأيا أو حارب بعضهم بعضا فجراً المؤمنين عليهم^٧ بأن ما ينظرونه من^٨
شدتهم وشجاعتهم إذا حاربوا المشركين^٩ لا يكر^{١٠} عند محاربة^{١١} المؤمنين
كرامة^{١٢} أكرم الله بها المؤمنين تتضمن علما من أعلام النبوة^{١٣} تقوية
لإيمانهم^{١٤} وإعلاء لشأنهم.

١٠

ولما كانت علة الشدة الاجتماع، شرح حالى الشدة والرهبة بقوله
مخاطبا للنبي صلى الله عليه وسلم إشارة إلى شدة ما يظهرون^{١٥} من ألف

- (١) من ظ و م، وفى الأصل: يترك (٢) من م، وفى الأصل وظ: الكثرة.
 - (٣) من ظ و م، وفى الأصل: فقيد (٤) من ظ و م، وفى الأصل: النبي.
 - (٥-٥) من ظ و م، وفى الأصل: شدتهم (٦) من ظ و م، وفى الأصل:
 - فيها (٧) من ظ و م، وفى الأصل: ارادوا (٨-٨) من ظ و م، وفى الأصل:
 - دل ما يشير اوله على (٩-٩) سقط ما بين الرقين من ظ (١٠) من ظ و م،
 - وفى الأصل: المحاربة (١١) من ظ و م، وفى الأصل: كم النعمة (١٢-١٢) من
 - ظ و م، وفى الأصل: لتقوية دأيمافهم (١٣) من ظ و م، وفى الأصل:
- يفرمون.

بعضهم لبعض: ﴿تحبسهم﴾ أى اليهود و المنافقين يا أعلى الخلق و يا أيها
 الناظر من كان لذلك التعاطف^١ الظاهر ﴿جميعا﴾ لما هم فيه من اجتماع
 [الدفاع - ٢] وعن ذلك نشأت الشدة ﴿و قلوبهم شتى﴾ أى مفترقة
 أشد افتراق، وعن ذلك نشأت الرهبة، و موجب هذا الشك^٢ اختلاف
 ٥. الأهواء^٣ التى لا جامع لها من نظام؛ العقل كالبهائم و إن اجتمعوا فى عداوة
 أهل الحق كاجتماع^٤ البهائم فى الحرب من الذئب، قال القشيري:
 اجتماع النفوس مع تنافر^٥ القلوب و اختلافها أصل كل فساد [و - ٢]
 موجب كل تخاذل، و مقتض لتجاسر^٦ العدو، و اتفاق القلوب^٧ و الاشتراك^٨
 فى المهمة و التساوى فى القصد^٩ يوجب كل ظفر^{١٠} و كل سعادة^{١١}.

١٠. و لما كان السبب الأعظم فى الافتراق ضعف العقل، قال معللا:

﴿ذلك﴾ أى الامر الغريب من الافتراق بعد^{١٢} الاتفاق الذى يخيل^{١٣}
 الاجتماع ﴿بانهم قوم﴾ أى مع شدتهم^{١٤} ﴿لا يعقلون﴾ فلا دين لهم

(١) من ظ و م، وفى الأصل: متطف (٢) زيد من ظ و م (٣-٢) من ظ
 و م، وفى الأصل: يختلف الأصل (٤) من ظ و م، وفى الأصل: النظام.
 (٥) من ظ و م، وفى الأصل: فاجتماع (٦) من ظ و م، وفى الأصل:
 تنافرت (٧) من ظ و م، وفى الأصل: لتجاسر (٨-٨) من ظ و م، وفى
 الأصل: بل اشتراك (٩) من ظ و م، وفى الأصل: العصمة (١٠) من ظ
 و م، وفى الأصل: الظفر (١١) من ظ و م، وفى الأصل: السعادة.
 (١٢) من ظ و م، وفى الأصل: بعده (١٣) من ظ و م، وفى الأصل: يخيل..
 (١٤) زيد فى الأصل: و فونهم بمحقى وإن. كل، و لم تكن الزيادة فى ظ و م
 لحذفها.

يحبسهم^١ لعلهم^٢ أنهم على الباطل فهم^٣ أسرى الآهوية ، والآهوية في غاية الاختلاف ، فالمقل مدار الاجتماع كما^٤ كان الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين في زمن النبي صلى الله عليه وسلم^٥ كما أن^٦ الهوى مدار الاختلاف .

و لما كان الإخبار بعدم عقلهم دعوى دل عليها^٧ بأمر مشاهد^٨ .
 قال : (كمثل) أى قصتهم في عدم فقههم بل عقلهم الذى نشأ عنه إخراجهم هذا وما^٩ سببه من مكربهم وغدرهم^{١٠} واعتمادهم على ابن أبى ومن معه من المناقذين كمثل قصة (الذين من قبلهم) و لما كان إدخال الجار مع دلالة على عدم استغراق زمان القبل يدل على قرب الزمن^{١١} ،
 صرح به فقال : (قريبا) وهم كما قال ابن عباس رضى الله عنهما بنو ١٠
 قينقاع من أهل دينهم اليهود أظهروا بأسا شديدا عند ما قصدهم النبي صلى الله عليه وسلم غزوة بدر فروعظم وحذرهم بأس^{١٢} الله فقالوا : لا يغرنك^{١٣}
 يا محمد أنك لقيت قوما^{١٤} أغمارا لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم ، وأما
 والله لو قاتلنا^{١٥} لعلبت أنا نحن الناس ، ثم مكروا بامرأة من المسلمين فأرادوها

- (١) من ظ و م ، وفى الأصل : بجمعهم (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : فهو .
 (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : وه (٤-٤) من ظ و م ، وفى الأصل : كمال .
 (٥ - ٥) من ظ و م ، وفى الأصل : باشد شده (٦) من ظ و م ، وفى
 الأصل : كما (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : عداهم (٨) من ظ و م ، وفى
 الأصل : الذين (٩) من ظ و م ، وفى الأصل : بأس (١٠) من ظ و م ، وفى
 الأصل : لا نعرفك (١١) من ظ و م ، وفى الأصل : اقواما (١٢) من ظ و م
 وفى الأصل : قتله .

على كشف وجهها / فأبى فقدوا طرف ثوبها من تحت خمارها،
فلما قامت انكشفت سوانها^١ فصاحت فغار لها شخص من الصحابة وطمى الله
عنهم، فقتل اليهودى الذى عقد ثوبها فقتلوه، فأتقض عهدهم، فأقول
النبى صلى الله عليه وسلم بساحتهم جنود الله فأذلهم^٢ الله ونزلوا من حصنهم
٥ على حكمه صلى الله عليه وسلم وقد كانوا حلفاء^٣ ابن أبى، ولم يغن عنهم
شيئا غير أنه سأل للنبي صلى الله عليه وسلم [فيه-^٤] أن لا يقتلهم وألج
عليه حتى كف عن قتلهم فذهبوا عن المدينة الشريفة بأنفسهم من غير
حشر لهم بالإلزام بالجلاء..

ولما كان كأنه قيل: ما [كان-^٥] خبرهم؟ قال: (ذاقوا وبال)
١٠ أى وخامة وسوء عاقبة (أمرهم ج) [فى الدنيا-^٦] وهو كفرهم
وعداوتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحزبه الذين (هم حزب-^٧) الله،
وسماه أمرا لأنه مما اتهموا فيه (ولهم) أى فى الآخرة (عذاب اليم ج)
أى شديد الإيلام.

ولما شبه سبحانه أمرهم فى طاعتهم لابن أبى ومن معه وهم
١٥ البعداء المحترقون بسبب إبعاد المؤمنين لهم بإبعاد الله واحتراق أكبادهم
لذلك^٨ مع ما أعد لهم فى الآخرة بأمر بنى قينقاع، شبه قصة الكل بقصة

(١) من ظ و م، وفى الأصل: سواقيها (٢) من ظ و م، وفى الأصل:
فأذلهم (٣) من ظ و م، وفى الأصل: خلف (٤) زيد من ظ و م (٥) زيد
من م (٦-٧) من ظ و م، وفى الأصل: ضمهم فى ابن (٧) من ظ و م، وفى
الأصل: بذلك (٩) زيد، وفى الأصل: الله، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها.

الشیطان [و-١] من أطاعه من الإنسان والجن^١ ، فقال مینا لمخى ما
 حظ^٢ عليه آخر الكلام : (کتلى) أى مثل الكل^٣ الواحدين بالنصر
 والمغترين بوعدهم مع علمهم بأن الله كتب فى الذکر ” لا غلبن أنا رستلى “
 فى إخلافهم الوعد وإسلامهم إلیهم عند ما حق الأمر يشبه مثل^٤
 (الشیطن) أى البعید من کل خير بعده من الله المحترق بعذابه ، ه
 والشیطان هنا مثل المناقین (اذ قال للانسان) أى کل من فى نوم
 واضطراب وهو هنا مثل اليهود : (اكفر) أى بالله بما [زين -]
 له ووسوس إلیه من اتباع الشهوات القائم مقام الأثر .

ولما كان الإنسان بما يساعد تزین الشیطان علیه من شهواته وحظوظه
 وأخلاقه یطیع أمره غالبا قال : (فلما كفر) أى أوجد الکفر على ١٠
 أى وجه كان ، ودلت الفاء على إصراره فى متابعة تزینته (قال) أى
 الشیطان الذى هو هنا عبارة عن المناقین مؤكدا لما لمن تعلق بمن أكد
 له الوعد بشئ من صادق الاعتماد علیه والتكذیب بأنه^٥ یخذله :
 (انى برى منك) أى لیس بینى وبينك علاقة فى شئ^٦ أصلا ظلما منه
 أن هذه البراءة تنفعه شيئا^٧ مما استوجه^٨ المأمور بقبوله لأمره ، وذلك ١٥

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : الجان (٣) من ظ و م ،
 وفى الأصل : حد (٤) زيد فى الأصل ای ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م
 لحذفها (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : من (٦) زيد فى الأصل و م : الانسان ،
 ولم تكن الزيادة فى ظ لحذفها (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : بان (٨) زيد
 فى الأصل : منه ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٩ - ٩) من ظ و م ،
 وفى الأصل : لا يستوجه .

كناية [عن - ١] أنه فعل معه من الإعراض عنه والتماهى فى كل ما يدل على إهماله فعل من أكد البراءة منه ، وذلك كما فعل المنافقون باليهود^٢ جرأوم على أمر ينهى وهو الإقامة فى بلدكم ، فلما نصبوا الحرب طمعا فى نصرهم فعل المنافقون بقباطوهم عنهم فعل المتبرئ منهم^٣ فكان ذلك أشد عليهم بما لم يطمعون فى نصرهم لأن هذا بمنزلة انهزامهم^٤ عنهم

من الصف الموجب لانهزامهم / لاحالة ، ثم علل البراءة بقوله : / ٢٨٣

(انى اخاف الله) أى الملك^٥ الذى لا أمر لاحد معه فلا تطاق صولته ، ثم شرح ذلك بقوله : (رب العلين) أى الذى أوجدكم من العدم ورباهم بما يدل [على - ٦] جميع الاسماء الحسنى والصفات العلى ، فلا يقنى أحد من خلقه عن أحد شيئا إلا باذنه و [هو - ٦] لا يفتقر أصلا لمن يقدح^٧ فى ربوبيته ولا سيما إن نسبها إلى غيره ، وكان هذا كمثل ما يحد الإنسان بعد الوقوع فى المعصية من الندم والحيرة ، فاذا وجد ذلك وهم بالتوبة زين له المعصية وصعب عليه أمر التوبة وعسره وجراه على المعصيته بعينها أو على ما هو أكبر منها ، ولا يزال كذلك حتى يعتذر ١٥ عليه الرجوع فيتحقق هلاكه وهلاك من أوقعه ، فلذلك سبب عنه قوله :

(فكان) ولما كان تقديم الشيء على محله موجبا لروعة تنبه الإنسان للتفتيش^٨ عن السبب والتشويق إلى المؤخر قال : (عاقبتهما) مقاما

(١) زيد من ظ و م (٢) زيدت الواو فى الأصل ولم تكن الزيادة فى ظ و م فخذناها (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : عنهم (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : اعترأهم (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : الامر (٦) زيد من م (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : قدح (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : لتفتير .

لخبر دكان، (انهما) أى الغار' والمغرور (فى النار) حال كونهما
 (خُلدين فيها') لأنهما ظلما [ظلمًا - ٢] لا فلاح معه . ولما كان ذلك
 قد يعمل على أنه [فى - ٣] الإنسان بعينه ، قال معلقا بالوصف^٢ ، تعميما
 وزجرا عنه : (وذلك) أى العذاب الأكبر (جزاؤا' الظلمين) أى
 كل [من - ٢] وضع العبادة فى غير محلها .

ولما أبلغ سبحانه فى المواظ على هذه السورة قولاً وفعلًا ، وكانت
 الإيقاعات المذكورة فيها مسية عن الحيانات ممن كان له عهد فنقضه ،
 أو ممن كان أظهر الإيمان فأبان فعله كذبه ، قال سبحانه و تعالى استنجا
 عن ذلك وعظا للمؤمنين لأن الوعظ بعد المصائب أوقع فى النفس واعظم
 فى رقيق القلب وتحذيره عما يوجب العقوبة : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا)
 مناديا لهم نداء^١ البعد معبرا بأدنى أسنان الإيمان لأنه عقب ذكر من
 أقر بلسانه فقط (اتقوا الله) أى اجعلوا لكم وقاية تقيم سنخ الملك
 الأعظم الذى لا أمر لاحد معه ولا بد^٤ أن يستعرض عبيده ، فاحذروا
 عقوبته بسبب التقصير فيما حده لكم من أمر أو نهى (ولتتقن نفس)
 أى كل نفس تنظر إلى نفاستها وتريد العلو على أقرانها ، ولعله وحدها ١٥
 للإشارة مع إفادة التعميم إلى^٥ قلة الممثل لهذا الأمر جدا (ما قدمت)

(١) زيد فى الأصل : هو ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) زيد من
 ظ و م (٣) زيد من م (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : بالمعطف (٥) ليس فى
 الاصل فقط (٦) زيدت الواو فى الأصل ، ولم تكن فى ظ و م فحذفناها .
 (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : حدا (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : بعد .
 (٩) من ظ و م ، وفى الأصل : او .

أى من الزاد الذى يكون به صلاح المنزل الذى من لم يسع فى إصلاحه
لم يكن له راحة ، هل يرضى الملك ما قدمته فينجيها أو يعضبه فيزديها .
ولما كان الاجل مبهم الوقت ، فكان لقاء الله فى كل يوم بل كل

لحظة للعاقل مترقباً لكونه ممكناً [مع كونه - ٢] على الإطلاق [محققاً - ٢]
٥ لا يجهله احد ، قال مشيراً بتكثيره وإيهامه إلى تهويله وإعظامه : (لندج)

أى لأجل العرض بعد الموت أو فى يوم القيامة الذى هو فى غاية القرب
لأن هذه الدنيا كلها / يوم واحد يحىء فيه ناس و يذهب آخرون ، / ٢٨٤

والموت أو الآخرة غده ، لابد [من - ٣] كل منهما ، و كل ما لابد منه
فهو فى غاية القرب لاسيما إن كان باقياً غير منقضى ، و كل من نظر
١٠ لغده أحسن مراعاة يومه ، و تنوينه^٤ للتعظيم من جهات [لانتصى - ٢] .

ولما أمر بتقواه سبحانه خوفاً من سطوته أمر بتقواه لأجل مراقبته حياء من
جلائه و هيئته تأكيداً للأمر لأن مدار النجاة على التقوى لأن مكاييد الشيطان
دقيقة ، فمن لم يبالغ فى محاسبة نفسه و تفقده^٥ ما يمكن أن يكون من الخلل فى
أعماله أو شك أن يحبط [الشيطان - ٢] أعماله فقال تعالى : (واتقوا الله)

١٥ أى الجامع لجميع صفات الكمال^٦ أى اتقوه^٦ حياء منه ، فالتقوى الأولى لإيجاد
صور الاعمال ، و هذه لتصفيتها و تزكية أرواحها ، و لذلك علل بقوله

(١-١) من ظ و م ، و فى الأصل : يعقبه فيزدريها (٢) زيد من م (٣) زيد من
ظ و م (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : بنويه (٥) من ظ و م ، و فى الأصل :
يفقده (٦-٦) سقط ما بين الرقيين من ظ و م .

مرغباً مرهباً : ﴿ ان الله ﴾ اى الذى له الاسماء الحسنى و الصفات العلى^١
 ﴿ خير ﴾ اى عظيم الاطلاع على ظواهركم و بواطنكم و الإحاطة
 ﴿ بما تعملون ﴾ فلا تعملون عملاً إلا كان بمرأى منه و مسمع فاستحيوا
 منه ، و ليرر الاسم الأعظم كراهية أن ' يظن تفقيد^٢ التقوى بحيشة من
 الحشيات تعظيماً لهذا المقام إعلالاً بأن شؤنه لا تنحصر^٣ و أن إحاطته ه
 لا تخص مقاماً دون مقام ولا شأننا سوى^٤ شأن

و لما هز إلى تقواه تارة بالخوف و أخرى^٥ بالحياء تأكيداً لها ، و علل
 ذلك بما له شعبة [من التحذير - ٦] ، و كان الإنسان لما له من النسيان
 أحوج إلى التحذير ، قال مؤكداً لشعبته و إيضاحاً لأن التقوى الثانية^٧ لمحاسبة
 النفس فى تصفيه العمل : ﴿ ولا تكونوا ﴾ أيها^٨ المحتاجون إلى التحذير ١٠
 و هم الذين آمنوا^٩ ﴿ كالذين نسوا الله ﴾ [أى - ٦] أعرضوا عن أوامره
 و نواهيه و تركوها ترك الناسين لمن برزت عنه مع ماله من صفات
 الجلال و الإكرام لما استغفوا به من أمره الشيطان حتى أبعدهم جداً
 عن العمران ﴿ فانسئهم ﴾ أى قسب عن ذلك أنه أنساهم بما له من

(١) زيد فى الأصل : سبحانه ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٢) من
 ظ و م ، و فى الأصل : يفيد (٣) زيد فى الأصل : و لا تدخل تحت حصر ،
 و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : دون .
 (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : تارة (٦) زيد من ظ و م (٧) زيد فى الأصل :
 حى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٨) من م ، و فى الأصل : و ظ : اى .
 (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : جبلتهم نسيان التقوى .

الإحاطة بالظواهر و البواطن ﴿ انفسهم ﴾ فلم يقدموا لها ما ينفعها وإن قدموا شيئاً كان مشوباً بالمفسدات 'من الرياء' والعجب ، فكانوا من قال فيه سبحانه و تعالى " وجوه يومئذ خاشعة عاملة ^٢ ناصبة تصلى ناراً حامية تسقى من عين ^٣ انية " ، لأنهم لم يدعوا باباً من أبواب الفسق فإن رأس الفسق الجهل بالله ، ورأس العلم ومفتاح الحكمة معرفة النفس ، فأعرف ^٢ الناس بنفسه ^٤ أعرفهم بربه ^٥ " من عرف نفسه فقد عرف ربه " ^٦ .

ولما كانت ثمرة ذلك أنهم أضاعوها - أى التقوى ^٧ - فهلكوا قال :
﴿ اولئك ﴾ أى البعيدون من كل خير ﴿ هم ﴾ أى خاصة ^٨ دون غيرهم ^٩
﴿ الفسقون ﴾ أى العريقون ^{١٠} فى المروق ^{١١} من دائرة الدين .

١٠ ولما تم الدليل على أن حزب الله هم المفلحون لما أبدى بهم به ^{١٢} فى هذه الحياة الدنيا من النصر و الشدة على الأعداء و اللين و المعاضدة للأولياء و سائر الأفعال الموصلة إلى / جنة المأوى ، و صرح فى آخر الدليل بحضرة حزب الشيطان فعلم أن ^{١٣} لهم مع ^{١٤} هذا الهوان عذاب النيران ، وكان المغرور بعد هذا بالدنيا الغافل عن الآخرة لأجل شهوات فانية
١٥ و حظوظ زائلة عاملاً عمل من يعتقد أنه لافرق [بين - ^{١٥}] الشقى بالنار

(١-١) من ظ و م ، وفى الأصل : بالرياء (٢-٢) سقط ما بين الرقين من ظ ، وفى م : الآية (٣) فى ظ : فان اعرف (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : بربه (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : بنفسه (٦-٦) سقط ما بين الرقين من ظ و م (٧-٧) من ظ و م ، وفى الأصل : من المروقة (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : من (٩) زيد من ظ و م .

والسعيد بالجنة لتجشمه التجرع لمرارات الاعمال المشتملة عليها، أشجع
 ذلك قوله منزلا لهم منزلة الجازم بذلك أو الغافل عنه تنبيهها لهم على غفلتهم
 وإيقاظهم غفلتهم؛ (لا يستوى) أى بوجه من الوجوه (أصحاب النار)
 التى هى محل الشقاء الأعظم (وأصحاب الجنة) التى هى دار النعيم الأكبر
 لا فى الدنيا ولا فى الآخرة وهى من أدلة أنه لا يقتل مسلم بكافر . ٥
 ولما كان نقي الاستواء غير معلم فى حد ذاته بالأعلى من الأمرين،
 وكان هذا السياق معلما بما حقه من القرائن بعلوم أهل الجنة، صرح به فى
 قوله: (أصحاب الجنة هم) أى خاصة (النائزون) المدبركون لكل
 محبوب الناجون من كل مكروه، وأصحاب النار هم المالكون فى الدارين
 كما وقع فى هذه الغزوة لفريق المؤمنين وبني النضير ومن والام من ١٠
 المناقين، فستان ما بينهما .

ولما كان قد مر فى هذه السورة فضلا عما تقدمها من حكمة هذا
 القرآن وإعجازه تارة بمطابقته لما نزل بسببه مطابقة تجلو عنه كل إشكال،
 وتارة بما يشاهد من صدقه فيما أخبر باتيانته من الأفعال، وأخرى بما
 يتحدى به من الأقوال، ومرة بنظم كل جملة مع ما تقدمها على ما لم يمكن ١٥
 لبشر مثله فى الأحوال إلى غير ذلك من أمور لا يحصرها المقال، ترتب
 على ذلك قوله مبينا أن سبب اقتراق الفريقين فى العقبي اقتراقهم فى

(١) ولم فى الأصل قبل «هم» والترتيب من ظ و م (٢) من م ، وفى الأصل
 و ظ : المذكورون (٣) زيد فى الأصل : به ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م
 فحذفناها (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : بما (٥) من م ، وفى الأصل و ظ :
 السر (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : اقتران .

هذا القرآن [في الأولى - ١] تمثيلاً للقلوب في قسوتها أو ليها عند
سماع القرآن و تخيلاً و توييها للقاسي و مديحا للعاطف البيناء لافا
القول إلى أسلوب العظمة لاقضاء الحال لها: ﴿لو أنزلنا﴾ بمفطمتا التي
أبانتها هذا الإنزال ﴿في هذا القرآن﴾ على الجلاص لجميع العلوم ، لفارق
هـ بين كل ملتبئ من التبين لجميع الحكم ﴿على جبل﴾ أي أي جبل كان
﴿لأيتته﴾ مع صلاته و قوته يد أشرف الخلق [إن لم يتأهل غيرك
لمثل تلك الرؤية - ١] ﴿خاشعا﴾ أي مطمئنا محتباً على صلاته متذلاً
باكياً ﴿متصدعا﴾ أي متشفقاً غايه التشفق كما تصدع^٦ الطور لتجلبنا
له بما دون ذلك من العظمة التي جلونا كلامنا الشريف لموسى عليه
السلام في ملابسها ﴿من خشية الله﴾ أي من الخوف العظيم من له الكمال
كله حذرا من أن لا يكون مؤديا ما افترض عليه من تعظيم القرآن
عند سماعه فما لابن آدم و قد آناه الله^٧ من العقل ما لم يؤت الجبل يستخف
بحقه ، و يعرض عما فيه من العبر ، و في الآي مدح / للنبي صلى الله عليه
و سلم في ثباته^٨ لما لا تثبت^٩ له الجبال ، و ذم للعرضين بسونهم أفسى
١٥ من الجبال .

/ ٢٨٦

و لما كان التقدير تبكيها و توييها لمن لم يرق للقرآن " اظم يان

(١) ازيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و في الأصل : بمنك (٣) من ظ و م ،
و في الأصل : الاحكام (٤) سقط من م (٥-هـ) سقط ما بين الرقنين من ظ و م .
(٦) من ظ و م ، و في الأصل : تدع - كذا (٧) سقط من م (٨-٨) من م ،
و في الأصل و ظ : عالم ثبت .

للذين آمنوا أنه خَشَع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق " فانا قد هسلنا لهم الحلال والحرام والامر والنهي وأوضحنا الحكم ودللنا على المشابه وقصصنا الإقاصيص بعد جعلهم عقلاء ناطقين ، فذلك أقاصيص الماضين^١ لعلهم يعتبرون ، غطف عليه قوله (و تلك الامثال) أى التى لا يضاد فيها شيء (نضربها للناس) أى الذين يحتاجونها وهم من فيهم تذبذب و اضطراب (لعلهم يتفكرون) أى لتكون حالهم عند من ينظرهم حال من يرجى تفكيره فى تلك الامثال فينفعه ذلك إذا أداه التفكير إلى التذكر فرأى تنبيه الرسول الله صلى الله عليه وسلم [له - ٢] أن كل ما فى القرآن من شيء فقيه [مشاهد - ٣] منه فتطابق له كتاب الخلق به كتاب الامر فتخلى عن الشهوات البهيمية فجاء من الحظوظ النفسية ١٠ فتخلى بالملابس الروحانية فصار باجتهادات والمنازلات* إلى الصفات الملكية فكان أهلا للقامات القدسية فى الجنان العلية .

ولما أعلی سبحانه أوليائه بأن فتح السورة [بالإيمان - ٢] بالغيب وهو العزيز الحكيم بعد التنزيه عن نقائص التعطيل وكل شائبة نقصي و يزل لعباده فى أسباب الصفات والأفعال إلى أن أوصلهم إلى محسوس ١٥ الامثال فتأهلوا للفناء فى ذاته وما على من صفاته الموجه لحشيشه ، رقام إلى التفكير فى تفصيل ما افتتح به ، فقال عادلا عن أسلوب العظمة إلى

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : الماضى (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : اداوم

(٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : او (هـ) من م ، وفى

الاصل : المنازات

أعظم منها بإسبالي حجب العزة^١ على منهاج الحكمة : (هو) أى الذى
وجوده من ذاته فلا عدم له أصلاً^٢ بوجه من الوجوه ، فلا يستحق
الوصف بـ هو ، غيره لأنه الموجود دائماً أزلاً وأبداً ، فهو حاضر
فى كل ضمير غائب بعظمته عن كل حس ، فذلك يتصدع الجبل
من خشيته .

ولما عبر بأخص أسمائه ، أخبر عنه لطفاً بنا و تنزلاً^٣ لنا بأعهرها
الذى هو مسمى الأسماء كلها فقال : (الله) أى المعبود الذى لا ينبغي
العبادة إلا له ، الذى بطن بما لم تحيط^٤ ولا تحيط [به - °] العقول من
نعمت التكبرياء والعظمة والإكرام ، فظهر بأفعاله^٥ التى لاتضامى بوجه
١٠ غاية الظهور ، فتميز غاية التميز ، فلم يلحقه شرك أصلاً فى أمه^٦ من الأمم
ولانسنة من النسم ، قال الحرالى فى شرح الأسماء : وهو لوه^٧ القلوب
والعقول أى محارها^٨ الذى لا تتحرك ، فزوم الخلق من توحيد اسم الإله
ما حصل لهم من توحيد اسم الله [من الأحذية الإحاطية - انتهى - °]
فذلك [كان وصفه " الذى لا اله الا هو " فانه لا يجائس له ولا يليق
١٥ ولا يصح ولا يتصور أن يكافئه أو يدانيه شيء . والإله أول اسم لله فذلك - °]

(١) من م ، وفى الأصل وظ : العز (٢) سقط من ظ و م (٣) من م ، وفى
الأصل وظ : تنزيلاً (٤) زيد فى الأصل : به الأفكار ، ولم تكن الزيادة فى
ظ و م فحذفناها (٥) زيد من ظ و م (٦) من م ، وفى الأصل وظ : من
العال (٧) من م ، وفى الأصل : امته (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : او -
(٩) زيد فى الأصل وظ : اى ، ولم تكن الزيادة فى م فحذفناها .

لا يكون احد مسلما إلا بتوحيده فتوحيده فرض و هو أساس كل فريضة^١،
و توحيد سائر الاسماء نقل و هو أساس كل نافلة، فمن وحد [في - ٢]
الكل فقد كمل دينه / و تمت النعمة عليه و إلا كان من الذين آمنوا، فإن
كان ذلك منه قولاً عصم من نار الأحكام على الأبدان في الدنيا، وإن
كان علماً تخلص من نار الهلع^٢ على النفوس في الدنيا، و هو الجزع^٣
عند مس الشر،^٤ و المنع و البخل^٥ عند مس الخير، ولن يشهد التوحيد
في هذه الكلمة التي مضمونها توحيد اسم الإله إحساناً إلا بعد إحصاء جميع
الاسماء [علماً - ٥]، قال الحرالي: والاله: التعبد و هو التذلل، فمن
توهم حاجته بشيء و توهم أن عنده قوام حاجته تذلل [له - ٦] فكان
تذله له تأله^٦،^٧ وكل من عبد ما أحاط به عينه^٨ فقد خذل عقله عن ١٠
تصحيح معنى الإله الذي يجب أن يكون غيباً^٩، فكان تصحيح معنى الإله^{١٠}
أنه غيب قائم مستحق للعبادة و التذلل لأجل قيامه و الاستغناء به .
و لما أخبر بتفرده، دل عليه بآية استحقاقه لذلك، فقال مقدماً لما
هو متقدم في الوجود: ﴿ علم الغيب ﴾ أي الذي غاب عن علم جميع
(١) من ظ و م، وفي الأصل: فرض (٢) زيد من ظ و م (٣) من م، وفي
الأصل وظ: الهامع (٤) من ظ و م، وفي الأصل: اضع - كذا (٥) زيد
من م (٦) من ظ و م، وفي الأصل: الادلة (٧) من ظ و م، وفي
الأصل: لقلوها (٨) زيد في الأصل وظ: هو و، ولم تكن الزيادة في م
لحذفها (٩) من ظ و م، وفي الأصل: يمينه (١٠) من ظ و م، وفي الأصل:
سبياً (١١) في ظ و م: اله .

خلقه . ولما كان ربما ظن أن وصفه بالغيب أمر نسي^١ سمي غيبا بالنسبة
لناس دون ناس ، دل بذكر الضد على أن المراد كل ما غاب وكل ما
شهد فقال تعالى : ﴿ والشهادة ٣ ﴾ أى الذى وجد فكان بحيث يحسه^٢
ويطلع عليه بعض خلقه .

٥ ولما تعالى فى صفات العظمة ونعوت الجلال والكبر فبطن غاية
البطون ، أخذ فى رحمة العباد^٣ بالتنزل لهم بالتعرف إليهم بعواطف الرحمة
فقال بانبا الكلام على الضمير إعلاما بأن المحدث عنه أولا هو بعينه
المحدث عنه ثانيا : ﴿ هو الرحمن ﴾ أى العام الرحمة ، قال الحرالى رحمه الله
تعالى : والرحمة إجراء الخلق على ما يوافق حسبهم^٤ و يلائم خلقهم
١٠ و خلقهم ومقصد أفدتهم ، فاذا اختص ذلك^٥ ببعض كان رحيمية^٦ ،
و إذا استغرق كان رحمانية ، ولاستغراق^٧ معنى اسم الرحمن [لم يكن لاتمام
معناه وجود فى الخلق ، فلم يجر بحق على أحد منهم فلذلك لحق اسمه الرحمن-^٨
فى معنى استغراقه^٩ - يعنى باسم الله .

ولما كانت الرحيمية خاصة بما رضىه الإلهية قال تعالى : ﴿ الرحيم ٥ ﴾
١٥ أى ذو الرحمة العامة المسعدة^{١٠} فى الظاهر والرحمة الخاصة المسعدة^{١١} فى

-
- (١) من ظ و م ، وفى الأصل : سبى (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : يحته .
(٣) من ظ و م ، وفى الأصل : للعباد (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : مسهم .
(٥) من م ، وفى الأصل و ظ : بذلك (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : رحمه .
(٧) من ظ و م ، وفى الأصل : لاستغراق (٨) زيد من ظ و م (٩) من ظ
و م ، وفى الأصل : لاستغراقه (١٠) من ظ و م ، وفى الأصل : المستعدة .
(١١) من ظ و م ، وفى الأصل : المسعد .

الباطن ، قال [الحراي - ١] : الرحمة من الرحيم اختصاص من شملته الرحمانية بمزية ما أوتى به من الرحمة^٢ في مقابلة من آل أمره إلى نعمه ليجمع مقتضى الاسمين بين عموم الرحانية واختصاص الرحيمية^٣ . ولما أظهر على الخلق خصوص الإيثار ، أجرى عليهم اسم الرحيم كرحمة الخالق إنباءهم . ولما كان حق^٤ اسم الرحيم إثبات رحمة^٥ غير مجذوزة^٦ ، ولم يكن ذلك هـ للخلق لم يكن بالحقيقة الرحيم إلا الله الذى إذا اختص بالرحمة لم يحدها "فن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها" و الله سميع عليم^٧ . "إن الله لا ينزع العلم انتزاعا بعد أن أعطاكموه . واما الذين سعدوا فى الجنة فخلدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوز" فلذلك لا رحيم بالحقيقة إلا الله تحقيق^٨ ١٠ علم كما أنه لا رحمان إلا الله بادى معنى^٩ .

ولما كان الملك^{١٠} كال استيلاء على الخلق يقصرهم^{١١} به ملكهم على بعض مستطاعهم و يدينهم - أى يجزيهم - على حسب دينهم أى ما وضع لهم من عادة قصره لهم و حكمه عليهم و بحسب إحصائه عليهم دقيق أعمالهم وإحاطته بخفى أحوالهم^{١٢} و الاطلاع على سرائرهم بتحقيق استيفاء الجزاء فيتحقق بذلك كال الملك ، فكان لذلك لا تتحقق حقيقة الملك فيمن هو دون العلم ١٥

(١) زيد من م (٢ - ٢) سقط ما بين الرقين من ظ (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : احق (٤ - ٤) من ظ و م ، و فى الأصل : محدودة (٥ - ٥) سقط ما بين الرقين من ظ و م (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : يتحقق (٧) من م ، و فى الأصل و ظ : منى (٨) فى ظ و م : للك (٩) من م ، و فى الأصل و ظ : يقصر (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : اعمالهم .

بالسر و أخفى ، و المحصى الخسب مثاقيل الذر ، الخير نجبا الكون ، فكان
لاملك في الحقيقة إلا الله ، ولكنه تعالى لما كان قد أولى الخلق من
رفعة بعضهم فوق بعض ما أجرى عليهم اسم الملك فنته لهم فضل ' بسبب
ذلك قوم ' ادعوا الملك الحقيقي ، فغلط من أراد الله من الخلق فيهم
٥ فضلوا بهم ، أعاد التهليل مع اسمه الملك كما ابتداء مع اسمه الإله أول
أسماء الله ، و لذلك أيضا قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث أبي هريرة
رضي الله عنه الذي رواه الشيخان و أبو داود و الترمذي في حديث الذي
يسمى ملك الملوك في رواية مسلم : لأملاك إلا الله ، فقال مصرحا بما في
باطن اسمي الرحمة من القهر و الجبر على النسق الأول في البناء على
١٠ الضمير تأكيذا لتعين المحدث عنه [و توحيدة - '] : (هو الله) أي
الذي لا يقدر على تعميم الرحمة لمن أراد و تخصيصها بمن شاء (الذي لا اله)
أي ' معبود بحق (إلا هو) الملك (فلا ملك في الحقيقة إلا هو لأنه
لا يحتاج إلى شيء ، فانه مهما أراد كان .

و لما كان الملك أصل ما لحق الخلق * من الآفات لأنه رأس
١٥ الشرف الذي هو باب الترف الملائم لمخالفة كتاب الله أما في الأعمال
فيكون فتنه ، و أما في الرأي فيكون علوا و كبرا و كفرا ، فان أمر
الله في آدم على ما هو نبوة ثم ينزل فيصير خلافة ثم ينتهي نزوله فيكون

(١-١) من ظ و م ، وفي الأصل : قوم سبب ذلك (٢) زيد من ظ (٣) زيد
في ظ و م : إلا هو (٤) زيد في الأصل : لا ، و لم تكن الزيادة في ظ و مد
لخدمتها (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : الحق (٦) من ظ و م ، وفي
الأصل : اشرف .

ملكاً ثم تداعى الأحداث ، فليكان تداعى الملك لموجبات الذم قال
عقب صفات الملك : (القدوس) مصرحاً بما لزم عن تمام ملكه من
أنه يبلغ في الزاخرة عن كل وصم يدركه حس أو يتصوره خيال أو يسبق
إليه وهم أو يختلج به ضمير ، فان القدوس طهر لا يقبل التغير ولا يلحقه رجس
فلا يزال على وصف الحمد بثبات القدوس ، و لمكان ما حوّل سبحانه ه
الخالق من حال طهر لا يظهر فيه تغير [بما - '] دونه أجرى عليهم اسم
القدس كروح القدس المؤيد للشارع ينث في روعة المؤيد لشاعره
في مكافئته عنه ، و لأجل / قصر تخلى الخالق بالملك في قليل متاع الدنيا
رغب النبي العبد صلى الله عليه وسلم عنه ، و اختار العبودية الدائمة بدوام
العزة لسيده ، فوضح بذلك علم أن لا قدوس^١ إلا الله حقيقة معنى ١٠
و تصحيح إحاطة .

و لما كان سبحانه لتمام ملكه و علو ملكه و كمال قدسه لا يتصور
أن يلحقه نقص في ذات^٢ و لاصفة و لا فعل . فلا يقبح^٣ منه إهلاك^٤ على
حال من الأحوال و لاس بضر في الدنيا و الآخرة في وقت من الأوقات
لأنه سبحانه ، لعله^٥ بالظواهر و البواطن على حد سواء ، يضع الأمور في ١٥

-
- (١) من ظ و م ، و في الأصل : فيه (٢) زيد من ظ و م (٣) من م ، و في
الأصل : لشارعه ، و العبارة من « ينث » الى هنا ساقطة من ظ (٤) من م ،
و في الأصل و ظ : مكافئة (٥) من م ، و في الأصل و ظ : امتاح (٦) زيد
في الأصل : حقيقة ، و لم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٧) من ظ و م ،
و في الأصل : ذلك ب - كذا (٨) من ظ و م ، و في الأصل : فلا تصح .
(٩) من م ، و في الأصل و ظ : هلاك (١٠) من ظ و م ، و في الأصل : يعلم .

أحكم 'مواضعها بما' لا يدرکه غیره أصلاً أولاً يدرکه حق إدراکه فاحتجج
إلى ما يؤمن من ذلك، وكان السلام حيداً ما بين الآفة والفرقة وحد
ما بين الرحمة والسطوة وهو أدنى مثال^٢ الجاهل من^٣ عباد الرحمن،
ومثال المعتدى^٤ من المقتدر، وكان سلام المسلم للجاهل مداراة لثلاث
٥ يزيد في جهله عليه، أو ارتقاباً لاستقبال مكنة، وكان الله لا يعبأ بالخلق
ولا يحتاج^٥ لارتقاب مكنة لأنه لا يعجزه شيء فلم يتحقق السلام بكل
معنى من وجود السلامة له وإفاضتها^٦ على غيره^٧ تماماً إلا منه [إعفاء
من معاملة استحقاق السطوة وحفيظة حرمة اختصاص الرحمة، أتبع
ذلك مؤناً-^٩] للعاصي من المعاجلة وللطائع من سوء المعاملة قوله:

١٠ ﴿السلام﴾ لأنه حد ما بينهما ظاهراً، ولذلك أردفه بما يتعلق بالباطن
لتحصل إحاطة السلامة ظاهراً وباطناً فقال: ﴿المؤمن﴾ لأن الأمن^١
حد ما بين المحبة والمكره فيمن لا وسيلة له للحب [وهو أدنى ما يقبله
فوق الحق ممن يستحق منه الحب، ولذلك لم يقبل بذلك الحق ممن كان
ظاهر الوسيلة للحب-^٩] إلا بالحب فلم يثبت إيمان المؤمن بمجرد الإيمان

(١-١) من ظ و م، وفي الأصل: موضعها ما (٢) من ظ و م، وفي
الأصل: مثال (٣) من ظ و م، وفي الأصل: عن (٤) من ظ و م، وفي
الأصل: للتعدى (٥) زيدت الواو في الأصل ولم تكن في ظ و م فخذناها.
(٦) من ظ و م، وفي الأصل: وجوه (٧) من ظ و م، وفي الأصل:
إضافتها (٨) من ظ و م، وفي الأصل: غرة (٩) زيد من ظ و م (١٠) من
ظ و م. وفي الأصل: المؤمن.

حباله بل إثارة محبته على كل حب و مساواة لآخيه المؤمن فيما يجب
 لنفسه ، وأدناه الأمانة [في - ١] الغيب^٢ من الغيبة والعيب إلى غاية
 الأمان من بوائق الغشم^٣ والظلم من الجار المستحق حفظ جاره في
 غيبه ، فالإخلال بالإيمان لكونه الأمانة في الغيب نقاق ، والإخلال بالإسلام
 لكونه السلم في المواجهة إجرام ، فبأدنى إخلال في جانب الحق أو الخلق^٥
 يتلطم الإسلام و الإيمان ، وذلك [كله - ١] إنما هو في الحقيقة من
 الله تعالى فهو الذي يعزى إليه الأمن والأمان بأفادته أسبابه ومنع أسباب
 المخاوف فلا أمن في الوجود ولا أمان إلا وهو مستفاد من جهته .
 ولما كان الاطلاع على بَيِّن ما ذكر ليتحقق معنى السلم والأمن ،

و على كل من تلك الحدود خفيا جدا يقتدر إلى مزيد علم ، قال : ١٠
 (المهيمن) فان الهيمنة شهادة خبرة وإحاطة وإبصار لكلية ظاهر الأمر
 وباطنه بحيث لا يخفى منه خافية هوية ولا بادية ظاهر^٦ ، وإحاطة معناه
 لا يكاد يقع له في الخلق مسوغ إطلاق إلا مساحة لأن الخلق لا يشهدون
 إلا الظواهر ولا يشهدون من الباطن ، ولذلك انعجم معناه على كثير
 من فصحاء العرب ، ففهوم^٧ معناه موجب توحيد فواضح إذ لا مهيمن ١٥

/ بمعنى أنه شهيد على الوجه المشرح^٨ مع الأمانة المأمونة والحفظ والرعاية
 فيكون قائما على [كل - ١] شيء بكل ماله من رزق وعمل وأجل

- (١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : المغيب (٣) من ظ و م ،
 وفي الأصل : انقسم (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : ظاهرة (٥) من ظ و م ،
 وفي الأصل : فهو (٦) من ظ و م ، وفي الأصل : المزوج .

إلا هو ، ولذلك كان القرآن الذى هو صفته سبحانه و تعالى مهيمنا على جميع الكتب التى قبله مصدقا لما يستحق التصديق منها مكذبا لما يستحق التكذيب ، فمن كانه به أمهر^١ كان بذلك أعلم .

و لما كان تمام الخبرة^٢ ملزوما لتمام القدرة ، صرح بهذا اللازم فقال : (العزيز) و العزة غلبة لا يجد معها المغلوب وجه مدافعة و لا انفلات و لا إيجاز ، فالعزيز الذى صعب على طالبه إدراكه مع افتقار كل شئ^٣ إليه فى [كل - ٢] لحظة ، الشديد فى انتقامه الذى لا معجز له فى إنفاذ حكمه ، و لذلك ينظم كثيرا بآيات إمضاء الأحكام متصلا بالحكمة و العلم انباء عن العدل ، قال الغزالي : و هو الذى يقل وجود مثله و تشتد الحاجة إليه و يصعب الوصول [إليه - ١] . و لما كان المغلوب على^٤ الشئ فيؤخذ من يده قد لا ينقاد باطنا فلا يباشر^٥ ما غلب عليه للغالب و قد [لا - ٢] يكون العز^٦ ظاهرا لكل أحد ، أردفه بقوله : (الجبار) و هو العظيم الذى يفوت المقاوم مناله ، فهو على هذا من أسماء الذات و يصلح أمور من يريد من الخلق و يقهرهم على ما يريد . فهم أحقر من أن يعصوه طرفة عين بغير إرادته ، و الجبر : طول يلجئ الأدنى لما^٧ يريد منه الأعلى و يغيب من

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : امر (٢) زيد فى الأصل : بذلك ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فخذناها (٣) زيد من ظ و م (٤) زيد فى الأصل : بل هو ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فخذناها (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : يعصب . (٦) زيد من م (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : عن (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : فيباشر (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : العزيز (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : الى ما .

الأعلى ما يحاول مثاله [منه - '] الأدنى مع الظهور التام الذى تدور مادته عليه ، فالجبار لا يخرج شئاً من قبضته ، و تقصر الأيدي عن حى عز حضرته ، ولا ينال منه إلا ما نول ، وهو أبعد شئ عن أوصاف الخلق لمثال الذباب منهم ما شاء وعجزم عنه ، [و - '] لما فيه من الإلجاء كان هو الاسم الذى يلجى النار لقصرها على براده منها من الحسب الذى جبلها ه على ضده من الاستزادة فلا تزال تقول ما جليات عليه ؛ هل من مزيد ، حتى يضع الجبار فيها قدمه أى يهينها فان القدم موضع الإهانة ، [وهذه الإهانة - '] هى من مبدأ ظهور غلبة الرحمة للغضب ، فله الملك ظهوراً بالأيدي الظاهرة من الإنسان وما دونه ، وله الملكوت بطونا بالأيدي الباطنة من الملك وما دونه ، وله الجبروت اختصاصاً من وراء كل ١٠ ملك وملكوت .

و لما كان الإلجاء قد يكون بنوع ملاطفة ، أتبعه قوله : (المتكبر) ليعم الإلجاء الظاهر والباطن فالكبرياء جملة تأدى امر الله و ظاهر خلقه الذى يحمد الخلق صغرهم من دونه وكبره عليهم و امتناعه عما لا يريد من مرادهم ، لأن الكل حقيرون بالإضافة إلى جلالة وعز جبروته وعظمته ١٥

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : من (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : غير (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : الحاء (هـ) من ظ و م ، وفى الأصل : قديمه (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : اهانة (٧ - ٧) من ظ و م ، وفى الأصل : يخلق (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : امتناعهم (٩) من ظ و م ، وفى الأصل : غيره .

و كاله ، و لسواء الخلق في عام حضرة القدرة شملهم الصغر فلم يصح منهم
كبر ، و لا شرع لهم تكبر ، فلم يكن للخلق منهم حقيقة حظ و لا لبس
حق ، فاختص بهذا الاسم لاستيلائه على الظواهر باظهار / ما له من
الكبر لعدم الحاجة إلى شيء و بالغاء غيره إلى الاحتياج إليه و الإيقاع
هـ بجبارتهم و إذلالهم و غير ذلك من الأمور المزعجة المرهبة من غير
مبالاة بشيء كما اختص بالجبار لاستيلائه على البواطن .

و لما تقرر بما ذكر من مظاهر عظمتـه استيلاؤه على الظواهر
و البواطن باللطف و العنف ، أتج ذلك تعاليه عن شوب نقص لاسباب
بالشرك فقال سبحانه : ﴿ سبحن الله ﴾ أى تنزه الملك الأعلى الذى
١٠ اختص بجميع صفات الكمال تنزهها لا تدرك العقول منه أكثر من أنه
علا عن أوصاف الخلق فلا يدانيه شيء من نقص ﴿ عما يشركون ﴾
أى من هذه المخلوقات [من -] الأصنام و غيرها مما فى الأرض أو فى
السماء من كبير و صغير و جليل و حقير .

و لما تم دليل الوجدانية بما حصل من التفهيم بالتدنى إلى الملك
١٥ ثم بالتعالى إلى التكبر . فأتج هذه الخاتمة ، ابتداء سبحانه دليلا آخر هو
فى غاية التنزل و الوضوح ، فقال مفتحا بما افتتح به الأول من الترتيب
فى المراتب الثلاث ، غيب الغيب ثم الغيب ثم الظهور على مراتبه ،
(١) من ظ و م ، و فى الأصل : الانتفاع (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ
و م ، و فى الأصل : او (٤) سقط من ظ و م (٥) من ظ و م ، و فى
الأصل : فهو .

إعلاماً بأنه لا يـاح عن الإيمان بالغيب ، و من برح عنه ملك ﴿ هو ﴾
 اى الذى لاشئ يستحق أن يطلق عليه [هذا الضمير - '] غيره لأن
 وجوده من ذاته و لاشئ غيره إلا و هو ممكن فهو أهل لأن لا يكون
 فلا يكون له ظهور ليكون له بطون .

ولما ابتدأ بهذا الغيب المحض الذى هو أظهر الأشياء ، أخبر عنه ه
 بأشهر الأسماء الذى لم يقع فيه شركة بوجه فقال : ﴿ الله ﴾ أى الذى
 ليس له سى^٢ فلا كفوء له فهو المعهود بالحق فلا شريك له بوجه . ولما
 بدأ سبحانه بهذا الدليل الجامع بين الغيب والظهور ، تى بتزل متضمن
 للعلم والقدرة فهو فى غاية الظهور فقال : ﴿ الخالق ﴾ أى الذى لاخالق
 على الحقيقة^٣ إلا هو لأن الخلق فرض حد و قدر فى مطلق منه لم يكن^٤ ١٠
 فيه بعد حد و لا قدر كالحاذى يخلق أى يقدر فى الجلد حداً^٥ وقدر
 لنعل و نحوه وهو سابق للفرى والبرى ونحوه "سبق العلم العمل" فالخالق^٦
 فى الحقيقة^٧ هو الذى كل شئ عنده بمقدار ، الذى يقول "يخلقكم فى
 بطون امهتكم خلقاً من بعد خلق" "و ان من شئ إلا عندنا خزائنه وما
 ننزله الا بقدر معلوم" و من ناشئة القدر الفرق و الترتيب ، و من ناشئة ١٥

(١) زيدت العبارة من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : عنهم (٣) من
 ظ و م ، وفى الأصل : مسمى (٤) تكرر فى الأصل نقط (هـ) زيد فى الأصل :
 غيره ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها (٦) من ظ و م ، وفى الأصل :
 ظم يكن (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : حد (٨-٨) فى ظ و م : حقيقة .

الفرق و الترتيب الإحياء و الإمامة ، و من معاد الفرق 'و الإحياء و الإمامة'
على أول أمره الجمع و الرب ، فلا يملك الخلق و الفرق إلا من يملك
الجمع و الرب ، و قد أوتي الخلق ملكاً ما في الفرق و الشتات ، و لم يملكوا
جمعاً ما فرقوا و لا ألف ما شتوا كالقاطع عضوا لا يقدر على لأمه ،
و الهامد بناء لا يقدر على رمة على حده ، و الكامر شيئاً لا يقدر على وصله ،
٢٩٢ / ٥

فلان الخلق لا يحيطون بتقدير ما يسرعون في قدره و لا يقدررون بغسد
الفرق و الفرقى على رمة و وصله . كان المحيط التقدير في الشيء من جميع
جئاته و جملة حدوده ، القادر على جمع ما فرق الذي كما بدء أول خلق
يعيده هو أحسن الخالقين . و تلايح تحت هذا اللبس في إطلاق اسم
١٠ الخالق [على الخالق - °] الحق ذى الحول و القوة و القدرة و الإحاطة
و الإبداء و الإعادة ، و على الخالق من الخلق المقدر بغير إحاطة علم
و لا تأصيل حول و لا قدرة ، و لا إتمام إبداء لاحظ من إعادة أنه لا خالق
إلا الله كما أنه لا معيد لما ابدأ إلا الله ، و أن ليس إطلاق هذا الاسم
على الخلق مبدأ فتته التي يضل بها من يشاء و يهدى من يشاء ، و تحقيق
١٥ أفراد الخلق لله فيما ظهر على أيدي أهل الملك و المملوك و إحاطة
جبروته بما ظهر و ما بطن من أعمالهم و صنائعهم ، هو أول مجمع من

(١ - ١) سقط ما بين الرقنين من ظ (٢) من ظ و م ، و في الأصل : جميع .
(٣) من ظ ، و في الأصل و م : طالقا (٤) من م ، و في الأصل و ظ : جميع .
(٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م ، و في الأصل : الى الله (٧) من ظ
و م ، و في الأصل : يظهر .

بجامع التوحيد ، وهو أساس لإيمان أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، حيث فرض عليهم في الفاتحة "إياك نعبد وإياك نستعين" فهم خير أمة أخرجت للناس حيث أخلصوا الدين لله ، 'و لموقع الشرك' فيه كانت القدريّة مجوس هذه الأمة .

ولما كان الخالق الحق هو من اتقن التقدير و البرئ وإن كان ه
أغلب الخلق لقصورهم لا يفهمون منه إلا مطلق التقدير كما قال شاعرهم :
ولأنّ تفرى ما خلقت و بعض القوم يخلق ثم لا يفري
أردفه تنديها على ذلك و تصرّحاً و تأكيداً قوله : (البارئ) [أى -]
الذى يدقّق بما وقع به التقدير و يقطعه و يصلحه لقبول الصورة على
أتم حال ، فإن كان من المحيط العلم كان تمام التهيؤ للصورة على كمال ١٠
المشيئة فيها ، و إن كان ممن لا يحيط علماً طرأ له في البرئ من النقص
عن التمام ما لا يمكن معه حصول المقصود في الصورة ، و لا يكاد يقع
الإحسان للخلق في مصوراتهم إلا وفاقاً لا يعلمون كنهه و لا يتقنون
بحصوله

ولما كان من بهي الأمور للتصوير قد لا يتقنه قال : (المصور) ١٥

(١ - ١) من ظ و م ، وفي الأصل : المومع للشرك (٢) من ظ و م و في
الأصل : القادر (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : الشاعر (٤) زيد من ظ و م .
(٥) من م ، وفي الأصل و ظ : لا يدقّق (٦) زيد في الأصل و ظ : من ،
و لم تكن الزيادة في م لحذفناها (٧) من ظ ، وفي الأصل و م : بما (٨) من
ظ و م ، وفي الأصل : البر .

فان التصوير إتمام تفصيل الخلق الظاهر وإكمال تخطيطه وإحكام أعضائه
 وهو حد ما انتهى إليه الخلق في الظهور، وليس وراء ظهور الصور
 كون إلا لطائف تطويعها في إسنان كمالها بعد بعثها بأحيائها بما لها
 من الروح المقوم لها سواء كان حيوانيا أو غيره إلى غاية كمالها الذي
 ٥ يعطيه المصور لها إفضالا ومزييدا ويظهره إبداعا، ويتضح الفرق
 جدا بين الأسماء الثلاثة بالبناء فانه يحتاج أولا إلى مقدر^١ يقدر ما لا بد
 منه من الحجر^٢ واللبن والخشب والحديد ومساحة الأرض وعدد
 الأبنية وطولها وعرضها، وهذا يتولاه المهندس فيرسمه وهو الخلق ثم
 يحتاج إلى حجار ينحت الحجارة ويهيئها لتصلح لمواضعها^٣ التي تكون
 ١٠ / ٢٩٣ فيها / من الأبواب وأوساط الجدر وأطرافها وزواياها، غير ذلك،
 وكذا الخشاب والحداد في الخشب والحديد وهو البرئ^٤ ثم يأخذ
 الكل البناء فيضعها مواضعها إلى أن تقوم صورتها التي رسمها المهندس
 أولا وقدرها، ولا تقوم الصورة^٥ بالحق إلا إذا كانت محكمة بحسب الطاقة
 كما أن البناء يضع الحجارة أولا ثم يجعل^٦ الخشب فوقها لا بالاتفاق بل
 ١٥ بالحكمة، ولو قلب ذلك لم تثبت الصورة ولم يكن لها الاسم إلا على أقل
 وجوه الضعف^٧ فكل من كان أحكم كان تصويره أعظم، ولذلك^٨

-
- (١) من ظ و م ، وفي الأصل : يصح (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : مقدار .
 (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : الصخر (٤) من ظ و م ، وفي الأصل :
 تواضعها (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : اليه (٦) زيد في الأصل : إلا ،
 ولم تكن الزيادة في ظ و م لخذفها (٧) من ظ و م ، وفي الأصل : جعل .
 (٨) من ظ و م ، وفي الأصل : الصنف (٩) من ظ ، وفي الأصل : ذلك .

لامصور في الحقيقه إلا الله الخالق 'البارئ المصور سبحانه'، قال الرازى في اللوامع: و التصوير موجود في كل أجزاء العالم وإن صغر حتى في الذرة و النملة بل في كل عضو من أعضاء النملة، بل الكلام يطول في طبقات العين و عددها و هيئاتها و شكلها و مقاديرها و ألوانها، و وجه الحكمة فيها، فمن لم يعرف صورتها لم يعرف مصورها إلا بالاسم المجمل، و هكذا ه القول في كل صورة لكل حيوان و نبات بل لكل جزء من نبات و حيوان . و لما علم من هذا أنه لا بد أن يكون المصور بالغ الحكمة، أردفه بقوله تعالى: ﴿ له ﴾ أى خاصة 'لا لغيره' ﴿ الاسماء الحسنى ﴾ أى من الحكيم و غيره عن لا يتم التصوير إلا به و لا تدركونه [أتم - ١] حق إدراكه . و لما أخبر سبحانه أول السورة أن الكائنات أوجدت تسبيحه ١٠ خضوعاً لعزته و حكمته، و دل على ذلك بما تقدم إلى أن أسمعه الآذان الواعية بالآسماء الحسنى، دل على دوام انصافه [بذلك - ٢] من يحتاج لما [له - ٣] من النقص من الخلق إلى التذكير فعبّر بالمضارع فقال: ﴿ يسبح ﴾ أى يكرر 'التنزيه الأعظم من كل شائبة نقص على سبيل التجدد و الاستمرار' ﴿ له ﴾ أى على وجه التخصيص بما أفهمه قصر ١٥ المتعدى و تعديته باللام ﴿ ما فى السموات ﴾ و لما كان هذا المنزه الذى استجلى التنزيه من الاسماء الحسنى قد أشرقت انقاسه و لطفت أقطاره

(١ - ١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : خصوصاً (٤) فى ظ : ينزه (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : التنزه .

وأغراسه حتى صار علويا ' فرأى الأرض عالية كالسما ' لما شاركها به
 في الدلالة على تمام كماله فجعلها معها لأنه لا يحتاج إلى تأكيد كالشيء
 الواحد بامقاط " ما " وألصقها بها ' لإحاطة إلى ذلك فقال : (والأرض ع)
 فمن تأمل الوجود مجعلا ومفصلا ، علم تسبيح ذلك كله بنعوت الكمال
 ه وأوصاف الجلال والجلال (وهو) أى والحال أنه وحده (العزيز)
 [أى -] الذى يغلب كل شيء ولا يغلبه شيء ولا يوجد له مثل ، ويميز
 الوصول إليه ويشند الحاجة إليه .

ولما كان من يكون بهذه الصفة لا يتم أمره ويثبت كل ما
 يريد إلا إن كان على قانون الحكمة قال : (الحكيم ع) من الحكمة
 ١٠ وهى : إتقان الحكم وإنهاؤها إلى حد لا يمكن نقضه ، والحكم قال الحرالى :
 المنع عما / يترامى إليه المحكوم إيالة عليه وحمله على ما يتمتع منه نظرا
 له ، ففي ظاهره الجهد وفى باطنه الرفق ، وفى عاجله الكره ، وفى آجله
 الرضى والروح . فوقعه فى الأبدان المداواة " تداوا عباد الله فان الذى
 أنزل الداء أنزل الدواء " و موقعه فى الأديان التزام الأحكام والصبر
 ١٥ والمصابرة على مجاهدة الأعمال وجهاد الأعداء ظاهرا من عدو الدين
 والبغى وباطنا من عدو النفس أعدى عدوك نفسك التى بين جنيتك .

/ ٢٩٤

- (١) من ظ و م ، وفى الأصل : علوية (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : ما .
 (٣) من م ، وفى الأصل و ظ : به (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : استنتج .
 (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : هو (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : حله .
 (٧) من م ، وفى الأصل و ظ : مجاهدات (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : عدم .

و من بعض^١ الأهل و الولد عدو ، و الشيطان عدو يجرى من ابن آدم
نجس الدم ” اثن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا ” فالحمل على جميع أنواع
الصبر و المصابة ظاهرا بالإيالة العالية هو الحكم و العلم بالامر الذى لأجله
وجب الحكم من قوام أمر عاجلته و حسن العقى فى أجلته من الحكمة .
فالحكم مباح التعليم للناس عامة بل واجب أن يتعلم كل امرئ من الأحكام^٥
ما ينفعه ، و أن يتدب طائفة العلم ما يعم جميع الناس ” فلو لا نفر من
كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ” و الحكمة التى هى العلم بما لأجله
وجب الحكم من^٢ مشروطه التعليم بالتزكية ” هو الذى بعث فى الاميين
رسولا منهم يتلو عليهم آياته و يزيكهم و يعلمهم الكتاب و الحكمة ” و ان
كانوا من قبل لنى ضلال مبين^٣ ” [فما يعلمهم الحكمة -]^٤ [لا بقدر التزكية^{١٠}
فمن ترك فهو من أهلها و من لم يترك فليس من أهلها ، فالحكمة شئلى
شرارة يجهد العمل بالأحكام فيفسر بها ما يعسر دونها ، و الحكم ضيق الامر
للنفس كما أن السجن ضيق الخلق للبدن ، و الحكمة ثوطة يحمل ضيق الحكم
لأنها تخرج و تؤل إلى سعة الواسع ، و لا يتم الحكم و تستوى الحكمة
إلا بحسب سعة العلم . و لما لم يكن للخلق من العلم إلا بقدر ما يهيم^{١٥}
الله لم يكن لهم من الحكمة إلا مقدار ما يورثهم ” و لقد آتينا لقمان
(١) من ظ و م ، وفى الأصل : ابغض (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : العلم .
(٣) سقط من ظ و م (٤-٤) سقط ما بين الرقيين من ظ (٥) زيد من ظ و م .
(٦) من م ، وفى الأصل و ظ : لا خلق .

الحكمة“ و لما كان إنما العلم عند الله كان إنما الحكمة حكمة الله و إنما الحكم حكم الله ، فهو الحكيم الذي لا حكيم إلا هو - انتهى . و قد علم سر اتباع الأسماء الشريفة من غير عطف ، و ذاك أنه لما ابتدأ بـ «هو» و أخبر عنه بالاسم العلم الأعظم المفرد المصون الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنى ، أتبعه تلك الأوصاف العلى من غير عطف إعلاما بأنه لاشئ منها يؤدى جميع معناه بالمفهوم المتعارف عند أهل اللغة ، و لذلك جمع بعدها الأسماء إشارة إلى أنه لا يجمع معناه إلا جميع الأوصاف المنزلة فى كتبه و المأخوذة عن أوليائه التى استأثر بها فى غيبه و ليس شئ مما ذكر ههنا مضادا^١ فى [المعنى - ٢] الظاهرى للآخر كالأول و الآخر ١٠ حتى يظن لأجله نقص فى المعنى بسبب ترك العطف ، و أما ترتيبها هكذا فلأن كل اسم منها كما مضى شارح لما خفى من الذى قبله و مبين للآزمه ، و موضح لما ألح أنه من مضمونه ، / و قد انعطف على افتتاحها ختامها و عائق ابتداؤها تماما ، و وفى مطلعها مقطعها ، و زاد و بلغ الغاية من الإرشاد إلى سبيل الرشاد ، فسبحان* من أنزله برحمته رحمة للعباد ، ١٥ و هاديا إلى الصواب و السداد .

/ ٢٩٥

(١) من م . و فى الأصل و ظ : جمعها (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : مضادة (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : الآية (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : سبحان (٦) سقط من م (٧) زيد فى الأصل : وإلى طريق الرشاد ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها .

سورة الممتحنة^١

مقصودها براءة من أقر بالإيمان^٢ بمن اتسم^٣ بالعدوان دلالة على صحة مدعاه
كما أن الكفار تبرأوا^٤ من المؤمنين و كذبوا بما جاءهم من الحق لثلاث
يكونوا^٥ على باطلهم أحرص من المؤمنين على حقهم، و تسميتها
بالممتحنة أوضح شيء فيها وأدله على ذلك لأن الصهر أعظم الوصل،^٥
و أشرفها بعد الدين، فإذا نفى^٦ و منع دل على أعظم المقاطعة لدلالته
على الاتمهان بسبب الكفران الذي هو أقبح العصيان ﴿بسم الله﴾
الكافي من لجأ إليه فمن تولاه أغناه^٧ عن سواه ﴿الرحمن﴾ الذي عم
بنعمة الإيجاد من فلق عن وجوده العدم و براه و شمل، برحمته اليان
من حاطه بالعقل^٨ و رعاه ﴿الرحيم﴾ الذي خص بالتوفيق من^٩
أحبه و ارتضاه .

لما كان التأديب عقب الإنعام جديرا بالقبول، و كان قد أجرى
سبحانه سنته الإلهية بذلك، فأدب عباده المؤمنين عقب سورة الفتح السبى
بسورة الحجرات، و كانت سورة الحشر مذكورة بالنعمة في فتح بنى النضير

(١) الستون من سور القرآن الكريم، مدنية، و عدد آياتها (١٣) بالاتفاق -
راجع نثر المرجان ٢٩٦/٧ (٢-٢) من ظ و م، و في الأصل: من اقسم (٣) من
ظ و م، و في الأصل: يتبرون (٤) من ظ و م، و في الأصل: ثلاث يكون .
(٥) من ظ و م، و في الأصل: بقی (٦) من ظ و م، و في الأصل: عما .
(٧) من ظ و م، و في الأصل: العقل .

[و-١] معلمة بانه لا ولى إلا الله . و لذلك ختمها بصفى العزة و الحكمة
 بعد^٢ أن افتتحها^٢ بهما ، و ثبت أن من الحكمة حشر الخلق ، و أن أولياء الله
 هم المفلحون ، و أن أعداءه هم الخاسرون ، و كان الحب في الله و البغض
 في الله أفضل الأعمال و أوثق غرى الإيمان ، و لذلك^٣ ذم سبحانه لمن
 ه و الى أعداءه و ناصرهم^٤ ، و سماهم مع التكلم بكلمة الإسلام منافقين ، أنتج
 [ذلك -^٥] قطعاً و جوب البراءة من أعدائه و الإقبال على خدمته و ولأته^٦ ،
 فقال معيدا للتأديب^٧ عقب سورة الفتح غلى أهل الكتاب بسورة جامعة
 تتعلق بالفتح الأعظم و الفتح السبى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا^٨ ﴾ ناديا
 بأداة العبد و إن كان من نزات بسببه من أهل القرب ، و معبرا بالماضى
 ١٠ إقامة^٩ لمن و الى الكفار نوع موالاة في ذلك المحل إلهابا له و تهيجا
 إلى الرفع عنه^{١٠} لثلا يقدر في خصوصيته و يحط من^{١١} على رتبته مع
 اللطف [به -^{١٢}] بالتسمية له بالإيمان حيث شهد سبحانه على من فعل
 نحو فعله مع^{١٣} بنى النصير بالنفاق^{١٤} . و أحله محل أهل الشقاق ، فحكم على

البعث
 فتح

(١) زيد من ظ (٢-٢) من ظ و م ، و في الأصل : فتحها (٣) من ظ و م ،
 و في الأصل : ذلك (٤) من ظ و م ، و في الأصل : يضرهم (٥) زيد من م .
 (٦) من ظ و م ، و في الأصل : ولايته (٧) من ظ و م ، و في الأصل :
 للتاب (٨) ليس في الأصل (٩) من ظ و م ، و في الأصل : أقامته (١٠) من
 ظ و م ، و في الأصل : له (١١) من ظ و م ، و في الأصل : في (١٢) زيد من
 ظ و م (١٣) من ظ و م ، و في الأصل : من (١٤) من م ، و في الأصل
 و ر ظ : بالشقاق .

القلوب في الموضعين فقال هناك "الذين ناقضوا" كما قال هنا "الذين آمنوا".

ولما كان قد تقدم في المجادلة النهي الشديد عن إظهار مطلق المادة للكفار، وفي الحشر الزجر العظيم عن إبطان ذلك فتكلفت السورتان بالمنع من مصاحبة ودم ظاهرا أو باطنا، بكت هنا من اتصف بالإيمان وقرعه ووجعه على السعى في موادتهم والتكلف لتحصيلها، فإن ذلك قادح في اعتقاد تفرده سبحانه بالعزة والحكمة، فعبر لذلك بضيفة الاتعمال فقال بعد التبيكيت بالنداء بأداة البعد والتعير بأدنى أستان الإيمان: ﴿لا تتخذوا﴾ وزاد في ذلك المعنى من وجهين: التعبير بما منه العداوة تجرمة عليهم وتنفيرا منهم والتوحيد لما يطلق على الجمع لثلا ١٠ يظن أن المنهى عنه المجموع بقيد الاجتماع والإشارة إلى أنهم في العداوة على قلب واحد، فأهل الحق أولى بأن يكونوا كذلك في الولاية فقال: ﴿عدوى﴾ أى و أتم تدعون موالاى [و من المشهور أن مصادق العدو أدنى مصادقة لا يكون وليا فكيف بما هو فوق الأدنى -^٨] وهو فحول من عدى، وأبلغ في الإيقاظ بقوله: ﴿وعدوكم﴾ أى ١٥

- (١) من ظ و م، وفي الأصل: الظهار (٢) زيد في الأصل: العنيف، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٣) من ظ و م، وفي الأصل: فتكاملت.
(٤) من ظ و م، وفي الأصل: و و (هـ - هـ) من ظ و م، وفي الأصل: أوباكيا بكبا (٦) من م، وفي الأصل و ظ: ذلك (٧) من م، وفي الأصل و ظ: ان (٨) زيد من ظ و م.

العريق في عداوتكم بما دتم على مخالفته في الدين.

ولما وحد لأجل ما تقدم من الإشارة إلى اتحاد الكلمة، بيننا أن

المتراد الجمع فقال: ﴿أولياء﴾ ثم استأنف بيان هذا الاتحاد بقوله

مشيرا إلى غاية الإسراع والمبادرة إلى ذلك بالتعبير بقوله: ﴿تلقون﴾

م أي جميع ما هو في حوزتكم مما لا تطمعون فيه إلقاء الشيء الثقيل من

علو ﴿إيهم﴾ على بعدهم منكم حسا ومعنى ﴿بالمودة﴾، [أى - ١]

بسيما لهم لما ترفع السامع التصريح بمضادتهم في الوصف الذي فادهم

به بعد التلويح إليه، قال ملها ومهيجا إلى عداوتهم بالتدوير بمخالفتهم

إياه في الاعتقاد المستلزم لاستصغارهم لأنه أشد المخالفة: ﴿قدكم أي

١٠ هو الحال أنهم قد كفروا﴾ أي غطوا جميع ما لكم من الأدلة ﴿عما﴾

أي بسبب ما ﴿جاءكم من الحق﴾ أي الأمر للثبوت الكامل في الثبات

الذي لا شيء أعظم ثباتا منه، ثم استأنف بيان كفرهم بما يبعد من مطلق

موادتهم فضلا عن السوء فيها بقوله مذكرا لهم بالحال الماضية زيادة

في التنفير منهم ومصورا لها بما يدل على الإصرار بأنهم ﴿يخرجون الرسول﴾

١٥ أي الكامل في الرسالة الذي يجب على كل أحد عداوة من عاداه أدنى

عداوة ولو كان أقرب الناس فكيف إذا كان عدوا، وبين أن المخاطب

من - ٢ أول السورة من المهاجرين وأن إرادته على وجه الجمع للسر

(١) تويد في الأصل و ظ : نوس ، ولم تكن الزيادة في م : لحذفها (٢) زيد من

ظ : م (٣) من ظ : م ، وفي الأصل : امة (٤) زيور في الأصل و ظ : كانت

ولم تكن الزيادة في م : لحذفها (٥) زيد من م : -

و التعميم في النهي بقوله : ﴿ و اياكم ﴾ أى من دياركم من مكة المشرفة .

ولما بين كفرهم ، معبرا بالمضارع ، إشارة إلى دوام أفام لمن آمن ،

المقتضى لخروجه عن وطنه ، على الإخراج بما يحقق معنى الكفر

و الدأوة فقال : ﴿ ان ﴾ أى أخرجوكم من أوطانكم لاجل أن ﴿ تؤمنوا ﴾ .

أى توقفوا حقيقة الإيمان مع التجديد والاستمرار .

ولما كان الإيمان به سبحانه مستحقا من الوجهين الذات و الوصف

لغت الخطاب من التكلم إلى الغيبة للتنبيه عليهما فقال : ﴿ بالله ﴾ أى

الذى اختص بجميع صفات الكمال ، ولما عبر بما أبان أنه مستحق

للإيمان لذاته أردفه بما يقتضى / وجوب ذلك لإحسانه فقال : ﴿ ربكم ﴾ / ٢٩٧

و لما ألهمهم على مباينتهم لهم بما فعلوا معهم و انقضى ما أريد من ١٠

التنبيه بسباق الغيبة عاد إلى التكلم لأنه أشد تحييا و أعظم استعطافا و أكل

على الرضا فألهمهم بما كان من جانبهم من ذلك [الفعل - °] أن لا يضيغوه ،

قال معلما ان ولايته سبحانه لا تصح إلا بالإيمان ، و لا يثبت الإيمان

إلا بدلائله من الأعمال ، و لا تصح الأعمال إلا بالاخلاص ، و لا يكون

الإخلاص إلا بمباينة الأعداء : ﴿ ان كنتم ﴾ أى كونوا راسخين أخرجوكم ١٥

من أوطانكم لاجل إيمانكم بى ﴿ خرجتم ﴾ أى منها و هى أحب البلاد

إليكم ﴿ جهادوا ﴾ أى لاجل الجهاد ﴿ فى سبيلى ﴾ أى بسبب إرادتكم

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : دياركم (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : انكم .

(٣) من ظ و م ، و يمين (٤ - ٥) من ظ و م ، وفى الأصل : ما بينهم .

(٥) ريد من ظ و م .

تسهيل طريقى التى شرعتها لعبادى أن^١ يسلكوها (وابتغاء مرضاى ق طه) أى ولاجل تطلبكم بأعظم الرغبة لرضاى ولكل فعل يكون موضعاً له، وجواب هذا الشرط محذوف لدلالة «لا تتخذوا» عليه.

ولما فرغ من بيان [حال - ٢] العدو وشرط لإخلاص الولى، ٥- وكان التقدير: فلا تتخذوهم أولياء، بنى عليه قوله مبيناً "تلقون" إعلاماً بأن الإسرار إلى أحد بما فيه نفعه لا يكون إلا تودداً: (تسرون) أى توجدون لإسرار جميع ما يدل على مناصحتهم والتودد إليهم، وأشار إلى بعدهم عنهم بقوله: (اليهم) إبلاغاً فى التوبيخ بالإشارة إلى أنهم يتجشمون فى ذلك مستفتين^٢ إبلاغ الأخبار التى يريد النبى صلى الله عليه وسلم وهو المؤيد بالوحى كتبها عنهم على وجه الإسرار خوف الافتضاح والإبلاغ إلى المكان البعيد (بالمودة ق طه) أى بسببها أو بسبب الإعلام بأخبار يراد بها أو يلزم منها المودة. ولما كان المراد بالإسرار السر على من يكره ذلك، قال مبكناً لمن يفعله: (وانا) أى والحال أنى (اعلم) أى من كل أحد من نفس الفاعل (بما أخفيتم) أى ١٥ من ذلك (وما أعلنتم^٣) فأى فائدة لإسراركم إن كنتم تعلمون أنى عالم به، وإن كنتم توهمونه أنى لا أعلمه فهى القاصمة.

ولما كان التقدير بما هدى^٤ إليه العاطف: فن فعل منكم فقد ظن

(١) من م، وفى الأصل و ظ: الى (٢) زيد من ظ و م (م) من ظ و م، وفى الأصل مستقيين (٤) من ظ و م، وفى الأصل و و (٥) من م، وفى الأصل و ظ: تتهمون (٦) من ظ و م، وفى الأصل: اهدى.

أنى لا أعلم الغيب أو فعل ما يقتضى ظن ذلك ، عطف عليه [قوله - ١] :
 (ومن يفعله) أى يوجد الانتخاب سرا أو علنا أو يوجد الإصرار بالمودة
 فالإعلان أولى في وقت من الأوقات ماض أو حال أو استقبال .، ولما
 كان المحب قد يفعل بسبب الإدلال ما يستحق به التبكيت ، فإذا بكت
 ظن أن ذلك ليس على حقيقة لأن محبة لا يضرها شيء ، وكان قد ستره
 المعاييب بأن أخرج الكلام مخرج العموم ، صرح بأن هذا العتاب مراد
 به الإيجاب فقال : (منكم) وحقق الأمر وقربه بقوله : (قد ضل)
 أى عى و مال وأخطأ (سواء السبيل) أى قويم الطريق الواسع الموسع
 إلى القصد قويمه وعدله ، وسبب نزول هذه الآية روى من وجوه / كثيرة
 ٢٩٨ /

فبعضه في الصحيح عن علي ومنه في الطبراني عن أنس ومنه في التفسير ١٠
 أن سارة مولاة أبي عمرو بن صفي بن هاشم بن عبد مناف أتت المدينة
 ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتجهز لفتح مكة فسألها ما أقدمها ،
 فقالت : ذهبت موالى وقد احتجت حاجة شديدة ، وكنتم الأهل والعشيرة
 والموالى ، فحث رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى عبد المطلب وبنى
 المطلب فأعطوها وكسوها وحملوها ، فكتب معها حاطب بن أبى بلتعة ١٥
 حليف بنى أسد بن عبد العزى ومن حاطب بن أبى بلتعة إلى أهل مكة
 أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم ، فأعطاه عشرة

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : أخرج (٣) واجع مثلا
 معالم التنزيل بهامش الباب ٦٢/٧ (٤) من ظ و م والعالم ، وفي الأصل : سيده .
 (٥) من ظ و م والعالم ، وفي الأصل : يريد .

دناير، فنزل جبريل عليه السلام بالخبير فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر وعليا وعمارا والزبير وطلحة و المقداد و أبا مرثد و كانوا كلهم فرسانا فقال : انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظمينة معها كتاب من حاطب إلى المشركين ، فخذوها منها واخلوا سيلها ، وإن لم تدفعه إليكم فاضربوا عنقه . فاتطلقوا فنادى بهم خيلهم ، فأدركوها في ذلك المكان فأتكرت و حلفت بالله ، ففتشوها فلم يجدوه فتهمتوا بالرجوع ، فقال علي رضي الله عنه : ما كذبتا ولا كذبتا ، وسل غيفه فقال : أخرجني الكتاب لو لاقين الشياطين لأضربن عنقك ، فقالت : علي أن لا تردوني . ثم أخرجته من عقاصها قد لقت عليه شعرها ، فخلوا سيلها ، ١٠ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاطب : هل تعرف الكتاب ، قال : نعم ، قال : فما حملك على هذا ؟ قال : لا تمجل يا رسول الله ، والله ما كفرت منذ أسلمت ولا غششت منذ نصحتك ولا أحببتهم منذ فارقتهم ، ولكن لم يكن أحد من المهاجرين إلا وله بمكة من يدفع الله به عن عشيرته . وكنت غريبا خليفا فيهم ، وكان أهلي بين ظهرائهم فأردت أن أبخذهم عندهم ١٥ يدا يدفع الله بها عن أهلي . وقد علمت أن الله تعالى ينزل بهم بأسه ،

(١) من ظ و م و العالم ، وفي الأصل : فخذوا (٢ - ٣) من م و العالم . وفي الأصل وظ : بذلك (٣) من م ، وفي الأصل وظ : فلم يجدوا (٤) من ظ و م و العالم ، وفي الأصل : و (٥) زيد في الأصل : عنقها أو . ولم تكن الزيادة في ظ و م فخذناها (٦) من ظ و م ، وفي الأصل : عشيت ، وفي المعالم : غششتك . (٧) من ظ و م ، وفي الأصل : بينهم (٨) من م و العالم ، وفي الأصل وظ : يتخذ (٩) في الأصل بياض ملأناه من ظ و م و العالم .

وأن كتاب لا يغنى عنهم شيئا، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم:
صدق ولا تقولوا له إلا خيرا، فقال [عمر - ١] بن الخطاب رضى الله
عنه: دعنى يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق، فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم: وما يدريك يا عمر لعل الله اطلع على أهل بدر
فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم، ففاضت عينه عمر رضى الله عنه ه
وقال: الله ورسوله أعلم، فانزل الله: "يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا
عدوئى وعدوكم" الآيات .

وقال الإمام أبو جعفر ابن الزبير: افتتحت - يعنى هذه السورة - بوضعية

المؤمنين على ترك موالاة أعدائهم ونهيهم عن ذلك [وأمرهم - ١]

بالتبرء منهم، وهو المعنى الوارد فى قوله خاتمة المجادلة "لا تجد قوما

يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا

٢٩٩ /

آبائهم أو أبناءهم" إلى آخر السورة، وقد حصل [منها - ١] ان / أسنى

أحوال أهل الإيمان وأعلى مناصبهم "ارلك كتب فى قلوبهم الايمان

وايدهم بروح منه" فوصى عباده فى افتتاح الممتحنة بالتزهد عن موالاة

الأعداء ه وعظهم بقصة إبراهيم عليه الصلاة والسلام والذين معه فى ١٥

تبرئهم من قومهم ومعاداتهم، والاتصال فى هذا بين، وكان سورة

الحشر وردت مورد الاعتراض المقصود بها تهديد الكلام وتنبية السامع

(١) زيد من م (٢) من ظ و م، وفى الأصل: ان (٣) - سقط من ظ (٤) زيد

من ظ و م (ه - ه) من ظ و م، وفى الأصل: عدوهم - كذا (٦) من م،

وفى الأصل و ظ: بينة .

على ما به تمام الفائدة لما ذكر أن شأن المؤمنين أنهم لا يوادون من
 حاد الله ورسوله ولو كانوا أقرب الناس إليهم، اعترض بتفزيه عن
 مرتكباتهم، ثم أتبع ذلك ما عجله لهم من النعمة و النكال، ثم عاد
 الأمر إلى التهي عن موالاة الأعداء جملة له، ثم لما كان أول سورة
 ٥ الممتحنة إنما نزل في حاطب بن أبي بلتعة رضى الله عنه و كتابه لكفار
 قريش بمكة، والقصة مشهورة و كفار مكة أسسوا من يهود، و طلبوا
 المعادة للجميع واحد، فلهذا فضل بما هو من تمام الإخبار بحال يهود،
 و حيث أنه عاد الكلام إلى الوصية عن نظائرهم من الكفار المعاندين،
 و التجمت السور الثلاث و كثر في سورة الممتحنة ترداد الوصايا و العهود،
 ١٠ و طلب بذلك كله و لهذا المناسبة ذكر فيها الحكم في بيعه النساء و ما
 يشترط عليهن في ذلك، فبنى السورة على طلب الوفاء افتتاحا و اختتاماً
 حسب ما بين في التفسير لينزه المؤمن عن حال من قدم ذكره في
 سورة الحشر [و - ٨] في خاتمة سورة المجادلة - انتهى .

و لما كان ما بينه تعالى من إخراجهم لهم موضعاً بعداوتهم و كان
 ١٥ طول كفهم عن قصدهم بالأذى من سنة الأحزاب سنة خمس إلى سنة

- (١) من ظ و م ، و في الأصل : لما (٢) من ظ و م ، و في الأصل : بما .
 (٣) من ظ و م ، و في الأصل : فزات (٤) من ظ و م ، و في الأصل : كتابته .
 (٥ - ٥) من ظ و م ، و في الأصل : الجميع واحد (٦) من ظ و م ، و في
 الأصل : مبنى (٧) من ظ و م ، و في الأصل : حس (٨) زيد من ظ و م .
 (٩) من ظ و م ، و في الأصل : خلقه (١٠) من ظ و م ، و في الأصل : كانوا .

ثمان ربما شكك في أمرها ، وكان سبحانه قد أعز المؤمنين بعد ذلهم وقواهم بعد وهنهم وضعفهم ، وثقفهم^١ بعد جهلهم ، بين ظلال معتقد ذلك بأن كف الكفار إنما هو لعجزهم وأنهم^٢ لو حصل لهم ما هو للسليين الآن من القوة لبادروا إلى إظهار العداوة مع أن ذلك في نصر الشيطان ، فأولياء الرحمان أولى باتباع ما آتاهم من الإيمان ، فقال مينا لبقاء عداوتهم : هـ

(ان يثقفوكم) أى يحدوكم في وقت من الاوقات و^٣ مكان من الاماكن وهم يطمعون في أخذكم بكونهم أقوى منكم أو أعرف بشيء مما يتوصل به إلى الغلبة ، وأشار بأداة الشك إلى أن وجدانهم وهم على صفة الثقافة مما لا يتحقق له ، وإنما هو على سبيل الفرض والتقدير ، وأنه إنما علم سبحانه أنه لو كان كيف كان يكون ، مع أنه عما لا يكون ، ١٠

ونبه على عراقتهم في العداوة بالتعبير بالكون فقال : (يكونوا لكم) أى خاصة (اعداء) أى يعدون إلى^٤ أذاكم كل عدو يمكنهم وإن واددتموهم . و [لما - ٦] كانت العداوة قد تكون^٥ باغراء الغير ، عرف أنهم لشدة غيظهم لا ينتصرون^٦ على ذلك فقال : (ويسطوا اليكم) أى خاصة / وإن كان هناك في ذلك الوقت من غيركم من^٧ قتل أعز ١٥ / ٣٠٠

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : فقههم - كذا (٢) في م : انه (٣) من م ، وفي الأصل و ظ : أو (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : ما (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : على (٦) زيد من ظ و م (٧) من ظ و م ، وفي الأصل : لا تكون (٨) من ظ و م ، وفي الأصل : لا ينتصرون (٩) زيد في الأصل : السعة ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفناها .

الناس إليهم ﴿ ايديهم ﴾ أى بالضرب إن استطاعوا ﴿ و السنتهم ﴾ أى باللسن مضمومة إلى فعل أيديهم فعل من ضاق صدره بما تفرع من آخر من غيركم من القصص حتى أوجب له غاية السعة ﴿ بالسوء ﴾ أى بكل ما من شأنه أن يسوء .

٥ ولما كان أعدى الأعداء لك - ١ [من تمنى أن يفوتك أعز الأشياء لديك ، وكان أعز الأشياء عند كل أحد دينع ، قال متم للبيان : ﴿ وودوا ﴾ أى وقعت منهم هذه الودادة قبل هذا^٢ لأن مصيبة الدين أعظم [فهم إليها أسرع لأن دأب العدو القصد إلى أعظم - ١] ضرر يراه لعدوه ، و عبر بما يفهم التنى^٣ الذى يكون فى المحالات ليكون المعنى ١٠ أنهم أحبوا ذلك غاية الحب و تمنوه ، وفيه بشرى بأنه من قبيل المحال ﴿ لو تكفروا^٤ ﴾ أى يقع منكم الكفر الموجب للهلاك الدائم ، [و - ١] قدم الاول لأنه أبين فى العداوة و إن كان الثانى انكساراً .

ولما كانت عداوتهم معروفة و إنما غطاها محبة القربات لأن الحب للشيء يعنى ويصم ، خطأ رأيهم فى موالاتهم بما أعلمهم به من حالانهم^٥ ، ١١ زهد فيها بما يرجع إلى حال من والوهم لأجلهم بما تورثه من الشقاء الدائم يوم البعث ، فقال مستأنفا إعلاما بأنها خطأ على كل حال : ﴿ لئ تنفمكم ﴾ أى بوجه [من الوجوه - ١] ﴿ ارحمكم ﴾ أى فربانكم الحاملة لكم على (١) زيد من ظ و م (٢) زيد فى الأصل : الآن ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفها (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : النهى (٤) فى ظ و م : حالهم .

رحمتهم والمطف عليهم ﴿ ولا اولادكم ﴾ الذين هم اخص ارحامكم إن
واليتيم أعداء الله لاجلهم فينبغي أن لا تعدوا قريهم منكم بوجه أصلا،
ثم علل ذلك وبينه بقوله: ﴿ يوم القيمة ﴾ أى القيام الأعظم .
ولما كان النافى للنفع وقوع الفصل لا كونه^١ من فاصل معين قال
بانيا للفعول على قراءة أى عمرو ونافع وابن كثير وأبى جعفر وابن هـ
عامر^٢ من أكثر طرقه إلا أنه شدد الصاد للبالغة فى الفصل: ﴿ يقصل ﴾
أى يوقع الفصل وهو الفرقة العظيمة بانقطاع جميع الأسباب ﴿ بينكم^٣ ﴾
أى أيها الناس فيدخل^٤ من شاء من أهل طاعته الجنة، ومن شاء من أهل
معصيته النار، فلا ينفع أحد احدا منكم بشيء من الأشياء إلا إن كان
[قد -^٥] أى الله بقلب سليم فيأذن الله فى إكرامه بذلك . ١٠

ولما كان التقدير إعلاما بأن الله هو الفاصل وهو الضار النافع
بما دلت [عليه -^٦] قراءة الباقيين إلا أن حمزة والكسائى بضم الياء وفتح
الفاء وكسر الصاد مشددة إشارة إلى عظمة هذا الفصل بخروجه عن
المألوف عودا إلى الاسم الأعظم إشارة إلى عظم الأمر بانتشار الخلائق
وأعمالهم: فأنه على ذلك قدير، عطف عليه^٧ قوله: ﴿ والله ﴾ أى الذى ١٥
له الإحاطة^٨ التامة ﴿ بما تعملون ﴾ أى من كل عمل فى كل وقت
﴿ بصيره ﴾ فيجازيكم عليه فى الدنيا والآخرة، وقد مضى غير مرة أن

(١) من ظ وم ، وفى الأصل : لكونه (٢) راجع ثر المرجحان ٣٠١/٧ (٣) من ظ
وم ، وفى الأصل : فيه (٤) زيد من ظ وم (هـ) من ظ وم ، وفى الأصل :
على ذلك (٦) زيد فى الأصل : الكامل ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم فخذتها -

تقديم الجار في مثل هذا للتنه على مزيد الاعتناء بعلم ذلك لا على الاختصاص ولا لأجل الفواصل .

ولما أبلغ سبحانه في وعظهم في ذلك، وكانت عادته التربية بالمأذنين، كان موضع توقع ذلك فقال معبرا بأداة التوقع : ﴿ قد كانت ﴾ ٢٠١ / ٥ أى وجدت وجودا تاما، وكان تأنيث الفعل إشارة إلى الرضا بها ولو كانت على أدنى الوجوه ﴿ لكم ﴾ أى [ايها - '] المؤمنون ﴿ أسوة ﴾ أى موضع اقتداء وتأسية وتسنى وتشريع وطريقة مرضية ﴿ حسنة ﴾ يرغب فيها ﴿ في إبراهيم ﴾ أى فى قول أبى الانبياء ﴿ والذين معه ﴾ أى [بمن - '] كانوا قبله من الانبياء، قال القشيري : ومن آمن به فى ١٠ زمانه كان أخيه لوط عليها الصلاة والسلام وهم قدوة أهل الجهاد والهجرة ﴿ اذ ﴾ أى حين ﴿ قالوا ﴾ وقد كان من آمن به أقل منكم وأضعف ﴿ لقومهم ﴾ الكفرة، وقد كانوا^٢ أكثر من عدوكم وأقوى وكان لهم^٣ فيهم أرحام وقرابات ولهم فيهم رجاء بالقيام والمحاولات .

١٥ ولما كان ما ذكر من ضعفهم وقوة قومهم مبعدا لأن يارزوهم، أكدوا قولهم فقالوا : ﴿ انا ﴾ أى من غير وقفة ولا شك ﴿ براءؤا ﴾ أى متروئون تبرئة عظيمة ﴿ منكم ﴾ وإن كنتم أقرب الناس إلينا ولا ناصر لنا منهم غيركم . ولما تبرؤا منهم أتبعوه ما هو أعظم عندهم منهم وهو سبب العداوة فقالوا : ﴿ وما تعبدون ﴾ أى توجدون عبادته فى وقت

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : كان (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : لكم (٤) ورد فى الأصل بعد « لاشك » والترتيب من ظ و م .

من الآوقات الماضية المفيدة التعبير [عنها - ٢] بالمضارع تصوير الحال
أو^٣ الحاضرة أو الآتية كأنا من كان لا يخف شيئا من ذلك لأن إلهنا
الذى قاطعنا كل شيء في الانقطاع إليه لا يقاويه شيء، ولا تقدر أن
مع إشراككم به على البراءة منه .

- ولما كانوا مشركين قالوا مستثنين و ميتين لسفول كل شيء عن ٥
متعالى مرتبة معبودهم : ﴿ من دون الله ﴾ أى الملك الأعظم الذى هو
كاف لكل مسلم . ولما كانت البراءة على أنحاء كثيرة، بينوا أنها براءة
الدين الجامعة لكل براءة فقالوا : ﴿ كفرا بكم ﴾ أى أوجدنا السر لكل
ما ينغى ستره حال كوننا مكذبين بكل ما يكون من جهتم من دين
و غيره الذى يلزم منه الإيمان ، وهو إيقاع الأمان من التكذيب لمن ١٠
يخرفنا بسبب كل ما يضاده مصدقين بذلك . ولما كان المؤمن على جبهة
مضادة لجبهة الكافر، عبر بما يفهم [أنا - ٢] العداوة [كانت موجودة - ٢]
ولكنها كانت مستورة، فقال دالا على قوتها بتذكير الفعل : ﴿ وبنا ﴾
أى ظهر ظهورا عظيما، وعلى عظمتها بالدلالة بزعم الخافض على أنها
شاحنة لجميع البينين فقال : ﴿ بيننا وبينكم ﴾ أى فى جمع الحد^٤ الفاصل ١٥
بين كل واحد منا وكل واحد منكم ﴿ العداوة ﴾ وهى المباينة فى
الأفعال بأن يعدو كل [على - ٢] الآخر ولا يكون [ذلك - ٢]

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : المفيدة (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ،
وفى الأصل : (و٤) زيد فى الأصل وظ : أى ، ولم تكن الزيادة فى م لحذفها .
(٥) من ظ و م ، وفى الأصل : منكم (٦) فى م : بتلك المضاد (٧) من ظ ، وفى
الأصل و م : جد .

إلا عند ما - [يستخف - ^١] الغبط ^٢ الإنسان لإرادة أن يشفى صدره
 من شدة ما حصل له من حرارة الخنق . فالعداوة ^٣ ، يمتد فيكون مائة
 لظرفها ، قال الشيخ سعد الدين التفتازاني في تلويحه ^٤ على توضيح صدر
 الشريعة في أوائله في علاقات المجاز : الفعل المنسوب إلى ظرف الزمان
 بواسطة تقدير ^٥ ، وفي ، دون ذكره يقتضى كون الظرف معيارا له ^٦ غير زائد
 عليه مثل صمت الشهر ، يدل على صوم جميع أيامه بخلاف صمت في
 الشهر . فإذا امتد الفعل امتد الظرف ليكون معيارا ^٧ [له - ^٨] فيصح
 حمل اليوم ^٩ - في نحو صرت يوم كذا - على حقيقته ، وهو / ما يمتد من
 الطلوع إلى الغروب ، وإذا لم يمتد الفعل - يعنى مثل وقوع الطلاق - لم يمتد
 ١٠ الظرف ، لأن الممتد لا يكون معيارا لغير الممتد لحيث ^{١١} لا يصح حمل
 اليوم على النهار الممتد بل يجب أن يكون [مجازا - ^{١٢}] عن جزء من الزمان
 الذى لا يعتبر في العرف ممتدا ، وهو الآن سواء كان من النهار أو من
 الليل بدليل قوله تعالى " ومن يؤلمهم يومئذ دبره " فان التولى عن الزحف
 حرام ليلا كان أرنهارا ولأن مطلق الآن جزء من الآن اليومي وهو
 ١٥ جزء من اليوم ، فيكون مطلق الآن جزءا من اليوم ، فتحقق العلاقة .

- (١) زيد من ظ وم (٢) من ظ وم ، وفي الأصل : انضبط (٣) من ظ وم ،
 وفي الأصل : بما (٤) ص : ٢١٩ (٥) من ظ وم ، وفي الأصل : تقديره .
 (٦ - ٦) سقط ما بين الرقبن من ظ (٧) من ظ وم ، وفي الأصل : يوم .
 (٨) زيد في الأصل : أو ، ولم تكن الزيادة في ظ وم لحذفها (٩) من ظ
 وم ، وفي الأصل : وحيث .

ولما كان ذلك قد يكون لغير البغض بل لتأديب و نحوه قالوا :
 ﴿ والبغضاء ﴾ اى وهى المباينة بالقلوب بالبغض العظيم . ولما
 كان ذلك قد يكون سريع الزوال قالوا : ﴿ ابدا ﴾ ولما كان
 ذلك مرثيا من صلاح الحال ، وكان قد يكون^١ لحظ نفس : بينوا غايته
 على وجه عرفت به علته^٢ بقولهم : ﴿ حتى تؤمنوا ﴾ اى توقعوا الامان^٣
 من التكذيب لمن امركم بالإيمان وأخبركم عن الرحمان ، حال كونكم
 مصدقين ومعترفين ﴿ بالله ﴾ اى الملك الذى له الكمال كله . ولما
 كانوا يؤمنون به مع الإشراك قالوا : ﴿ وحده ﴾ اى تكونوا مكذبين
 بكل ما يعبد من دونه .

ولما حث سبحانه المخاطبين على التامس بقول إبراهيم ومن معه فى ١٠
 ذلك الوقت عليهم السلام استثنى منه فقال تأييدا لمن نزلت القصة^٤
 بسببه واستعطافا [له -^٥] وهو حاطب بن أبى بلتعنة رضى الله عنه :
 ﴿ الا قول إبراهيم ﴾ اى فلا تأمى لكم به ﴿ لاييه ﴾ واعدا له قبل
 أن يبين له أنه ثابت العداوة لله تعالى لكونه مطبوعا على قلبه ، فلا صلاح
 له . يقال : إن أباه وعده أنه يؤمن فاستغفر له ، فلما تبين له ، أنه لا يؤمن ١٥
 تبرأ منه : ﴿ لاستغفرن ﴾ اى لا وجدنا طلب الغفران من الله ﴿ لك ﴾
 فان هذا الاستغفار لكافر ، فلا ينبغي لهم أن يتأسوا به فيه مطلقا غير
 ناظرين إلى علم أنه مطبوع على قلبه أو فى حيز^٦ الرجوع .

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : لا يكون (٢) من ظ و م ، وفى الأصل :
 عليه (٣) فى م : انقضية (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ، وفى
 الأصل : أعصير .

ولما وعده بالاستغفار رغباً له ، رغبه لئلا يترك السعى في النجاة
بما معناه أنه ليس في يدي غير الاستغفار ، فقال : ﴿ وما أملك لك ﴾ أى
لكونك كافراً ﴿ من الله ﴾ أى لأنه الملك ' الأعلى المحيط بنعوت ' الجلال ،
وأعرق في التني بقوله : ﴿ من شيء ^١ ﴾ والاستثناء وقع [على - ^٢] هذا
٥ القول بقيد الاجتماع ، ولا يلزم منه التعرض للأجزاء ، فلا تكون هذه
الجملة على حياها مستثناة لأن النبي صلى الله عليه وسلم لما نادى : وا صباحاه
حين ' أنزل الله سبحانه وتعالى " وانذر عشيرتك الاقربين " كان يقول
لكل من سماه : لا أملك لك ' من الله شيئاً ، حتى قال في آخر ذلك :
يا فاطمة بنت محمد ا سليني من مالى ^٣ ما شئت لا أغن عنك من الله شيئاً .
١٠ ولما حثهم على التأسى بقول الخالص . و قدم [منه - ^٤] المحافاة
لأنها المقصودة ، واستثنى ما لا ينفى التأسى فيه اعتراضاً به بين أجزاء
مقالهم بياناً للاهتمام به للتفسير منه ' من قوله ، آمم ما يؤسى ' فيه فقال
مبيناً أنهم ما أقدموا على مجافاتهم " بما قال إلا وقد قرروا جميع ما يقولونه
ورضوا به دون موادتهم وانقطعوا إلى الله وحده انقطاعاً تاماً يفعل
١٥ بهم ما يشاء من تسليطهم عليهم / أو حمايتهم منهم ، لكنهم سألوا الحماية
٢٠٣ /

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : المالك (٢) من ظ و م ، وفى الأصل :
ثبوت (٣) زيد من م (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : لا (٥) - فقط من ظ .
(٦) من ظ و م ، وفى الأصل : مالك (٧) زيد من ظ و م (٨) من ظ و م ،
وفى الأصل : به (٩) زيد فى الأصل : به ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م
فحذفناها (١٠) من ظ و م ، وفى الأصل : محانهم .

لألذاتها ولا لأنفسهم بل لئلا يزيد [ذلك - ١] أعداءهم ضلالا^٢ :
 ﴿ ربنا ﴾ أى أيها المحسن إلينا بتخليصك لنا من الهلاك باتباعهم
 ﴿ عليك ﴾ أى لاعلى غيرك ﴿ توكلنا ﴾ أى فعلنا فى جميع أمورنا معك^٣
 فعل من يحملها على قوى ليكشفه أمرها لأننا نعلم أنك تكفى إذا شئت
 كل ملم^٤، وأنه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت وقد عاديتنا^٥ بك ه
 قوما عتاة أقوياء و نحن ضعفاء ورضينا بكل ما يحصل لنا منهم غير أن
 عافيتك هى أوسع لنا .

ولما كان الذى ينفى لكل أحد وإن كان محسنا أن يعد نفسه
 مقصرا شاردا عن ربه لأنه اعظم جلاله لا يقدر أحد أن يقدره حق
 قدره . وأن يعزم على الاجتهاد فى العبادة قالوا مخبرين بذلك عادين ١٠
 ذلك العزم رجوعا : ﴿ واليك ﴾ أى وحدك 'لا إلى غيرك' ﴿ انبنا ﴾
 أى رجعتنا بجميع ظواهرنا وبواطننا . ولما كان المعنى تعليلا : فانه منك
 المبدأ ، عطف عليه قوله : ﴿ واليك ﴾ أى وحدك ﴿ المصيرة ﴾ ولما
 أخبروا بإسلامهم له سبحانه و علوه بما اقتضى الإحاطة فاقضى بمجموع^٦ ذلك
 الثناء الاتم ، فلزم منه الطلب ، صرحوا به فقالوا داعين باسقاط الأداة ١٥
 للدلالة على غاية قربه سبحانه بما له من الإحاطة : ﴿ ربنا ﴾ أى أيها
 المربى لنا والمحسن إلينا ﴿ لا نجعلنا ﴾ باضعافنا والتسليط علينا ﴿ فتنة ﴾

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : هلاكا (٣ - ٣) من ظ
 و م ، وفى الأصل : الامور مع (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : مسلم (٥) من
 ظ و م ، وفى الأصل : عاديتناك (٦ - ٦) سقط ما بين الرقعين من ظ و م .
 (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : جميع .

أى موضع اختبار ﴿لَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بأن يعذبونا بعذاب يميلنا عما نحن عليه^١
و يميلهم عما وصلوا^٢ إليه بسبب إسلامنا من الزلزل بما يوجب ذلك لهم
من اعتقاد لو أنك كنت راضيا بديننا لكنا على الحق وكانوا هم على
الباطل ما أمكنت منا، فيزيدهم ذلك طغيانا ظنا منهم أنهم على الحق وأما
هـ على الباطل .

ولما كان رأس مال المسلم * الأعظم الاعتراف بالتقصير وإن
بلغ النهاية في المجاهدة فإن الإله في غاية العظمة والعبد في نهاية الضعف ،
فلوغة [ما يحق له - ٧] سبحانه لا يمكن بوجه قالوا : ﴿ واغفر لنا ﴾
أى استر ما عجزنا فيه وامح عنه وأثره . ولما طلبوا منه الحيطة من
١٠ جميع الجوانب ، علوه زيادة في التضرع والخضوع واستعجاز المطلوب
مكررين صفة الإحسان زيادة في الترقق والاستعطاف بقولهم : ﴿ ربنا ج ﴾
أى المحسن إلينا ، وأكدوا إعلاما بشدة رغبتهم بحسن الثناء عليه سبحانه
واعترافا بأنهم قد يفعلون ما فيه شيء من تقصير فيكون من مثل
أفعال من [لا - ١٠] يعرفه سبحانه فقالوا : ﴿ انك انت ﴾ أى وحدك
١٥ لا غيرك ﴿ العزيز ﴾ الذى يغلب كل شيء ولا يغلبه شيء ﴿ الحكيم هـ ﴾

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : فيه (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : وصوا .
(٣) من م ، وفى الأصل : انزال (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : وكنا .
(٥) من م ، وفى الأصل : وظ : الس (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : في .
(٧) زيد من ظ (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : إليه (٩ - ٩) من ظ و م ،
وفى الأصل : به قد يفعلوا (١٠) زيد من ظ و م .

الذى يضع الأشياء فى أرقى محالها فلا يستطاع^١ نقضها ، ومن كان كذلك فهو حقيق بأن يعطى من أمله فوق ما طلب .

ولما آثم ما حثهم على التأسئ فيه بذكر أعظم آباؤهم لأن دواعى الإنسان إلى المداراة عما يخاف عليه من أقاربه وآله وجميع أحواله^٢

عظيمة جدا إن كان المدارأ عظيما لا سيما إن كان / قد تقدم له صداقة ٥ / ٣٠٤
و به ألفه ، فكان جديرا بعد الوعظ والتأسية أن^٣ يبقى عنده بقايا ولا سيما
والناس متفاوتون ، منهم من يرده أيسر وعظ ومنهم من يحتاج إلى أكثر
من ذلك ، اعاد التأسية تأكيدا لها على وجه بلغ الذروة من جمال^٤
الترغيب و جلال الترهيب ، وليكون فيها آثم دلالة على أن ما بينهما
من قول إبراهيم عليه السلام المأمور بالتأسئ به من الدعاء وغيره إلا ما ١٠
استثنى لتشتد الرغبة فيه ، فقال مصدرا بما دل على القسم إشارة إلى أن
من فعل غير هذا كان فعله فعل منكرا^٥ لحسن هذا التأسئ ، ولذلك ذكر
الفعل الذى أنه فى الأول : (لقد كان لكم) أى أيها الذين ادعوا الإيمان ،
وقدم الظرف^٦ أيانا للاهتمام به^٧ فقال : (فيهم) أى إبراهيم عليه السلام
ومن معه (اسوة حسنة) و أبدل من " لكم " ما هو الفیصل فى ١٥
الدلالة على الباطل ، فقال مشيرا إلى أن من لم يتأس بهم فى هذا لم يكن
راجيا لما ذكر : (لمن كان) أى جبل على أنه (يرجوا الله) أى الملك

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : فلا يساع (٢) فى ظ : أخوانه (٣) من م ،
وفى الأصل و ظ : بأن (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : كمال (٥) من ظ
و م ، وفى الأصل : المنكر (٦-٧) من ظ و م ، وفى الأصل : اهتماما به و بياقا .

المحيط بجميع صفات الكمال ، فهو ذو الجلال الذى يحير ولا يحار
 عليه ، والإكرام الذى هو حدير بأن يعطى جميع ما يسأله
 ﴿واليوم الآخر﴾ الذى يحاسب على التقير ، القطمير ، ولا تخفى عليه
 خافية ، فمن لم يتأس^١ بهم^٢ كان تركه للتأسى دليلاً على سوء عقيدته ، فلا
 ٥ يلومن^٣ إلا نفسه ، فقد أذن لإمام المسلمين إن عثر عليه في عقوبته ، فإن
 علم الغيب الذى أعلمناه^٤ نينا صلى الله عليه وسلم بأن حاطباً رضى الله عنه
 صحيح العقيدة غير متأهل للعقوبة منقطع بموته صلى الله عليه وسلم
 ولا يبق إلا ما نصبناه من الشعار ، وأقناه من الدلائل .

ولما كان التقدير : فمن أقبل على هذا التأسى لكونه يرجو الله واليوم
 ١٠ الآخر فلم يخلد إلى الدنيا ، يتوله الله ، فإن الله^٥ رحيم ودود ، عطف عليه
 قوله : ﴿ومن يتول﴾ أى يوقع الإعراض عن أوامر الله تعالى في وقت
 من الأوقات مطلقاً لكونه أخلد إلى الدنيا^٦ ولم ير اليوم الآخر أعرض
 الله عنه . وأشار بصيغة التفعّل إلى أن ذلك لا يقع إلا بمعالجة الفطرة
 الأولى ، وأكد لأن فاعل ذلك كالشكر لمضمون^٧ الكلام فقال :
 ١٥ ﴿فان الله﴾ أى الذى له الإحاطة [الكاملة - ٩] ﴿هو﴾ أى خاصة

(١) في ظ و م : لم يانس (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : به (٣) من ظ و م ،
 وفي الأصل : فلا يكون من (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : علمناه (٥) من
 ظ و م ، وفي الأصل : العقوبة (٦) زيد في الأصل : غفور ، ولم تكن الزيادة
 في ظ و م لحذفها (٧) من ظ و م ، وفي الأصل : الارض (٨) من ظ و م
 وفي الأصل : لفهوم (٩) زيد من م .

(الغنى) أى عن كل شيء (المحيدع) [أى - ١] الذى له الحمد المحيط ، لإحاطته بأرصاف الكمال فى حال الطاعة له و المعصية فإن العاصى عبد لإرادته ، كما أن المطيع عبد لأمره وإرادته و لطفه ، فلا يخرج شيء عن مراده ، و كل شيء خاضع لحكمه ، و قد بينت الآية أدب العشرة لما ألبت و هيجت على المفارقة للمعصاة و التبرء منهم حسا و معنى ، و إظهار ه ذلك لهم قولاً و فعلاً ، إلى [أن - ٢] تحصل التوبة ، و من لم يفعل ذلك كان شريكاً فى الفعل فيكون شريكاً فى الجزاء كما ورد ، ثم [لا - ٢] يمنعه ذلك أن يكون أكيله و جلسه ، فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ، و لعنهم على السنة الآتية ، و من فعل ما أمره^٢ الله به كان فعله جديراً بأن يكون سبب / الوصله و القرب و المودة ، فالآية^٤ من الاحتباك : ١٠ / ٣٠٥ ذكر الرجاء أولاً دليلاً على ضده ثانياً . و التولى ثانياً دليلاً على ضده أولاً ، و سره أنه ذكر سبب السعادة ترغيباً و سبب الشقاوة ترهيباً .

و لما أتم و عظم بما هو الأنفع و الأقرب إلى صلاحهم ففعلوا ، و كان ذلك شاقاً لما جبل عليه البشر من حب ذوى الأرحام^٥ و العطف عليهم ، فتشوفت النفوس إلى تخفيف بنوع من الأنواع ، أتبعه الترجمة فيما ١٥ قصده حاطب رضى الله عنه بغير الطريق الذى يتوصل به^٦ فقال على عادة الملوك فى الرمز إلى ما^٧ يريدونه فيقنع^٧ الموعود به بل يكون ذلك الرمز

- (١) زيد من م (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : امر .
(٤) من ظ و م ، وفى الأصل : والآية (٥) من م ، وفى الأصل و ظ :
الأرواح (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : اليه (٧-٧) من ظ و م ، وفى الأصل : يروونه فيقع .

عنده أعظم من البت من غيرهم [لما لهم - ٢] من العظمة التي تقتضي^٢
 الزاومة عما يلم بشائبة نقص ، وذلك أعظم في الإيمان بالغيب لأن الوعود
 لا تزال بين خوف ورجاء جوابا لمن كأنه^٤ كان يقول : كيف يكون
 الخلاص من مثل هذه الواقعة وقد بنيت يارب هذه الدار على
 ٥ حكمة الأسباب : ﴿ عسى الله ﴾ أى أنتم جديرون بأن تطمعوا في الملك
 المحيط بكل شيء قدرة وعلما ﴿ ان يجعل ﴾ بأسباب لا تعلمونها
 ﴿ بينكم وبين ﴾ أى في جميع الحد الفاصل بين المجموعين أو بين كل
 شخصين من الجمعين ﴿ الذين عاديتكم ﴾ أى بالمخالفة في الدين ﴿ منهم ﴾
 أى من هؤلاء الذين عادوكم بما تقدم باعياهم^٥ من أهل مكة ﴿ مودة ﴾
 ١٠ وقد جعل ذلك عام الفتح تحقيقا لما رجاء سبحانه ، وأجرى سنته^٦ الالهية
 بأن من عاديته فيه جعل عاقبة ذلك إلى ولاية عظيمة ، ومن تهاونت^٧
 في مقاطعته [فيه - ٢] سبحانه أقامه لك ضدا .

ولما كان التقدير : فالله بكم رفيق ، عطف عليه تذكيرا لهم
 بما له سبحانه من العظمة [قوله - ٢] ﴿ والله ﴾ أى الذى له^٨ الإحاطة
 ١٥ بالكمال^٩ : ﴿ قدير ﴾ أى بالغ القدرة على كل ما يريد فهو بقدر
 على قلب القلوب و تيسير العسير ، فلما تم الرجاء لم يبق إلا كدر الذنب

(١) زيد في الأصل : من ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لخذلناها (٢) زيد من
 ظ و م (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : تفيض (٤) من ظ و م ، وفي الأصل :
 كان (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : من اعيانهم (٦) من ظ و م ، وفي
 الأصل : سنة (٧) من ظ و م ، وفي الأصل : تهاون (٨ - ٨) في م : كال
 الإحاطة .

فأتبعه تطيباً للقلوب مما زلت هذه الآيات بسببه قوله : ﴿ والله ﴾ أى الذى له جميع صفات الكمال ﴿ غفور ﴾ أى محاء لأعيان الذنوب و آثارها^١ ﴿ رحيم ﴾ يكرم الخاطئين^٢ إذا أراد بالتوبة [م - ٢] بالجزاء غاية الإكرام ، قال الرازى فى اللوامع : كان النبى صلى الله عليه وسلم^٣ استعمل أبا سفيان رضى الله عنه على بعض البس ، فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه و سلم^٤ أقبل فلقى ذا الحجار مرتداً فقاتله ، فكان أول من قاتل على الردة ، فتلک المودة بعد المعادة .

ولما تم الوعظ والتأسيه و تطيب النفوس بالترجئة ، وكان [وصف - ٢] الكفار بالإخراج لهم من ديارهم يحتمل أن يكون بالقوة فيعمم^٥ ، ويحتمل ان يكون / بالفعل فيخص أهل مكة أو من باشر الأذى ١٠ / ٣٠٦ الذى تسبب عنه الخروج منهم ، بين ذلك بقوله مؤذناً بالإشارة إلى الاقتصاد فى الولاية والعداوة كما قال صلى الله عليه وسلم^٦ : احبب حييک هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوماً ما ، [و أبغض بغيضك هونا ما عسى أن يكون حييک يوماً ما - ٣] . ﴿ لا ينهكم الله ﴾ أى الذى اختص بالجلال و الإكرام ﴿ عن الذين لم يقاتلوك ﴾ أى بالفعل ﴿ فى الدين ﴾ ١٥ أى بحيث تكونون مطروفين له^٧ ليس شيئاً من أحوالكم خارجاً عنه ،

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : لآثارها (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : بالخطئين .
(٣) زيد من ظ و م (٤-٤) سقط ما بين الرقيين من ظ (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : فيقص (٦) راجع جامع الترمذى - البر (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : فيه .

فأخرج ذلك القتال^١ بسبب حق دينوى لا تعلق له بالدين، وأخرج من لم يقاتل أصلاً كحواجة والنساء، ومن ذلك أهل الذمة بل الإحسان إليهم من محاسن الأخلاق ومعالي الشيم لأنهم جيران .

و لما كان الذين لم يقاتلوا لذلك^٢ ربما كانوا قد ساعدوا على الإخراج قال: ﴿ ولم يخرجوكم ﴾ وقيد بقوله: ﴿ من دياركم ﴾ ولما كان قد وسع لهم سبحانه بالتعميم في إزالة النهى خص بقوله مبدلاً من "الدين": ﴿ ان ﴾ أى لا ينهاكم عن أن ﴿ تبروهم ﴾ بنوع من أنواع البر الظاهرة فإن ذلك غير صريح في قصد المودة ﴿ وتقسطوا ﴾ أى تعدلوا العدل^٣ الذى هو فى غاية الاتزان بأن تزيلوا القسط الذى هو الجور، وبين [أن -^٤] المعنى: موعلين لذلك الإقساط ﴿ إليهم^٥ ﴾ إشارة إلى أن فعل الإقساط ضمن الاتصال، وإلى أن ذلك لا يضرهم وإن تكلفوا الإرسال إليهم من البعد بما أذن لهم^٥ فيه فإن ذلك من الرفق والله يحب الرفق فى جميع الأمور ويعطى عليه ما لا يعطى على الخرق، ثم علل ذلك بقوله مؤكداً دفعاً لظن من يرى أذى الكفار بكل طريق، ١٥ ﴿ ان الله ﴾ [أى -^٤] الذى له الكمال كله ﴿ يحب ﴾ أى يفعل فعل المحب مع ﴿ المقسطين^٥ ﴾ أى الذين يزيلون الجور و يوقعون العدل . ولما علم الحال من هذا وما فى أول السورة، أتبعه التصريح بما

(١) من ظ و م، وفى الأصل: اتصال (٢) من ظ و م، وفى الأصل: كذلك (٣) زيد فى الأصل: هو، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها . (٤) زيد من ظ و م (٥) سقط من ظ و م .

أفاده مجموعاً أحسن جمع مصوراً أحسن تصوير فقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ ﴾
 [أى - ١] الذى له الإحاطة الكاملة علماً و قدرة ﴿ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُواكُمْ ﴾
 متعمدين لقتالكم [كائين - ١] ﴿ فِي الدِّينِ ﴾ ليس [شئ من ذلك - ١]
 خارجاً عنه ، لتكون العداوة ٢ فى الله ٢ ﴿ وَ أَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ﴾ أى
 بأنفسهم لبغضكم ﴿ وَ ظَهَرُوا ﴾ أى عاونوا غيرهم ﴿ عَلَى أَخْرَاجِكُمْ ﴾ ٥
 ولما تناول هذا المقصودين صريحاً ، و كان النهى الذى موضعه الأفعال
 قد علق بأعينهم تأكيداً له ، عرف بالمقصود بقوله: ﴿ إِنْ ﴾ أى إنما
 ينهاكم عن ٣ المذكورين فى أن ﴿ تُولَوْهُمْ ٤ ﴾ أى تكلفوا فطركم الأولى أن
 تفعلوا معهم جميع ما يفعله القريب الحميم الشفيق فصرحوا بأنهم أولياؤكم
 و تناصروهم ولو كان ذلك على أدنى الوجوه - بما أشار إليه إسقاط التاء ١٠ .

٣٠٧ / ولما كان التقدير: فمن أطاع فأولئك هم / المفلحون ، عطف عليه
 قوله: ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ ﴾ أى يكلف نفسه الحمل على غير ما يدعو
 إليه الفطرة الأولى من المناذرة ، و أطلق و لم يقيد بـ « منكم » ليعلم المهاجرين
 و غيرهم و المؤمنين و غيرهم: ﴿ فَأُولَئِكَ ﴾ أى الذين أبعادوا عن العدل
 ﴿ هُمْ ﴾ أى خاصة ٥ لا غيرهم ٥ العريقون فى أنهم ﴿ الظَّالِمُونَ ٥ ﴾ أى العريقون ١٥
 فى إيقاع الأشياء فى غير مواضعها كمن ١ يمشى فى مأخذ الاشتقاق
 بسبب هذا التولى .

(١) زيد من ظ و م (٢ - ٢) من ظ و م ، وفى الأصل: (٣) زيد فى
 الأصل: المقصودين ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٤) من ظ و م ،
 وفى الأصل: الى (٥ - ٥) سقط ما بين الرقنين من ظ و م (٦) من م ، وفى
 الأصل و ظ: لن .

و لما كان نزول هذه الآيات الماضية في الفتح الأعظم حين قصد
 النبي صلى الله عليه وسلم سنة ثمان المسير بمنه الله إلى مكة المكرمة
 - أشرفها الله تعالى^١ - لدخولها عليهم بالسيف حين تقضوا بقتالهم لخزاعة
 الذين كانوا قد تحيزوا^٢ إلى النبي صلى الله عليه وسلم فكانوا في عقده
 ٥ وعهده في صلح الحديبية الذي كان سنة ست على وضع الحرب بينهم
 وبين النبي صلى الله عليه وسلم [و - ٢] من دخل في عقده ، وكان
 من ذلك الصلح أن من جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم من قريش
 ومن دخل في صلحهم رده إليهم وإن كان مسلما ، ومن جاءهم ممن
 كان مع النبي صلى الله عليه وسلم لم يردوه إليه بحيث قام من ذلك وقعد
 ١٠ كثير من الصحابة رضي الله عنهم من أعظمهم عمر بن الخطاب رضي الله
 عنه حتى سكنه الصديق رضي الله تعالى عنه بما قر في صدره من الحكم ،
 ورد إليهم^٣ صلى الله عليه وسلم أبا بصير رضي الله عنه ، وكان رده إليهم
 للوفاء بالعهد بسبب التصديق لقوله صلى الله عليه وسلم : أما من جاءنا منهم
 فرددناه إليهم فسيجعل الله له فرجا ومخرجا ، وقصته [في ذلك كله - ٣]
 ١٥ مشهورة ، وكانت « من » [من - ٣] صيغ العموم ، وكانت دلالة
 العام قطعية في الحكم على الأفراد ظنية - كما قال الشافعي رضي الله تعالى
 عنه - في الدلالة على الجزئي^٤ من تلك الأفراد خصوصه حيث لا قرينة

(١-١) سقط ما بين الرقین من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : تحذروا .

(٣) زيد من م (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : عليهم (٥) زيد من ظ و م .

(٦) من ظ و م ، وفي الأصل : الجزء .

لأن تلك الصيغ ترد تارة^١ على عمومها و تارة يراد بها بعض الافراد
فكون من العام الذي أريد به الخصوص، و تارة يقع فيها التخصيص،
فكون من العام^٢ الذي أريد به الخصوص^٣ فطرقها الاحتمال فاحتاج
ما دلت عليه من الظاهر^٤ إلى قرينة، و كان دخول النساء تحت لفظ
«من» في صلح الحديبية أما عربا عن القرينة أو أن [القرينة -^٥] القتال
الذي وقع الصلح [عليه -^٦] بسببه صارفة عنه، وكذا قرينة التعبير عنهن
بـ «ما» دون «من» في كثير من الكتاب العزيز «فانكحوا ما طاب لكم
من النساء أو^٧ ما ملكت ايماكنكم» [و لا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء،
و المحصنات من النساء الا ما ملكت ايماكنكم -^٨] «و أحل لكم ما وراء ذلكم،
فما استمتعتم به منهن» «فما ملكت ايماكنكم من فتياتكم المؤمنات» «إلا على ١٠
أزواجهن أو ما ملكت ايماكنهم»، و كان قد ختم سبحانه هذه الآيات التي
/ أدب بها في غزوة الفتح بما أبان به ما لا يخرج عن الصلح في عمرة الحديبية
بما هو أقرب إلى الخير من البر و العدل، و نهى عن تولي الكفار، فكانت
المصاهرة و المناكحة من أعظم التولي، و صل بذلك ما لا يخرج^٩ عنه
و لا يحل^{١٠} بالمهد في أن^{١١} من جاء من^{١٢} الكفار إلى النبي صلى الله عليه و سلم ١٥
رده إليهم و إن كان مسلما، فقال مخاطبا لأدنى أسنان أهل الإيمان الذين

(١) و قم في الأصل بعد «على عمومها» و الترتيب من ظ و م (٢-٣) سقط ما
بين الرقيين من ظ، و في م: المخصوص (٣) من ظ و م، و في الأصل: المظاهر.
(٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م، و في الأصل: الا (٦) من ظ و م، و في
الأصل: لم يخرج (٧-٨) من ظ و م، و في الأصل: بالعدل من (٨) من ظ
و م، و في الأصل: إلى.

يحتاجون إلى التفهيم^١، وأما من هو أعلى منهم فهو عالم بذلك مؤتمر به بما آتاه الله من الفهم وأنار به قلبه^٢ الشريف من فنون العلم ليكشفوا النبي صلى الله عليه وسلم مقدمات البيعة منه لمن، (يأيها الذين آمنوا) أى أفروا بالإيمان - وهو إيقاع الأمان من التكذيب - لمن يخبرهم ما ينبغي التصديق به بسبب تصديقهم بالله سبحانه وتعالى .

ولما كان في علمه سبحانه وتعالى [أنه] يأتيهم^٣ نساء يهربن بدينهن إلى الله، بشرهم بذلك بالتعبير بأداة التحقيق فقال: (إذا) أى صدقوا ما ادعيتموه من الإيمان بأنه في أى زمان (جاءكم) ولما كان لا يهجر داره^٤ وعشيرته لاسيما إن كانوا أقارب بسبب كفرهم إلا من رسخ في الإيمان ١٠ ذكرا كان أو أنثى قال: (المؤمنات) أى النساء اللاتي صار وصف^٥ الإيمان لهن^٦ صفة راسخة بدلالة الهجرة عليه: (مهجرات) للكفار ولأرضهم (فامتحنوهن^٧) أى اختبروهن تأكيذا لما دللت عليه الهجرة من الإيمان بالتحليف بأنهن^٨ ما خرجن لحدث أحدثته ولا بغضا في زوج ولا رغبة في عشير ولا خرجن إلا جباله ورسوله ورغبة في دين ١٥ الإسلام؛ قال الإمام شهاب الدين ابن النقيب في الهداية من مختصره للكفاية^٩ لفقهاء المذهب نجم الدين أحمد بن الرفعة في شرح التنبيه:

- (١) من ظ و م ، وفي الأصل: التعميم (٢) من ظ و م ، وفي الأصل: قلب .
(٣) من ظ و م ، وفي الأصل: يأتيه (٤) من ظ و م ، وفي الأصل: زمانه .
(٥) من م ، وفي الأصل وظ: اتى (٦) من ظ و م ، وفي الأصل: وصفه .
(٧) من ظ و م ، وفي الأصل: لهم (٨) من ظ و م ، وفي الأصل: بالإيمان .
(٩) من ظ و م ، وفي الأصل: في الكفاية .

و اختلف [قول - ١] الشافعى رحمه الله تعالى : هل كان النبي صلى الله عليه وسلم شرط لقريش فى الصلح رد^٢ النساء فى قول : لم يشترطه بل أطلق رد من جاءه فتوهموا تناول النساء ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم عالما بعدم دخولهن ، فأطلق ذلك حذيفة يعنى و من شرعه أن الحرب خدعة ، وفى قول : شملهن الشرط ، لكن هل شرطه صريحا أم دخلن فى ٥ الإطلاق فيه وجهان أظهرهما الثانى ، و هل كان شرطهن جائزا^٣ فيه وجهان : أحدهما نعم ثم نسخ ، و هل ناسخه الآية المذكورة أم منع النبي صلى الله عليه وسلم من الرد فيه وجهان مبنيان على أنه [هل - ١] يجوز نسخ السنة بالقرآن^٤ وفيه قولان للشافعى رحمه الله تعالى ، ومختاره منهما المنع وهو الجديد ، وكذا لا يجوز عنده وعند أصحابه نسخ الكتاب ١٠ بالسنة وإن كانت متواترة^٥ - انتهى . ومعناه أنه لم يقع فإن وقع نسخها بالقرآن كان معه ستة ، وإن وقع نسخه / بالسنة كان معها قرآن^٦ ، وهو ٣٠٩ / معنى قول ابن السبكي فى جمع الجوامع : قال الشافعى رضى الله عنه : وحيث وقع بالسنة فعها قرآن أو بالقرآن فعه ستة عاضدة تبين توافق الكتاب و السنة .

١٥

ولما كان الاختبار ربما دل على إيمانهم لا يعلم^٧ إلا به ، نفى ذلك بقوله مستأنفا فى جواب من يقول : أليس الله بعالم بذلك ، ومفيدا أن عليكم

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : فرد (م) من ظ و م ، وفى الأصل : جائز (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : عن القرآن (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : مواترة (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : قرانا (٧) زيد فى الأصل : ذلك ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها .

الذى تصلون إليه بالامتحان ليس بعلم، وإنما [سماه - '] به إيداننا
بأن الظن الغالب في حكم بالاجتهاد والقياس قائم مقام العلم يخرج من
عهدة "ولا تقف ما ليس لك به علم" : (الله) أى المحيط بكل شيء
قدرة وعلم (اعلم) أى منكم ومنهن بأنفسهن (بايمانهن ج) هل هو
ه كائن أو لا على وجه الرسوخ أو لا، فانه محيط بما غاب كاحاطته بما شهد،
وإنما وكل الأمر إليكم في ذلك سترًا للناس ولئلا تكون شهادته
لاحد بالإيمان و^١ الكفران موصلة إلى عين اليقين فيخرج عن مبنى
هذه الدار، قال القشيري: وفي الجملة الامتحان طريق إلى المعرفة،
وجواهر النفس تبين بالتجربة، ومن أقدم على شيء^٢ من غير^٣ تجربة
١٠ يحنى كأس الندم، قال: (فاندعلتموهن) أى العلم المتمكن لكم وهو
الظن المؤكد بالإمارات الظاهرة بالخلف وغيره (مؤنت) أى
مخلصات في الهجرة لأجل الإيمان، والتعبير بذلك للايدان بمزيد الاحتياط.
ولما ذكر هذا الامتحان بين أنه علة لحايتهن والدفع عنهن فأتبعه
مسيه فقال: (فلا ترجعوهن) أى بوجه من الوجوه (إلى الكفار)
١٥ وإنت كانوا أزواجاً، ومن الدليل [على - '] أن هذا ظاهر في
المراد وأن القرائن موضحه له أنه صلى الله عليه وسلم لما [أبى - '] أن
يرد إليهم من جاءه^٤ من النساء لم يعب أحد من الكفار ذلك، ولانسب
(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، وفي الأصل: و (٣-٢) من ظ و م،
وفي الأصل: بغير (٤) من ظ و م، وفي الأصل: إلى (٥) من ظ و م،
وفي الأصل: جاء.

إلى عهدہ صلی اللہ علیہ وسلم۔ وحالماء۔ خللا، ولولا أن ذلك [كذلك] -^١
 مللوا الأرض تشغيا كما فعلوا في سرية عبد الله بن جحش رضي الله عنه
 إلى نخلة التي نزل بسببها "يسئلونك عن الشهر الحرام" الآيات على أن
 الأخبار الصحيحة وغيرها ناطقة بأن هذه [الآية -^١] نزلت في الحديبية
 قبل أن يفصل الأمر غاية الاتصال ويستقر، روى البخاري في ٥
 المغازی من صحيحه والبعوى^٢ من طريقه وهذا لفظه عن المروان والمسور
 ابن مخزومة عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا: كاتب سهل بن عمرو
 فكان مما اشترط على النبي صلى الله عليه وسلم أنه لا يأتيك أحد منا
 وإن كان على دينك إلا رددته إلينا، فكاتبه النبي صلى الله عليه وسلم
 على ذلك، فرد يومئذ أبا جندل إلى^٣ أبيه سهل بن عمرو، ولم يأت أحد ١٠
 من الرجال إلا رده في تلك المدة وإن كان مسلما، وجاءت المؤنات
 / مهاجرات، وكانت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ممن خرج إلى
 ٣١٠ / النبي صلى الله عليه وسلم وهي [عاتق -^١] فجاء أهلها إلى المدينة^٤
 يسئلون النبي صلى الله عليه وسلم أن يرجعها إليهم فلم يرجعها إليهم كما
 أنزل الله فيهن "إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن" وقال البغوي^٥: ١٥
 قال ابن عباس رضي الله عنهما: أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم معتمرا
 (١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، وفي الأصل: قاطعة (٣) راجع معالم
 التنزيل بهامش الباب ٧ / (٤) من ظ و م، وفي الأصل: ان (٥) من ظ
 و م، وفي الأصل: على (٦-٧) سقط ما بين الرقین من ظ و م.

حتى إذا كان بالحديبية صالحه مشركو [مكة - ١] على أن من أتاه
 [من - ١] أهل مكة رده إليهم فجاءت سبيعة بنت الحارث مسلمة بعد
 الفراغ من الكتاب، فأقبل زوجها، وكان كافر، فقال: يا محمد اردد
 علي امرأتى فانك قد شرطت أن ترد علينا من أهلك منا، وهذه طينة
 ٥ الكتاب لم تجف، فأنزل الله تعالى "يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات
 مهاجرات فامتنحوهن^٢ الله أعلم بما يمانهن^٣" وقال ابن عباس رضى الله عنهما:
 امتحانها أن تستحلف أنها^٤ ما هاجرت لبغض زوج ولا عشقا لرجل
 من المسلمين ولا رغبة عن أرض ولا لحدث أحدثته ولا التماس الدنيا
 و ما خرجت إلا رغبة^٥ في الإسلام و حب الله و رسوله صلى الله عليه
 ١٠ وسلم، [فاستحلفها رسول الله صلى الله عليه وسلم - ١] على ذلك لحلفت
 فلم يردھا و اعطى زوجها ما أنفق عليها، فزوجها^٦ عمر رضى الله عنه، وكان
 صلى الله عليه وسلم يرد من جاءه^٧ من الرجال و يحبس من جاءه من
 النساء بعد الامتحان، و يعطى أزواجهن مهورهن، [و - ١] دعوى النسخ
 ليست بشيء إلا تقول بأنه لما كان من العام الذى أريد به الخصوص
 ١٥ أن^٨ بعض ما تناوله ظاهر اللفظ من الحكم مرفوع، وذلك بأن^٩ الله
 لا يأمر باخلاف الوعد فكيف ينقض العهد . ولما نهى عن رد المهاجرات

(١) زيد من ظ و م و العالم (٢-٢) - سقط ما بين الرقین من ظ و م (٣) سقط
 من م (٤) من م ، وفي الأصل و ظ : لا التماس (٥) من ظ و م ، وفي الأصل :
 حبا (٦) من ظ و م ، وفي الأصل : ثم تزوجها (٧) في ظ و م : جاء (٨) من ظ
 و م ، وفي الأصل : بأن (٩) من ظ و م ، وفي الأصل : ان .

إلى المشركين وعبر بالكفار تنميًا^١، علل ذلك بقوله مقدما حكيم^٢
 تشريفا لمن لهجرتهم: ﴿ لا من ﴾ أى الأزواج ﴿ حل ﴾^٣ أى موضع^٤
 حل ثابت ﴿ لهم ﴾^٥ أى للكفار باستمتاع ولا غيره . ولما كان نفى الحل
 الثابت غير مانع من تجدد حل الرجال لمن^٦ ولو على تقدير من التقدير
 وفرض من الفروض، قال معيدا^٧ لذلك ومؤكدا لقطع العلاقة من كل جانب: هـ
 ﴿ ولا هم ﴾ أى رجال الكفار ﴿ يحلون ﴾ أى يتجدد فى وقت من
 الاوقات أن يحلوا ﴿ لمن ﴾^٨ أى للمؤمنات [حتى - ^٩] لو تصور أن
 يكون رجالهن نساء وهن ذكورا ما حلوا لمن بخلاف أهل الكتاب،
 كذا تنفك الملازمة فى مسألة المظاهرة والإبلاء فيحل للمرأة أن تستمتع
 به إذا كان نائما مثلا، وأما هو فيحرم عليه ذلك قبل التكفير، وقال ١٠
 البيضاوى: الأولى لحصول الفرقة، والثانية لمنع من الاستئناف - انتهى .
 [ففت - ^{١٠}] هذه الجملة القطعية من وجه تجدد الحل للنساء فأفهمت
 الجملتان عدم الحرج فيما كان قبل ذلك تطييبا لقلوب المؤمنات^{١١} .
 ولما نهى عن الرد وعلله، أمر بما قدم " من الإقساط إليهم

-
- (١) من ظ و م ، وفى الأصل : تنميًا (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : حكيم .
 (٣-٤) سقط ما بين الرقين من ظ و م (٥) ليس فى الأصل (٥) من ظ و م ،
 وفى الأصل : باستمتاع (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : لهم (٧) من ظ و م ،
 وفى الأصل : مقيدا (٨) زيد من ظ و م (٩) من ظ و م ، وفى الأصل : ان .
 (١٠) من ظ و م ، وفى الأصل : المؤمنين (١١) من ظ و م ، وفى
 الأصل : تقدم .

فقال: ﴿ وَاَتَوْهُمْ ﴾ أى الأزواج ﴿ مَا أَفْقَوْا ﴾ أى عليهن من المهور فإن المهر فى نظير أصل العشرة ودوامها / وقد فوتتها المهاجرة فلا يجمع عليه خسران الزوجية والمالية، وأما الكسوة والنفقة فانها لما يتجدد من الزمان .

٥ ولما جزم^١ بتأييد منعهن^٢ عن الكفار، أباحهن للسليين فقال على وجه الرفق واللطف: ﴿ وَلَا جُنَاحَ ﴾ أى ميل وخرج ﴿ عَلَيْكُمْ ﴾ أيها المشرفون بالخطاب ﴿ إِنْ تَنكَّحْتُمْ ﴾ أى تتحدوا زواجكم^٣ بهن بعد الاستبراء وإن كان أزواجهن من الكفار لم يطلقوهن لزوال العلق منهن عنهن ولأن^٤ الإسلام فرق بينهم فانه لن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا . ولما كان قد أمر برد مهور الكفار، فكان ربما ظن أنه مغن عن تجديد مهر لمن إذا نكحهن المسلم نفي ذلك بقوله: ﴿ إِذَا أَتَيْتُمُوهُنَّ ﴾ أى لأجل النكاح ﴿ أَجُورَهُنَّ ﴾ ولما قطع [ما-°] بين الكفار والمسلمات مع الإعراض عن الكفار لعصيانهم قطع ما بين المؤمنين والكافرات مع الإقبال عليهم لطاعتهم رفعا لشأنهم فقال: ﴿ وَلَا ﴾ ١٥ ولما كان إمساك المرأة مع عداوتها لمخالفتها فى الدين دليلا على غاية الرغبة فيها، دل على ذلك إشارة إلى التويخ^٥ بالتضعيف فى قراءة البصريين

(١) من ظ و م ، وفى الأصل: حرم (٢) من ظ و م ، وفى الأصل: منعمين (٣) من ظ و م ، وفى الأصل: أزواجكم (٤) من ظ و م ، وفى الأصل: فك (٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م ، وفى الأصل: التلويح بالتوبيخ .

فقال : ﴿ تمسكوا ﴾ أى بعدم التصريح فى الطلاق ﴿ بعضكم الكوافر ﴾ جمع عصمة وهى ' ما يديم ' علفة النكاح ﴿ وسئلوا ﴾ أى أيها المؤمنون الذين ذهب^٢ أزواجهم إلى الكفار ﴿ ما انفقتم ﴾ أى من مهور نسائكم اللآى اعتصمن عنكم بهم او فررن إليهم . ولما أمر برد مهور المؤمنين إلى الكفار و أذن للمؤمنين فى المطالبة بمهور أزواجهم ، أذن للكفار فى ه مثل ذلك إيقاعا للقسط بين عباده مسلمهم و كافرهم معبرا بالأمر مع الغية إعراضا عنهم إعلاما بشدة كراسته سبحانه للظلم وأنه يستوى فيه الكافر مع عداوته ياتؤمن مع ولايته : ﴿ وليسئلوا ﴾ أى الكفار ﴿ ما انفقوا^١ ﴾ أى من مهور أزواجهم اللآى أسلن واعتصمن بكم عنهم ، وهل هذا الحكم باق ، قال قوم : نعم ، وقال عطاء و مجاهد وقتادة : ١٠ نسخ فلا يعطى [الكفار -^١] شيئا و لو شرطنا الإعضاء .

ولما كان هذا حكما عدلا لا يعمله مع عدوه و وليه إلا حكيم . قال مشيرا إلى مدحه زغبيا فيه بيميم^٣ الجمع إلى العموم : ﴿ ذلكم ﴾ أى الحكم الذى ذكر فى هذه الآيات البعيدة بعلو الرتبة عن كل سفه ﴿ حكم الله^٤ ﴾ [أى -^٥] الملك الذى له صفات الكمال ، فلا ينبغي ١٥ لشأبة نقص أن يلحقه^٦ .

(١) زيد فى الأصل : ولا ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لخدمتها (٢-٣) من ظ و م ، وفى الأصل : تقديم (٤) من ط و م ، وفى الأصل : ثبت (٥) زيد من ظ و م (ه) من ظ و م ، وفى الأصل : يحيم (٦) زيد فى الأصل : عدا ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لخدمتها (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : يبحق به .

و لما كان هذا مما يفرح به ويقتم عند تقدير فواته ، قال مستأنفا
 • بشرا بادامة تجديد أمثاله لهم : ﴿ يحكم ﴾ أى الله أو حكمه على سبيل
 المبالغة ، و دل على استغراق الحكم لجميع ما يعرض بين العباد و أنه سبحانه
 لم يهمل^١ شيئا منه باعراء الجار من قوله : ﴿ بينكم^٢ ﴾ أى فى هذا الوقت
 ه و فى غيره على هذا المنهاج البديع ، و ذلك لأجل الهدنة التى وقعت
 بين النبى صلى الله عليه و سلم و بينهم ، و أما قبل الحديبية فكان النبى
 صلى الله عليه و سلم يمسك النساء و لا يرد الصداق .

١٣١٢ /

و لما كان التقدير : فالله حكم عدل ، قال : ﴿ و الله ﴾ أى الذى له
 الإحاطة التامة ﴿ عليم ﴾ أى بالغ العلم لا يخفى عليه شىء ﴿ حكيم ﴾ أى
 ١٠ فهو تمام علمه يحكم كل أموره غاية الإحكام فلا يستطيع أحد نقض
 شىء منها .

و لما كان المظنون بالكفار عدم العدل فلا يعطون المؤمنين مهور
 نسايتهم الكافرات ، قال مداويا لذلك [الداء -^١] : ﴿ و ان ظانكم ﴾
 أى بالانقلات منكم بعد الهجرة أو بادامة الإقامة فى بلاد^٢ الحرب ﴿ شىء ﴾
 ١٥ أى قل أو كثر ﴿ من أزواجكم ﴾ أى من أنفسهن أو مهورهن ﴿ الى ﴾ أى
 متجيزا أو واصلًا إلى ﴿ الكفار ﴾ فعجزتم عنه ﴿ فعاقتهم ﴾ أى تمسكتهم
 من المعاقبة بأن فأت الكفار شىء من أزواجهم بالهجرة إليكم أو اغتسم^٣

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : لا يهمل (٢) ريد من ظ و م (٣) من ظ
 و م ، و فى الأصل : دار (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : اوصل (٥) فى
 م : غنمتم .

من [أزواج - ١] الكفار فجاءت نوبة^١ ظفركم بأداء المهر إلى إخوانكم طاعة
وعدلا عقب نوبتهم التي اقتطعوا فيها ما أنفقتم عصيانا وظلما (فاتوا)
أى فأحضروا^٢ وأعطوا من مهر المهاجرة (الذين ذهبوا أزواجهم)
[أى - ٤] منكم إن اختاروا الأخذ (مثل ما أنفقوا^٣) على الكافرة
الفاتنة إلى^٤ الكفار بما غنمتم من أموالهم أو بأن تدفعوا إليهم مثل مهر^٥
أزواجهم مما^٦ كنتم تعطونه^٧ لأزواج المهاجرات ، فيكون ذلك جزاء
وقصاصا لما فعل الكفار .

ولما كان التجزى فى مثل ذلك عسرا على النفس^٨ فإن المهور
تفاوتت تارة وتساوى أخرى . وتارة تكون نقودا^٩ وتارة تكون عروضا
إلى غير ذلك من الأحوال مع أن المعامل عدو فى الدين فلا يحمل^{١٠}
على العدل فيه إلا خالص التقوى قال : (واتقوا) أى فى الإعطاء والمنع
وغير ذلك^{١١} (الله) الذى له صفات الكمال وقد أمركم بالتخلق بصفاته
على قدر ما تطيقون ، ثم وصفه بما يؤكد صعوبة الأمر^{١٢} ويحث على
العدل فقال ملها لهم كل الإلهاب هازا لهم بالوصف بالرسوخ^{١٣} فى الإيمان^{١٤} :

(١) زيد من ظ (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : نوبته (٣) من ظ و م ، وفى
الأصل : فأحصوا (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : على .
(٦) من ظ و م ، وفى الأصل : ما (٧) من م ، وفى الأصل : وظ : تعطون .
(٨) من ظ و م ، وفى الأصل : النفوس (٩) من ظ و م ، وفى الأصل : أو .
(١٠) زيد فى الأصل : راقبوا ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (١١) من
ظ و م ، وفى الأصل : البر (١٢-١٣) من ظ و م ، وفى الأصل : بالإيمان .

﴿الَّذِي آمَنَ بِهِ﴾ أى خاصة ﴿مُؤْمِنُونَ﴾ أى متمكنون فى رتبة الإيمان .
 ولما خاطب سبحانه المؤمنين الذين لهم موضع الذب والحماية
 والنصرة بما وطن به المؤمنات فى دار الهجرة فوقع الامتحان وعرف
 الإيمان ، أمر النبي صلى الله عليه وسلم بعد الحكم بإيمانهم بمبايعتهن فقال :
 ٥ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ مخاطباً له بالوصف المقتضى للعلم ، ودل على [تحقق - ']
 كون ما يخبر به من مجيئهن بأداة التحقيق^٢ علماً من أعلام النبوة فقال :
 ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ﴾ جعل إقبالهن [عليه - '] صلى الله عليه وسلم
 لاسيما مع الهجرة مصححاً لإطلاق الوصف عليهن ﴿يَا بَيْعُكَ﴾ أى
 كل واحدة^٣ منهن تباع ﴿عَلَىٰ أَنْ لَا يُشْرَكَ﴾ أى يوقعن الإشراك
 ١٠ / ٣١٣ لآحد من الموجودات / فى وقت من الأوقات ﴿بِالله﴾ أى الملك
 الذى لا كفوء له ﴿شَيْئًا﴾ أى من إشراك على الإطلاق .

ولما كان الشرك بذل حق الملك لمن لا يستحقه ، أتبعه أخذ مال
 المالك بغير حق^٤ لاقتضاء الحال لذلك بتمكن المرأة من اختلاس مال
 الزوج وعسر تحفظه منها^٥ فقال : ﴿وَلَا يَسْرِقْنَ﴾ أى يأخذن مال
 ١٥ الغير بغير استحقاق فى خفية ، وأتبع ذلك بذل حق الغير لغير أهله فقال :
 ﴿وَلَا يَزْنِينَ﴾ أى يمكن أحداً من وطئهن بغير عقد صحيح . ولما
 كان الزنا قد يكون سبباً فى إيجاد أو إعدام نسمة بغير حقها ، أتبعه إعدام

(١) زيد من ظ و م (٢) فى م : التحقق (٤) من ظ و م ، وفى الأصل :
 واحد (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : المالك (٥) من ظ و م ، وفى
 الأصل . عنها .

نسمة بغير حقه قال: (ولا يقتل اولادهن) أى بالوآد^١ كما تقدم
فى النحل وسواء فى ذلك كونه من زنا أو لا .

ولما ذكر إعدام نسمة بغير^٢ حق ولا وجه شرعى^٣ أتبعه ما يشمل^٤

لإيجاد نسمة بغير حل ، فقال مقبحا له على سبيل الكناية^٥ عنه بالبهتان وما
معه بالتصوير له بلوازمه وآثاره لأن استحضار القبيح و تصوير صورته ه
أزجر عنه قال: (ولا يأتين بهتان) أى ولد من غير الزوج يهت
من إلحاقه به حيرة فى نفيه عنه (يفتريته) أى يتعمد كذبه ، وحق
المراد [به - °] وصوره بقوله: (بين ايديهن) [أى - °] بالحل فى
البطون^٦ (وارجلهن) أى بالوضع من الفروج ولأن عادة الولد مع
أنه يسقط بين أيدى أمه ورجليها أنه يمشى أمامها ، وهذا شامل لما كان ١٠
من شبهة أو لقطة .

ولا حقق هذه الكبار العظيمة^٧ تعظيما لامرأها لسر الاحتراز
منها ، وأكد النهى عن الزنا مطابقة وإلزاما لما يجر إليه من الشرور^٨
القتل فادونه ، وغلظ أمر النسب^٩ لما يتفرع عليه من إيقاع الشبهات

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : بالود (٢-٢) فى ظ و م : وجه (٣) من ظ
وم ، وفى الأصل : يوجب (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : الزكاة (٥) زيد
من ظ م (٦) زيد من م (٧) زيد فى الأصل : مدته ، ولم تكن الزيادة فى
ظ و م لحذفها (٨) سقط من م (٩) زيد فى الأصل : به ، ولم تكن
الزيادة فى ظ و م لحذفها (١٠) من ظ و م ، وفى الأصل : السبب .

و انتهاك الحرمات ، عم في النهي فقال : ﴿ ولا يعصينك ﴾ أى على ' حال
من الأحوال ﴿ في معروف ﴾ أى فرد كان منه صغيرا [كان - ']
أو كبيرا ، و في ذكره مع العلم بأنه صلى الله عليه وسلم لا يأمر إلا به إشعار
بأنه لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق ، و قدم المنهيات على المأمورات المستفادة
٥ من المعروف لأن التخلي عن الرذائل مقدم على التحلي بالفضائل لأن
درء المفسدات أولى من جلب المصالح : ﴿ فبايعهن ﴾ أى التزم ^٢ لهن بما
وعدت على ذلك من إعطاء الثواب لمن وفّت منهن في نظير ما ألزمن
أنفسهن من الطاعة . ولما كان الإنسان محل نقصان لاسيما النساء ،
رجاهن سبحانه بقوله : ﴿ واستغفر ﴾ أى أسأل ﴿ لهن الله ﴾ أى الملك
١٠ الأعظم ذا الجلال و الإكرام في الغفران إن وقع منهن تقصير و هو
واقع لأنه لا يقدر أحد أن يقدر الله حق قدره .

و لما كانت عظمته سبحانه مانعة أعظم الهيبة من سؤاله ما طمع به ،
عله بقوله معيدا الاسم الأعظم ثلاثا يظن باضماره و تقيد به بحشية الهجرة
من النساء و نحو ذلك مؤكدا لما طبع الآدمي عليه من / أنه لا يكاد
١٥ يترك المسمى ^٣ من عقاب أو عتاب فضلا عن التفضل بزيادة الإكرام :
﴿ ان الله ﴾ أى الذى له صفات ^٤ الجلال و الإكرام ^٥ فلو أن الناس لا يذنبون

(١) زيد في الأصل : أى ، و لم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٢) زيد من
ظ و م (٣) من ظ و م ، و في الأصل : الزم (٤) من ظ و م . و في الأصل :
ما (٥) من ظ و م ، و في الأصل : بعده - كذا (٦) من ظ و م ، و في
الأصل : النهي (٧-٧) في ظ و م : الكمال .

لجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم تظهر صفة إكرامه (غفور) أى بالغ
السر للذنوب عينا وأزا (رحيمه) أى بالغ الإكرام بعد الغفران فضلا منه
وإحسانا، وقد حقق سبحانه ذلك وصدق، ومن أصدق من الله قبلا،
فأقبل النساء للبيعة عامة ثانى يوم الفتح على الصفا بعد فراغه صلى الله
عليه وسلم من بيعة الرجال فنزلت هذه الآية وهو على الصفا فقام عمر ه
ابن الخطاب رضى الله أسفل منه يباعهن بأمره ويلغهن عنه وهند بنت
عتبة^٢ متقبعة متكررة مع النساء خوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم
أن يعرفها، فلما ذكر الشرك قالت^٣: والله إنك لتأخذ علينا أمرا ما رأيتك
أخذته على [الرجال -^٤]، وباع الرجال يومئذ على الإسلام والجهاد،
فقال " ولايسرقن " فقالت : إن أبا سفيان رجل شحيح وإنى أصيب^٥ ١٠
من ماله هنات فلا أدري أيجل لى أم لا؟ فقال أبو سفيان : ما أصبت من
شئ فيما مضى وفيما خبر فهو لك حلال، فضحك رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعرفها فقال : وإنك لهند بنت عتبة^٦، قالت : نعم، فاعف
عنى ما سلف عفا الله عنك، فقال : " ولايزنين " فقالت : أوتزنى
الحرّة، فقال " ولا يقتلن اولادهن " فقالت : ريبناهم [صفارا -^٧] ١٥
و قتلنهم كبارا وأتم وهم أعلم، وكان ابنها^٨ حظلة بن أبي سفيان

(١) فى ظ و م : ما فرغ (٢) من م ، وفى الأصل و ظ : عقبه (٣) من ظ
وم ، وفى الأصل : قال (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ، وفى
الأصل : يوم (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : به (٧) من ظ و م ، وفى
الأصل : ابنته .

قتل يوم بدر فضحك [عمر رضى الله عنه حتى استلقى وتبسم - ١]
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر البهتان وهو أن تقذف ولدا
 على زوجها ليس منه، قالت هند: والله إن البهتان لفيح وما تدعونا
 إلا إلى الرشد ومكارم الأخلاق، فقال "ولا يعضيك في معروف"^٢
 ه فقالت: ما جلسنا مجلسنا هذا وفي أنفسنا أن نعصيك في شيء،
 وما مست يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يد امرأة لا تحل له، وكانت
 أسماء بنت يزيد بن السكن في المبايعات فقالت: يا رسول الله أبسط
 يدك نبايعك، فقال: إني لا أصافح النساء لكن آخذ عليهن، وعن الشعبي
 أنه صلى الله عليه وسلم دعا بقدر من ماء فغمس يده [فيه - ٢] ثم غمس
 ١٠ أيديهن فيه، وعنه أنه صلى الله عليه وسلم لقنهن في المبايعات "فيما" استطعن
 وأطقن، فقالت: الله ورسوله أرحم بنا [من - ١] أنفسنا.

ولما ذكر ما أمر به [نتيه - ١] صلى الله عليه وسلم في المبايعات
 بعد أن عد الذين آمنوا أصلا في [امتحان - ١] المهاجرات فلم من ذلك
 أن تولى النساء مع أنه لا ضرر فيهن بقتال ونحوه لا يسوغ إلا بعد العلم
 ١٥ بإيمانهن، وكان الحتم بصفى الغفران^٥ والرحمة بما جراه على محابة
 المؤمنين لبعض الكفار من أزواج أو غيرهم / لقراءة أو غيرها لعلقة يديها
 الزوج أو غير ذلك من الأمور، كرر سبحانه الأمر بالبراءة من كل
 عدو، ردا لآخر السورة على أولها تأكيداً للاعراض عنهم وتنفيرا

/ ٣١٥

(١) زيد من ظ وم (٢ - ٢) سقط ما بين الرقبتين من ظ (٣) زيد من ظ -

(٤) من ظ وم، وفي الأصل: ما (٥) من ظ وم، وفي الأصل: الغفر.

من توليهم كما أفهمته آية المباينة وآية الامتحان ، فقال ملذذا لهم بالإقبال بالخطاب كما فعل أولها بلذيد العتاب : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ .
ولما كان الميل عن الطريق الأقوم على خلاف ما تأمر به الفطرة الأولى فلا يكون إلا عن^١ معالجتها ، [عر-^٢] بالتفعل كما عبر به أول السورة بالافتعال فقال : ﴿ لَا تَتَوَلَّوْا ﴾ أى تمالجوا أنفسكم^٣ أن تتولوا^٤ .
﴿ قوما ﴾ أى ناسا لهم قوة على ما يحاولونه فغيرهم من باب الأولى ﴿ غضب الله ﴾ أى أوقع الملك الأعلى الغضب ﴿ عليهم ﴾ لإقبالهم على ما أحاط بهم من الخطايا فهو عام فى كل من انصف بذلك يتناول اليهود تناولا أوليا . .

ولما كان السامع لهذا يتوقع بيان سبب الغضب ، قال معللا ومبيناً أنه ١٠
لا خير فيهم يرجى : إن ظهر خلاف ذلك : ﴿ قد ينسوا ﴾ أى تحققوا
عدم الرجاء ﴿ من الآخرة ﴾ أى من أن ينالهم منها^٥ خير ما لإحاطة
معاصيهم بهم أو لعدم اعتقادهم لقيامها^٦ ولا يأس من روح الله إلا القوم
الكافرون ، فيوشك من والاهم يكتب^٧ منهم^٨ فيحل به الغضب ﴿ كما ينس ﴾
من نيل الخير [منها-^٩] ﴿ الكفار ﴾ ولما كان^{١٠} من مات فصار أهلا ١٥
للدفن كشف [له-^{١١}] عن أحوال القيامة فعرف أنه ناج أو هالك ، وكان
الموتى أعم من الكفار ، وموتى الكفار أعم ممن يدفن منهم [فقال] :

(١) من ظ وم ، وفى الأصل : من (٢) زيد من ظ وم (٣) زيد فى الأصل : قبل ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم لحذفها (٤) من ظ وم ، وفى الأصل : او (٥) من ظ وم ، وفى الأصل : بها (٦) من ظ وم ، وفى الأصل : امامها .
(٧) فى ظ وم : يكتسب (٨) من ظ وم ، وفى الأصل : لهم (٩) من ظ وم ، وفى الأصل : كانت .

﴿من أصحاب القبور﴾ فان الكفار منهم قد علموا بأسهم من حصول
 الخير منها علما قطعيا، ويجوز أن يكون "من" ابتدائية فيكون المعنى: كما
 يش عباد الأوثان من لقاء من مات، فدفن باعتقاد أنه لا اجتماع بينهم
 أصلا لأنه لا يمكن بعثه لا إلى الدنيا ولا إلى الآخرة^١ لأنه لا آخرة^٢ عندهم
 أصلا^٣ لاسيما إن كان مدفونا في قبر. وعلى هذا^٤ يكون الظاهر
 ٥ وضع [موضع -^٥] المضمحل للدلالة على [ان -^٦] الذي أيأسهم تغطية
 الدلائل مع وضوحها لو أنصفوا، فلا تتولوا من هذه صفته فيكون بينكم
 وبينه^٧ ما بين القريب [مع قريه -^٨] من تولى كل منهم من الآخر
 ما يتولاه القريب الصديق لقريه فان توليهم^٩ ضرر لا تقع فيه فان من
 ١٠ غضب عليه الملك الشهيد لكل حركاته و سكناته لا يفلح هو ولا من
 تولاه، وأقل ما في ولايته من الضرر أنها تنقطع المعاونة فيها،
 والمشاركة بالموت وإن كان بعد الموت مشاركة في العذاب الدائم
 "المستمر الذي لا ينقطع عنهم" والخزى اللازم، وقد علم أن هذا الآخر
 هو أولها، وهذا الموصل مفصلها، فسبحان من أنزله كتابا معجزا
 ١٥ [حكيم -^{١٠}]، و قرآنا موجزا جامعا عظيما.

- (١) من ظ و م، وفي الأصل: نهم (٢) في م: دنيا (٣) في م: الآخرة.
 (٤) سقط من م (٥) زيد في الأصل: ان، ولم تكن الزيادة في ظ و م
 لحذفها (٦) زيد في الأصل: وضع، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها.
 (٧) زيد من ظ و م (٨) زيد من ظ (٩) زيدت الواو في الأصل وظ،
 ولم تكن الزيادة في م لحذفها (١٠) من ظ و م، وفي الأصل: توليه.
 (١١-١١) سقط ما بين الرقيين من ظ و م.

* * *

خاتمة الطبع

لقد تم - والمحمد لله - طبع الجزء التاسع عشر من تفسير "نظم الدرر في تناسب الآيات و السور" للشيخ العلامة برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي الشافعي رحمه الله تعالى يوم الجمعة ١٠ / رمضان المبارك سنة ١٤٠٢ هـ = ٢ / يوليو سنة ١٩٨٢ م ، تحت إشراف مدير الدائرة وسكرتيرها صاحب الفضيلة السيد شرف الدين أحمد ، قاضي المحكمة العليا سابقا - بارك الله جهوده ، وضاعف له أجوره .

و تولى مهمة تصحيحه و التعليق عليه مصحح الدائرة أخى الفاضل محمد عمران الأعظمي الانصاري العمري (أفضل العلماء - جامعة مدراس) وقام بقراءة ملازمة مصحح الدائرة السيد الفاضل القاضي محمد عطاء الله النقشبندی القادري (كامل الجامعة النظامية) - حفظهما الله .
و اهتم بتفحيه وإنهائه خادما للعلم والعلماء مقدم هذه الخاتمة - كان الله له ولوالديه .

و يليه الجزء العشرون بإذن الله ومشيتته مستهلا بسورة الصف .
ونهايا نسأل الله مولانا الكريم أن ينفعا به و يوفقنا لما يحبه ويرضاه ، وهو المسؤول لحسن الخاتمة ، ونصلي ونسلم على من علم فوائج الخير وخواتمه سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه أجمعين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

المستمسك بحبل الله المتين

المفتي محمد عظيم الدين

رئيس قسم التصحيح بدائرة المعارف العثمانية